

ك. غ. يونغ

نيتشه - زارادشت

مخلص العصر الحديث



ترجمة
متيم الضايغ

الكتاب: نيتشه- زرادشت (مخلص العصر الحديث)
تأليف: كارل غوستاف يونغ
ترجمة: متيم الضبايع
الطبعة الأولى: 2021
إخراج وتصميم غلاف: لى عبود
حقوق الطبع محفوظة © دار الحوار للنشر والتوزيع
هذه هي الترجمة العربية الكاملة من الصفحة (I - 320) لكتاب:

Nietzsche's Zarathustra
Notes of the Seminar given in (1934 – 1939)
BY: C. G. Jung

ISBN:978-9933-667-08-5

تم تنفيذ التنضيد والإخراج الضوئي في القسم الفني بدار الحوار
حقوق الطبعة العربية محفوظة لدار الحوار للنشر والتوزيع

يمنع نسخ أو تصوير هذا الكتاب أو أجزاء منه بأي وسيلة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو تصوير ضوئي أو تسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى دون إذن خطي مسبق من دار الحوار للنشر والتوزيع.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the written permission of Dar Al Hiwar Publishing Company.

دار الحوار للنشر والتوزيع www.daralhiwar.com

ص. ب. 1018 اللاذقية، سورية

هاتف: +963 41 2422 339

موبايل: +963 938 406 804

البريد الإلكتروني daralhiwar@gmail.com



كارل غوستاف يونغ

نيتشه - زارادشت مخلص العصر الحديث

ترجمة: متيم الضايغ

دار الحوار

مقدمة الترجمة العربية

عندما قرأت كتاب *هكذا تكلم زرادشت* للمرة الأولى شعرت بأنني أقرأ كتاباً بلغة أجنبية لا أستطيع فك رموزها، أقرأ جملاً لا أفهم ما يريدنيته منها، وينتقل من موضوع إلى آخر بأسلوب رجل حكيم يهب البشر خلاصة تجربته في الحياة.

لماذا اختار نيتشه شخصية زرادشت الشرقي الفارسي ناطقاً باسمه؟ ولماذا صاغ عباراته بأسلوب يشبه أسلوب تدوين الأنجيل؟ لماذا استخدم تلك اللغة الرسمية المكثفة التي يصعب فهمها حتى على المثقفين الألمان أنفسهم؟ ولماذا واجهه من النقد ما لم يواجهه في أي عمل آخر؟ هل كان الكتاب سبب إصابته بالجنون كما يزعم البعض؟ لماذا ألحق العنوان مباشرة بعبارة "كتاب للجميع وليس لأحد"؟

يعتبر نيتشه هذا الكتاب من أفضل كتبه وأعظمها، فقد كتبه بأسلوب أدبي نقدي رفيع، جمع بين النثر والشعر، وأوضح فيه رؤيته للإنسان الأعلى المتجاوز للإنسان العادي الذي نحن عليه الآن، والمتحرر من جميع القيود الاجتماعية والأخلاقية.

ثم وصلني الكتاب الذي بين أيدينا الآن، كتاب من مجلدين كبيرين يتضمن محاضرات ألقاها كارل غوستاف يونغ على مدى خمس سنوات (1935 - 1939) حول كتاب *هكذا تكلم زرادشت*. وفيه يصرح يونغ من البداية بأن هذا الكتاب ملتبس للغاية ويصعب توضيحه من الناحية

السيكولوجية. لكنه سرعان ما يبدأ بقراءة الكتاب مستخدماً موضع الجراح النفسي وبصيرته الثاقبة لتحليل شخصية نيتشه، مبتدئاً بنشأته كابن قسٍ بروتستانتي، مروراً بدراسته للفلسفة، أخذاً بعين الاعتبار التقلبات السياسية والاجتماعية والعلمية في زمنه، ومنصبه كأستاذ للفلسفة في جامعة بازل، بما في ذلك علاقاته الاجتماعية وصداقاته الغربية، وعلاقاته النسائية المحدودة، وصولاً إلى عزلته ومرضه النفسي وإصابته بداء الزهري ثم بالجنون. لقد بدا الأمر بالنسبة إلي وكأن يونغ يشعر بالحزن لأن القدرَ لم يقف إلى جانبه ويجعله معاصراً لنيتشه، وحرمة من محاولة تحليل شخصية عظيمة يندر وجودها كشخصية نيتشه ومحاولة علاجها، فأراد أن يتحدى القدر ويقوم بتحليل هذه الشخصية من خلال ما تركته خلفها من مؤلفات.

مع قراءة يونغ لكتاب نيتشه صفحة تلو أخرى، يفسر لقاء زارادشت بالناسك المعتزل بالغابة على أنه لقاء نيتشه بالنموذج البدئي للعجوز الحكيم، تلك الشخصية الموجودة في اللاوعي الجمعي الذي يُعتبر خلاصة التجربة البشرية على مرّ العصور. ويرى في تحليله أن نيتشه لم يجعل زارادشت ناطقاً باسمه فقط، بل تماهى معه بشكل كامل حتى إنه لم يعد يفرّق بين نفسه وزارادشت، فأصبح أشبه بنبيّ جديد يخبر الناس بأن الأوان قد آن لقدم الإنسان الأعلى، وهو التجسيد البشري للألوهة. وما كان القول بموت الإله سوى رفض نيتشه للتعاليم الدينية الكنسية الرسمية وقيمها، ولا سيّما مبدأ الخير والشرّ والإيمان بالآخرة، ثم النظر إلى الحياة من منظور إنساني بحت. وما إن يصل إلى خطب زارادشت حتى يبدأ بتشرح شخصية نيتشه حيث نراه حيناً يخاطب "روحه" أو "عقله" كمريض فصامي يظهر مرّة بهذه الصورة ومرّة بتلك، ونراه مرة أخرى يخاطب البشر، أو الحشد كمبشّر حكيم مكنته تجاربه الخاصة من بلوغ الحقيقة المطلقة،

ونراه حيناً متأرجحاً بين شخصيتين إحداهما دونية والأخرى فوقية قلماً نستطيع أن نراها بهذا الوضوح في كتب أخرى. كما نراه في خطاب أخرى يخاطب "قرينته"؛ ذلك الجانب الأنثوي من شخصيته.

لطالما أدهشني يونغ باختياره الطرق الوعرة دوماً، فهو لا يرغب بطرق وطيها غيره، ولا يمكن للمبادئ المتفق عليها أن تثنيه عن المضي قدماً في أبحاثه. ومع أنني ترجمت له سابقاً ثلاثة كتب رئيسية هي: "مدخل إلى علم النفس التحليلي" و"النماذج البدئية واللاوعي الجمعي" و"الكتاب الأحمر"، إلا أنني لا أزال أقف عاجزاً عن إحاطته بتعريف واضح إذا سألتني أحدهم عن نهجه. فهو طبيب نفسي، ومؤسس مدرسة علم النفس التحليلي، وباحث في الفلسفة والمثيولوجيا والأدب والأديان الرسمية وغير الرسمية، والعارف بتراث الشرق الأدنى والأوسط. فلا تكاد تصادف مجالاً من مجالات الحياة إلا وخاض دروبه مكوناً منظوره الخاص البعيد عن الأفكار المسبقة جميعها. فبأي صفة أستطيع وصفه؟ هل هو ملحد أم مؤمن؟ علمي أم غيبي؟ هل يؤمن بالدين الذي نشأ عليه أم قام بتشكيل دينه الشخصي، واختار لنفسه إلهاً خاصاً به؟ يبدو أنه، وبعد اطلاعه على فلسفات الشرق بشكل عام، وفلسفات الهند والصين بشكل خاص، استطاع أن يجمع هذه التناقضات كلها معاً ويستوعبها كلها ويكرسها لحفرياتة في أعماق النفس البشرية التي استعصت على الفهم.

قد يكون هذا الكتاب الذي بين أيدينا الآن من أهم الكتب التي تشرح بطريقة عملية المفاهيم كلها التي استعصت على الفهم مثل "الوعي" و"اللاوعي" و"اللاوعي الجمعي" و"النماذج البدئية" و"الشخصية القناع" و"النفس" و"الذات" و"الروح" و"القرينة" وغيرها. إذ نستطيع هنا أن نفهم الطريقة التي كتب بها نيتشه، ونفهم في الوقت نفسه ما كان يجول في

لاوعيه حينها، ونعرف المصدر الذي انبثقت منه تلك الفكرة حتى لو لم يكن نيتشه نفسه واعياً لوجوده.

هل ينجح يونغ في هذه المعركة التي أراد خوض غمارها؟ هل يستطيع تحليل شخصية عظيمة كشخصية نيتشه ويقنعنا بصحة نتائجه من أن الخاضع للتحليل قد توفي قبل خمسة وثلاثين عاماً من بدء التحليل؟ ربما تراودنا الشكوك حيال ذلك، لأننا نعرف أن على المحلل أن يصغي للمريض ويناقشه ويدفعه للكشف عما دفنه في أعماق لاوعيه، فالمرضى العادي قد يخفي شيئاً ما أو يوارب أو يكذب أو يزيّن أمراً يخجل من كشفه، إلا أن الإيجابية هنا هي أن الخاضع للتحليل كان قد أفرغ مكنونات لاوعيه كلها على صفحات كتابه دون أن يعلم أنها ستصبح على أريكة التحليل النفسي، أمام عالم ذي نظرة ثابتة وثقافة عالية مثل يونغ.

قد ينقسم القراء بين مؤيد ومعارض، وقد يجدون بعض الصعوبة بفهم تفسيرات يونغ لشخصية نيتشه، لكن استطراداته الموسعة الكثيرة تجعل من كتابه هذا موسوعة فكرية تتجاوز التحليل النفسي إلى معلومات وأفكار في الفلسفة والأدب والمثيولوجيا والأديان الرسمية وغير الرسمية، بالإضافة إلى بعض القضايا السياسية أحياناً، ناهيك عن التعمق في حياة نيتشه ومؤلفاته الكثيرة. ولا يسعني في النهاية إلا أن أعبر عن سعادتي بالفترة التي أمضيتها في ترجمة هكذا كتاب ألفته شخصية عظيمة، وموضوعه شخصية عظيمة، راجياً أن أكون موفقاً في نقله إلى القارئ العربي بأفضل شكل ممكن.

المترجم

مقدمة

في ربيع عام 1934، في نادي زيورخ للطب النفسي، أنهى الدكتور كارل غوستاف يونغ سيميناراً كان منعقداً منذ شهر تشرين الأول- أكتوبر عام 1930. أما الموضوع الذي انشغل به هو وتلاميذه الذين كانوا أطباء ممارسين يخضعون للتدريب ليصبحوا محللين نفسانيين، وأشخاصاً منتقنين بعناية يخضعون للتحليل، فكان موضوع الرؤى بشكل عام، ولا سيّما الرؤى المميزة جداً لامرأة أمريكية تُدعى كريستينا مورغان. وما إن اقترب هذه الفصل من نهايته حتى برز سؤال عن الموضوع الذي سيركّز عليه السيمينار التالي، لأن أهمية سلسلة محاضرات ونقاشات من هذا النوع وضرورتها كانت راسخة جداً في ذلك الحين. فقبل موضوع الرؤى، كان هناك سيمينار عن الأحلام ربما يعود تاريخه إلى عام 1923، أو حتى قبله، عندما بدأ يونغ بتطبيق هذا النوع من التقنيات على نوع خاص جداً من المستمعين. لكن في عام 1934، بدت المجموعة مترددة قليلاً في اتخاذ قرار نهائي بأن يكون نيتشه هو عنوانها الجديد، ولا سيّما كتابه الغريب الرائع "هكذا تكلم زرادشت". وعندما اجتمع أعضاء المجموعة مجدداً في شهر مايو- أيار، بعد انسحاب بعضهم وانضمام آخرين، استمعوا إلى تحذير مرشدهم الذي يوضح أن أمام الجميع طريقاً شاقاً وطويلاً لا يتعلّق فقط بعقل نيتشه المشوّش المتداخل بل يتعلّق أيضاً بشخصية "زرادشت

الخاص به"، والذي اخترعه لهذه الغاية تحديداً _ أيأ كانت تلك الغاية! لكن ما من شيء يدعو للإحباط، فقد شرعوا بالعمل وتعالى منسوب الإثارة، كما في السيمينار السابق، عندما بدأ معلّمهم (الذي أحبّ الجبال) بإعدادهم لرحلة كان مقدراً لها أن تنتهي قبل أن تبلغ ذروتها غارقة في التحذيرات من الحرب التي اندلعت مع مطلع صيف عام 1939 المشؤوم.

سادت في ذلك الوقت خاصية مألوفة للسمينارات وهي تسجيل المحاضرات والنقاشات. وأصبح هناك سكرتير مختص يعمل على تدوين الملاحظات التي تقوم "ماري فوت" بتحريرها بمساعدة أعضاء من المجموعة، حيث يقوم كلّ منهم بالاهتمام بملاحظاتة الخاصة. ثم تُصاغ نسخ محددة عن هذه الملاحظات وتُعطى "للمشاركين وبعض المهتمين بعلم النفس التحليلي بعد إضافة تحذير مفاده أن استخدام هذه النسخ حصريّ بالمشاركين، وهي غير قابلة للإعارة، ولا يمكن نسخ أي جزء منها ولا نشره دون تصريح خطّي من البروفسور يونغ".

من دون أدنى شكّ، كان المبرر الأساسي خلف هذا التحذير هو عدم تحرير يونغ لهذه الملاحظات، فهو لم يطلع عليها ولم يُجب على أسئلة السيدة "فوت" إلا بشكل سريع، وربما لم يفهم السكرتير شيئاً ما كما ينبغي. لكن مع كل هذا الحظر الصريح، بدأت تظهر نسخ أخرى في جميع مدن العالم، ولا سيما في الأماكن التي تأسست فيها معاهد كارل يونغ، وذلك بسبب الانتشار الهائل لمعلومات تقول إن فيها شيئاً خاصاً جداً، وفريداً من نوعه بالتأكيد. وبالنسبة لأولئك الذين لم يستطيعوا حضور السيمينار، كانت هذه النسخ فرصة للتعرف على البروفسور يونغ وهو يتحدث بطريقة ارتجالية غير رسمية إلى حدّ كبير، ويعلّق على ملاحظات وأسئلة (يطرحها أشخاص كانوا هم أنفسهم طلاباً أذكاء وذوي معرفة جيدة بطبيعة الإنسان)، ولا يهّمه ما إذا انحرف النقاش قليلاً عن مساره الأصلي، ويقدم

اقتراحات لقراءات مستقبلية، ويلمح إلى أحداث سياسية واقتصادية معاصرة، ويلقي بعض النكات أحياناً. ومع حلول عام 1957، أعطى يونغ الإذن "بإظهارها أمام العامة"، وكان ظهور كتاب "تحليل الأحلام" عام 1984، بعد أن قام وليام ماغوير بتحريره، فاتحة لمشروع نشر معظم ملاحظات سيمنار كارل يونغ¹.

توصيات يونغ على سيمنار نيتشه لم تفاجئ أولئك الذين يعرفونه جيداً. فقد ناقش في باكورة أعماله موضوع نيتشه، وسمع معظم مساعديه تصريحه حول أهمية تأثير هذا العالم النفسي والفيلسوف والشاعر الألماني على نضجه الفكري. ففي الفصل الذي يحمل عنوان "أيام الدراسة" في سيرته الذاتية التي تحمل عنوان "ذكريات وأحلام وأفكار" نقرأ ما كتبه يونغ عن تحجيم قراءاته الفلسفية عندما كان طالباً في كلية الطب:

في الفصول الدراسية التي تلت، كنت منشغلاً للغاية لدرجة أصبح من النادر جداً أن أجد أي وقت لغزو مجالات نائية. كنت قادراً على دراسة كانت في أيام الأحاد فقط. كما قرأت بدأب "إدوارد فون هارتمان" الذي كان معروفاً حينها بكتابه الذي حمل عنوان "فلسفة اللاوعي". وكان نيتشه ضمن خطتي لبعض الوقت، لكنني ترددت بقراءته لأنني شعرت أنني لست مستعداً بما يكفي². إذ كان هناك نقاشات كثيرة اتخذت طابعاً سلبياً عنه، وذلك من طلاب زعموا أنهم مختصون بالفلسفة، واستطعت من خلالهم أن أستنتج العداء الذي أثاره ضمن المراتب العليا. كانت السلطة العليا طبعاً هي سلطة "جاكوب بوركهارت" صاحب التعليقات النقدية الواسعة الانتشار. والأهم

¹ للحصول على تقرير كامل لتاريخ السيمينارات، انظر مقالة السيد مكغوير في كتاب "تحليل الأحلام".

² ربما كان يونغ يقصد هنا دراسة نيتشه وليس قراءته، لأنه اقتبس الكثير عنه في صيف عام 1898 (عندما بلغ عامه الثالث والعشرين) في محاضرة أمام النادي الطبي. انظر محاضرات "The Zoltingia Lectures (Princeton, B. S. XX: A, 1938".

من ذلك وجود بعض الأشخاص الذين كانوا يعرفون نيتشه بشكل شخصي في الجامعة، وكانوا يسردون عنه كل أنواع الحكايات التي تفتقر إلى الثناء. (صفحة 105/101).

ذلك كله شحذ شهية يونغ، لكنه قال في الوقت ذاته: "يكبحني خوف دفين يقوم على فكرة "أنني ربما أكون مثله" (صفحة 105/102). ثم سيطر عليه فضول شديد جعله ينغمس بحماس في مجموعة أولى من مقالات عنوانها "أفكار خارج أوانها – *Thoughts Out of Season*" أو (تأملات في غير أوانها – *Untimely Meditations*)، وبعدها وصل إلى "هكذا تكلم زرادشت" حيث قال عنه: "كان بالنسبة إلي تجربة رائعة تشبه فاوست بالنسبة إلى غوته". ومع ذلك بقي لديه شعور بأنها منطقة خطيرة عليه أن يتراجع منها إلى أرض دراسات تجريبية أكثر أماناً.

ومع إتمام دراسته للطب، التحق بمستشفى بورغيتسلي في زيورخ بصفة طبيب نفسي مقيم. ثم حدث لقاءه التاريخي مع فرويد. لا بدّ أنه تفاجأ باعتراف شخص مثقف مثله بأنه لم يقرأ نيتشه. ويبدو أن هذا الاعتراف غرس في عقله بذرة شكّ نمت لتتحول لاحقاً إلى يقين بأن إصرار فرويد الكبير على "الإيروس" وإهماله للقوى الدافعة يمكن وصفه بأنه "فرويد ضدّ نيتشه" أكثر من كونه "فرويد ضدّ أدلر". (ذكريات وأحلام وأفكار، صفحة 150-153).

بعد أن قطع علاقته مع فرويد عام 1913، وضمن العزلة القسرية التي فرضتها سنوات الحرب، باشر يونغ بدراسة دقيقة لأعمال نيتشه تضمنت كتاب "ما وراء الخير والشر"، "جينالوجيا الأخلاق"، و"العلم المرح"، وكتاب "هكذا تكلم زرادشت" طبعاً. إن حالة نيتشه جعلته مقتنعاً جداً بما تنامي لديه من فهم بأن معظم معتقدات الإنسان الأساسية لها جذورها في الشخصية، مما يتيح لنا اكتشاف الكثير عن شخصية المؤلف نفسه من خلال أعماله. ففي كتابه "أنماط سيكولوجية" المنشور عام 1921، صرح

بأن نيتشه شخص انطوائي وحدسي للغاية، ولديه وظائف فكرية عالية التطور، لكن مع ضعف خطير في الإحساس والشعور. وبشكل مناقض لآراء "هنري بيرغسون"، كتب يونغ:

استخدم نيتشه مصادر حدسية بشكل كبير جداً، وهذا حرر نفسه من الفكر أثناء صياغته لأفكاره الفلسفية... وإذا أُتيح للمرء أن يتحدث يوماً عن وسائل حدسية، فسيكون كتاب "هكذا تكلم زرادشت" أفضل مثال على ذلك، وهو في الوقت نفسه مثال حي عن كيفية الإحاطة بالمشكلة بطريقة غير عقلانية مع أنها فلسفية. (الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 540).

كان تأثير الفيلسوفين العظيمين، شوبنهاور وكانط، كبيراً للغاية على نيتشه، وظهر ذلك بقوة في مؤلفاته المثالية، لكن كان لدينا في نهاية المطاف فيلسوف يهتم بما هو سيكولوجي أكثر مما يهتم بما هو ميتافيزيقي، وكان يبحث باستمرار عن وجهة نظر عالمية توجه الحياة وتغنيها، وليس عن نظرة حتمية الإحباط التي كانت لدى شوبنهاور. ومع ذلك، استنتج يونغ بأنه ما من أحد تفوق على نيتشه بإيضاح فكرة ضرورة عدم الأخذ المباشر بظاهر ما يقوله الفيلسوف أو السيكولوجي أو ما يكتبه، بل تفحص الكلمات ضمن سياق طريقة الحياة التي عاشها.

علينا أن ننظر بدقة إلى حياة شخص تبني فكرة "الإجابة بـ 'نعم'" ¹ بهدف تفحص تأثير هذه التعاليم على حياة المعلم الخاصة. فعندما ندقق في حياته ونأخذ هذا الهدف بعين الاعتبار، نميل إلى الاعتراف بأن نيتشه عاش متجاوزاً الغريزة، في المرتفعات الشامخة للتسامي البطولي - مرتفعات لا يمكنه الاعتصام فيها دون اتباع نظام غذائي دقيق، ومناخ منتقى بعناية،

¹ الموافقة هنا أو "الإجابة بـ 'نعم'" تعني الموافقة على الطروحات بشكل إيجابي بغض النظر عن محتواها، أو مع وجود حالة شك. وتُعطى أحياناً صفة "موافقة الإذعان" بالتناقض مع "الإجابة بـ 'لا'". المترجم.

وأدوية تساعد على النوم بلغت حدّاً شتت دماغه. لقد تحدّث عن "الإجابة بـ 'نعم' وعاش طريقة "الإجابة بـ 'لا'". كان اشمئزازه من الإنسان، من هذا الحيوان البشري الذي عاش بالغريزة، هائلاً جداً. ورغم كل شيء، لم يستطع أن يتلع الضفدع الذي راوده كثيراً في الحلم، بل كان يخشى أن يتلع الضفدع. أعاد زفير الأسد الزارادشتي جميع الرجال "الأعلى شأنًا"، والذين كانوا يصرخون طلباً للعيش، إلى كهوف اللاوعي. ولذلك لم تقنعنا حياته بتعاليمه. لأن الرجل "الأعلى شأنًا" أراد أن يكون قادراً على النوم دون تعاطي مادة "الكورال"، وأن يعيش في ناومبورغ وبازل على الرغم من "الضباب والظلال". وكان يرغب بزوجة وذرية، وأن يكون محترماً ومقدراً بين الجمهور، وأن يعيش وقائع شائعة كثيرة ليس أقلها تلك التي لدى المعتدّين بضيق أفقهم. لقد أخفق في عيش الغريزة، وعيش الدافع الحيواني للحياة. وكان على الرغم من عظمتة وأهميته شخصية مريضة. (الأعمال الكاملة، المجلد السابع، ص 37).

سنُظهِرُ هذه المحاضرات أن يونغ اقتنع بأن مرض نيتشه النفسي كان واضحاً قبل فترة طويلة من عام 1889، فهو واثق أن عُصابه كان موجوداً مسبقاً. أما عن المرض العقلي فليس لدى يونغ أوهام رومانسية. فالشخص المُبدع لا يكون مُبدعاً أو أكثر إبداعاً بسبب العُصاب بل العكس هو الصحيح. وبالتناقض مع فرويد، بقي يونغ مقتنعاً بأن "الفن ليس حالة مرضية". وصرّح في الوقت ذاته بأن "على الإنسان أن يدفع كثيراً مقابل هبة النار الإبداعية السماوية" (الأعمال الكاملة، المجلد 15، صفحة 158). يصحّ هذا بشكل خاص على نوع من الفنانين الذين أطلق عليهم صفة "حالمين"، أولئك الذين لديهم بصيرة مذهلة مثل غوته وجويس – وبالتأكيد هذا العبقرى الوحيد الغرب المريض، نيتشه.

رأى يونغ في نيتشه ذلك الشخص الذي ساعد في القرن التاسع عشر على اكتشاف اللاوعي، مما يشكّل استثناءً لادعاء فرويد من أن الفلاسفة لا

يهتمون إلا بالجانب العقلاني الصرف للحياة. لكن فرويد كان غير راغب بقراءة "هكذا تكلم زرادشت"، مع أنه شعر بالطرق التي استخدم بها نيتشه بعض أفكاره الخاصة، خشية أن يتأثر بشكل لا ضرورة له بأفكار تأملية خالية من أية ممارسة تجريبية. لكن يونغ من جهة أخرى كان يتهج دوماً باكتشاف أشخاص يستطيع أن يتوقع النوع الذي كانوا عليه: يبدون بطريقة ما وكأنهم يُشاركونه تأكيد المسبق على تعبيره الخاص عن أفكار راسخة ذات صفة نموذجية بدئية.

ظهر هذا المجلد في وقت وصلت فيه سمعة نيتشه إلى مستوى جديد. فخلال حياته القصيرة التي لم تتجاوز خمسة عشر عاماً من العمل الإبداعي الناضج قبل انهياره عام 1889 كان شخصاً تتناوله كثير من الإشاعات، أو يتم تجاهله أكثر مما كان يؤخذ بجديته. فقد نشر العديد من مؤلفاته من موارده الخاصة الضئيلة. وبقي حاله على هذا النحو حتى اقتربت نهايته تقريباً حيث تعرّف عليه بعض الأشخاص الهامّين من خارج دائرته الضيقة: أوغست ستريندبرغ، جورج برانديز، هيبوليت تاين. ومع ذلك ساعد انهياره العقلي كثيراً على رفض أفكاره لكونها متألقة لكنها جنونية. وحتى وقت متأخر من 1925، لم يذكر التاريخ الشعبي للكتب الفلسفية في أمريكا أية إشارة لنيتشه في مسار أفكار القرن التاسع عشر؛ ومع ذلك كان له، مع عدم الاعتراف الدائم به، تأثير ملحوظ على كتاب القرن العشرين: توماس مان، شاو، لورنس، ربي دي غورمونت، هيدغر، غاسبرز – والقائمة تطول. وبعد مرور مئة عام على ميلاده تم الاعتراف به على أنه مفكر كبير، وعلى أنه كاتب بشكل عام.

لا بد أن براعته العقلية كانت واضحة منذ فترة طويلة. فما إن بلغ التخصص الأكاديمي الذي يريده في فقه اللغة الكلاسيكية في جامعة بون، ومن ثم في جامعة ليبزغ حتى أصبح معروفاً بين أساتذته ورفاقه بأنه في طريقه لتحقيق إنجازات عالية، واتضح ذلك من تعيينه في جامعة بازل قبل

أن يبلغ الرابعة والعشرين من عمره، وتزكيتَه لمنصب بروفيسور بعد سنة واحدة. ومع ذلك كان عمله الكبير "ولادة التراجيديا من روح الموسيقى" مخيّباً لآمال أولئك الذين توقعوا منه أن يتبع المسارات التقليدية. وهنا حدث أن رسّخ نيتشه توافقه مع ديونيسوس، مع أنه ساوى بين ديونيسوس وإله الموسيقى والظلمة، والإله أبولو عزّاب النحت والشكل والضوء الإغريقي. فعندما كان يافعاً كان تابعاً مخلصاً لشوبنهاور، وعندما التقى "فاغنر"، اكتشف بحسب اعتقاده مثلاً حياً لفيلسوف استخدم الموسيقى والتأمل بالأفكار الأدبية لتعليم الإمكانية الوحيدة للهروب من عجلة الإرادة التي نشأنا عليها جميعاً ونحن مقيدون إليها بشكل بانس. وقد مجّد هذين البطلين في عمله المنشور بعنوان "Untimely Essays - مقالات غير ملائمة" إلا أنه لم يمض وقت طويل حتى تشوّه تمثالاً معبوديه. وبحسب اعتقاده، كان شوبنهاور محقاً بما يخص أهمية الإرادة، لكن أخطأ بعدم تمجيدِها في إرادة القوة - التي كان يقصد بها نيتشه تحديداً قوة العبقريّة الإبداعية القائمة على الانضباط الصارم. ("جميع المبدعين صارمون" كانت الطريقة الوحيدة التي صاغها). كان يعتبر فاغنر أحد أعظم الأمثلة على الإبداع الفني، لكن لديه لسوء الحظ (كما يعتقد نيتشه) نزعة للانحلال والنعومة والضعف الرومانسي، ولديه حتى حنين عاطفي للمسيحية: أخذاً أوبرا "بارسيفال" بعين الاعتبار!

رأى يونغ في تحولات نيتشه الجذرية ما أسماه "إنانيا دروميا - enantiodynamia"، الانتقال إلى الجهة المعاكسة (مستخدمين هنا كلمات هيراقليطس)، أي حركة البندول بين طرفي نقيض. وكان مثاله على ذلك "تأليه نيتشه لفاغنر وما تلاه من كراهية له" (الأعمال الكاملة، المجلّد السادس، صفحة 709). لقد أظهر نيتشه نفسه كأستاذ رائع في بازل، لكن تبين له خلال سنوات قليلة فقط أن واجبات التعليم مرهقة جداً لكيانه

الحي المتوازن بدقة. فتطلب الأمر منه أن يأخذ إجازة، لكن لم يمض وقت طويل حتى طالب بتقاعد مبكر. وأمضى ما تبقى من حياته على معاش تقاعدي متواضع يكفيهِ للطعام والإقامة، والقلم والحبر، وبطاقات القطار لينتقل من بازل إلى تورين وجنوة ونيس وفينيسيا مرتحلاً باستمرار بحثاً عن المناخ الملائم الذي كان مع نظامه الغذائي المناسب أملة الوحيد لتخفيف اليأس الذي رافقه لما تبقى من حياته، والمتمثل بنوبات الصداع الشديد وعسر الهضم وقشل في العينين ونوبات دوار وأرق شديد وما إلى ذلك. وكان الأسوأ على الإطلاق شعوره بالوحدة. لكن ما إن ازداد مستوى ثقّله للحالة حتى رأى وحدته وحتى مرضه أساساً للمهام الإبداعية التي وضعها على عاتقه؛ وكما كتب لجورج برانديز في وقت متأخر من حياته الواعية: "كان مرضي أعظم نعمة على الإطلاق لأنه حرّمني ومنحني الشجاعة لأكون ذاتي". كما وصف كتاب *هكذا تكلم زرادشت* "بالقصيدة الحماسية للعزلة"¹.

على الرغم من أنه كان في طريقه لتأليف أعمال يعتبرها الفلاسفة تحفة الفنية – *جينالوجيا الأخلاق*، *ما وراء الخير والشر*، *أقول الأصنام*، *عدو المسيح*، *العلم المرح* – اعتبر نيتشه دوماً أن كتاب *هكذا تكلم زرادشت* هو إنجازه الأعظم، وحافظ الكتاب على مركزه الأول بالنسبة إلى معظم من قرؤوا نيتشه. وكما كان يطيب له أن يقول: إذا كان هناك عمل مُستمد من الوحي، ويفوق الخير والشرّ بستة آلاف خطوة، فهذا هو. تم تأليف كل جزء من الأجزاء الثلاثة الأولى خلال عشرة أيام فقط (بحسب ما أوضحه يونغ في السيمنار)، والنمط الشعري الوارد في الكتاب هو من تأليف نيتشه

¹ صفة القصيدة الحماسية هي ترنيمة كورال برّية يونانية مكرّسة لديونيسوس بشكل خاص. المترجم.

أساساً¹. هنا أعلن الشخص اللا أخلاقي عن نفسه بنفسه، هنا إرادة القوة، هنا العود الأبدي وموت الله والحاكم المطلق. ففي شخصية زارادشت، النبي الفارسي شبه الأسطوري، وجد نيتشه رجله الذي يتحدث بالنيابة عنه بهدف إجراء نقلة عكسية كاملة لمواقف البشر ومعتقداتهم وتطلعاتهم². علينا أن نُنكر كل ما تم تبجيله، ولا سيما لدى المسيحيين، واعتناق وتطبيق كل ما تم تشويهه. وفيما أسماه "إعادة تقييم القيم كلها"، هو لم يمجّد "عدم معرفة الأخلاقيات العامة – amoralism" بل ما كانت تعتبره التقاليد الغربية "عدم الانصياع للمبادئ الأخلاقية – immorality"³. ومع إنكاره للتضاد ما بين الخير والشرّ، تبثّى فكرة الفرق ما بين الجيد والسيئ.

"ما هو الجيد؟ هو كل ما يزيد من شعور الإنسان بالقوة، وإرادة القوة، القوة بعد ذاتها. وما هو السيئ؟ هو كل ما يولد من الضعف".

جاءت هذه الصيغة الخاصة في وقت لاحق، لكن الشعور والفكرة كانت أشياء موجودة مسبقاً في كتاب هكذا تكلم زارادشت. على الرغم من تفاخره بنفسه بأن لديه "شعوراً بالشفقة على الذات"، فقد تطلّب الأمر رجلاً فائقاً (لم يدّع نيتشه أنه هو) لا يدمره الصمت الذي

¹ ظهر الجزء الأول والثاني من كتاب هكذا تكلم زارادشت عام 1883، وظهر الجزء الثالث عام 1884، أما الرابع الذي أدخل نيتشه في الكثير من المتاعب فقد نُشر عام 1885 في إصدار خاص مكون من أربعين نسخة فقط.

² لاحقاً قال نيتشه لصديقه إنه كان ينهي أن يكون عنوان كتابه "إغواء زارادشت – The Temptation of Zarathustra". وربما كان يفكر هنا بإغواء يسوع في البرية.

³ من الصعب التمييز بين هذين المصطلحين لأن المثلول الأساسي لهما هو عدم الخضوع للمبادئ الأخلاقية العلمية. يشير المصطلح الأول "amoralism" إلى تصرف لا يتوافق مع المعايير الأخلاقية في المجتمع إلا أنه ناتج عن الجهل بها أو أن الشخص بعد ذاته لا يعتبر هذا التصرف غير أخلاقي، أي إنه ليس من منظومته الأخلاقية، وهو بذلك لا يخالف القانون الأخلاقي. أما مصطلح "immoral" فهو السلوك الذي على التصرفات التي يعتبرها المجتمع شريرة وأثمة ومخالفة للقواعد الأخلاقية في المجتمع. المترجم

تم به استقبال ما وصفه هو نفسه بأنه عمله الأفضل. (في عام 1886 قيل إنه بيع من كل جزء ستين نسخة أو سبعين!) ولتعويض الإهمال الذي لحق به من الآخرين، وجد أن من الضروري، كما يبدو، صوغ ادعاءات أكثر قوة عن نفسه: كانت صفة "العقل الأول لقرن" هي ما وصف نفسه به قبل أربعة أشهر من انهياره. وقال أيضاً: "مع هذا *الزاردشت*، أوصلت اللغة الألمانية إلى حالة الكمال". ليس نيتشه في أقصى درجات تفاخره بنفسه هو ما يثير الدهشة، بل يثيرها عدد الناس الذين يجدون اليوم أن ليس هناك أدلة منطقية واضحة لهذا التفاخر: ومع ذلك كان عليه أن يهدأ ليؤكد لنفسه أن وقته سيأتي: "بعض الناس يولدون بعد وفاتهم". وما من شك أنه كان يقصد المفسرين. كان ذلك مصدر قلق آخر: من الأفضل تقريباً، وربما كان من الأفضل فعلاً، أن يتم تجاهله على أن يُساء فهمه. لقد كتب لصديقه كارل فوكس (الذي كان بالتأكيد منجذباً لذلك): إذا حاولت يوماً أن تكتب عني؛ فكن حساساً وراشداً بما يكفي – كما لم يكن أحد حتى الآن – لتميّزني و"لتفسّرني"، وليس "لتقيّمني"..... لم يميّزني أحد حتى الآن بصفتي طبيبياً نفسياً ولا بصفتي كاتباً (بما في ذلك *الشعر*)، ولا كمبتكر لنوع جديد من التشاؤم (تشاؤم ديونيسي يولد من القوة، ويحصل على المتعة بالاستيلاء على مشكلة الوجود بالهوق)، ولا بصفتي *لا أخلاقياً* (أعلى أشكال "الاستقامة الفكرية" حتى الآن، والتي يُسمح لها بالتعامل مع الأخلاق باعتبارها وهماً أصبح يحد ذاته *غريزة وحتمية*).

كثيرون بالتأكيد من وصفوا نيتشه وفسروه، إلا أن قلة منهم فكّروا بمطالبته بعدم التقييم. لكن تصميم يونغ كله، بصفته محللاً نفسياً، كان منصباً على النظر إلى ما وراء الكلمات التي يعلن بها الناس عن حقائقهم ويشيدون بمثلهم، وصولاً إلى إشارات عن نوعية الحياة التي يعيشونها.

عندما بدأ يونغ *سيمنار هكند/ تكلم زاردشت*، كانت شهرة نيتشه الذي توفي منذ ثلث قرن قد بلغت أوجها. وتمت كتابة العديد من السير الذاتية،

بما فيها سيرة ذاتية كتبها أخته. وازدادت المعرفة العامة بفطنته الفلسفية وأصبحت تُترجم وتُعلّم. أصبح إتقانه للغة الألمانية يتلقّى الاعتراف أكثر من أي وقت مضى. وحتى ادعاءاته الشخصية بأنه أصبح عالماً نفسياً (والذي لم يستطع أن يتخيّل ادعاء أعظم منه) باتت تلقى اعترافاً مشوباً بشيء من الحسد، على الأقل من أولئك المنغمسين بتقاليد علم النفس العميق¹. لكنّ ثمة مشهد آخر مثير للقلق يتلخّص في أن يتم التهليل له باعتباره نبيّ الاشتراكية الوطنية. وقد أدرك يونغ أن هذا الادعاء استند على سوء فهم كامل: نظراً لأزدراء نيته لكل ما هو ألماني، وكراهيته لمعاداة السامية، وتعرّضه "لغصاب يُسمّى الأممية". أو توصيفه الآتي:

حالمًا تندلع الحرب في أي مكان، تندلع أيضاً بين أنبل الأشخاص تحديداً متعة تبقى محفوظة سرّاً....؛ توفّر الحرب لهم طريقة التفاف على الانتحار، لكنها طريقة تُمارس بضمير مرتاح.

على الرغم من ذلك، لا بدّ أن يكون هناك من يريد القفز إلى نتيجة مفادها أن المحاضرات عن نيته كانت نوعاً من محاولة منح النازية تبريرات عقلانية. وربما كان الأخطر من ذلك أولئك المتعاطفين مع النازية في سويسرا أو في أي مكان آخر، والذين يزعمون أنهم حلفاء لأي طالب من طلاب نيته.

ليس من السهل على أولئك الذين ابتعدوا عن كثافة المشاعر السياسية الاقتصادية في ثلاثينات القرن العشرين أن يفهموا أن هذا السيمينار المكرّس للتحليل النفسي لم يكن مُعفى - ومن هو المُعفى؟ - من الإحساس المتصاعد بحتمية حرب مرعبة، ونتيجة غير مضمونة - لأنها ربما ستكون

¹ Depth Psychology: مصطلح صاغه "إريخ بلوهر" للإشارة إلى مجموعة مناهج التحليل النفسي المعتمدة في الأبحاث والعلاج، والتي تلخّذ اللاوعي بعين الاعتبار. المترجم

ألمانية (بشكلها الجديد) "über alles"¹. يشير هذا السيناريو بشكل متكرر إلى وجود دليل على يقظة مضطربة حتى في بيئة العنف المحمية خارج أوروبا. وكان يونغ واعياً تماماً بالتأكيد لأهمية كتاب *هكذا تكلم زرادشت* باعتباره إنذاراً بكارثة توشك أن تدمر أوروبا والعالم. حيث قال في مسار هذا السيناريو: "ربما كنت الشخص الوحيد الذي غامر بالغوص عميقاً في تفاصيل *هكذا تكلم زرادشت* وربما يقول البعض إنني تعققت جداً. لكن ما من أحد في الواقع أدرك إلى أي مدى كان مرتبطاً باللاوعي، وبالتالي مرتبطاً بقدر أوروبا بشكل عام".

مع كل التوتر في ذلك العصر، كان يونغ مشغولاً كما هو دوماً. فبالإضافة إلى هذا السيناريو، كان يعقد سيناراً آخر باللغة الألمانية عن أحلام الأطفال. وكان يسافر إلى لندن لتسليم محاضرات تافيسستوك؛ وإلى جامعة يال لتسليم محاضرات تيري بعنوان "سيكولوجيا الدين"، وإلى الهند حيث نال ثلاث شهادات دكتوراه فخرية. وكان يكتب طبعاً: "مراجعة في نظرية العقدة"، و"النماذج البدئية واللاوعي الجمعي"، و"رمزية أحلام الفرد وعلاقتها بالخييماء"، و"ما هو العلاج النفسي؟"، و"الاستخدام العملي لتحليل الأحلام"، و"تطور الشخصية"، و"اليوغا والغرب" مع أننا لا نذكر هنا إلا مؤلفاته المنشورة في تلك الفترة. كما كان يمارس العلاج السريري على نطاق واسع، ويؤدي واجب الخدمة العسكرية في سويسرا. ورب أسرة بيت كبير. وبالإضافة إلى مراسلات العديد من الأصدقاء، كان كريماً في الإجابة على استفسارات تطلب نصائح من غرباء راسلوه من جميع أنحاء العالم. ومع ذلك، تابع يونغ سنة تلو أخرى عمله كمدرب، ولا سيما بهذا الشكل الذي ترمّخ على مدى السنين: مجموعة من خمسة وعشرين أو ثلاثين

¹ عبارة تُستخدم عادة لتوصيف بلد ما بشكل مثير للسخرية أو فيه روح الدعاية، وهي تترك انطباعاً بأن الدولة المحددة متفوقة على غيرها أو تتمتع بوضع أعلى مقارنة بالدول الأخرى. المترجم

شخصاً منتقياً بعناية؛ مع نواة أساسية مركزية من المخضرمين الذين يستمعون إلى المحاضرات ويشاركون في النقاشات في صباحات الأحد الساحرة تلك. ومع ذلك، كان في تلك الأوقات المضطربة أولئك الذين يطرحون أسئلة حول ما إذا كانوا سيتابعون سيمينار زارادشت: أَلن يكون أفضل وأقل إرهاقاً أن تنتقل إلى موضوع أكثر هدوءاً، كحكايات غوته مثلاً؟ لكن التصويت أتى لصالح استكمال زارادشت، وهكذا تابع يونغ الصراع والرقص مع نفسية نيتشه المعقدة للغاية.

المواجهة المكتوبة لعمالقة في التاريخ الفكري هي مسألة مُحبطة دوماً لكنها غالباً ما تكون مضيئة للغاية: أفلاطون وسقراط، أرسطو وأفلاطون، توما الأكويني وأرسطو، ويستمر ذلك حتى أيامنا الحالية. هيغل وماركس، نيتشه وشوبنهاور، يونغ وفرويد. ومن المثير للاهتمام أن نيتشه كان يتمتع بسمات جذابة خاصة بالنسبة إلى بعض أفضل مثقفي القرن العشرين: لهذا كتب كلٌّ من كارل غاسبر ومارتن هيدغر بشكل ضخم عن هذا المفكر الأكثر استفزازاً بين المفكرين. والآن يونغ ونيتشه.

غالباً ما تسود الألفة المواجهات بين الأنداد، إلا فلماذا الاهتمام؟ أصغ إلى أرسطو وهو يقول: "نحن أفلاطونيون". ولفترة ما قال يونغ: "نحن فرويديون". لم يستطع يونغ أن يقول: "نحن نيتشيون"، لكنه تشارك الكثير مع نيتشه. تعرّض كلاهما للمطاردة من المسيحية. ولم يكونا نخبويين على الأسس التافهة للثروة والعائلة والطبقة والعرق، بل على أساس الذكاء والفهم والوعي. فبالنسبة لنيتشه الذي وجّه أعماله بوحي ذاتي إلى "قَلّة قليلة"، كان أساس التمايزات التي وضعها هي بين أخلاقيات العبد المرتبطة بالاستكانة والاسترضاء والرحمة والمسامحة وعرض الخدّ الآخر، وأخلاقيات السادة، أي أخلاقيات الإنسان الفائق. ولطالما أوضح يونغ أيضاً أن معظم الناس لم يتجاوزوا العصور الوسطى من ناحية تطوّرهم الواعي، وربما علينا

بالتالي أن نتركهم نائمين في دور عائلاتهم وعلى مقاعد كنائسهم. وبالنسبة لكل من يونغ ونيتشه كان الطريق إلى الفردانية، باستخدام مصطلح يونغ، طريقاً منعزلاً ووعراً ولا سبيماً إذا كان هناك نقص كبير في فهم المهمة، وحتى بوجود سلوك عدواني نحوها. لهذا يكون لكل شخص شعور معين بأنه "سيولد بعد موته" بحسب تعبير نيتشه.

كلاهما كان يزدري مذهب المتعة، وفلسفة الراحة والرضا والارتياح. وفي مسألة التقليد الوجودي للإيمان كانا متوافقين على أنه من دون صراع أو معاناة يُحكم على الوعي بالركود والانحدار مع أن أياً منهما لم يصغ العبارة بهذه الطريقة. وبدلاً من ذلك، سعى كلاهما نحو فلسفة وسيكولوجيا (إذا كان عليهما الاعتراف بالفرق بينهما) يكون اختبارها ببساطة لكن بغنى على النحو الآتي: هل تفضي هذه الفلسفة إلى حياة غنية بالإنجازات والأهداف، وحتى بالسمو إلى عالم متكامل يتجاوز ما يمكن الوصول إليه من أرائك الحياة اليومية المريحة؟ وكانت فلسفتها عن الظلمة، التي لا تقل عن فلسفة الضوء، احتفالاً بالروح الديونيسية التي عُثِرَ فيها على مخاوف اللاوعي والأحلام التحذيرية التي حتى الآن أفضل مصدر للإبداع البشري. كلاهما استنكر وشعر بالأسف لانتشار ما أسماه نيتشه "الشخصية المتبلدة" مع إدراكها المنقح بحذر لما هو حقيقي وهام. كما اتفقا على أنه ما من إنجاز فكري أو فني يمكن فهمه أو تقييمه بشكل عادل دون احترام للذات الكلية للمُبدع. ولهذا، أصغ إلى تصفيق يونغ لادعاء نيتشه الذي يقول فيه: "لطالما كتبت أعمالاً بكل جسدي وحياتي"، وذلك في نزاع مع أي شيء يُعتبر مجرد مشكلة فكرية. وكان كلاهما، بمصطلحات يونغ، متطورين جداً بالحدس والتفكير؛ وكانا انطوائيين. كما اعترف كلاهما بالدين لهرافيلطس وغوته وشوبنهاور وديستوفسكي. كان يونغ يبتهج بعظمة مساواة نيتشه برجل لديه "فهمه وتعددته، وكيته في التشعب - كم من

الأشياء يمكن لشخص أن يتحملها ويأخذها على عاتقه، إلى أي مدى يستطيع شخص توسيع مسؤوليته". لقد سبق نيتشه يونغ من ناحية جزء النفس الذي يشكل ("الهو" بالنسبة إلى فرويد)، شيء يتم الحلم به وتوقعه والتفكير به لكنه أدنى من مستوى "الأنا العليا". ما أثار دهشة مبتكر "السيكولوجيا النموذجية البدئية" عندما صادف مديح نيتشه لـ "سيفريد" هو عبارة: "شباب رائع ودقيق ونموذجي بدني". أو في "أوبرا خاتم النيبيلنغن لريتشارد فاغنر": "نظام فكري هائل من دون الأشكال المفاهيمية للتفكير"، إذ كان توصيفاً استثنائياً للنموذج البدني. ومع أن اختلافاتهما الهامة ستظهر كما لم تظهر من قبل في التعليقات الطويلة التي سترد لاحقاً في هذا الكتاب، إلا أننا سنذكر هنا اختلافين هاميين. أولهما أن الأهمية الأساسية بالنسبة لفاغنر كانت للبعد الجمالي في حين كانت للبعد الديني بالنسبة لنيتشه. وليس من قبيل المصادفة أن أهم صداقة في حياة نيتشه كانت مع موسيقي لديه طموح كبير بأن يجعل أوبراته (أو كما يفضل هو أن يقول: "دراما موسيقية") تسمو على تفاهات الترفيه العام، لتتحول إلى توليفات عظيمة من موسيقى وأدب وتصاميم مرئية ورقص ومثولوجيا وفلسفة. وقد وافق نيتشه تماماً على الطموح، لكنه أصيب بخيبة أمل من فاغنر الإنساني جداً لأنه أراد في النهاية أن يشمل الدين أيضاً، وأسوأ ما في الأمر أنه يريد أن يشمل الدين المسيحي. كان يونغ مثل نيتشه، ابن قس أيضاً، وكان بالإمكان رؤيتهما متمردين على التشدد الديني الصارم في منزلهما عندما كانا صغيرين. لكن يونغ، وعلى النقيض من نيتشه، رأى في أديان العالم المختلفة محاولة عميقة جداً ولا مفرّ منها لترميز سعي الإنسان الأبدي للمعنى. وعلى العكس من نيتشه (وفرويد أيضاً) آمن يونغ بأن أديان العالم العظيمة تمثل محاولات شجاعة لفهم طبيعة الروح وإمكانات الخلاص حتى لو كانت متباعدة جداً. وهكذا فإن تجاهل الأسئلة الأساسية

عن الأديان ومصائر الوعي البشري عبارة عن انهزام ذاتي مشابه لتجاهل الأحلام والأساطير.

إذا استحقَّ كلٌّ من أرخيلوس وشكسبير وغوته وقتنا وجهدنا كما يستحقهما الأنبياء والمعلّمون، فذلك لأنهم يشاركون الأنبياء والمعلّمين اهتمامهم بالأسئلة المطلقة، وليس بسبب المقدرة الجمالية المتطورة للغاية أو إتقان الأساليب الفائقة. إننا نستطيع أن نتخيّل يونغ يبتسم موافقاً على قصيدة نيتشه الصغيرة التي يقول فيها: "أنا لست سوى صانع كلمة"، ثم يبتسم نيتشه له ويقول: "ألم يُكتب، 'في البدء كان الكلمة'؟" من المؤكد أن جهد نيتشه الطويل لتحقيق كل غاية من غاياته المتعددة، من نمط صحيح وطريقة قصوى في دمج الشكل والمحتوى، كان أشبه بهاجس لا يمكن ليوغ أن يتغاضى عنه.

ظهر اختلاف كبير آخر بشكل واضح في طريقي هذين الرجلين في نقد مبكر ليوغ، على الرغم من توافقهما على ضرورة عدم فقدان التواصل مع الغرائز (من خلال التفكير المكثّف أو أشكال أخرى من الروحانية) فقد اختلفا على أفضل الطرق نحو المستوى الأعلى. يقول يونغ:

شعر نيتشه من دون شك أن الإنكار المسيحي للطبيعة الحيوانية عميق جداً بالتأكيد، فسعى بالتالي إلى كلفة بشرية عليا تتجاوز الخير والشر. لكن من ينتقد المواقف المسيحية الأساسية بشكل مُبالغ فيه يُصادر أيضاً الحماية التي تُسبغها عليه هذه المواقف. إنه يستسلم للنفس الحيوانية دون مقاومة. تلك هي لحظة الهيجان الديونيسي، والظهور الساحق "للوّحش الأشقر" الذي أسر الروح المطمئنة بارتعاشات مجهولة. لقد حولّه هذا الأسر إلى بطل، أو إلى كيان يُشبه كيان إنسان أعلى.... إذا أصبحت البطولة مزمنة، فستنتهي بالتشنج، والتشنج يؤدي على كارثة.

من المؤكد أن نيتشه يتفق مرة أخرى مع يونغ عندما يقول لاحقاً في هذه الفقرة: "يمكن للإنسان أن يعاني من قدر قليل من الثقافة دون أن

يتضرر": لكن يونغ يستأنف انتقاده ويقول: "كانت المعضلة الأبدية للثقافة والطبيعة دائماً قضية الكثير جداً أو القليل جداً، ولم تكن يوماً "إما-أو"¹. لكن، ألم يقل نيتشه كما لو أنه يردّ على انتقاد يونغ: "أنا شيء، ومؤلفاتي شيء آخر؟" ألا يقول النقد الجديد (أصبح قديماً الآن)، والنقد الذي طرحه أخوية الفلاسفة كلها عملياً: "نعم، دع الإنسان وحياته وشأنهما وتمسك بالنص؟" يوافق يونغ بالتأكيد بطريقة ما على أن مؤلفات أحدهم قد تتعارض مع باقي حياته. فربما يمثل العمل الإبداعي (في أي مجال كان) امتداداً تخيلاً لما يحدث في الواقع، حتى التعويض عن حدود الشخصية التي قد تحكم بالموت على أعظم عبقرية لتوسّع الاعتدال في الحياة اليومية. وقد نستطيع أن نتخيل يونغ يتابع قائلاً: "مع ذلك، هذا السيمنار كله مكرّس لتحليل أحد "مؤلفاتك الرائعة" لتحديد مواصفات حياة مؤلفها قدر الإمكان، فكيف يمكن لشخص ألا يكون جزءاً من إبداعاته الخاصة؟ ألم تقل أنت نفسك: "أنا أحاكم الفيلسوف من خلال ما إذا كان قادراً على تقديم نفسه كمثال؟"

آخر سؤال طرحه نيتشه في آخر كتاب له كان ببساطة: "هل كنت مفهوماً؟" والآن قد يضيف نيتشه، أو النيتشيون على الأرجح: "هل أنصف يونغ في نهاية المطاف عظمة فلسفة نيتشه باعتباره مؤلفاً؟" (وبشكل افتراضي أيضاً) قد يتخيل المرء روح المعلم يونغ تجيب: "ألم يكن تحليلنا لنصك وما يخبرنا به عن حياتك، متضمناً فهماً أفضل لحالة الإنسان؟" هذا السيمنار، مثل كل سيمينارات يونغ، هو عن علم النفس التحليلي.

جيمس لويس فاريت

¹ الأعمال الكاملة، المجلد السابع، صفحة 40-41.

شكر وتقدير

على كل محرر يعمل على كتاب فيه الكثير من التلميحات كأعمال يونغ، ولا سيما في محاضرات سمينار لم يضع هوامشها المؤلف نفسه، أن يطلب مساعدة الزملاء العارفين والغرباء الموصى بهم فيما يخص القضايا التاريخية واللاهوتية والفلكية والسيكولوجية وما إلى ذلك. وفي مثالنا الحالي هذا أدين بالكثير لـ "وليام ماكغوير"، أفضل من عرف نصوص يونغ واليونغيين. لقد أنقذني من عدة زلات أو عثرات. وكذلك جوزيف هندرسون الذي كان عضواً مشاركاً في السيمينار في المراحل الأخيرة، وساعدني في تخيل المشهد من خلال تقاريره الحية عن اللقاءات، وعن العديد من المشاركين العظام. وأشكر أيضاً غيرهارد أدلر، ليليان فريرون، أنيلا جيف، وكارل ألفريد ماير، الذين وقروا لي المادة الأساسية والإجابة عن أسئلة محددة.

الآخرون الذين كانوا كرماء بوقتهم وعلمهم هم: جوان ألبرت، جون أنتون، توماس بارنيز، باتريكا بينسون، روبرت براونينغ، روبرت كوكريل، راندي كروس، جوزيف فونتينوز، جنيفر غوردون، بول هايست، دينيس غاريت، ريتشارد كيرن، تومس ليهي، إس. جي: تشارلز ماكوي، ألكسندر نهاماس، كينث بايغن، غراهام باركس، توماس روسنماير، إيفرت شلينغر، مارتن شوارتز، ويل توتل، كلود ويلش. وكذلك أليسا ليبتش، مساعدتي في البحث، التي بحثت في مكتبة بيركلي وأتت بالعديد من بطاقات التعريف. وكّرست مارغوري جاريت ساعات كثيرة من وقتها في جمع الملاحظات

ودمجها وإجراء العمليات عليها. وقامت فيرجينيا دراير بأبحاث مفيدة، وقدّمت بالإضافة إلى ذلك عدداً من الاقتراحات المفيدة المتعلّقة بالأسلوب. وقامت باييت جاكسون بعمل كبير على الفهرسة. وأخيراً، أشعر بالامتنان لأعضاء مجموعة الدراسة الصغيرة، لكن المفيدة جداً، والتي كانت تتحرى سنة بعد أخرى عن دراسة تصنيف شخصية يونغ، وذلك لنقاشاتها النشيطة لأجزاء من النص: نويل كاسكي، وين ديتلوف، رافينا هيلسون، وبارون لامبي.

ملاحظات حول النص

تمت متابعة الملاحظات الموجودة في النص بعناية لكن دون خنوع. وكانت التغييرات التي أجريناها محدودة بعلامات الترقيم إلى حد كبير، لكن حدث أحياناً أن قمنا بتغيير في بناء الجملة بغية الوضوح. كما أجرينا بعض عمليات الحذف لكنها كانت حصرية بالقصص أو المواد الأخرى التي صادفها القارئ مؤخراً بشكل مطابق تقريباً.

كانت لغة البروفسور يونغ الإنكليزية ممتازة بالطبع من حيث الكتابة والنطق، لكن كما هو حال معظم الناطقين، غير الأصليين، باللغة الإنكليزية، ارتكب أحياناً بعض الانحرافات الطفيفة عن الطريقة الاصطلاحية المثالية. وباستثناء بعض الأمثلة التي تؤثر على الوضوح، أبقينا على طريقة النطق الأساسية بغية الحفاظ على أسلوب المحاضر نفسه قدر الإمكان.

الأعضاء المشاركون في السيمينار

ليس هناك سجلّ بالأعضاء المشاركين في السيمينار. والقائمة الموجودة أدناه تخص الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في النص؛ أما الأسماء التي لم ترد، وكانت تخص أشخاصاً عُرِفَ بشكل أكيد عن مشاركتهم في السيمينار فهي: ماري بانكروفت، *ماري براينر، هيلينا كورنفورد (لاحقاً أصبح اسمها: السيدة جوزيف هيندرسون)، ماري فووت، *أنيل جيف، *ريفكا شارف، و*جان ويلرايت. كانت الألقاب فقط موجودة في النص، أما الأسماء الأساسية فقد تمت إضافتها بقدر ما استطعنا التعرف عليها. وتشير النجمة إلى من كان، بحسب معرفتنا الحالية، أو أصبح محللاً نفسانياً.

أدلر، السيدة غريت	فوستر، السيدة.
أليمان، السيد فريتز	*حنة، الأنسة باربرا
بهادورجي، دكتور	*هاردينغ، دكتور إستر
بيلوارد، السيدة.	*هيندرسون، دكتور جوزيف
*باش، السيد كي. واي.	*هنلي، دكتور إيوجين أتش.
باومان، السيد هانز	*هنلي، السيدة هيلين
باومان، السيدة	هويتزوليرن سيغمارينجن.

الأميرة ماري ألكس	باينز، السيدة، غراي إف
*هاولز، دكتور ماري	بينيت، السيدة
هوفز، الأنسة	*بيرتن، دكتور إلبانور
*جايفرا، السيدة، مانويلا	باينشي، الأنسة إيدا
*جيمس، دكتور.	*برونر، السيدة، كورنيلا
غاي، السيدة	بورغرز، فراو دكتور.
*يونغ، السيدة إيما	كاس، السيدة.
*كوفمان، الأنسة	كرولي، السيدة. أليس ليونسون
كيرش، السيدة هيلدا	دورلر، السيدة هيلين
*كونيج، الأنسة فون: أولغا	*إليوت، دكتور لوسي
بارون فون كونينغ	إيشر، دكتور. هنريش.
فاشنفيلد	فايبش، الأنسة
لايارد، السيد. جي. دبليو.	*فيرز، السيدة. لينا (فيرز ديفد)
ليون، السيدة، فرنسيس غودرنتش	فيرز، بروفيسور. هانز
لومان، السيدة	فلاور، السيدة.
مارتن، السيد بي. دبليو.	*فرنز، الأنسة ماري لويس فون
ماكسويل، السيدة سكوت.	*فري، دكتور. ليليان (فري رون)
*ميليش، السيدة روز	فروبي-كابتاين، السيدة أولغا
سترونغ، السيد.	ميلون، السيدة. ماري كونوفر
ستوتز، السيد.	ناييف، السيدة. إيرنا
تايلور، الأنسة إيثل	نايمان، الدكتور، إيريك
تايلور، الأنسة إن.	نوثال سميث، السيد.
فان وافيرون، السيد.	ريكستين، بروفيسور. تاديوس
فون بارنهارد، السيد	روكويس، السيدة، هيدونغ فون

فولكارديت، السيدة.	*ساشس، السيدة
ولش، الأنسة إليزابيت	شيفيل، السيدة. مارغريت
*ويلرايت، دكتور جوزيف	شليغل، السيدة. إيريك
*ويتني، دكتور. جيمس لي مان	شليغل، دكتور جي. إي.
*ويتني، دكتور. إليزابيت	*سكوت ماكسويل، السيدة. فلوريدا
غوودريتش	سيغ، السيدة. مارثا
*وولف، الأنسة توني	ستوفر، السيدة. أنا
زينو، السيدة. هنري إف.	*سترونغ، دكتور. أرشيبالد ماكنثير

ربيع 1934

أيار - مايو / حزيران - يونيو

المحاضرة الأولى

2 أيار- مايو 1934

الدكتور يونغ:

سيداتى سادتي: قررت تقديم سيمينار عن كتاب هكند/ تكلم زارادشت بناءً على رغبتكم، لكن المسؤولية تقع على عاتقكم. فإذا كنتم تعتقدون أن كتاب زارادشت أسهل من تلك الرؤى فأنتم مخطئون كثيراً، إنه ملتبس جداً وصعب للغاية¹. لقد بذلت الكثير من الجهد على قضايا معينة؛ إذ من الصعب جداً توضيح هذا العمل من الناحية السيكلوجية. سأحاول من جهتي تقديم أفضل ما لدي، لكن عليكم أن تكونوا متعاونين.

من الناحية التقنية، أعتقد أن من الأفضل المرور على الفصول من البداية، وقد يحتاج الأمر منا أكثر من دورة إذا أردنا بحث جميع التفاصيل. كما سيكون أطول بكثير من موضوع الرؤى الذي كنا نعمل عليه لكننا نستطيع أن نتوقف متى شئتم؛ قد يتعبكم مساره الطويل لكنني لم أجد طريقة أخرى لمعالجة الموضوع. أنتم تعرفون جيداً أن فصول كتاب

¹ السيمينار السابق الذي كان مخصصاً لتحليل رؤى مميزة لامرأة أمريكية تدعى "كريستينا مورغان" انتهى في الحادي والعشرين من آذار- مارس السابق، وكان قد بدأ في الثلاثين من تشرين الأول-أكتوبر عام 1930. حيث نشرت ماري فوت المحاضرات الموجزة ضمن مجلدين باسم "سيمينار الرؤى - Visions Seminars" (زيورخ، 1976).

زارادشت عبارة عن خطب أو مقاطع شعرية، لكنّ فيها شبه بالرؤى بقدر ما فيها تطوّر بالأحداث. إنها سلسلة من التجارب والأحداث وتظاهرات اللاوعي، وغالباً ما تتضمن شخصية حاملة بشكل مباشر؛ وبالتالي ربما يكون من الأفضل أن نطبّق أثناء تحليلنا التقنية ذاتها التي استخدمناها في الرؤى. ثمة فصول مكوّنة من رؤى أو تبدأ برؤى أو تعليقات على رؤى وأحلام راودت نيتشه، وفصول أخرى عبارة عن خطب ألقاها زارادشت.

زارادشت ليس مجرد شخصية مجازية أو شعرية اخترعها نيتشه بنفسه. فقد كتب يوماً لأخته أن زارادشت تراءى له في الحلم عندما كان صبياً¹. ثم عثرتُ على تلميح يشير إلى حقيقة غريبة هي أن نيتشه في مرحلة شبابه كان يدرس في ليبزغ، وكانت هناك طائفة فارسية تُدعى طائفة "مازدانان"، وأن نبيهم رجلٌ يُدعى "الحنيش – El Ha-nisch". ويقال إن هذا الرجل كان جرمانياً من أرض ساكسونيا المباركة واسمه "هاينيش – Haenisch"، وهو اسمٌ ساكسوني معروف؛ وعلمتُ من بروفيسور في اللغات الشرقية هنا أنه عندما كان يدرس اللغة الفارسية في ليبزغ، كان هذا الرجل الذي نتحدث عنه يحضر السيمينار ذاته². هو ليس مؤسس طائفة "مازدانان" بكل تأكيد لأنها تعود إلى أصول أقدم بكثير. وقد تبنّت هذه الطائفة بعض الأفكار الفارسية من كتاب "زند أفيسستا"، ولا سيما القوانين المتعلقة بالنظافة العامة التي كانوا يمارسونها بآلية ميكانيكية نوعاً ما، بالإضافة إلى تعاليم ميتافيزيقية مستمدة أيضاً من كتاب "زند أفيسستا"، وهو كما تعلمون

¹ صرّحت إليزابيث فورستر نيتشه، أخت فريدريك نيتشه، بأن "شخصية زرادشت، والقسم الأكبر من الأفكار الأساسية في هذا العمل قد ظهرت في وقت مبكر جداً في أحلام المؤلف وكتاباتهِ". أعمال نيتشه الكاملة، المقدمة، صفحة 13. والترجمة التي نعتمدها في هذه السيمينار هي ترجمة "توماس كومن".

² (إميل أبيغ من جامعة زيورخ، بروفيسور اللغات الشرقية، والمعروف بكتابه "الإيمان بالمسيح في الهند وإيران – Der Messiasglaube in Indien und Iran" (برلين & ليبزغ، 1920).

جميعاً مجموعة الكتب المقدسة الزارادشتية. لكن يُفترض أن نيتشه كان على صلة بأشخاص محددين من هذه الطائفة، وحصل منهم على بعض الأفكار عن زرادشت أو التقاليد الزارادشتية. لكنني شخصياً غير مقتنع بذلك؛ فهو لم يحصل على تلك الفكرة الكبيرة عن زرادشت من خلال تصوراتهم. كان نيتشه قارئاً نهماً وواسع الثقافة من نواح كثيرة، ومن المرجح تماماً، بل من المؤكد أيضاً، أنه قام ببعض الدراسات الخاصة عن كتاب *زند أفهستا* الذي تمت ترجمة قسم كبير منه في أيامه. لدينا الآن ترجمة ألمانية جيدة، ولدينا نسخة إنكليزية في سلسلة كتب *الشرق المقدسة*. وهي سلسلة كتب من فترات مختلفة، وأقدمها كتاب *الياسنا* الذي يتضمن *الياشت*، أي خطب على شكل أناشيد أو مقاطع شعرية¹. إنها تُسَمَّى خطب زرادشت، وهي مكتوبة بلغة إيرانية قديمة خاصة؛ بما أنها قديمة جداً، وربما كانت الأقدم على الإطلاق، فيفترض أنها تعود إلى زمن زرادشت، وهي ستكون المثال لخطب *زارادشت* الخاص بنيتشه.

علينا أن نتعرف قليلاً على تاريخ الديانة الزارادشتية لأنها تلعب دوراً أساسياً في رمزية الكتاب. زرادشت هو شخصية أسطورية تقريباً، لكن ثمة نظريات معينة تؤكد أنه شخص حقيقي عاش في عصر بعيد. ومع أن من غير الممكن لنا إثبات موقعه جغرافياً أو زمنياً لكن يُفترض أنه عاش في المنطقة الشمالية الغربية من بلاد فارس بين القرنين السابع والتاسع قبل الميلاد. كان في الأساس معلماً في بلاط ملك أو أمير يُدعى "فيشتاسب". (الاسم باللغة الإغريقية هو "هيستاسباس - *Hystaspes*"، وهو يذكّرنا باسم والد داريوس الأول). تقول الحكاية إنه تعرّف على وزيرين في بلاد

¹ "The Gathas - الياشت"، أو الأغاثي هي الجزء الأول من الكتاب المقدس الفارسي "زند أفهستا". انظر كتاب "بلاد فارس القديمة - Ancient Persia"، ترجمة جاكسون ورفائقة (نيويورك، 1917). المجلد السابع. وانظر "ماكس مولر" في كتابه "كتب الشرق المقدسة - The Sacred Books of East" (أكسفورد، 1879-1926).

"فيشتاسب"، وتعرّف من خلالهما على الأميرة النبيلة التي هداها إلى الزارادشتية، ثم قام بهداية الملك من خلالها. هذا إجراء عادي جداً من الناحية السيكلوجية، وهو يحدث بهذه الطريقة دوماً. ففي بدايات المسيحية، كان البابا داماسوس الأول أحد أكثر المبشرين نجاحاً في الحلقات العليا، وكان يُلقَّب بـ *ماتروناروم أوريسكالبيوس*، أي الشخص الذي يدغدغ أذني السيدات النبيلات؛ لأنه اعتاد أن يهدي نبلاء روما من خلال سيدات العائلات النبيلة.¹ وبالتالي ربما كان هذا تفصيلاً تاريخياً في حياة زارادشت. لكن على النقيض من مؤسسي أديان معينين آخرين، تزوّج وعاش حتى سن الشيخوخة. لقد قتله الجنود بينما كان واقفاً قرب المذبح، عندما تم غزو مدينته.

ربما يكون *الياشت* وثائق رسمية تعود إلى أيام زارادشت، ومن الممكن جداً أنها من تأليفه. ومع أن من غير الممكن عملياً أن نستخلص منه أية تفاصيل تاريخية، فقد كانت هذه التعاليم القديمة ذكية للغاية في تلك الأيام، واتسمت بميزة معينة خاصة يمكن للمرء أن يقول إنها تعطي الدليل على سبب اختيار نيتشه لهذه الشخصية. في الواقع، يصحّح نيتشه بنفسه أنه اختار شخصية زارادشت لأنه كان مُبتكر التفريق بين الخير والشر؛ كانت تعاليمه عبارة عن صراع كوني بين قوى الضوء وقوى الظلام، وكان هو من أدام هذا الصراع الأبدي. وكان على زارادشت خلال فترة زمنية معينة أن يعود مجدداً لإصلاح ذلك الابتكار وتحقيق السلام بين الخير والشر اللذين قام هو بنشرهما في تلك الأزمنة الغابرة.² وأنا أقرّ تماماً أنه ليس بوسع المرء أن يشير إلى أي مفكّر سبق زارادشت في التشديد على

¹ القديس داماسوس الأول كان هو "البابا" من عام 366 حتى عام 386.

² قل نيتشه: كان زرادشت أول من رأى في الصراع ما بين الخير والشر الحلقة الأساسية في عمل الأشياء... خلق زرادشت الخطأ الأكثر أهمية؛ وهو الأخلاق. وبناءً عليه يجب أن يكون أول من يدرك ذلك الخطأ" (مقدمة إليزابيت فورستر نيتشه، أعمال نيتشه الكاملة، صفحة 26).

التباين بين الخير والشر كمبدأ أساسي. فقد نشأت الديانة الزارادشتية كلها على هذا الصراع.

تقول التعاليم العقائدية إنه كان في البداية إله كلي القوة والحكمة يُلقَّب بـ "مازدا" واسمه "أهورا" (ولقب "مازدا" يعني الحكيم، يشبه "لاو تسو" إلى حد ما). واسم "أهورا" فهو اللفظ الإيراني للاسم السنسكريتي "آسورا - Asura"، وهو الإله الروحي في أقدم أجزاء كتاب *الريغفيدا* المقدس. من المعروف أن *الريغفيدا* مجموعة من أناشيد أو مقاطع شعرية تشكّل جزءاً من مجموعة الكتب المقدسة لدى الهندوس، وربما تعود بتاريخها إلى زمن غزاة الهند القدماء الآريين البدائيين. ويحتوي أحد أقدم أجزائها على ما يسمى "أغاني الضفدع الموجهة للكهنة" التي يُفترض أنها ترجع إلى الألفية الخامسة قبل الميلاد إلا أنني لست واثقاً من صحة هذا الافتراض¹. في أغاني الضفدع القديمة هذه، يعتمد الكهنة في فترات المطر الساحرة إلى التماهي مع الضفادع؛ وعندما تسود فترات الجفاف، يقلّدون هذه الأصوات كما لو أنها أمطرت. يقلّدون الصوت الذي تُصدره الضفادع بعد سقوط المطر عندما تكون في البرك، لكن عندما تجفّ البرك لا تجد ما تغني له. وهكذا كان يفعل البدائيون لحنّ المطر على الهطول، يقلّدون صوت سقوط المطر أو يرشقون الدم أو الحليب أو يطلقون صفرات تشبه صوت الريح التي تأتي بالغيوم. "آسورا" هو الإله الأسى، وهو مختلف عن مفهوم "الديفا - Deva". (الديفا أو *الديفاس* بالجمع، هو الكلمة الجذر التي اشتُقَّت أسماء مثل "زيوس - Zeus" و"ديوس - Deus" و"زيو - Ziu"

¹ "الريغفيدا - Rigveda" (أغنية في تمجيد المعرفة المقدسة) هو أقدم الكتب المقدسة الهندية وأكثرها أهمية، وله علاقة بـ "أزورات"، أو الآلهة العليا، بشكل جماعي. ويعود تاريخه بأشكال مختلفة إلى الفترة ما بين (2000 - 1200 ق.م).

ومنها أتت الكلمة الإنكليزية "Tuesday" أي يوم الثلاثاء).¹ الديفاس هم آلهة النهار الساطع، آلهة السماء الزرقاء الصافية والأشياء المرئية في ضوء النهار، بينما *أسورا* هو إله الداخل، إله ذو طابع روحاني وأخلاقي أساساً. وفي التطور اللاحق - في أجزاء لاحقة من *الريغ فيدا* - ينفصل *أسورا* إلى عدد من *الأسورات*، وهي أشباح من طبيعة شيطانية بالتأكيد. والشئ ذاته يحدث مع *الديفاس* في بلاد فارس. وبالتالي نجد أن لدى الزارادشتيين المفهوم ذاته عن الإله الأسى *أسورا*، تلك الفكرة القديمة الموجودة في الريغ فيدا، لكنهم اختاروا اسماً فارسياً هو "أهورا"، ولقبه "مازدا"، بالتالي أصبح اسم الإلهم "أهورا مازدا".

يُفترض بشكل عام أن أهورا مازدا، الإله الأعظم والرجل الحكيم، من إبداع زارادشت، وربما وصل إلى هذه الصيغة من خلال تجارب داخلية كما يبدو من حكايته. تسقى هذه التجارب في الأعمال القديمة "لقاءات واستجابات": أي إنه قابل أهورا مازدا، أو كلماته المنطوقة التي تُسمى "فوهم مانو - *vohu mano*" وتعني الموقف الجيد. والكلمة الألمانية المكافئة لـ "فوهم انو" هي: "*die gute Gesinnung*" وتعني السلوك الجيد، النية الحسنة، الكلمة الجيدة، الكلمة الصحيحة. نستطيع ترجمتها بسهولة دون صعوبات فلسفية خاصة من خلال المفهوم المسيحي عن "اللوعوس"؛ الكلمة المنطوقة التي تمثل الله المتجسد، إن اللوعس كما تجسد في يسوع المسيح مطابق تماماً لمصطلح "فوهم مانو". كما يجد المرء الشئ ذاته في الإسلام لدى الجماعات الصوفية؛ بما أنه ليس لله اسم ولا صفة ولا شكل فقد ظهر بشكل ملموس في الخضر، الأخضر، الذي يُسمى "الملاك الأول لله"، "الكلمة"، "وجه الله". في العهد القديم يوجد شيء مماثل لمفهوم "الملاك

¹ إلى جانب التشابه مع اللغة المنسكريفية، هناك الكلمة الألمانية "Tiwaz" واللاتينية "Deus"، والأهستية "Daeua"، وكلها تعني السماء، الجنة، الإله.

ذو الوجه"، وهو تمثيل ملموس لإله غير مادي وغير قابل للوصف إطلاقاً¹ وهكذا أصبح أهورا مازدا، أو "فوهو مانو" تجارب بالنسبة إلى زارادشت، وما يُطلق عليه "لقاءات واستجوابات". وأظن أنه كان لديه سبعة لقاءات مع روح الخير الخاصة بالإله أهورا مازدا. (هناك أيضاً روح الشر التي سنتحدث عنها عما قريب). لقد أتاه الوحي، وكان يعلم الحقيقة من خلال تلك الروح. وأنا أشير إلى ذلك الآن لأنه موازٍ لزارادشت الخاص بنيتشه.

زارادشت هو اسم فارسي ويكتب "*Zarathushtra*" والقسم الثاني منه "أوسترا - *ushtra*" هو فارسي بشكل نموذجي ويعني "الجمال". وثمة حكاية عائلية عنه، وجميع الأسماء في عائلته لها علاقة بالأحصنة والفحول والخيول والمواشي والجمال وما إلى ذلك؛ مما يُظهر أنهم من السكان الأصليين، وأنه ينتمي إلى مجموعة كانت تعمل في تربية قطعان الماشية. كما أن فكرته عن المكافأة المثالية في الجنة كانت قديمة للغاية. كان يأمل هو ذاته بأنه سيحصل بعد حياة مليئة بالاستحقاقات على مكافأة جيدة مكونة من حصان فحل واحد واثنتي عشرة فرساً، وكذلك بامتلاك جسد يافع جميل ومثالي؛ يمكن للمرء أيضاً أن يجد في الإسلام فكرة مشابهة جداً لهذه الفكرة. إن النسخة الإغريقية عن زارادشت هي "زورستر - *Zoroaster*". لكن الإغريق لم يعرفوا أي شيء عن تعاليمه؛ وكان بالنسبة إليهم مجرد ساحر ومنجم عظيم؛ يُعتبر كل ما يأتي تحت اسم "زورستر" نوعاً من الفن السحري الأسود.

والآن بالإضافة إلى ظهور الإله في الكلمة المنطوقة أو في النية الحسنة "فوهو مانو"، ثمة ظهور مماثل هو روح الشر، أو "أنغرو مينوش - *Angro Mainyush*" (كان أهورا مازدا يُسمى أورمازدا؛ وكان أنغرو مينوش

¹ الخضر في الأعمال الصوفية هو ملاك الله الأول، "وجه الله". ونجد في العهد القديم أن يعقوب بعد أن تصارع مع الملاك قال: "لأني نظرتُ اللهَ وَجْهًا لَوَجْهٍ، وَنَجَيْتُ نَفْسِي" (سفر التكوين 32:30).

يُسمى أهريمان). كان هذان الروحان مجتمعين معاً في أهورا مازدا الأصلي، وهو ما يُظهر أن الفصل ما بين الخير والشر لم يكن له وجود في البدء. ثم بدأ الشجار بينهما بعد فترة من الزمن، وتحوّل بعدها إلى صراع مما جعل خلق العالم يصبح ضرورة ملحة. وهكذا خلق أهورا مازدا العالم وأصبح يشعر بالانزعاج لأنه على مدى ستة آلاف عام لم يكن يعرف ما عليه فعله، وبعدها اقتحم "أنغرو مينيوش" العالم الذي خلقه أهورا مازدا وأفسد المشهد كله. ومنذ ذلك الحين، أصبح هناك غضب شديد لأن الضوء كله ضاع في الظلمة، وأصبح من الواجب محاربة الشياطين الذين أتى بهم إلى هذا العالم. لقد حقق نجاحاً كبيراً في البداية: نجح في تحويل الديفاس إلى قناعاته، وبالتالي أصبحوا شياطين (كلمة "devils- شياطين" أتت من كلمة "devs - ديفاس" بالطبع)، تماماً كما أصبح أهورا "أهوراس" أي العديد من الشياطين. وبالتالي تحوّلت الآلهة الجميلة الأصلية في تلك الأيام، آلهة الأشياء المرئية والجمال والتناغم، إلى شياطين شريرة ليلية شكّلت الجسد الأساسي لقوى الشر، تماماً كما أصبحت الآلهة الجرمانية القديمة شياطين العواصف وكل أنواع الأرواح الشريرة عندما خلعتها المسيحية. لذلك كان هناك قتال دائم بين "فوهو مانو" والأشرار بقيادة "أنغرو مينيوش".

ما يفعله أهورا مازدا في النهاية ليس واضحاً تماماً أو يمكن فهمه؛ يُفترض طبعاً أن يكون إلى جانب الخير، ومع روح الخير، لكن من غير الواضح أيضاً ما إذا كان إلى جانب روح الشر أيضاً. هذا مشابه تماماً للوضع المرتبك الموجود في المسيحية، حيث إننا لا نعرف على وجه التحديد ماهية العلاقة بين الله والشیطان. هل يشارك الشيطان الله في سلطانه؟ أو ما هو بالتحديد؟ هذا الارتباك المسيحي عبارة عن إرث قديم في بلاد فارس، وأستطيع أن أخبركم بعدة أشياء أخرى تُثبت هذه الفكرة. ومن هنا نجد أن

اللاهوتيين المسيحيين لا يحبون زارادشت، وينتقدونه دوماً. رغم أنه هو مؤسس العقيدة المسيحية فعلاً؛ إذ يمكننا أن نعثر في الديانة الفارسية على جميع الأشياء المنحرفة والمتناقضة في الدين المسيحي. والشيء الوحيد الذي يقوله اللاهوتيون في هذا المجال هو أن المسيحية دين أرق بكثير. لقد صرّحوا بكامل الرضا بأن الدين الفارسي هو دين المكافآت وحسب، وأن الإنسان لا يكون خيراً إلا لكي ينال مكافأته في الجنة، وأن مؤسس الدين تحديداً يتوقع حصاناً فحلاً واثنتي عشرة فرساً – "هل لاحظت هذا التدني في التفكير!" لكنني لا أوافق على ذلك تماماً؛ هذا المأخذ الصغير على الديانة الفارسية كان في زمن أسطورة هوميروس والإغريق – ناهيك عن التقاليد الجرمانية – عندما كان ذبح الأطفال وأكل اللحم البشري لا يزال يحدث.

كانت تلك أياماً بدائية للغاية، فلا عجب أن زارادشت كان لديه توقعات ملموسة إلى حد ما. ولكن تعاليمه كانت حكيمة وتقدمية بشكل ملحوظ. كان الخصم الرئيس للسحر على سبيل المثال؛ حاول اجتثاث السحر أينما وجده، وكان على المعابد والقساوسة أن يتنحّوا جانباً. لم يكن لديهم قساوسة حقيقيون في البداية، وهو أمر مشابه أيضاً لبدايات المسيحية. لكن سرعان ما ظهرت العملية ذاتها كما حصل لاحقاً في المسيحية حيث تدفق السحر البدائي والأفكار الوثنية البدائية، وانقسم التوحيد الجميل لأهورا مازدا إلى آلهة متعددة، كانقسام الله إلى الثالوث المقدس، ثم إلى عدة قديسين وهكذا. وبشكل طبيعي، كان لأهورا مازدا بعض الصفات: كان يتصف بالحقيقة والحكمة والعدالة وما إلى ذلك، كما أصبحت تلك الصفات مشخّصة مثل "أميشا سبينتا" - أي الأرواح الخالدة. وأصبحت هذه الأرواح الخالدة آلهة أيضاً، ثم تغيّر الموقف الروحاني للتعالم الزارادشتية الأولى فأصبحت عبارة عن طقوس خاصة للغاية.

كانت التعاليم الزرادشتية تتسم بالتقوى الروحانية الحقيقية. فقد كان "الجيسنانغ - *Gesinnung*"، أي الموقف الأخلاقي، يُؤخذ بعين الاعتبار أكثر من الأعمال الخارجية. وتقول تعاليمه إنك كما ترتكب خطيئة في الخارج في الواقع الحقيقي، يمكن أن ترتكب خطيئة في الداخل كخطيئة الهواجس أو الأحلام مثلاً لأنها الحالة ذاتها، وبالسوء ذاته. ففكر فقط في القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد حيث كان مستوى هذه التعاليم الدينية هو السائد! كان /المستوى عالياً جداً، ويُشير هذا التميز الأخلاقي الاستثنائي إلى عبقرية غير عادية.

كان ذلك هو نمط زرادشت نيتشه. وليس له أية علاقة بالطائفة المزدانية. وأعتقد أن الأمر، كما قال هو ذاته، هو أن الشخصية كانت تجربة موقف قديم؛ كانت التجربة الأولى للعجوز الحكيم. إننا نتحدث عن تلك الشخصية كتجسيد للحكمة الموروثة عبر العصور، فالحقيقة التي أصبحت غريزية عبر التجربة قد عاشت ملايين الأوقات، وهي نوع من حكمة الطبيعة التي وُلدت فينا ونُدين لها بتنسيق نظامنا البيولوجي والنفسي أيضاً، إنها تلك التجربة القديمة التي لا تزال مرئية في أحلامنا وغرائزنا. هذا هو الجانب العقلاني أو الروحاني لحقيقة طبيعية تماماً، ولغائية النظام الحي. ومن هنا نجد أن نيتشه اختار النمط الأكثر كرامة لعجوزه الحكيم لأن لديه النوع ذاته من التجربة.

كما تعلمون، كان نيتشه في القسم الأول من حياته مفكراً عظيماً وحديسياً جداً، وكان متمرداً أساساً وناقداً للقيم التقليدية، ولا يزال بإمكانكم أن تروا ذلك في كتابه *هكذا تكلم زرادشت*. ولكن كان هناك القليل مما يمكن للمرء أن يسميه إيجابياً فيه؛ فقد كان باستطاعته النقد بسهولة ملحوظة، لكن لم يكن حتى ذلك الحين قادراً على التركيب والبناء، ولم يكن باستطاعته أن يُنتج شيئاً. ثم وبشكل مفاجئ، وبمحالة تشبه الوحي

الاستثنائي، نزل عليه كل ما ألغته مؤلفاته السابقة. لقد وُلِدَ عام 1844، وبدأ بكتابة *هكذا تكلم زرادشت* عام 1883، أي كان قد بلغ تسعة وثلاثين عاماً. وكانت الطريقة التي ألف بها هذا الكتاب أكثر من رائعة. كان هو نفسه من كتب المقاطع الشعرية حيث قال: "ثم أصبح الواحد اثنين، ومرّ زرادشت أمامي"¹، مما يعني أن زرادشت حينها قد ظهر أمامه كشخصية أخرى له. وهو ما يبيّن لنا أنه كان لديه هو نفسه فكرة واضحة جداً بأنه لم يكن مجسّداً بزرادشت. لكن كيف له أن يفترض هوية كهذه في تلك الأيام حيث لم يكن علم النفس قد ظهر بعد؟ لم يكن أحد يمتلك الجرأة على طرح فكرة التجسّد جدياً، ولا حتى فكرة قوة روحانية حرة مستقلة". كانت فترة عام 1883 فترة ازدهار الفلسفة المادية. وبالتالي كان عليه أن يعرف نفسه بزرادشت على الرغم من حقيقة أنه شعّر بفرق واضح بينه وبين العجوز الحكيم كما يؤكّد هذا المقطع الشعري². كما أنه صاغ بنفسه

¹ القصيدة الصغيرة الحزينة التي كتبها نييتشه يوماً ما بين عامي 1882 و1884 تستحق أن تُكتب هنا بشكل كامل:

سليز ماري

أجلس هناك منتظراً - ولا أنتظر أي شيء.

ما وراء الخير والشر، استمتع بالضوء القريب،

بالظل القريب، ليس هناك سوى اللعب الآن، ثم الفقد،

ثم الظهيرة، الوقت كله بلا نهاية.

وبشكل مفاجئ يا صديقي، أصبح الواحد اثنين -

ومرّ زرادشت أمامي.

أحب نييتشه مدينة سليز ماري السويسرية الواقعة في جبال الألب، حيث كتب الجزء الثاني من كتابه "هكذا تكلم زرادشت". وسوف يعود بونغ إلى هذين السطرين الأخيرين بشكل متكرر لأنهما يعبران عن اللحظة التي مر بها نييتشه في تجسّد ما كان وحدة داخلية، وذلك لأغراضه الإبداعية.

² اعتبر زرادشت بأنه الشخصية الثانية لنييتشه يكرّنا بما قاله بونغ عن اعترافه الخاص بأن له شخصية أولى وشخصية ثانية (انظر كتاب بونغ بعنوان "نكريات وأحلام والفكر" صفحة 44-45/55). غالباً ما فرّق نييتشه بين نظريته العلمية المادية الخاصة والمثالية الألمانية. لقد اختار بونغ عام 1883 لأن تأليف كتاب "هكذا تكلم زرادشت" بدأ في ذلك العام.

الفكرة المميزة التي تقول إن على زارادشت أن يعود ليصلح الأخطاء التي كانت من صنع يديه؛ إنها تُظهر أن لديه مشاعر تاريخية مطلقة حيال ذلك. ومن المؤكد أنه شعر بكل وضوح أن تجربة تلك الشخصية كانت أشبه بنموذج بدئي. لقد جلبت معها شيئاً من أنفاس القرون، وملأته بإحساس غريب بالمصير والقدر: شعر بأنه مدعوٌ لإصلاح الخلل الذي وقع في الماضي السحيق للنوع البشري.

مشاعر كهذه هي الأكثر رفعة للفرد بالتأكيد؛ لا غرابة إذ بأن كتاب *زارادشت* كان تجربة ديونيسية بامتياز. في جزء لاحق منه ستأتي النشوة الديونيسية. لقد قاده كتاب *زارادشت* فعلاً نحو الإدراك الكامل لأسرار الطائفة الديونيسية: كان لديه فكرة مُسبقة عنها، لكن كتاب *زارادشت* كان التجربة التي جعلت كل شيء حقيقياً. فقد وصف في إحدى رسائله لأخته أقصى حالات النشوة التي مرّ بها إثارة للإعجاب أثناء تأليفه كتاب *زارادشت*.¹ يتكوّن الكتاب من أربعة أجزاء. وقد أنهى كل جزء من الأجزاء الثلاثة الأولى خلال عشرة أيام، وهو أمر مدهش للغاية. كتب الجزء الأول منه في منطقة الريفيرا، والثاني في سلز ماريا في منطقة أنغادين، والثالث في الريفيرا أيضاً؛ أما الجزء الرابع فكان في أماكن مختلفة، واحتاج فترة أطول. تحدث عن طريقته في الكتابة، وأنها كانت تفيض منه تلقائياً، وبدأ وكأنه عمل مستقلّ عنه تقريباً؛ مع يقين ثابت بأن الكلمات مثلّت نفسها، والتوصيف كله يعطينا انطباعاً عن الحالة الاستثنائية التي عاشها، ونوعاً من الاستحواذ الذي لم يعد هو ذاته موجوداً فيها عملياً. بدأ الأمر كما لو أنه خضع لتأثير عبقرية إبداعية سيطرت على دماغه وأنتجت هذا العمل في ظل ضرورة مطلقة وبطريقة لا مفرّ منها.

¹ ورد هذا أيضاً في المقدمة التي كتبها إليزابيث نيتشه لكتاب "أعمال نيتشه" صفحة 16. بدأ تأليف *زارادشت* عام 1883، وانتهى عام 1885.

منبدأ الآن بالفصل الأول، الخطاب الاستهلالي للإنسان الأعلى، الإنسان الأخير:

"لما بلغ زارادشت سنّ الثلاثين هجر وطنه وبحيرته ومضى إلى الجبل. واستمتع هناك بعقله وعزلته على مدى عشر سنوات لم يعرف بها كلاً. لكن قلبه تغيّر فجأة - استيقظ ذات صباح مع شروق الشمس، ووقف أمام الشمس وخاطبها قائلاً: صباح نهض ساعة الشروق، ثم وقف قبالة الشمس مناجياً:

"أيها الكوكب العظيم! أية سعادة ستشعر بها إذا لم يكن لديك من تشرق من أجله!

عشر سنوات أنت تشرق على كهفي: لولاي أنا ونسري وحيّتي لأصايبك الملل من نورك ومن هذا الطريق.

لكننا كنّا نرقب بزوغك كل صباح لنستمتع بفيض نورك ونباركك لأجله. انظروا لقد قرقت نفسي حكمتي، كالنحلة أتخميها ما جمعت من العسل، وأنا بحاجة إلى أيادي تمتد إليّ.

أريد أن أهب وأعقد حتى يجد العقلاء متعة بجنونهم، ويسعد الفقراء بثرانهم."

علينا أولاً أن نبني الحالة السيكولوجية. فكما قلت سابقاً، سوف أتعامل مع هذه الفصول أو التجارب كرؤى. هنا تبدأ قصة زارادشت. الرجل الذي تكلم أو كتب هو نيتشه؛ يبدو كما لو أنه كان مؤرخاً لزارادشت، ويشرح ما الذي كان يفعله. لقد تجسّد زارادشت بشكل واضح هنا ولا يبدو الكاتب وكأنه معرّف به أو يتقمّص شخصيته. وهو يقول الآن إنه كان قد بلغ الثلاثين عندما غادر المنزل. فإلى أي حقيقة تشير السنوات الثلاثون هذه؟ بحسب معرفتي، ليس هناك تسلسل زمني محدد في حياة زارادشت باستثناء أنه توفي عن عمر يناهز سبعة وسبعين عاماً.

السيد أليمان: يشير إلى عمر المسيح.

الدكتور يونغ: نعم، العمر الأسطوري ليسوع المسيح عندما بدأ بتقديم تعاليمه؛ هذا يخلق في الحال توافقاً بين هويتي زارادشت والمسيح. هذه هي الهوية التي تُمنح تاريخياً عادة: هذا يعني في التعاليم الزارادشتية أنه كل ألف سنة - وهي ببساطة فترة زمنية غير محددة، تقارب نصف شهر من السنة الأفلاطونية العظيمة - يظهر "ساوشاننت" (وهو يعني المُصلح، المخلص) يعلم كشفاً جديداً وحقيقة جديدة، أو يجدد الحقائق القديمة، أو يكون وسيطاً بين الله والإنسان. وهي بالتأكيد فكرة انتقلت إلى التعاليم المسيحية واتخذت شكلاً مختلفاً إلى حد ما: دخلت إلى المسيحية فكرة "إنانيا دروميا".¹ فبحسب سفر الرؤيا، بعد أن كان لتعاليم المسيح أثرها الكبير، تم إعطاء الفرصة لإبليس "من زمان إلى زمانين ونصف" ليرتكب أنواع الشرور كلها - وهي أيضاً فترة غير محددة يُسمح له فيها بالتمتع بنفسه بشكل واضح.² هذه إحدى أصول أسطورة عدوِّ المسيح، الثابت أنها كانت موجودة في القرون الأولى. ومن الناحية العملية، نرى أن الظروف ذاتها التي وُلِدَ فيها المسيح، سيولد فيها أيضاً أخوه الشرير "المسيح الدجال"، وسيؤدي المعجزات ذاتها بشكل مكثف، لكن بهدف خداع البشر. سيكون "ساوشاننت" سلبياً يظهر عندما يقترب عهد المسيح الإيجابي من نهايته. وبتقديرات الحساب الفارسي، سيبدأ عهد المسيح الدجال بعد شهر

¹ "enantiadromia": أخذ يونغ هذه الكلمة من هيراقليطس، "فيلسوف الظلمة" الإغريقي في القرن السادس قبل الميلاد. وهي تعني "الانتقال إلى الجهة المعاكسة". وقد استخدمها يونغ لوصف نزعة أية حالة إلى خلق نقيضها. في مطلع عام 1921، استشهد يونغ "بإسناد نيتشه المريض بعض صفات المسيح وخصائصه لنفسه، وتلاييه لماغزر ومن ثم كرهه له" على أنها أمثلة عن "الأنانيا دروميا" (الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 708 - 709).

² انظر سفر الرؤيا 12: 14، وكذلك سفر دانيال 12: 7. بعض المعلقين يعرفون نيرون بالوحش وعدوِّ المسيح، المسيح الدجال.

من السنة الأفلاطونية العظيمة، حوالي عام 1100 أو 1200 ميلادية.¹ أي في تلك الحقبة التي كانت تحدث فيها نقطة تحوّل كبيرة في العالم المسيحي لأنه كان يُفترض أن نهاية العالم ستكون عام 1000 ميلادية، وذلك بناءً على تلك الفكرة القديمة التي تقول إنه بعد ألف عام سيحدث كشف جديد، أو سيحدث شيء ما لهذا العالم. لكن شيئاً لم يحدث على ما يبدو. وصحيح أيضاً أن سلطة الكنيسة وصلت إلى ذروتها في تلك الأيام، وباتت القوى الدنيوية مهزومة عملياً. لكنها بدأت بالنهوض مجدداً بعد فترة قصيرة، وبدأت الكنيسة بالانحدار؛ واستمرّ ذلك حتى أتها ضربة قصوى في مطلع القرن السادس عشر تقريباً عندما وقع الشقاق داخل الكنيسة ذاتها: البروتستانتية.

لقد اخترقت فكرة "الساوشاينت" هذه ذهن نيتشه بالتأكيد: كان زارادشت الخاص به هو "الساوشاينت" الذي جاء بعد ألف عام، وقد تم الوفاء به مرة أخرى بشكل تقريبي طبعاً وليس كاملاً. لسوء الحظ، حدث ذلك عام 1883، لكن القوى السماوية تكون غير منتظمة أحياناً، وربما لا تعمل الساعة بانتظام في الجنة، ولا يمكن للمرء أن يعرف كيف تسير الأمور فيها. وبالتالي فقد أتى "الساوشاينت" في فترة مبكرة قليلاً متجسداً بشكل زارادشت. وقد دخل في عمله المهني بقوة بطريقة "الساوشاينت" السابقين، أي المسيح أو عدو المسيح. يعرف المرء طبعاً من مؤلفات نيتشه، مهما ضعفت معرفة المرء بأعماله، أن فكرة عدو المسيح كانت راسخة بشدة في ذهنه. لقد ألّف قصّة عظيمة عن عداوته للمسيحية، واعتبر نفسه تجسيدا لعدو المسيح بيد أنه لم يتخذ مطلقاً صفة شقيق المسيح الشيطاني المدمر بل دخل بصفة "ساوشاينت" جديد. أراد أن يدمر القيم

¹ أشار بونغ في مكان آخر إلى أن السنة الأفلاطونية محسوبة بطرق مختلفة: مثلاً، (36.000) سنة في زمن أوريجانوس، و(24.120) سنة في زمن تيخو براهي (CW 9il, par. 136n).

السابقة بالتأكيد، لكن من أجل شيء أفضل وأكثر مثالية، ومن أجل أخلاق أعلى بكثير من الأخلاق المسيحية. وبناءً عليه شعر بأنه "ساوشاينت" إيجابي، على الرغم من حقيقة أنه قبل لقب "اللا أخلاقي" و"عدو المسيح". ويوجد في الهند أيضاً فكرة مخلص أو مُصلح يظهر كل ألف سنة مجسداً بشخصية تُدعى "البوديساتفا"؛ نذكر على سبيل المثال أن بوديساتفا العالم الآخر هو البوذا "أميتابا"، وبوديساتفا العالم الحالي هو البوذا "ساكيا موني"، وبوديساتفا العوالم القادمة هو البوذا "مايترايا"؛ وهناك بوديساتفات آخرين لأن هناك عوالم أخرى كثيرة. البوذا "أميتابا" هو أهمهم إطلاقاً، وهو المبجل في اليابان بشكل خاص، فهو بوذا الوضوح، وبوذا الحقيقة؛ و"المائترايا" المنتظر قدومه هو بوذا الحب المثالي.¹

إنها فكرة عودة الأشياء ذاتها دورياً. وقد استندت إلى تجارب مشابهة لتجربة نيتشه مع الشخصية النموذجية البدئية للعجوز الحكيم: أي الشخصية التاريخية التي تجلب معها نكهة العصور القديمة ومشاعر حضور واقعي للأزمنة السحيقة، كما لو أن الزمن توقف تماماً، وكأن عام (5000 ق. م) كان مجاوراً تماماً لعام (2000 ميلادية). ومن خلال ما قاله نيتشه عن زارادشت أظن أنني واثق تماماً من أنه اختبره كهوية كشخصية في نفسه، وموجودة قبله بالآلاف السنين. وكانت موجودة دوماً. وعندما ظهرت هذه الشخصية، انبثقت ببساطة من خلفية كانت موجودة دوماً؛ لقد تم استدعاؤها بناءً على حاجة المرحلة، ومخاطر العصر الفعلية. وبالتالي، بما أن زارادشت كان في الثلاثين من العمر كما قال نيتشه، فهذا يكشف تشابهاً معيناً بين شخصيته وشخصية المسيح.

¹ بوذا، "أميتابا" هو "الحلمي لعالمنا الحالي" (الأعمال الكاملة، المجلد الحادي عشر، صـ 912). "ساكيا موني" هو بوذا التاريخي. "المائترايا" هو البوديساتفا الذي سيولد بعد خمسة آلاف عام من موت غوتاما.

ثم لدينا هنا تلميح عن المكان الذي عاش فيه، "ترك بحيرة منزله". لماذا تم التلميح إلى شيء صغير كهذا؟ إنه تفصيل غير جدير بالاهتمام بشكل عام لكن إذا طبقت قواعد تفسير الأحلام على هذا الرمز، لرأيت أنه مثير جداً من الناحية السيكلوجية. ما هي بحيرة منزل الإنسان، وإلى أين يذهب عندما يهجر البحيرة؟

الآنسة حنة: أليست بحيرة منزله إشارة إلى لاوعيه الشخصي، وهو يرحل عنها إلى اللاوعي الجمعي؟

دكتور يونغ: هكذا تماماً. البحيرة محدودة ومطوّقة على النقيض من البحر الذي يُفترض أنه غير محدود. ومن هنا يرمز البحر عادة إلى اللاوعي الجمعي الذي لا تحدّه أية حدود، في حين تكون البحيرة المحدودة بالأرض الجافة رمزاً للوعي. هي كمية اللاوعي المحصورة بالوعي، وجزء اللاوعي الذي يمكن السيطرة عليه تماماً. وبالتالي فإن بحيرة منزل الشخص هي اللاوعي الشخصي المؤلف، ذلك الجزء المرتبط بوالد الشخص ووالدته وأخوته وأقربائه وأسلافه وما إلى ذلك؛ إنه مكان جميل معروف بتاريخه الذي يشكل بداية حياة المرء. لكن زارادشت مضى إلى الجبال، لماذا؟ السيدة كرولي: من أجل التأمل.

الدكتور يونغ: هذا صحيح، لكن يمكنه ممارسة التأمل قرب البحيرة بشكل جيد. إن المطالب الاعتيادية للمعلّم الحكيم في هضبة التيب ت هي هضبة من جهة، وبحيرة من الجهة الأخرى، أي أن يكون بين الهضبة والماء. الدكتور بادورجي: أراد أن يكون على مستوى عالٍ، وراء البشرية العادية. الدكتور يونغ: نعم، إنه مشابه طبعاً لما تفعله مجموعة "الريشي"، أولئك المعلمون الأسطوريون الذين يعيشون في التيب في جبال الهيمالايا؛¹ يعيش هؤلاء الرفاق في معتزل كثيب بين الماء وحافة جبلية، ويفضّل أن يكون الماء

¹ Rishis: الرجال الحكماء، الغورو، الذين يُصبحون تجسّداً للمعتمّنين.

بحيرة أو نهراً، وذلك في الأعلى فوق عامة الناس. لعبَ ذلك الشعور دوراً عظيماً في حالة نيتشه. عندما كان في "سيلز ماريا" الواقعة على ارتفاع ستة آلاف قدم تقريباً فوق سطح البحر، اعتاد أن يقول إنه على ارتفاع ستة آلاف قدم عن الخير والشر، أي إنه فوق البشرية العادية. وهكذا فقد كان يتنابها شعور رائع في منطقة أنغادين العالية جداً. مما يعني أن زارادشت غادر إلى تلك المنطقة تاركاً ظروف منزله العادية الخاضعة للسيطرة، وترك السيكولوجيا المألوفة، ورفق نفسه إلى مستوى أعلى حيث يستطيع توسيع أفقه، وذلك كما يفعل الحكماء في أماكن كهذه من أجل توسيع وعيهم وأفقيهم، وليفصلوا أنفسهم عن فوضى الأحداث ليروا بوضوح أكبر. وبالتالي كما جاء في قول "لاو تسو": "الشخص الذي ينفصل ويرى من البعيد يرى بوضوح".¹ لقد امتلك روحه في عزلته مدة عشر سنوات ولم يُرهق منها. يظهر لدينا هنا تفصيل آخر هو "عشر سنوات".

السيد أليمان: بإضافة عشرة إلى ثلاثين، يكون الناتج تقريباً عمر نيتشه عندما ألف الكتاب.

الدكتور يونغ: نعم، كان في الثلاثين عندما رحل، وفي الأربعين عندما أتم الحكمة. وهناك تفصيل آخر في حياته قد لا يكون معروفاً وهو أنه لم يكن لديه تلاميذ في السنوات العشر الأولى، وكان ذلك مصدر قلق له - حتى حينها لم يكن لديه سوى شاب واحد هو ابن عمه. ولم يستطع هداية الناس إلى حكمته إلا بعد فترة متأخرة جداً. فربما يكون لهذه السنوات العشر علاقة بتلك الحقيقة، مع أنني لست واثقاً من ذلك. لكن هناك أيضاً حقيقة سيكولوجية ترتبط بالعمر الذي بدأ فيه نيتشه بكتابة هكذا/ تكلم

¹ كتاب "I Ching" (ربما يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد) كتاب يطمح أنه للوصول إلى التوافق من الضروري أن تفصل نفسك عن التوتر بين المتضادات (إنشيا دروميا) لتتخطى عن الصراع والرضا. انظر (الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 358-370)، وكتاب آرثر وايلى بعنوان: "الطريق وقوته - The Way and Its Power" (نيويورك، 1958)، صفحة 141.

زارادشت، واللحظة التي غادر فيها زارادشت جباله.¹ إنها تشرح هنا كيف كان قادماً ليسلم رسالته للبشرية، لقد تغير قلبه أخيراً. ثم تأتي مناجاة الشمس. كيف تفهم ابتهاله؟ إنه الحدث الأول، التجربة الأولى أو المغامرة الأولى. هذا ليس سهلاً جداً كرؤانا؛ لدينا في الرؤى شيفرة محددة، لكن الحالة هنا غير مألوفة.

السيدة فيرز: إذا كان الصعود إلى أعالي الجبل سيجعله أعلى من وعي البشر العاديين، فهذا يعني أن الشمس ترمز لما هو أكبر من الوعي البشري، وهي الكوكب العظيم الذي حدّق به لسنوات طويلة، ويتحدّث إليه الآن. بمعنى أنه سيكون بطريقة ما في حالة وعي أعلى من الوعي البشري، وتحيّة الشمس ستكون إحساساً بها أو إدراكاً لها.

الدكتور يونغ: تعنين أن رمز الشمس هو تجسيد لوعيه البشري الفائق الذي اكتسبه خلال حياته في ذلك المستوى العالي؟ نعم. الشمس رمزاً لمركز الوعي بالتأكيد، وهي مبدأ الوعي لأنها تمثل الضوء. عندما تفهمين شيئاً تقولين "أنا أرى"، ولكي تستطيعي الرؤية تحتاجين إلى الضوء. كان جوهر الفهم والإدراك رمزاً دائماً بالرؤية الكاملة للشمس، والحكمة والمعرفة غير المحدودة للشمس التي تتحرك فوق الأرض وتجعلك ترى كل شيء على الأرض. وبالتالي يصبح من الجائز تماماً أنه تحدث هنا عن وعيه المشخّص. وهذا أداء غير عادي نوعاً ما، لكن إذا حاولت أن تضعي نفسك مكان رجل في حالة عزلة دائمة، كما كان حال نيتشه، ستدركين أن وعيك الخاص يبدأ بالتحديق في وجهك. أنت دوماً المتحدثة إلى نفسك والمنصتة إليها؛ أنت تنظرين دوماً في نورك الشخصي وفي عينيك. وحينها يمكنك أن تجسدي

¹ استشهدت أخت نيتشه بملاحظة له: "وُلِدَ زارادشت قرب بحيرة أورمي، وترك منزله عندما بلغ الثلاثين من عمره، ومضى إلى إقليم أريا، وخلال عشر سنوات من العزلة في الجبال، أكمل كتاب "زند الفستا" (أعمال نيتشه، صفة 14).

وعيك بشكل جيد كشريك حياتك اليومي، الظهور اليومي؛ ويمكنك حتى أن تُشفي وعيك باعتباره رفيقك الوحيد.

نيتشه في السنوات التي تلت تخليه عن مهنته الأكاديمية في جامعة بازل عام 1879 كان يتجول بلا هوادة، ويعيش أحياناً في فنادق ونزل، وأحياناً في الريفيرا الإيطالية أو الفرنسية، ويبقى صيفاً في إنغادين بدعم من أصدقائه الأغنياء لعدم وجود وسيلة عيش خاصة به.¹ كان وحيداً دوماً لأنه لم يستطع تحمّل البشر. كان يتوق للتعرف على أصدقاء، ويسعى دوماً ليكون لديه صديق، لكن عندما يتغير هذا الصديق المسكين قليلاً، ولا يكون جيداً بما يكفي، يفقد نيتشه صبره مباشرة. لدي أشخاص عرفوا نيتشه بشكل شخصي لأنه عاش في مدينتي، بازل، وهذا ما جعلني أسمع تفاصيل كثيرة من هذا النوع. فعلى سبيل المثال، كان يتحدث في إحدى محاضراته عن اليونان وبلاد الإغريق العظيمة بحماسة كبيرة، وبعد انتهاء المحاضرة نهض شابٌ ليسأل عن شيء معين قاله نيتشه، إذ إن هؤلاء الطلاب العاديين لم يكونوا قادرين فعلاً على متابعة عقل نيتشه العظيم، واقترب من البروفسور لي طرح سؤاله. لكن قبل أن يتمكن من صياغة استفساره المتواضع جداً، قال نيتشه: "ها أنت ذا أيها الشاب! أيها السماء الزرقاء القادمة من الجحيم! سنذهب معاً!" قال الشاب في نفسه: "كيف لي أن أذهب مع هذا البروفسور اللامع، وكيف أمتلك النقود الكافية لأفعل ذلك؟" وهنا تراجع الشاب أكثر، فتقدم منه نيتشه وهو يتحدث عن الابتسامة الأبدية لسموات الجحيم، ولا يعلم إلا الله ماذا حدث بعد ذلك حتى التصق الشاب بالجدار. وعندئذ أدرك نيتشه فجأة أن الشاب كان خائفاً من حماسه فتراجع مباشرة ولم يوجّه إليه أية كلمة أخرى. تلك هي

¹ بدأ نيتشه العمل في جامعة بازل عام 1869 وهو في الرابعة والعشرين من عمره، واستقال بسبب حالته الصحية عام 1879. كان يعود إلى بازل من وقت لآخر أثناء تجواله. وكان لديه معاش تقاعدي من الجامعة.

الطريقة التي كان يتعامل بها مع الأصدقاء، فهو لم يكن قادراً مطلقاً على التكيف مع البشر، وكان يفقد صبره تماماً عندما لا يفهمونه في لحظة ما كما ينبغي. وكان نافد الصبر مع نفسه أيضاً، ومنذ فاعاً بطريقة متهورة مرعبة. وكان يحب أن يتلقى دعوات إلى مناسبات اجتماعية معينة، لكن إذا حدث ورأى في الصالة بيانو، يبدأ العزف عليه بنون؛ يعزف حتى تنزف أظافره. أنا لا أبالغ في ذلك، إنها الحقيقة. ومن جهة أخرى كان مضحكاً جداً. يُروى عنه أنه أراد مرة أن يظهر أمام المجتمع كرجل إنكليزي أنيق. فالرجال الإنكليز في تلك الأيام كانوا مثلاً عن ذروة كل ما هو رائع، وكانوا معتادين آنذاك على ارتداء قفازات وقبعات رمادية؛ ولهذا تجول نيتشه في الشوارع مرتدياً معطفاً رمادياً فضفاضاً من الأسفل، وقفازات وقبعة رمادية، وظن أنه يبدو كرجل إنكليزي. مع ذلك الشارب الكَثَّ بدا متناقضاً جداً! علينا أن نعرف هذه التناقضات لكي نفهم لغة كتاب زارادشت.

ربما نفترض إذاً أن هذه الشمس التي يتحدث إليها هي فعلاً الضوء العظيم الذي تلقاه وتحدث معه يومياً، وهي الوضوح العظيم لوعيه الناتج عن وحدته طبعاً. ووفقاً لحقيقة أن الشمس تمثل وعيه، كان يستطيع أن يقول لها: "ما الذي تفعلينه من دوني؟ أنا لا أزال موجوداً حتى بشكل معاكس لوعي كهذا". لأنك عندما تكون وحيداً تماماً مع نفسك، يصبح هذا الوعي حقيقة مسيطرة لدرجة أنك تنسى في النهاية من أنت ضمن هذا الوعي المطلق. وهكذا فإن الناس الواعين لذواتهم بشكل مرضي يسحقون وجودهم الخاص، ويحاولون ألا يكونوا موجودين؛ إنهم يقفون دوماً في إطار ضيائهم الخاص لأنهم خاضعون لسيطرة وعيهم الشخصي. وهكذا كان نيتشه هنا أكثر من مُشبع، حتى إنه شعر بالقرف من كونه مجرد وعي، حيث يقول: "كيف ستكون إذا لم أكن معك أنا وحيواناتي، أنا ونسري وحياتي؟" ما الذي يعنيه ذلك؟ ما الذي وضعه مقابل شمس الوعي؟

السيدة بيلوارد: الغرائز.

الدكتور يونغ: نعم، الحيوانات تعني الغرائز، لكن ما الذي يعنيه النسر؟ - والحيّة؟

السيدة شليغل: النسر هو الحدس، والحيّة هي قوى العالم الآخر.

الدكتور يونغ: ما الذي تعنيه بقوى العالم الآخر؟

السيد أليمان: روح الطبيعة، حكمة العالم الآخر.

الدكتور يونغ: يمكن للمرء أن يقول "روح"، لكن علينا أن نعرف ما الذي يعنيه العالم الآخر. اقرأ كتاب "كيسرلينغ" الجديد بعنوان "الثورة العالمية"، الذي تحدث فيه عن "ثورة قوى الكوكب".¹ ذلك هو العالم الآخر. لكن ما هو من الناحية السيكلوجية؟

الآنسة حتة: إذا كان النسر حدساً، أفترض أنه الإحساس من الناحية السيكلوجية.²

الدكتور يونغ: هذا صحيح؛ كما يمكن أن يؤخذ بطريقة عادية ككائن هوائي. وهكذا فالنسر هو الروح، والحيّة هي الجسد، لأن الحيّة هي التمثيل القديم للعوالم السفلية، للمعدة والأمعاء ومحتوياتها على سبيل المثال. إنها الحركة المتمنّجة، والتجسيد للنظام الودّي كما كان دوماً. وبناءً عليه تكون الحيّة ممثلاً لكل ما يخرج من الجسد، والوظيفة الجنسية وجميع الوظائف الفيزيائية الحيوية الأخرى؛ تمثل أيضاً الحقائق الواقعية كلها، كتلك الأشياء التي تكلف المال أو التي تجعل حرارة غرفتك مرتفعة، وفراش

¹ كونت هيرمان كيمرلينغ (1880 - 1934) كان رجلاً عالمياً وكاتب مقالات. تم نشر كتابه "الثورة العالمية ومسؤولية العقل - La Révolution Mondiale et la Responsabilité" في باريس عام 1934. وفي تطبيقه على الكتاب، سخر يونغ من اقتراح "كيمرلينغ" بتأسيس معتزلات ثقافية لكنه بقي يعتبر الكتاب جيداً (الأعمال الكاملة 10، صفحة 935-45). انظر مجلدي "رسائل" للاطلاع على مراسلات يونغ مع كيمرلينغ.

² بالنسبة إلى يونغ، الحدس هو الوظيفة النفسية التي يمتلك المرء من خلالها إحساساً بالاحتمالات، وهي تتوسط اللاوعي. والإحساس هو عكس الحدس. انظر محاضرة العاشر من تشرين الأول-أكتوبر 1934، موضوع الوظائف الأساسية الأربعة.

سربرك قاسياً، وملابسك غالية، وأنتك لم تتلقَ أجراً معيناً: تلك الأشياء كلها ترتبط بالعالم الآخر. وعلاقتنا بجميع أنواع الناس الذين يزعموننا أو نستمتع معهم ترتبط بالعالم الآخر أيضاً، وكذلك ما هو موجود على سطح الأرض ومُبتذل جداً لدرجة لا يجرؤ المرء أن يتحدث عنه. ومن جهة أخرى نعرف أن النسر يَحُلِّقُ عالياً، ويقترّب من الشمس، إنه ابن الشمس الرائع. طائر الضوء، والفكرة السامية جداً والحماس العظيم. وعلى سبيل المثال، عندما رفع النسر "جانيميد"، رسول زيوس، إلى مرتفعات الأوليمب، كانت عبقرية الشباب وحماسه هي من أحكمت سيطرتها عليه ورفعته إلى ذرا الآلهة. وبالتالي يمكننا أن نقول إن النسر قوة روحانية رافعة. ويقال إن النسر ينزل إلى الأرض ليحمل خروفاً أو طفلاً؛ لدينا تلك الحكايات المروعة في سويسرا. هذا ما يمكن للروح أن تفعله - إثارة روحانية، حماس روحاني؛ وفجأة، بعد أن ترفرف فوق حشد لفترة من الزمن، تلتقط الروح أحدهم وترفعه إلى الأعلى. أما الحيّة فتعبّر عن "قوة الأرض". لكن ماذا يعني أنه عندما يواجه وعيه الذي يُرهقه، يظهر هذان الحيوانان الرمزيان إلى جانبه؟ أنت تذكر أنهما كانا معه دوماً في الكتاب.

السيد نوثال سميث: هو غير مدرك إلى أنه تحت سيطرة العالم الآخر والقوى الروحانية؛ هو غير واع لوجودهما في نفسه.

الدكتور يونغ: حسناً، يكونان هنا كنوع من القوى المساعدة. وسترى أنهما يلعبان دوراً تعزيزياً، وسنأتي لاحقاً إلى فقرة يتشابك فيها النسر والحيّة، مما يعني التصالح بين المتضادات. لكن ما الذي يعنيه أن نكون برفقة حيوان في الحلم؟ يحدث هذا الأمر كثيراً.

السيد أليمان: يعني أن غرائزك معك.

الدكتور يونغ: نعم، لكن الحالة ليست دائماً على هذا النحو؛ غالباً ما نكون ضد الغرائز أو نتخذ موقفاً وسطياً منها. وهكذا عندما نجد في النص

أن زارادشت كان مع حيته ونسره، فهذا يعني بحسب تفسير الأحلام أنه يسير باتجاه موافق لغرائزه؛ إنه محقّ إذا نظرنا للأمر من منظور روحاني أو منظور يرتبط بالعالم الآخر. وفي هذه الحالة، هو على حق فيما يقوم به فعلاً، إذ إنه يخبر وعيه بأنه أصبح متعباً منه؛ عليه أن ينفصل عن الوعي المبالغ فيه. فكما ترى، ستكون تلك حالة الشخص الذي عاش في الوعي ومن خلال الوعي فقط دون أن يكتث بغرائزه. أو نقول إنه كان يفكر بوعي فقط، ويعيش من خلال فطنته الواعية دون أن يدرك وجود اللاوعي المتمثل هنا بالنسر والحيّة. وبالتالي كان يقف إلى جانب اللاوعي عندما استطاع أن يقول لوعيه: أعتقد أن لدينا الآن الجزء الأفضل. ومن ثم سيتبع لوعيه. فإذا شعر أحدهم بالاشمئزاز من وعيه واختار طريقاً آخر، ماذا ستكون الرمزية التي تتبع ذلك حتماً؟ أي أين ستكون النقلة التالية؟

دكتور ريكستين: القمر.

السيد نوثال سميث: الهبوط.

الدكتور يونغ: نعم، الهبوط، الغروب، عندما نقول للشمس وداعاً فهي تغرب بشكل طبيعي، أو أنت تغرب، أو كلاهما؛ إنها تغيب في حلقة الليل. لكن القمر يبقى على ما يرام. وهكذا فقد بدأ عمل زارادشت مع هبوطه المشابه لهبوط الشمس عند المغيب، لكن إلى أين هبط فعلاً؟

السيد أليمان: إلى عالم البشر العاديين، العالم الجمعي.

الدكتور يونغ: من المؤكد تماماً أنه سيذهب إلى أحد أشكال اللاوعي عندما يغادر شمس الوعي. والسؤال الآن هو: هل سيتم إسقاط اللاوعي، أو هل سيتم إسقاطه بالشكل /النقي/ /الصرف؟ إذا لم يتم إسقاطه بالشكل النقي الصرف، فسيدخل إلى اللاوعي. سيكون الأمر أشبه برحلة بحر ليلية.¹

¹ القديس يوحنا الصليب (1542-1592) عمل على موضوع من "سفر يونان" عن بطل ابتلعه وحش بحري، وبعد مروره بما أسماه القديس يوحنا الليلة المظلمة للروح، وُلدَ مجدداً على الشاطئ. انظر الأعمال الكاملة 9، صفحة 123.

ووفقاً لما ذكرته أنت، سيكون هبوطاً إلى العالم العادي الذي يكون اللاوعي فيه هو العامل المسيطر، لأن الوعي في العالم العادي يلعب دوراً بسيطاً جداً؛ هو غريزي أساساً. لكن لن يكون باستطاعتنا أن نعرف ما إذا كان قد هبط في لاوعي نقي أو مُسقط لولا المقطع الذي قرأناه عن نيته في الهبوط. سوف يهبط إلى البشر، إلى الإنسان. وبحسب قوله، سيعلم هناك عقلاء البشر وفقراءهم أيضاً. "حتى يجد العقلاء بين البشر متعة في جنونهم، ويستعيد الفقراء ابتهاجهم بثرانهم". ما الذي يريد قوله هنا؟

السيدة كرولي: المتضادات.

الدكتور يونغ: تماماً، سيشكل "الانتقال إلى الجهة المعاكسة"، سيزود الإنسان بما يفتقده، بما يكرهونه أو يخشونه أو يرغبون به، بما افتقده الحكماء، أي حماقتهم، ويزود الفقراء بثرانهم. بكلام آخر، سيعمل على مبدأ التعويض. أعتقد أن من الأفضل لنا أن نأخذ هذه الرمزية على المستوى الشخصي، أي عندما يهبط زارادشت المرهق من وعيه إلى المستويات الدنيا للإنسان العادي، سيصبح الحكيم الذي يتلقى التعويض عن حكمته بالحمافة. وهكذا نرى أنه، أثناء إقامته في ذلك الضوء العظيم في الجبل، طوّر حكمة عظيمة وفقد حماقته، وخسر كل ثرائه وأصبح فقيراً.

المحاضرة الثانية

9 أيار - مايو 1934

الدكتور يونغ:

، تحدثنا في المحاضرة السابقة عن زارادشت باعتباره تمثيلاً لشخصية نموذجية بدئية للعجوز الحكيم، وأودّ الحديث أكثر قليلاً عن النماذج البدئية بشكل عام. العجوز الحكيم شخصية نموذجية نطلق عليها صفة النموذج البدئي؛ أي شخصية نجدها في الأساطير والحكايات الشعبية، وثمة نصوص وأعمال وفنون لا حصر لها تُظهر أنه فكرة بشرية بشكل عام. يكون لأفكار الإنسان عادة تمثيل في التاريخ والحضارة، وهي تحدث في الواقع كشخصيات حقيقية. ويجد المرء في المجتمعات البدائية الرجل الحكيم بهيئة الطبيب المعالج، وكلما كان أكبر سناً ازداد احترامه وتبجيله أو الخوف منه. وهو يوحى بالخوف عادة باعتبار أنه موهوب بقوى السحر والعرافة، وغالباً ما يطبّق مَلَكَاته الغريبة في استخدامات شريرة. هذا الحدس الخاص بالعجوز الحكيم أو الطبيب المعالج منتشر في العالم كله؛ وربما كان موجوداً في مراحل ما قبل التاريخ. وعلى مستويات أعلى للحضارة، خضع الطبيب المعالج لبعض الاختلافات؛ من جهة أولى تطوّر إلى الكهنوتية المنظّمة، من جهة أخرى إلى حكيم معالج، أي طبيب. ولا يزال هناك

شخصيات معينة تجسد هذا النموذج البدئي بشكل مثالي تقريباً: البابا طبعاً هو عجوز حكيم بامتياز؛ حيث يُفترض أنه معصوم عن الخطأ، وهذا يعني أنه قادر على اتخاذ قرارات تخصّ حقائق مطلقة. كما أن كل مطران أو أسقف عبارة عن تمثيل لذلك النموذج البدئي، وسلطات الطبيب التي لا تعد ولا تُحصى تفترض أنه يعرف كل شيء، ويقول أشياء مذهشة، حتى إنه يعرف كل خفايا السحر الأسود. لذلك لا يزال هذا النموذج البدئي حياً.

النماذج البدئية عبارة عن صور تمثل حالات ترتبط بأهمية عظيمة عملية وحيّة تكرر نفسها في مسار التاريخ مرات لا تُحصى.¹ عندما كان الإنسان البدائي يقع في مشكلة لا يستطيع التعامل معها بنفسه، كان يلجأ إلى العجائز الحكماء الذين يشكّون مجلس العجائز؛ إذا كان لا يثق بكفاءته الخاصة، تتم إحالة المسألة إليهم. أو تتم إحالة القضايا الحساسة إلى الطبيب المعالج لأنه يستطيع أن يتباحث مع الأشباح الذين يقدمون له نصائح ومساعدات تتجاوز إمكانية قوى البشر كلهم، وعندئذ ينسب المرء إليه إمكانيات خارقة. وهكذا ففي أية حالة مليئة بالشك والمخاطر، حيث لا يعرف العقل البشري ما ينبغي فعله، يكون ردّ الفعل اللحظي هو العودة إلى الشخصية النموذجية البدئية الممثلة بالعجوز الحكيم. وذلك لأن الافتراض السائد هو أن الناس الذين عاشوا سنوات كثيرة واختبروا طرق حياة مختلفة هم أشخاص مؤهلون أكثر من الشباب. فبعد أن نجوا من بعض المواقف الخطيرة، وأصبحوا يعرفون كيفية التعامل معها، بات بإمكان الشخص العادي أن يسألهم ما الذي يمكن فعله في ظروف يختبرها هذا

¹ في أعماله المبكرة، تحدث يونغ عن "الصور البدائية" لكن عندما تطوّر هذا التعبير إلى "نماذج بدئية" بدأ يفكر "بهذه الأشكال المحددة للنفس" باعتبارها "ما قبل تصويرية"، وهنا إقرار ببعض الاختلاف في التعبير التصويري. ومع ذلك يتابع أحياناً، كما يفعل الآن، حديثه عن النماذج البدئية باعتبارها صوراً. انظر كتاب "النماذج البدئية واللاوعي الجمعي".

الشخص للمرة الأولى. عندئذٍ يظهر النموذج البدني كطريقة معتادة للتعامل مع ظروف معينة؛ يسطع هذا النموذج البدني أو ذاك في أية أزمة في الحياة؛ حيث يمثل آلية نمطية أو موقفاً نمطياً يسوّي المرء من خلاله مشاكل نمطية.

يمكن لحالات معينة أن تستحضر تسويات معينة كنا نهملها تماماً في أعماقنا؛ إنها تجلب ردود أفعال لم نكن نعلم أننا قادرون عليها، وقد نندهش من الطريقة التي يمكننا بها التعامل معها. غالباً ما نعتقد مثلاً أنك ستصاب بحالة هلع فطبيعة في هذا المأزق أو ذاك وتفقد السيطرة تماماً. ثم يحدث فعلاً ولا تفقد السيطرة، ولا تعود حتى خائفاً، ثم تتابع وكأنك بطل. قد تنهار إلى حد ما بعد ذلك مباشرة، لكن لا يكون ردّ فعلك سيئاً في لحظة الخطر؛ تكون هادئاً تماماً وتكون مندهشاً من ذلك. والسبب ببساطة هو أنه في لحظة كهذه تظهر آلية معينة، يظهر موقف غريزي كان كامناً دوماً في داخلك؛ يبدو الأمر كما لو أنك تعرف ما عليك فعله، وربما تفعل الأمر المناسب تماماً. وربما لا تفعل أيضاً لكن ما يثير الدهشة أن الحالات الاستثنائية تجلب معها ردود أفعال سليمة. وهذا يعود دوماً لحقيقة أن ثمة نموذجاً بدنياً سطع ورفعك فوق نفسك. ويكون الأمر حينها وكأنك لم تعد شخصاً واحداً بل عدة أشخاص، أو مجموعة من البشر كما يمكن للمرء أن يقول؛ كما لو أن تلك الحالة قد وقعت سابقاً عدداً لا يُحصى من المرات ولم يكن ردّ فعلك وكأنك "الأنا" التي أنت عليها اليوم بل كأنك رجل نجا سابقاً من موقف كهذا.

ثمة نماذج بدئية أخرى قد تسبب الهلع أو قد تحذرك من مشكلة دون داعٍ لذلك وتسبب لك مشكلة، كالنموذج البدني لزقاق أو ممر أو معبر مثلاً. من الشائع مثلاً عندما تسافر إلى مناطق بدائية أن تكون منتهاً إلى أن النهر قد أصبح خلفك، وإلى أنك اجتزته لأن عاصفة برق قد تأتي في الليل،

وسيكون النهر في اليوم التالي في حالة فيضان لدرجة لا يمكن عبوره، وربما تنتظر لأسابيع؛ ويمكن حتى أن تتصور جوعاً إذا علقت بين هرين. لا يكمن الخطر في فيضان النهر فقط بل في معرفتك الكاملة أثناء عبوره أنك تدخل في وضع غير مناسب. وبالطبع، لم يعد لهذا الخوف أي معنى هنا لكنه كان هاماً جداً حينها. وبشكل غير متوقع أبداً، تقترب من النهر على مسافة أربعين أو خمسين ياردة؛ الضفاف شديدة الانحدار، وتعجّ بالتماسيح ولا يمكن السباحة؛ عليك أن تحمل كل أمتعتك عبره، ويصعب عليك تدبّر الأمر. ربما يكون عليك أن تتجول وحيداً على الضفة لساعات طويلة حتى تجد ممراً تستطيع العبور من خلاله بأمان إلى حد ما. أو ربما سقطت شجرة أو قطعها أحد السكان المحليين بحيث تكون معبراً فوق النهر، وإذا كان الطقس مقبولاً، قد تتمكن من الزحف على شجرة هائلة الحجم بحيث تتسلق جذورها ومن ثم جذعها وصولاً إلى أغصانها، وتتساءل كيف يمكنك أن تحمل الأمتعة معك؛ تكون الشجرة زلقة جداً في الطقس الماطر. وهكذا بدون أدنى مجال للتوقعات، تجد نفسك في موقف من الأفضل لك فيه أن تكتب وصيتك. أمر مثير للسخرية: كان المرء في حالة مريحة للغاية سابقاً، ثم يجد نفسه فجأة في مواجهة خطر الانزلاق عن تلك الشجرة. ولا أحد يستطيع الإمساك بك لأنه ما من مجال لوقوف شخص آخر، عليك أن تقدّم أفضل ما لديك، وعلى بعد خمس عشرة قدماً أو عشرين قدماً في الأسفل يوجد تماسيح تنتظر إفطارها.

تكررت هذه الحالة النموذجية البدئية عدداً لا يُحصى من المرات؛ إذا لم تكن التماسيح، فثمة أعداء آخرون ينتظرونك عندما تصبح عاجزاً في المياه. هناك الكثير من الممرات، وهناك أماكن معينة يفترض أنها تحت سيطرة التنانين أو الأفاعي؛ وهناك وحوش في المياه العميقة، وأعداء في الغابة وخلف الصخور وهنا وهناك. لذلك فإن اجتياز النهر هو حالة

نموذجية تعبر عن مأزق، وبالتالي يتم تشكيل ذلك النموذج البدني عندما يكون المرء في مأزق خطير من أي نوع كان؛ وبناء عليه، يصبح كثير من الناس خائفين بطريقة نموذجية بدنية دون أي داعٍ لذلك؛ يداهمهم خوف غير منطقي. يستطيع المرء أن يقول لنفسه: ليس هناك أي خطر، لماذا لا تمضي قدماً؟ لكنهم يخشون حتى اجتياز جدول صغير. أو قد يكون خوفاً سيكولوجياً، خوفاً من الدخول في مغامرة معينة في الحياة لا تكون خطيرة في الواقع، لكنهم يشعرون بالرعب كما لو أنهم يقفزون فوق تمساح، لأن النموذج البدني أصبح ساطعاً أمامهم. إذا فالتمساح موجود في ذواتهم، وهو ليس مفيداً لأنه لم يعد يخدم الموقف. هذه الأمور لا تحدث عادة مع الناس العاديين، لكن إذا كانت عتبة الوعي منخفضة لدرجة تسمح للاوعي بالتدخل بسهولة، فسيظهر هذا العنصر النموذجي البدني. لدينا الآن عدد من الحالات النموذجية البدنية التي تدخل كلها في عالم الميثولوجيا. وتكون الميثولوجيا أشبه بكتاب عن النماذج البدنية التي لا يمكن توضيحها أو تفسيرها بشكل عقلاني طبعاً لأنها تتمثل ببساطة على شكل صور أو حكايات. لكن النماذج البدنية كلها كانت حالات حقيقية في الأساس.

ينصبّ اهتمامنا هنا على العجوز. فعندما يظهر العجوز، يكون إشارة إلى حالة معينة: يظهر بعض الارتباك وبعض اللاوعي، ويدهام الناس نوع من الارتباك فلا يعرفون ما يجب فعله. وبالتالي يظهر هؤلاء "الساوشاينت" أو هؤلاء الحكماء أو الأنبياء، في أوقات الإشكالات عندما تسيطر على الشخص حالة تشوّش، وعندما يفقد الاتجاه القديم وتغدو هناك حاجة لما هو جديد. سوف نرى في متابعتنا لهذا الفصل أن زارادشت ظهر في اللحظة التي حدث فيها شيء جعل ظهوره ضرورياً، وأطلق نيتشه على ذلك عبارة موت الله؛ عندما يموت الله، يحتاج الإنسان إلى توجّه جديد. لا بدّ في لحظة كهذه أن يظهر أبو كل الأنبياء، العجوز الحكيم، ليقدّم الوحي

الجديد ويُنجب حقيقة جديدة. هذا ما أراده نيتشه من زارادشت. فالكتاب كله تجربة استثنائية لهذه الظاهرة، تجربة حماسية محاطة بكل مستلزمات ما عن وحي حقيقي. سيكون من الخطأ تماماً أن نفترض أن نيتشه قد ابتكر تحفة فنية من هذا النوع لإضفاء انطباع معين، أو لتحقيق أثر جمالي أو أي شيء من هذا القبيل؛ لقد كان حدثاً سيطر عليه، وكان خاضعاً لسيطرة الحالة النموذجية البدئية تلك.

الآنسة وولف: أألن يكون جديراً بالاهتمام قراءة وصف وحيه؟ لقد شرحه بطريقة رائعة!

الدكتور يونغ: نعم، كتب في إحدى المرات رسالة لشقيقته قال فيها: "لا يمكنك أن تتخيلي أبداً حدة تجربة من هذا النوع". كما وصف في كتابه "هذا هو الإنسان - Ecce Homo" كيف هبط عليه هذا النموذج البدئي:

هل لأحد في نهاية القرن التاسع عشر فكرة واضحة عما كان شعراء العصور الكبار يسمونه بالإلهام؟ إن كانت الإجابة لا، فسأشرح هذا الأمر. يكفي أن يكون المرء لا يزال حاملاً لشيء ولو ضئيل من الاعتقاد الخرافي كي لا يستطيع الامتناع عن الاعتقاد بأنه مجرد تمثيل لقوى فوق بشرية عظمى أو ناطق بلسانها أو وسيط لها إن عبارة الوحي بما تعنيه من أن شيئاً ما يغدو فجأة مرئياً ومسموعاً بدقة ووثوق يستعصيان على الوصف؛ شيئاً يهزنا من الأعماق، لهي التعبير البسيط عن واقع الأمر. يسمع المرء ولا يبحث. يتسلم، ولا يسأل من هو المانح. مثل التماعه برق تومض الفكرة بموجب ضرورة، واثقة لا تعرف التردد - لم يكن لي أبداً أن أختار نشوة عارمة ينفرج توترها الهائل في فيض من الدموع، نسق الحركة فيها مندفع كالسيل حيناً، وبطيء حيناً آخر من دون أي تحكّم إرادي؛ حالة غيبوبة، لكن مع بقاء الإدراك الواضح لما لا يُحصى من القشعريرات الناعمة

والارتعاشات التي تتخلل الجسد من قمة الرأس حتى أخمص القدمين؛ غمرة سعادة حيث أشد أنواع الألم والقنامة لا تترأى داخلها كنفائض، بل كشيء مناسب ومستدعى، كتلوينة ضرورية داخل هذا الدفق النوراني. غريزة إيقاع تحتضن عالمًا بأسره من الأشكال - إن الحجم، أو الحاجة إلى إيقاع رحب لحي تقريباً مقياس لمدى عنف الإلهام، وضرب من الموازنة والتعويض عن حدة الضغط والتوتر اللذين يحدثهما عنف الإلهام. يحدث كل هذا بصفة لا إرادية مطلقة، لكن بما يشبه إعصاراً من الشعور بالحرية، وبالسيادة التامة، والقدرة والألوهية. وأغرب ما في ذلك هي تلك الحتمية التي تفرض بها الصورة والاستعارة نفسها؛ يفقد المرء كل سيطرة ذهنية على كنه الصورة والاستعارة؛ إنها تمنح نفسها هكذا مثل التعبير الأكثر طبيعية، الأكثر قرباً، والأكثر مناسبة وبساطة. إنه ل يبدو فعلاً - كي نقتدر عبارة لزارادشت - كما لو أن الأشياء هي التي تسعى إلينا مانحة نفسها للتحوّل إلى رموز؛ "تهرع الأشياء كلها إلى خطابك متحنّنة زلفى، تتملّك لأنها تبتغي التسلّق على كتفيك. على صهوة كل رمز تمضي إلى كل حقيقة. هنا تنفتح أمامك كل حروف الوجود وخزائن الكلمة: كل كيان يريد أن يصير حرفاً، وكل صبرورة تريد أن تتعلّم الكلام عن طريقك". تلك هي تجربتي (أنا) مع الإلهام، ولا أشك في أنه ينبغي الرجوع آلافاً من السنين إلى الوراثة كي نجد أحداً يحقّ له أن يقول لي: "تلك هي تجربتي أيضاً".¹

تلك هي الطريقة التي اختر بها نيتشه مجيء زارادشت، وهي تبين بوضوح الأعراض المميزة للعجز الحكيم. سنتابع الآن نص زارادشت. سنمضي بقدر ما تأخذنا نيته في تعليم العقلاء إيجاد متعة في جنونهم، وتعليم الفقراء استعادة بهجتهم بثرائهم. يتابع نيتشه:

¹ انظر أعمال نيتشه الكاملة، المجلد السابع عشر، صفحة 101.

"لذلك عليّ الانحدار إلى الأعماق؛ كما تفعل أنت كل مساء، عندما
تمضي إلى ما وراء البحر وتهب نورك إلى العالم السفلي أيضاً، أيتها الكوكب
الفائق الثراء!

أريد أن أنحدر مثلك، كما يقول البشر الذين أريد أن أنحدر إليهم.
باركني إذاً أيتها الكوكب، أنت العين المطمئنة التي يسعها أن تشهد
السعادة الفائقة دون أي شعور بالحسد!
بارك الكأس التي تريد أن تفيض ويتدفق ماؤها مشعاً ذهبياً حاملاً
بركتك إلى الدنيا كلها!

انظروا! تريد هذه الكأس أن تفرغ، ويريد زارادشت أن يعود إنساناً من
جديد.

هكذا بدأ انحدر زارادشت:

كان في أعالي الجبال مع الشمس التي ترمز إلى الوعي المكثف الذي يحدق
بوجهه. ويفكر الآن بالهبوط كما تغرب الشمس، مما يعني أنه كان متماهياً
تماماً مع وعيه الشخصي، ويشعر الآن بالحاجة إلى مغادرة تلك الحالة
والنزول إلى الأعماق، إلى العالم السفلي الذي يعني بالنسبة إليه عالم
الإنسان. كيف تفسر ذلك من الناحية السيكلوجية؟ ما الذي يحدث
عندما يغادر وعيه؟

الدكتور ريكستين: سينبثق شيء جديد من اللاوعي.

الدكتور يونغ: حسناً، عندما يبدأ الإنسان العادي رحلة التخلي عن
عالم وعيه، ينشط اللاوعي بشكل طبيعي وتظهر الأشياء التي كانت دفينة
فيه، كما نرى في حالات العُصاب والذهان أو في أية حالة أخرى يتخلل فيها
الإنسان عن وعيه عمداً. ستكون تلك حقيقة الوعي العادي، لكن لدينا هنا
حالة وعي مركّز يتجاوز الطبيعي، ولا يمكن أن نتوقع حدوث الشيء ذاته في
هذه الحالة.

تعليق: يصل إلى الحالة العادية.

دكتور يونغ: نعم، لأنه كان في ظرف غير طبيعي سلفاً. نحن معتادون على الاعتقاد بأن البشر الذين يعانون حالة غير طبيعية هم في حالة من اللاوعي لدرجة أننا لا نظن أن باستطاعتهم أن يكونوا واعين جداً. لكن تشنّج الوعي بهذا الشكل غير موجود¹ يعاني الكثير من الناس في أيامنا هذه من وعي متزايد بشكل مَرَضِي، ثم يكون عليهم أن يهبطوا إلى مستوى الوعي العادي، وليس الوعي المتشنّج حيث يتم كبت كل شيء تلقائي.

السيدة كرولي: هل كان في البداية وعياً مجرداً للغاية، ثم اتخذ بعد الهبوط شكلاً معاكساً بشرياً للغاية؟

الدكتور يونغ: نعم، اتخذ شكلاً أقل توتراً وأكثر استرخاءً وأكثر وأكثر بشرية؛ لقد اتخذ وعيه السابق طابعاً يشبه الشمس، يشبه الوعي السماوي الفائق وهذا مُبالغ فيه طبعاً. إنه يوحي بطبيعة الحال بجنون العظمة، وعليك في الواقع أن تراعي فرضيات جنون العظمة لدى نيتشه. بعد ست سنوات، أي في عام 1889، أصابه جنون العظمة بسبب اعتلال في الدماغ. من الصعب جداً بالطبع أن نجزم حول ما إذا كان قد أصيب مُسبقاً، وأنا أظن أن الاحتمال ضئيل للغاية؛ أشياء قليلة جداً في كتاب *زارادشت* يمكن أن نعزوها نظرياً إلى ذلك. يرجع هذا النوع من الجنون إلى سبب آخر.

آنسة وولف: هل هو نموج بدني؟

الدكتور يونغ: نعم، إنه متمازج مع النموذج البدني. هو يفرّق طبعاً بين ذاته وزارادشت؛ إذ يقول: "ومرّ زارادشت بي"، لكنه لا يستطيع أن يشعر

¹ فريودور ديستوفسكي (1821 – 1881) كاتب ذو أهمية كبيرة لكل من نيتشه ويونغ، يشرح في القسم الأول من كتابه "منكّرات من العالم السفلي"، ومترجمة أيضاً بعنوان "الإيمان المصّرر – Notes from Underground) المنشور عام (1864) حالة الإيمان الفائق الوعي الذي يصل إلى حالة الخمول.

بسيطرة الشخصية عليه، لدرجة أنه يُصبح زارادشت أحياناً، وهذا نوع من التضخّم. وكما ترى، متى وقع المرء في قبضة نموذج بدني، ينسى ذاته بالكامل ويصبح في حالة تضخّم متزايد وحسب؛ ثم يتابع المرء حياته ويرى لاحقاً أنه عانى من حالة تضخّم. يعرف البدائيون هذه الحالة جيداً، فعندما يعاني أحدهم من حالة إثارة كبيرة، حالة ارتقاء أو صعود، عندما يكون محارباً مميزاً ويقتل رجالاً آخرين مثلاً، يكون عليه أن يحتاج "طقس الخروج" كي لا يبقى متماهياً مع بطلي نموذجي بدني، أي الشخصية المشابهة للإله التي أصبح عليها. وإلا فسيبأشر بالحق الأذى بالآخرين، وقد يمضي في ذبح أفراد قبيلته، أو يصبح وقحاً بطريقة لا تُحتمل. وهكذا، في قبائل معينة لا يُستقبل المحارب الناجح بفرحة النصر كما نعامله نحن في هذه الأيام، بل يُرسل إلى مكان منعزل يعيش فيه على الخضار النيئة مدة شهرين لينحل جسده ويعود إلى حالة من الهدوء والوداعة كي يُسمح له بالعودة إلى قبيلته. ولا يكون الرجل الذي قام بهذا الدور البطولي وحده "مانا"¹، بل سلاحه أيضاً؛ السيف المُستخدم في القتل يحتوي سرّ القتل، وهو سيف خاص؛ لقد قام بعمل استثنائي يجعل منه "مانا" أيضاً. وهكذا عندما يعرف شخص ما بأن الملك قد قُتل بسيف أو خنجر معين، ينظر هذا الشخص إلى السيف أو الخنجر بطريقة مختلفة: هو يباغت مخيلة هذا الشخص لأنه "مانا". الآن، كما قلت سابقاً، لم يستطع نيتشه أن يمنع نفسه من التماهي جزئياً مع زارادشت، لأنها كانت حقبة ازدهار العلم والفلسفة المادية، وليس لأحد معرفة بالسيكولوجيا، ولم يكن أي شخص

¹ الما: هي قوة الحياة الروحية أو قوة الشفاء التي تتخلل الكون في ثقافة الملايين والبولينيزيين. ويمكن لأي شخص أو أي شيء أن يكون مالا. فهي زراعة أو امتلاك للطاقة والقوة وليست مصدر قوة. أي إنها بختصار شديد قوة متعددة. المترجم.

يفكر بإيجاد فرق بين ذاته وأي شيء نفسي آخر.¹ لم يكن معظم الناس في تلك الفترة قادرين على فهم أي شيء من هذا القبيل. وحتى في يومنا هذا، لم يدخل ذهن الكثير من الناس، ولا سيما ذوي السوية العلمية العالية منهم، أنهم لم يكونوا متماهين مع أنفسهم. يحتاج الأمر إلى دليل جيد مقنع واستثنائي لإقناعهم بالحقيقة؛ إذ يعتقدون أن هذا كله محض هراء. وهكذا لم يكن نيتشه في حالة تسمح له بالتفريق بين نفسه وزارادشت؛ كان واضحاً جداً بالنسبة إليه لدرجة لم يكن هناك شيء خارجه سوى السيدات والسادة الآخرين. هو لم يكن بالتأكيد متماهياً مع زارادشت، وإذا لم يُصدر أحدهم ضجيجاً معيناً، يكون هو ذاته تحت حجاب زارادشت. كما أن اللغة التي جعل زارادشت ينطق بها، أو اللغة التي سمح له بأن يأخذها منه، هي لغة مضخمة طبعاً، لغة جزلة جداً في عدة مواقع. إذاً هناك مبرر آخر أوصل هذه اللغة إلى تلك الحالة المبالغ فيها. هل تعلم تحت أي ظروف حدث هذا؟ هل تعرف الظرف الذي تفعل فيه شيئاً ما بطريقة معقدة كما لو أنه لا يوجد طريقة أبسط منها؟

السيدة فيرز: كان متماهياً مع تفكيره، فعندما يبدأ بالكتابة يبدو الأمر أشبه بتدفق مشاعر دونية جداً؛ أي حالة انفعالية.

الدكتور يونغ: هذا صحيح، إنها إحدى الأشياء. لكن لماذا تتدفق هذه المشاعر؟

السيدة فيرز: هو لا يعرف عنها.

¹ أي لم يكن هناك، أو كان هناك القليل، سيكولوجيا من النوع الذي تعامل مع اللاوعي. وعلى أية حال، كان تشارلز يعلج الهيستريا بالتنويم المغناطيسي في سبعينات وثمانينات القرن التاسع عشر، وكان جوزيف بريور يطبق علاجه المعروف "Anna O" عام 1882. وبالطبع كان هناك كم كبير من النشاط في علم النفس الفيزيولوجي خلال النصف الأخير من القرن.

الدكتور يونغ: بالطبع، لكن ألم يكن بالإمكان عزلها في الخارج بالغريزة المجردة؟ عادة ما يؤثر الناس الكثير من الصخب في محاولة منهم لعزل وظائفهم الدونية.

الآنسة وولف: يلامس النموذج البدني أعماق المرء ويصل إلى حيث لا يمكنه التفريق بين الوظائف.

الدكتور يونغ: هكذا تماماً. ليس للنموذج البدني أية مصلحة بالتفريق بين الوظائف لأنه عبارة عن إجمالي الوظائف كلها. لكن ما الذي يمكن أن يكون مبرراً لتلك اللغة الحبلى للغاية.

تعليق: إichاءات الأنيميا (القرينة)¹؟

الدكتور يونغ: هذا جيد، تُعتبر الأنيميا تجسيدا للوظيفة الدونية؛ تتغذى أساساً على الوظيفة الدونية، وعلى المشاعر الدونية في حالتنا هذه، وهكذا فإن الوظيفة الدونية والقرينة هما الشيء ذاته بوجهين: الوجه الأول هو الصيغة العلمية، والآخر هو الصيغة الظاهرية.² هي وظيفة طبعاً بأي شكل تظهر فيه. لكن ثمة سبب أبعد لهذه اللغة.

الدكتور ريكستين: من الطبيعي جداً أن يتحدث النموذج البدني بطريقة كهذه؛ النماذج البدنية كلها تتحدث بلغة جزلة.

الدكتور يونغ: هذا صحيح إلى حد ما طبعاً، لكن في حالة نيتشه، الأمر مبالغ فيه فعلاً؛ لا بدّ من سبب ليكون بهذا الشكل.

السيدة باومان: أليس تعويضاً عن دونيته؟

¹ Anima: الأنيميا أو (القرينة) مفهوم أوجده يونغ للدلالة على الجزء الأنثوي من شخصية الرجل، ويقبله مفهوم "الأنيموس - animus" (القرين) للدلالة على الجزء الذكري من شخصية المرأة المترجم

² بالنسبة إلى يونغ، الوظيفة الدونية هي دوماً "نقيض" الوظيفة الأكثر تطوراً، الاقتران هو التفكير/الشعور، والإحساس/الحس. تتعارض "المواقف" أيضاً، فبالنسبة للانطوائي، يكون الانبساط صعباً جداً، ومحرجاً إلى حد ما، والعكس صحيح. (الأعمال الكاملة 6).

الدكتور يونغ: فكرة جيدة. عندما يبلغ المرء حالة التضخم، وعندما يُصبح متماهياً مع نموذج بدني، تتشكل لديه مشاعر دونية لا يعترف بوجودها، ويستخدم عندئذٍ لغة جزلة جداً. كمثال على ذلك، كنت أعالج في المصحّة امرأة مختلة عقلياً وبحالة يستعصي شفاؤها، وكانت تسمّي لغتها الخاصة "كلمات تقنية للقوة" وكان تحاول دوماً تركيب كلمات تبدو شديدة القوة - كما لو أنها تعبّر عن القوة من خلال الجمع بين كلمات معينة مثل "محطة كهرباء، جلالة، البابا، ملك كنيسة، الفلسفية وما إلى ذلك. يصوغ المختلون عقلياً هذه الكلمات بهدف قتل الناس الذين معهم؛ يصوغون كلمات صعبة النطق ويبصقونها متأملين أن يسحقوا الناس بها ويقنعوهم وهزموهم. وقد يُقال طبعاً إن كثيراً من علومنا تتشكّل من هذا النوع من الكلمات؛ تستخدم العلوم كلمات لاتينية كثيرة، وتقول أشياء بطريقة معقدة يظهر بوضوح أنه لا يمكن لأي شيطان أن يفهمها. لكنها تصبح سهلة للغاية عندما تُترجم إلى كلمات بسيطة؛ لا داعي لأن تقولها بتلك الطريقة الفظيعة الخرقاء - ليس هذا إلا لإقناع الناس. بالطبع، يرتعب الإنسان ويشعر بالقهر إذا كان هناك من يتلو فوقه كلمات هجينة لاتينية إغريقية، ويقول في نفسه: "لا بدّ أنه شخص واسع الاطلاع بينما لا أعرف أنا أي شيء". هذا ما يفعله الأشخاص التافهون إلى حد ما عادة لأنهم يرغبون بإضفاء القيمة على أنفسهم؛ يُصدرون أصواتاً عالية خاصة للتعبير عن شيء ما هو ليس على ذلك النحو في الواقع. "الخمرة الجيدة لا تحتاج إعلاناً" هي مقولة إنكليزية قديمة، لكن الناس يُنتجون أشياء تافهة بحاجة إلى كلمات كبيرة لكي يتم الإصغاء إليهم بأي شكل من الأشكال.¹ وهكذا فالمشاعر الدونية وعدم الكفاءة التي ظهرت لدى نيتشه شكّلت خلفية تلك

¹ "إذا صخّ بأن الخمرة الجيدة لا تحتاج إلى إعلان، فإن التمثيلية الجيدة لا تحتاج إلى ختام. ومع ذلك فإنهم يستخدمون الإعلان الجيد عن الخمر الجيد، كما أن التمثيليات الجيدة تزداد حسناً بكلمات الختام الجيدة" (روزاليند في مسرحية شكسبير بعنوان "على هواله").

اللغة، وجعلته يختار كلمات جزلة ليصيب هدفه. فقد كان العالم كله تافهاً بالنسبة إليه، ولا أحد يمتلك عينين أو أذنين أو قلباً يشعر، ومن هنا كان عليه أن يطرق الباب بمطرقة ثقيلة. لكن عندما يقفل البشر الأبواب، يلجأ هو إلى مهاجمتها بتلك الطريقة المقلقة المرعبة. لقد شعر مُعاصره "جاكوب بوركهارت"، المؤرخ المشهور، بالخوف تماماً عندما قرأ *هكذا تكلم زرادشت*، كما أعرف من أشخاص في بازل كانوا على معرفة جيدة بكلهما. كان الأمر غربياً جداً بالنسبة إليه؛ كانت اللغة هي التي تغلبت عليه.¹ أغلق الباب أمام نيتشه لأنه كان مزعجاً للغاية ويصدر الكثير من الضجيج. لدى قراءة *هكذا تكلم زرادشت* غالباً ما يتولد لدى المرء انطباع بأنه لا يصل فعلاً إلى الناس. وقد شعر نيتشه بذلك أيضاً فزاد من ثقله لجعله يصل. لو كان بإمكانه أن ينتظر قليلاً فقط، أن يكون أكثر صبراً وأقل ضجيجاً، لجعل الكتاب يصل؛ ثمة فقرات معينة رائعة الجمال، وبعضها شديد السوء، لكن الأثر الكلي مهدد بالنمط الأخير إلى حد ما. وهكذا فإن هذه هي الأسباب الرئيسية له، لكن لا يزال هناك نقطة أخرى تفسر الثقل الاستثنائي لكتاب *"هكذا تكلم زرادشت"*.

السيدة أدلر: لأن الإلهام أو الحدس ليسا حقيقيين تماماً، ولهذا هما بحاجة إلى إلحاح خاص تجاه نيتشه، كما لو أنه كان يعظ نفسه في المقام الأول؟

الدكتور يونغ: وجهة نظر دقيقة جداً. وهي بالتأكيد حجة صحيحة طالما أن هناك أدلة كثيرة على أن ما نسميه "إدراكاً" لم يحدث بعد. السيدة بايتز: أنا لا أفهم ما تعنيه السيدة أدلر بأن الإلهام والحدث لم يكونا حقيقيين تماماً بالنسبة إليه.

¹ جاكوب بوركهارت (1818-1897) أقام علاقة صداقة مع نيتشه الشاب عندما أتى إلى بازل وأبقى على المراسلات بعد رحيل نيتشه. وكتابه بعنوان "حضارة عصر النهضة في إيطاليا - The Civilization of the Renaissance in Italy" الصادر عام (1880) جعله مشهوراً عالمياً.

الدكتور يونغ: تعني في هذه الحالة أنه لم يكن مدرّكاً تماماً لهما. في الواقع، عندما يكون هناك تضخّم ناتج عن النموذج البدني، لا يكون هناك إدراك؛ لا يستطيع المرء أن يدرك الأشياء التي يتضخّم من خلالها. على التضخّم أن يبلغ ذروته أولاً، وبعدها يمكن للمرء أن يدركه، وليس قبل ذلك. لكن لا يزال هناك نقطة أخرى.

الدكتور ريكستين: ربما حدث ذلك بسبب وقوف نيتشه ضدّ العالم كله، ولهذا كان عليه أن يطرق الباب بقوة.

الدكتور يونغ: نعم، هذا مؤكد تماماً. اتخذ نيتشه موقف الصراع مع العالم المعاصر كله، وقد أعطاه ذلك العالم شعوراً غريباً بعدم الكفاءة بحيث لم تصل كلماته أي مكان – لم يظهر صداها في أي مكان. تلك كانت الحالة فعلاً؛ لم تنل أي اهتمام، وكانت كلماته أشبه بصراخ في البراري، وهو ما جعله يضاعف قوة صوته بدل تخفيضه. كما تعرف، عندما يُصبح كلام المرء غير مفهوم، عليه كقاعدة أساسية أن يخفض صوته، لأنه عندما يتحدث المرء بصوت عالٍ فعلاً ولا يُسمع، يكون السبب أن الناس تريد أن تسمع. ويكون من الأفضل له حينها أن يتمتم لنفسه ليجعل الناس تشعر بالفضول.

الآنسة وولف: ربما اختار اللغة التوراتية جزئياً عن قصد، وكانت نابعة جزئياً من اللاوعي لأن نيتشه كان يكره المسيحية التقليدية.

الدكتور يونغ: وجهة نظر منطقية جداً، أي إن تشديده على هذا النمط مقصود.

السيدة زينو: هل يمكن أن يكون السبب عدم وجود تعويض من مشاعره؟ عدم وجود شخصية كشخصية "سالومي" في اللاوعي لتحمل مشاعره؟¹

¹ هذا لا يعني شخصية "أنثيا - قرينة" قوية، بل يعني تجسيد الجانب الجنسي العكسي للرجل، أي الجانب الأنثوي.

الدكتور يونغ: نعم، نقطة هامة جداً. لقد أشرنا سابقاً إلى حقيقة أن "القرينة" موجودة بطريقة ما، لكن غياب "القرينة" كشخصية مستقلة زاد بالتأكيد من ثقل زارادشت إلى درجة لافتة. لدينا هنا مشكلة بحد ذاتها، وأعني تماهي زارادشت مع القرينة، وعلى الأرجح تماهي المؤلف مع القرينة، وبالتالي لدينا هنا تركيبة استثنائية للغاية.

السيد أليمان: عندما يسطع النموذج البدني، يكون شيئاً قديماً دوماً، يكون شيئاً تاريخياً؛ ربما يفسّر ذلك هذه اللغة القديمة.

الدكتور يونغ: لكن اللغة القديمة لا تحتاج إلى تشديد لافت؛ لا بدّ من وجود قوة خلفها تسبب هذا التشديد، وما قالت الأنسة وولف يفسر جزءاً من القضية. يمكن للمرء أن يقول إن نيتشه نفسه كان لديه جانب آخر يحتاج إلى لغة قوية، وجميع المقاطع الشعرية كانت تُخاطب ذاته أساساً. عليك أن تتذكر أنه كان ابن كاهن، وربما كان لديه بعض الموروثات. أعرف ما يعنيه ذلك.

الأنسة حنة: ألا يمكن أن يكون إصرار الكاهن هو الإجابة على هذا السؤال؟

الدكتور يونغ: لكن هذا غير كافٍ. فمن جهة أولى، يمكن للمرء طبعاً أن يفترض وجود مقاومة مملّة غريبة معينة للقوى التي كانت مستمرة حتى تلك اللحظة في نيتشه نفسه، وأنه احتاج إلى لغة قوية لكي يتخلّص من ذلك الرفيق الصغير الذي كان خاضعاً جداً لسيطرة التقاليد. كان ذلك ظلّ نيتشه، وثمة أدلة على وجوده في بعض رسائله لأخته التي كان يخاطبها بعبارة "العزيزة لاما"، حيث يظهر أنها لم تكن قادرة على فهم أي شيء مما يقوله. ثم يمكنك أن تفهم شيئاً عن هذا الرفيق الصغير الذي أتى من قرينة ساكسونية قرب ليزينغ حيث كان والده كاهناً. وكما ترى، يفترض هذا أيضاً أنه كان يرى نفسه في مخيلته كرجل إنكليزي، وكان بحاجة إلى بعض

التعويض الجغرافي. لكن أودّ أن أعرف أكثر عن القوة الكامنة خلف هذه اللغة. قوة محددة، العاطفة الحماسية، تخدع نفسها؛ لا بدّ أن خلف ذلك قوة هائلة حطمت حجاب التقاليد.

السيدة يونغ: أليس من المعقول أن يكون هناك القليل جداً من "الليبيدو" في حياته؟ كان الليبيدو كله في الروح، فربما كان السبب في ذلك التعبير العنيف.

الدكتور يونغ: نعم، يمكن للمرء أن يفترض ذلك، لكن ما من أحد يتوقع منه أن يهتم كثيراً بحياته الشخصية في هذه المهمة الخاصة؛ هذا له قيمة بالتأكيد، لكن لا بدّ من وجود قوة خاصة خلف إصراره، ويجب أن يظهر ذلك بوضوح. الأمر مُتعب جداً وفيه الكثير من الأشياء. ولدي ثقة تامة بأنك إذا استطعت العثور على شخصية كهذه في أحد أحلامك، فسوف تعرف ما الذي كان يحدث.

السيدة فيرز: الدفع باتجاه الفردانية.

الدكتور يونغ: تماماً. الذات موجودة فيه.¹ هذا هو السبب الذي يجعل العجوز يطوّر مثل هذه العاطفة والمزاج الاستثنائيين مثل زارادشت. ليست طريقة العجائز الحكماء أن يكونوا مزاجيين؛ لقد جاء ذلك من حقيقة أن ثمة شيئاً كهربائياً للغاية كامن فيه ألا وهو الذات، الذات التي بقدر ما تكون غير مُدركة، تكون محتواة في الشكل النموذجي البدني. يمكن للذات أن تكون محتواة في القرينة مثلاً، لكنها ستؤدي إلى امتلاك القرينة وإضفاء طابع نسوي على شخصية الرجل، وعلى فلسفته وقناعاته وإنتاجه وما إلى ذلك. أما إذا كانت محتواة في النموذج البدني للعجوز الحكيم، فسوف يتخذ طريقة النبي مثلاً. أو يمكن أن تكون كلها معاً في شيء واحد مما يجعل

¹ بالنسبة إلى يونغ، تعبر الذات عن الوحدة بين الشخصيات كلها" (الأعمال الكاملة 6، صفحة 789). سيتم تفسير هذه الفكرة الهامة بشكل مكثف لاحقاً في هذا الكتاب. انظر أيضاً، "العجوز الحكيم" النموذجي البدني.

أنياب التشابك النموذج البدني تفترس هذا الشخص. تلك هي الحالة التي لم نرها حتى الآن، الحالة التي يكون الشخص فيها خاضعاً لسيطرة كل الأشياء التي ليس عليها، وخاصة شخصية العجوز والذات والقرينة. وحتى الغرائز، النسر والحية، تكون أيضاً على الجانب الآخر. لكن على المرء فعلاً أن يسأل نفسه الآن: أين كان نيتشه هو ذاته؟ إنها مشكلة حقاً. لكن الإجابة بحسب قوله: إنه يشعر بذاته على أنه مجرد آلة، معاناة جسد هبطت فيه تلك القوى كلها. وهكذا فالتضخم هو ما تدلّ عليه الكلمة؛ امتلاء الجسد بالغاز وأصبح شفافاً، وارتفع عالياً جداً ثم احتاج إلى الهبوط. وهكذا نراه يهبط إلى عالم الناس العاديين، إلى الوعي شبه العادي السابق؛ في نهاية الفصل الأول هذا، قيل إن زارادشت أراد أن يغدو إنساناً من جديد.

والآن نبدأ القسم الثاني.

انحدر زارادشت من الجبل وحيداً ولم يلتقي أحداً في الطريق. لكنه حالماً بلغ الغابة صادف شيخاً مسناً خرج للتوّ من كهفه المقدّس بحثاً عن جنود النباتات. وهكذا خاطب الشيخ زارادشت:

"ليس غريباً عنيّ هذا العابر، فقد مرّ من هنا قبل سنوات، وكان اسمه زارادشت؛ لكنه تغيّر الآن.

كنت تحمل رمادك إلى الجبل آنذاك؛ أتريد أن تحمل نارك اليوم إلى الوديان؟ ألا تخشى العقاب الذي يطال من يشعل الحرائق؟ أجل، لقد تعرّفت على زارادشت. عيناه صافيتان، ولا أثر للاشمئزاز على فمه. ألا تراه كيف يسير مقبلاً كالراقص؟

لقد تغيّر زارادشت؛ غداً طفلاً؛ أصبح الآن يقظاً. ما الذي فعله هنا بين النيام؟

والآن، ما شأن هذا الرجل العجوز؟ من هو؟ كان زارادشت نفسه رجلاً عجوزاً وهو يلتقي الآن بعجوز آخر.

السيدة كرولي: يفترض أنه الحكيم العجوز الخاص بالأرض، مزيد من اللاوعي.

الدكتور يونغ: لكن ما هي التقنية التي افترضتها لإثبات هوية هذا العجوز؟ علينا أن نكتشف، ليس بالافتراض فقط، بل من خلال الحصول على المواد الفعلية.

الدكتور بادورجي: يعرف أحدهما الآخر مُسبقاً، إنه الذاتُ القديمة التي تركها خلفه.

الدكتور يونغ: نعم، يعرف أحدهما الآخر، لا بدّ أن بينهما قرابة، يبدو بكل وضوح أن هناك هوية سرّية. لكننا لا نعرف تماماً من هو هذا الشكل الآخر. ما هي الطريقة الملموسة التي تقترحونها لمعرفة ذلك؟
السيدة أدلر: على المرء أن يكتشف شخصيته مما قاله وفعله.

الدكتور يونغ: نعم، علينا أن نعرف كيف تم توظيف هذا العجوز، ماذا يقول، وكيف يتصرّف. لكن النقطة الأساسية التي أودّ أن ألفت انتباهكم إليها هي أن زارادشت ذاته يقول: "أيعقل أن هذا القديس العجوز لم يسمع هنا في الغابة أن الله قد مات!" وهكذا يمكن بسهولة استنتاج من هو هذا العجوز الحكيم.

السيدة فيرز: بالمقارنة مع زارادشت، سيكون هو المسيح ذاته.

الدكتور يونغ: من المرجح أكثر أن يكون الموقف المسيحي القديم، حكمة الموقف المسيحي القديم. إنه قديس، وهو يمثل الروح المسيحية المبكرة التي لا تعرف حتى الآن أن الله قد مات، وأنه وصل إلى نهايته. سوف نرى ما إذا كانت هذه الفرضية مناسبة. أولاً، بما أنه قديس فهو يتوافق مع المثاليات المسيحية المبكرة. كما أنه يعرف زارادشت ويقول إنه منذ سنوات كثيرة مضت، مرّ من المكان ذاته لكنه كان ذاهباً باتجاه معاكس. إلى ماذا يشير ذلك؟

السيدة كرولي: هل يشير إلى زارادشت الأصلي عندما تلقى الروح؟

الدكتور يونغ: نعم، يعني ببساطة أن الروح المسيحية انتهت إلى زارادشت، وتعرف عنه. إن الجزء الأكبر من العقيدة المسيحية قد جاء في الواقع من التقاليد الزارادشتية لكن ما الذي يعنيه أن المسيحية راقبت زارادشت وهو يحمل رماده إلى الجبل؟ ما هو ذلك الرماد؟

السيدة باومان: موته في تلك الفترة.

الدكتور يونغ: حسناً، عندما يكون الإنسان مكوناً من رماد، يكون روحاً غير متجسدة، والمسيحية وحدها تعرف زارادشت باعتباره ذلك الكائن الذي رحل إلى الأبد؛ إنه ميت، لقد حمل رماده إلى الجبال. وهذه الروح ذاتها تتعرف الآن على زارادشت وهو عائد بشبابه الجديد. مما يعني أن المسيحية أدركت أن زارادشت قد عاد، وهو يسير بالاتجاه المعاكس، ويهبط من الجبل، أي إنه تجسّد من جديد وأصبح حديثاً مرة أخرى. وإليك الآن فكرة نيتشه. اعتقد نيتشه أن زارادشت قد وُلِدَ من الصراع العظيم بين الخير والشر، وأنه أثر على التطوّر الفكري الكلي للعالم كله بسبب هذا المبدأ الأساسي للغاية. وتقوم فكرته على العودة مجدداً لتحسين اختراعه السابق؛ لا بدّ من فعل شيء ما بما يخص الصراع غير المحتمل بين الخير والشر، لأن وجهة النظر المسيحية القديمة المتمثلة بالرجل العجوز في الغابة، لم تعد صالحة. لكن من أية حقيقة يتضح هذا الأمر؟

الآنسة حتّة: من أنه فقد كل تواصله مع العالم.

الدكتور يونغ: نعم، لم يعد متواصلاً مع العالم. والمبرر الأساسي لولادة زارادشت من جديد هو أن المسيحية قد تركت العالم؛ عليه أن يعود مجدداً لأن الروح التي خلقها وتركها خلفه قد تبخرت. وكما تعرفون، هذا تكرار للحقيقة السيكلوجية الهامة التي تقول إنه عندما مات المسيح، وفقاً للعقيدة المسيحية، ترك خلفه الروح القدس، أي المعزّي الذي هو

الروح، والمشابه لزلزل الروح القدس في عيد العنصرة؛ إن الروح التي خلفها ظهور المسيح على الأرض هي من عقابيل الوحي المسيحي. كان ظهوره كأنفجار قذيفة تركت الروح خلفها؛ بقيت لفترة وجيزة ثم انحسرت ببطء إلى الخلف مجدداً. وهكذا يمكننا أن ندعو هذا العجوز الروح القدس؛ هو الروح المسيحية الباقية التي توشك أن تنحسر في الطبيعة. سنرى الآن كيف حدث ذلك. لقد قال لزارادشت:

"لا تذهب إلى البشر، وابق هنا في الغابة! بل من الأفضل أن تمضي إلى الحيوانات! لِمَ لا تكون مثلي دُباً بين الدببة وطيئراً بين الطيور؟"
وما الذي يفعله القديس في الغابة؟" يسأل زارادشت.
"أنظم أناشيد وأغنيها، وعندما أنظم أناشيد أضحك وأبكي وأدمدم؛ هكذا أصبح لربي."

هذه الترجمة ليست صحيحة؛ لقد استخدم في الأصل كلمة "brummt" وترجمتها الصحيحة "قهقهة"، وهي صوت الدب. حيث قلّد أصوات الحيوانات وهذه ظاهرة ارتدادية (انكفائية). لقد تطوّرت المسيحية وطقوسها في زمن كان من عادات الوثنيين فيه أن يقلّدوا أصوات الحيوانات. ونحن نعرف من المدافعين القدماء عن المسيحية، أولئك الذين حاربوا المعتقدات الوثنية والفلاسفة والخطباء الوثنيين، ومن مصادر وثنية أيضاً، أن أتباع الميثرائية والباخوسية وأمثالهما من الآلهة الوثنية التوفيقية¹ كانوا يقلّدون أصوات الحيوانات التي يمثلونها في مناسبات معينة، يزارون كالأسود أو يخورون كالثيران مثلاً. وهناك طبقة معينة من

¹ انتشر الآلهة التوفيقية بين مجموعات كهذه مثل "النحشنة" أو الميل إلى الخلط بين أوزيريس وصوفيا وأتم وبلفوس والآخرين، ربما يمثل جزئياً حلجة المسافرين لاستيعاب الآلهة الأجنبية ضمن مجمع آلهتهم الخاصة.

أتباع الميثرائية يُطلق عليهم اسم "إيتوي - *aetoi*"¹، وأخرى كانت تُدعى "ليونتييس - *leontes*"، أي الأسود، ويُطلق على أتباع أرتيميس اسم "أركتوي - *arktoi*" أي الدببة. وكان الآخرون نوعاً من الملائكة التي تُدعى "هيلودروموي - *heliodromoi*"، أو عدّافو الشمس. ويتم تمثيلهم على شكل نصب تذكارية قديمة معينة وهم يرتدون أقنعة حيوانية؛ كانوا متماهين بشكل واضح مع حيوانات كان لها في ذلك الحين معاني رمزية. لم تعد تلك أقنعة الرقص القديمة الخاصة بالبدائيين؛ كان لها معاني فلسفية للغاية، لكننا لا نعرف كيف كانت أفكارهم. لدينا أدلة على شيء مشابه ضمن التقاليد المسيحية أيضاً. كنتم قد رأيتم تلك المندلات المسيحية التي تتضمن المسيح في المركز وهو يعلن القانون مثل بوذا، أو يحمل الكتاب المقدس بينما تعلق محيطه إيماءة البركة، ويقع في الزوايا الأربع أصحاب الأناجيل الأربعة بتماهايتهم الحيوانية. ثمة الكثير من هذه التمثيلات في المتحف الألماني في نورمبرغ مثلاً، كما تجد في الأديرة أو الكنائس النورمانية هذه الماندلات مع أصحاب الأناجيل الأربعة بتهيئاتهم الحيوانية، وما يُسمى التجسيدات "الثيرومورفية"²، الملاك والنسر والثور والأسد. إنها فكرة بدائية جداً وصلتنا عن طريق التقاليد المصرية؛ أولاد حورس الأربعة كانوا حيوانات؛ أي إنه كان لدى أحد أبناء حورس رأس بشر، وهو نوع التشابه مع الملاك، ولدى الثلاثة الآخرون رؤوس حيوانات. هذا له علاقة بحالات

¹ "Aetoi": طيور الغال، المفضلة لدى زيوس. وبالنسبة لبخوس، انظر (الأعمال الكاملة، المجلد الرابع عشر، صالحة 510، حيث قال يونغ إن الترنيمة الحزينة "الإله العظيم" "هين" قد مات؛" الموصوفة بوضوح في كتاب "بلوتارخ" بعنوان "الأخلاق - *Moralia*" اتسعت لتشمل الإله لبخوس والهة أخرى وأنصاف آلهة في الأزمنة القديمة، ثم ترد صداها في كتاب "هكذا تكلم زرادشت" وإعلانه عن موت الإله. وبالنسبة لـ "بلوتارخ" انظر أثناءه محاضرة 31 تشرين الأول- أكتوبر عام 1934.

² الثيرومورفية: تعني نسب الخصائص الحيوانية إلى الإنسان. المترجم.

الوظائف في تلك الأيام، لكننا غير معنيين بهذه المسألة هنا. أردت فقط أن أوضح أنه من غير الممكن تجنب التعريفات "الثيومورفية" حتى في المسيحية؛ فالنسر أو الثور أو الأسد في التقاليد المسيحية يشبه "إيتوي" أو "الدببة" أو "الأسود" لدى الجماعات الوثنية التوفيقية المشابهة. وأن تصبح المسيحية عالمية يُعتبر امتيازاً. وبشكل طبيعي، هي لم تظهر في القرن الأول لأنه لم يكن يُفترض أن تكون الأناجيل الأربعة مقدّسة حينها؛ كان يُفترض فقط أن تكون أعمالاً جيدة، وجيدة لكي يقرأها المؤمنون بها. لكن تم اختراع الطقوس المسيحية وشريعة الكنيسة والنظام الكهنوتي المنظم وما إلى ذلك، ومن الطبيعي أن تكون الأفكار الوثنية قد تسلت إليها أيضاً.

حسناً، روح الناسك القديم تنحسر الآن: هي تراجع بعد أن عرفت أنه ما من شيء يمكن فعله مع هؤلاء البشر. لقد أصبح الناسك مرتاباً، ويعتقد أن من الأفضل تبجيل الإله في الطبيعة، ليكون دُباً بين الدببة وطيئراً بين الطيور، ليقُلّد أصوات الحيوانات مجدداً، ويفرد كالطيور. وهكذا تم عزله في غابته، وهذا نوع من تقاعد الروح القدس، لقد تقاعدت على الأقل. الروح الجديدة الآن هي المسيح؛ من هنا جاء التشابه بين زارادشت والمسيح. لقد هبط من الجبال بأمل جديد وتوقعات جديدة، ومع رسالة جديدة للإنسان، ثم مرّ بالرفيق القديم. أما الرسالة الجديدة التي لا يعرف للكاهن لا يزال الله نشيطاً، لا زال يعتقد أن الله موجود خارجه؛ لكن زارادشت مقتنع تماماً أنه ما من إله خارجه، وأن الله ميت.

السيدة باومان: إنه يتوافق مع موت "الإله اليوناني القديم بان" منذ ألفي سنة.

الدكتور يونغ: تماماً. يمكن أن نقرأ في الأدب اللاتيني القديم أنه منذ ألفي عام تقريباً أبحر قبطان من الجزر الإغريقية إلى مرفأ أوستيا الروماني،

وطلب مقابلة فورية مع الإمبراطور لإبلاغه بنياً بالغ الأهمية حدث معه عندما كان يُبحر عبر الأرخييل. كان يعبر ليلاً أمام جزيرة وسمع صوتاً غريباً؛ سمع أشخاصاً يصرخون: "بان" العظيم قد مات. وكان "بان" إله الفلسفة في تلك الأيام. وكان في الأصل الإله المحلي للحقول والغابات، وهو أشبه بشيطان النهار، أو "الروح الحارسة" دون أية أهمية فلسفية أو كونية من أي نوع كان. لكن بعد أن تعلّموا اللغة الإغريقية لاحقاً، عرفوا أن الاسم اللاتيني "بان" كان ذاته الكلمة اللاتينية "*pan*" التي تعني "الكل" أو الكون. وهكذا أصبح لديهم أفكار جديدة عن إلههم القديم "بان" وأصبح إله العالم. ثم انتشرت قرابة القرن الثاني الميلادي إشاعات تقول إن الإله العظيم "بان" قد مات، وإن المسيحية انتصرت عليه – المفهوم الأخير الذي خلقتة العصور القديمة لإله الطبيعة. عندما يموت الإله، فهذا يعني نهاية حقبة؛ ومن هنا جاء التشديد الهائل الكامن خلف تلك القصة. وهكذا فقد لاحظنا في هذا الفصل الطريقة التي انحسرت فيها روح الحقبة التاريخية كلها واختفت في الطبيعة، وكيف وُلِدَت مرة أخرى في الوقت نفسه في شخصية جديدة ورسالة جديدة. ومع ذلك لا تزال الشخصية القديمة ذاتها؛ الروح ذاتها التي علّمت الإنسان الفرق بين الخير والشرّ تُبلغنا الآن عن حقيقة أنه ليس هناك أي فرق، وأن ذلك الإله قد مات.

المحاضرة الثالثة

16 أيار - مايو 1934

الدكتور يونغ:

لدي هنا سؤال من السيدة بيلوارد:¹ "أعها المبدعون، إن فيكم الكثير مما هو نجس؛ ذلك أنه كان عليكم أن تلدوا". هل يَلَمَح هذا المقطع إلى الهوية السيكلوجية (ربما الجزء الضروري من الخلق) التي يشعر بأنها نجسة؟ حسناً، لا يوجد علاقة مباشرة للهوية التي تحدثنا عنها بما تعنيه في هذه الفقرة اللاحقة؛ هذه مشكلة الحالة السيكلوجية للإبداع، ولا علاقة لها بتماهي نيتشه مع العجوز. فما من شيء نجس في العجوز الحكيم، ولا يوجد بالضرورة أي شيء نجس في القرينة أو "الشباب الدائم، أو الإله الطفل" وما إلى ذلك. النجاسة التي أُلح إليها في هذه الفقرة الأخيرة هي نجاسة الخلط بين الروح والمادة، وهي ضرورية للخلق؛ فمن دونها لا يمكن لأي خلق حقيقي أن يحدث. لكن لا علاقة لها بالتماهي الذي نهتم به الآن.

¹ في هذا الميمار، سمح يونغ للمشاركين بطرح أسئلة مكتوبة يجب عليها غالباً في بداية المحاضرة الثانية.

أشرت في المحاضرة السابقة إلى الاعتراف بموت الله؛ لقد رأينا هذه الفكرة للمرة الأولى. كيف سنفهم هذا التصريح الذي قاله نيتشه. الدكتور ريكستين: إنه المبدأ التوجيهي الذي يجب أن يحتوي الحياة، إنه الموت.

الدكتور يونغ: نعم، نستطيع أن نفهم الله سيكولوجياً على أنه المبدأ التوجيهي الفائق. لكن علينا أن نفهم جيداً عندما نطبق هذه الصيغة، أو أية صيغة أخرى، أنها صيغتنا دوماً، فهي ما نقوله أو نعرفه، إنها انطباعات والصورة التي رسمناها.¹ إذا رسمت لوحة لمنظر طبيعي مثلاً، فلن تصدق أنه المشهد الطبيعي الحقيقي؛ هذا ما رأيته من المشهد الطبيعي وحسب. ربما رسمت اللوحة بأفضل طريقة ممكنة لكنها لن تكون جميلة أبداً كالمشهد الطبيعي ذاته. إما أنك وضعت شيئاً لا وجود له في المشهد الأسامي، أو تركت شيئاً ما؛ أنت لن تخطئ في كافة الأحوال وتخلط ما بين الأول والثاني. لكن عندما تضع صيغة ما عن الله، يفترض الجميع أن هذا هو الله. وإذا قلت مثلاً، هذا الإله عبارة عن صورة، أو مركّب فيه الكثير من الكثافة العاطفية، أو المبدأ التوجيهي الفائق، أو مبدأ سيكولوجي، يؤكد الجميع حينها أن: الدكتور يونغ قال لا إله إلا هذا. وبالشكل ذاته يتصرف اللاهوتي عندما يقول إن الله يمثل الخير فقط. دون أن يكون لديه أية فكرة

¹ بالنسبة إلى يونغ ونيتشه على حد سواء، تؤدي الانطباعات والتصورات المختلفة إلى حقائق مختلفة. ويزهو نيتشه بنفسه بسبب مقرراته على ربط الانطباعات. "النظر إلى المفاهيم والقيم الصحية من زاوية نظر المرض، ثم عكس العملية بالإطلاع من منطلق الوعي الذاتي للحياة الثرية على هلاوية العمل المريع لغرائز الانحطاط، كانت تلك أطول دربة لي، والتجربة الجوهرية بالنسبة إلي، وإذا ما كانت لدي براعة فبقّما في هذا المجال. لقد تملّكت بالأمر، وغدت لديّ اليوم الخبرة التي تمكّنتني من تحويل زوايا الرؤية؛ إنه السبب الأوّل الذي يمسكته أن يجعلني الوحيد المؤهل لمهنة "قلب القيم". (كتب "هذا هو الإنسان"، فصل "لماذا أنا على هذا القدر من الحكمة").

عن التجديف الذي يتفوّه به. كيف له أن يعرف أن الله هو الخير فقط؟ لقد أزال نصف العالم من نفسه. كيف يمكن لله أن يكون كل شيء إذا أنكرنا عليه ملكة أن يكون شراً أيضاً؟ يرتكب الناس خطأ افتراض أنه ليس سوى فكرتهم عنه، ومن الواضح أن الله لا يدافع عن نفسه أبداً. هو لا يقول: هذا محض هراء! وإذا وصف أحدهم الله بالشيطان، لا أحد يقتل هذا الشخص: يستطيع العيش بعد ذلك بسعادة تامة. يمكن لأحدهم أن يقول إن الله قد مات، ويمكن لآخر أن يقول إنه الأكثر حياة، وهذا لا يشكل فرقاً. لنفترض وجود شيء لا يمكن تصوّره إطلاقاً مثل الله: يجب بالضرورة أن يكون خارج نطاق إمكانية فهمنا؛ وإلا فلن نستخدم فكرة الله. لا بد أن يكون أبعد من إمكانياتنا العقلية. وبالتالي عندما نبذل جهداً ذهنياً لنصوغ شيئاً عن الله، يكون من الواضح تماماً أننا نشكّل الصورة بوسائلنا الخاصة المكوّنة من أدواتنا الخاصة، وهي صورة مقيدة جداً لأن عقلنا غير قادر بالتأكيد على فهم حقيقة كالحقيقة التي يمثلها الله.

والأهم من ذلك أن الخبرة التي لدينا عن شيء يتجاوز ذواتنا بالمطلق لا يمكن إلا أن تكون أثراً معينة في حالتنا السيكلوجية؛ ليس لدينا إطلاقاً أية مادة أخرى يمكننا الحكم من خلالها. إننا مقيدون تماماً بظروفنا الخاصة حتى في تجربتنا السيكلوجية. فعندما أقول شيئاً لشخص ما وأخلق لديه أثراً معيناً، تكون النتيجة المباشرة هي: قال الدكتور يونغ لي كذا وكذا، وكانت ردّة فعلي كذا وكذا. هو لن يماهي ردّ فعله مع نفسه إلا في حالة الامتناع والمزاج السيئ، سوف يعتبرني شيطاناً خالصاً، وربما الشيطان الأكثر قسوة، لكن لن يحدث هذا إلا عندما لا يرى مبرراً لما قلته، أو عندما لا يريد أن يرى أن ردّة فعله كانت على هذا الشكل لأن شخصيته من النوع الذي يؤدي إلى نتيجة كهذه. يمكن للناس البُسطاء وحدهم أن يسقطوا

ردود أفعالهم أحدهم على الآخر. يحدث هذا على مدار الوقت طبعاً؛ أنت ترفس الحجر وتؤلم قدمك ثم تعود إلى رفسها مجدداً. رأيت أحدهم يفعل هذا مؤخراً. لقد تعثر بأنبوب في طريقه، ورمى شيئاً يحمله بيده، ثم عاد ورفس الأنبوب بكل ما لديه من قوة وآلم قدمه مرة أخرى. هذا تصرف بشري جداً بالطبع لكنه محض هراء.

إذاً علينا أن نأخذ بعين الاعتبار دوماً أن ما نقوله عن الله تصوغه سيكولوجيتنا الخاصة؛ لا يمكننا تجاوز هذه الحقيقة. إنها لغتنا وخلايا دماغنا وتجربتنا الفردية، فلا يمكننا أن نُثبت أن بإمكان أي شيء في مفهومنا أن يلامس الوجود الحقيقي لما نُسَمِّيه الله. تبدو صياغة معادلات كهذه عقيمة تماماً لأنه من غير الممكن إثباتها؛ يمكننا فقط أن نسأل: هل هناك آثار غريبة في حالتنا السيكولوجية لا يمكننا أن نضعها إلا تحت عناوين كهذه؟ بمعنى آخر: هل هناك أشياء من نوع "تجربة الله" في سيكولوجيتنا؟ أو ما هو ذلك الشيء الذي نسميه "تجربة الله"؟ كل ما نصوغه عن هذا الأمر صنعتته مفاهيمنا الخاصة، ولا يمكننا إلا أن نفترض ضرورة وجود مفارقة لا يمكن تصوُّرها خلف تجربة لا نستطيع أن نعرف عنها أي شيء بالتعريف. إنها مجهولة تماماً. وبالتالي عندما نفترض أن الله عبارة عن مبدأ توجيبي - حسناً، إن الله بالتأكيد سمة لنظام تفكير معين أو نظام أخلاق معين. لنأخذ الله المسيحي مثلاً، إنه الخير الأسى: الله محبة، والحب هو أعلى مبدأ أخلاقي؛ والله هو الروح، والروح هي الفكرة العليا للمعنى. إن مبادئنا الأخلاقية المسيحية جميعها مستمدة من هكذا فرضيات، والأساس الأسى لها كلها هو ما نسميه الله.

وهكذا فعندما قال نيتشه إن الله قد مات، كان ذلك يعني بطبيعة الحال أن المبدأ التوجيهي الفائق قد مات، وكذلك الروح والحب، الحب المسيحي طبعاً، وكل فكرة تم الإيمان بها في المسيحية: نذكر مثلاً فكرة أن

الله أحبّ الإنسان كثيراً لدرجة أنه ترك ابنه يُصلب لتخليص البشر من الخطيئة، والفكرة التي تقول إن ابنه كان الإله ذاته، وكل تلك الأفكار العقائدية الرائدة. وهكذا يمكن أن تقول أيضاً إن إيماننا المسيحي، أو وجهة نظرنا عن المسيحية قد اختلفت؛ نحن لم نعد نؤمن بالعقيدة المسيحية أو بالمبدأ التوجيهي للأخلاق المسيحية، ولا يمكننا أن نتابع سيكولوجيتنا المسيحية التقليدية. لقد وصف نيتشه نفسه بالملحد، لكن هذه الصيغة ذاتها متأثرة طبعاً بفكرة أن الله موجود عندما كان يُقال عنه إنه موجود. عندما تصف نفسك بالملحد، فأنت تقدّم امتيازاً لتفكيرك السحري البدائي – كما لو أنك تستطيع ابتكار شيء بقولك إنه موجود. وكما قال كانط، إن "الفعل المساعد *is*" ليس سوى صلة وصل في المحاكمة؛ فأنت تحتاج الفعل الذي يعبر عن الوجود، لكنك لا تبتكر أي شيء باستخدامه. إذا قلت إنك تمتلك مئة دولار، فهي لا تكون موجودة بالضرورة.¹ لكن فكرة نيتشه تؤكد تفسيرنا للعجز الحكيم باعتباره الوحي المسيحي الأصلي المستمر في فكرة الروح القدس، أو "المعزي، المواسي، المريح"، المنسحب تدريجياً من العالم ليصبح ناسكاً، ويماهي نفسه مجدداً مع الخلفية الطبيعية التي جاء منها. كما ترى، ظهرت الروح المسيحية الأصلية من اللاوعي، من طبيعة الإنسان، بأكثر الطرق طبيعية. لكن اللاهوتيين والمؤرخين من أتباع المعتقدات المسيحية غالباً ما يحاولون جعلنا نصدّق أن المسيحية نزلت من السماء. لكنها نمت بشكل طبيعي جداً عبر القرون. وكان كل شيء مُعدّاً بشكل جيد. تحدثنا عن الأصل الفارسي للمسيحية، لكنّ قسماً كبيراً منها

¹ ترك إيمانويل كانت (1734 – 1804) تأثيراً هائلاً على يونغ. ومن ناحية إنكاره إمكانية إثبات وجود الله، فزق كانت بين تكهن من نوع "الله هو الخير"، وتأكيد وجوده بعبارة "الله موجود". لقد أكد أنه من غير الممكن استنتاج وجود الله بشكل منطقي. انظر كتاب "لقد العقل المحض" الكتاب الثاني، القسم الثالث.

جاء من مصر، وبعضها حتى من الهند حيث كان هناك أديرة بوذية في بلاد فارس في القرن الثاني قبل الميلاد، وبالتالي ربما تسَلَّت بعض الأفكار البوذية من بلاد فارس إلى الدين المسيحي. ونلاحظ أن جميع الأفكار المسيحية ورموزها كانت موجودة من قبل، وكذلك العديد من مؤسسات الكنائس الكاثوليكية أيضاً. وربما كان القدّاس مُستمداً من الطائفة الميثرية، وينطبق الأمر على الطقوس أيضاً.¹ كانت الأديرة موجودة سلفاً. وكما تعلم، تم التأكيد في عصر الإصلاح على أنه لم يتم التنبؤ بالأديرة العامة وأديرة الراهبات في العهد الجديد، وأشارت الكنيسة الكاثوليكية لاحقاً إلى حقيقة أن الأديرة استُحيثت في الأيام الأولى للمسيحية، وقد أنشأها أول المؤمنين بالمسيح، قبل أن يتم الاعتراف بالكتب المقدسة على أنها مقدسة. زعموا أن الكنيسة سلطة موجودة قبل الكتب المقدسة التي جُمِعت وأعلنت قدسيتها بعد فترة طويلة من تأسيس الكنيسة على يد القديس بطرس (الذي يفترض أنه أسس أول كنيسة على وجه الأرض) وأن المسيح نفسه أعطاهما هذا الموقع قبل أن تُكتب الأناجيل الأربعة. من المثير للاهتمام أن التحقيقات اللاحقة أظهرت أن أدلة الكنيسة الكاثوليكية ليست موثوقة تماماً. فقد أشارت الكنيسة إلى كتاب صغير كتبه "فيلو جودايوس" اليهودي المعروف أيضاً باسم "فيلو الإسكندري"، فيلسوف المسيحية؛ لقد طوّر فلسفة اللوغوس المحتواة في إنجيل يوحنا، وهو الإنجيل الأكثر فلسفية من بين الأناجيل الأربعة.² يوضح كتابه الصغير بعنوان "الحياة التأملية - *De Vita Contemplativa*" أن الأديرة كانت موجودة في زمنه في مصر وربما في جنوب فلسطين في وادي الأردن. لكن

¹ سيتم شرح الميثرية لاحقاً في محاضرة العاشر من تشرين الثاني - أكتوبر 1934.

² فيلو جودايوس (30 ق.م - 45 ميلادية)، الفلاطوني يهودي، غلباً ما تم وصفه على أنه رالد في اللاهوت المسيحي، ولا سيما في عقيدته عن اللوغوس كحالة وسطية بين الله والإنسان.

الكنيسة الكاثوليكية افترضت أنها أديرة مسيحية لأن المرء لا يعرف غيرها؛ لكن بات معروفاً الآن أن تأليف هذا الكتاب قد تم بين عامي (20-24 ميلادية)، أي في فترة لم يكن المسيح فيها قد بدأ بنشر تعاليمه؛ والأهم من ذلك أن الكتاب يتحدث عن الحياة في تلك الأديرة دون أية إشارة إلى المسيحية، وهذا طبيعي تماماً لأنها لم تكن موجودة بعد!

كما كانت الأديرة موجودة قبل أي دير مسيحي، كانت أفكار المسيحية الرئيسة موجودة ومعدّة قبل قرون من ظهورها في المسيحية. ثم تبلور كل شيء من خلال شخصية المسيح الأسطورية نوعاً ما. قالوا إنها أتت فجأة كوشي عظيم، وحاولوا طمس كل أثر لمصادرها، والتغاضي عن الطريقة التي حدث فيها الأمر، وجعله حدثاً فريداً من نوعه كبرق سطع في السماء. لكن يبدو أن العبارة التي تقول "الطبيعة لا تقوم بقفزات" عبارة مبهولة من الناحية التاريخية؛ الطبيعة في حالة تطوّر مستمر. فالروح التي نمت عبر القرون، وبرزت أمام الوعي العالمي لحظة ظهور تعاليم المسيح، حدثت بشكل طبيعي جداً عندما خطّ "ترتليان"، أحد أول آباء الكنيسة، العبارة الشهيرة التي تقول: "الروح مسيحية بطبيعتها"¹. لقد كانت موجودة قبل أن يدركها البشر بفترة طويلة، ولم يكن الانفجار المفاجئ للإيمان المسيحي سوى بزوغ مفاجئ لوعها. وكما أتت من الطبيعة، عادت إليها أيضاً. لقد نقلت ذهن الإنسان من الطبيعة لحقبة من الزمن ووضعت في الاتجاه المعاكس. ويقول القديس أوغسطين مثلاً في إحدى مؤلفاته إن الناس خرجوا ليتعجّبوا من جمال الطبيعة واتساع البحر وعظمة الجبال وما إلى ذلك، فنسوا أنفسهم وفقدوا أرواحهم؛ لقد نصحبهم بالاً ينظروا، وأن يحترسوا من جمال الطبيعة لأن هذا خطأ كله؛ كانت فكرة إدخال "مزيج

¹ "anima naturaliter christiana": كوينتوس سبتيموس فلورين ترتليان (160 - ؟ م) من قرطاج، كان محمياً وخطيباً ومدافعاً عن المسيحية.

الغشّ الشيطاني – *admixtio diabolicae fraudis* "موجودة في كل شيء، وكان الشيطان كامناً في كل شيء طبيعي. وبقيت هذه الفكرة موجودة في الطقوس التحضيرية للقداس. يوجد مثلاً في طقوس الصلوات شعيرة سحرية خاصة تُدعى "نعمة إضاءة شمعة في شمعدان المذبح"، بغية تنقية مادة الشمع الطبيعية التي يُنتجها النحل من "مزيج الغشّ الشيطاني". لقد افترضوا أن كل ما يأتي من الطبيعية دنسٌ بسبب احتوائه آثاراً شريرة أو مكونات أساسية منها، أي إنها من عمل الشيطان، وهكذا ينبغي على الإنسان تطهير الأشياء قبل استخدامها في الأماكن المقدسة. هناك أيضاً "بركة الملح". عند تطبيق القداس، يقوم فتیان الكورال بهزّ عبوات البخور لديهم لجعل الدخان يرتفع، فالدخان مطهرٌ روحي. والجراثيم ذات الطبيعة الشيطانية موجودة في الهواء، ودخان البخور يطرد الشياطين المحيطة بالمذبح. ففي كل تفصيل، رفعت الروح المسيحية في القرون الوسطى شيئاً ما في الإنسان، رفعت روحه أو طاقة الحياة لديه كي يتعد عن الطبيعة.

لكننا بدأنا نرى ردود الفعل الأولى بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر. حدث حينها أن تسلّق الشاعر "فرانشيسكو بتراركا" جبلاً للمرة الأولى ليستمتع بجمال المشهد؛ تسلّق جبل مونت فينتوكس في بروفينس، وكان لدى البعثة كل أنواع التوقعات والمخاوف لأنه كان من المفترض أن قمم الجبال مسكونة بشياطين من طبيعة خاصة، لكن جرأة البعثة التجديفية وصلت إلى حد جعلها تتسلّق تلك المرتفعات.¹ وبعد ذلك ازداد احتواء الروح

¹ فرانشيسكو بتراركا (1304-1374) كان شاعراً وباحثاً إنسانياً. في الفترة التي كانت تُعتبر بها المرتفعات مجرد عيوب بصرية وعقبات، بدأ يحتل بجمالها بأبيات شعرية. وعلى أية حال، تُشير السجلات إلى أن تجربته الأكثر أهمية على جبل "مونت فينتو" كانت الفتحة نسفت من كتاب القديس أوغسطين بعنوان "عثرات"، وتأتي بعد فترة تتحدث باستنكار عن أولئك الذين "مضوا إلى احترام الجبال العالية والمحيطات وطريق الجنان... ويتكبرون أنفسهم" (الكتاب العاشر، الفصل

المسيحية لأهمية الطبيعة. وسرعان ما حلَّ الرسامون الذين اكتشفوا جمال الجسد كله، والأشياء الطبيعية كلها، محل أولئك الفنانين البدائيين الذين انغمسوا في رسم الأجساد البشعة غير المفصلة؛ ثم جاء عصر النهضة وانبعاث الروح من العصور القديمة والمشاعر القديمة المرتبطة بالتواصل مع الطبيعة. ونحن لا نزال حتى الآن ضمن عملية التعرّف على روح الطبيعة مجدداً بشكل مناقض لروح القرون الوسطى. وفي أيام نيتشه، وصلت هذه العملية التي يمكننا القول إنها بدأت مع "بتراركا" إلى ذروتها؛ إذ بات معروفاً أن المبدأ المسيحي كان قد مات. وذلك باعتراف العصر المادي الذي بدأ مع عصر التنوير الفرنسي حوالي عام 1730، ومع الموسوعيين والفلاسفة مثل دنيس ديدرو وفولتير وآخرين.

التصريح بأن الله قد مات أهمّ تصريح بالتأكيد. ويمكن القول إنه توضيح لمشكلة هكذا تكلم زارادشت كلها. وكما تعرفون، يوجد في بداية الحلم جملة قصيرة أو صورة توضح موضوع الحلم، وهذا التصريح توضيح أيضاً. لقد وجّه زارادشت ذلك التصريح للعجوز الحكيم، أي للروح المسيحية القديمة، الذي أصبح مرتاباً للغاية وفضّل عزلة الجبال والغابة على العيش بين البشر. وقدّم نصيحة جيدة لزارادشت: طلب منه ألا يعطي البشر شيئاً، بل أن يأخذ عنهم شيئاً من وزرهم، ويساعدهم على حمله؛ ذلك سيسعددهم أيّما سعادة. ومع ذلك، اعتقد أنهم لن يقبلوا الرسالة الجديدة.

نصل الآن إلى رموز معينة أودّ أن ألفت انتباهكم إليها. في الفقرة الرابعة من الفصل الثاني مثلاً، يقول العجوز الحكيم: "أجل، إنّي أنعرّف على

الثامن). في أصل يونغ الكاملة، المجلد الخامس، يستشهد يونغ "بوصف بيركهارت المثير للإعجاب" حول هذا الحدث.

زارادشت. صافية عيناه، ولا شيء من علامات الاشمزاز على قمه. ألا تراه كيف يسير مُقبلاً كالراقص؟" سترد صفة الراقص أو ميزة الراقص مراراً لاحقاً، واقترح أن يقوم أحدكم بالإشارة إليها عندما نصادفها. هناك يتم تشبيهه بالراقص للمرة الأولى، دون أن نعرف السبب، لكن لدى مقارنة هذه الفقرة بالفقرات الأخرى، نفهم بشكل أفضل ما تعنيه. في الفصل الثالث، يسقط راقص الحبل. ثم يظهر الرمز ذاته في الفصل الخامس؛ هناك يأتي الدافع إلى الرقص مجدداً في صلة مع النجم الذي يولد من القوضى.¹ وتحدث انطباعات رمزية أخرى في ارتباطات مختلفة. وتوجد في البداية تماماً فكرة غروب الشمس أو هبوط زارادشت مثلاً.

السيدة كرولي: فكّرت كثيراً: بلقاء هذين العجوزين الحكيمين. يبدو لي بأنه توضيح للمشكلة بأكملها في بداية الكتاب. وأنا أتساءل ما إذا كان بإمكاننا أن نفسره بطريقة أخرى إضافة إلى الطريقة التاريخية، أي إن زارادشت (.....) الحكيم العجوز، هو روح الطبيعة بالمعنى الأبدي الخالد، بينما يمثل زارادشت الوعي كواقع متحول. وأعتقد أنها كانت نقطة هامة أن يتحدث عن عدم كمال الإنسان، وهذا يفترض فكرة أن القيم الروحية تأتي وتذهب، لكن الإنسان ورث تلك العناصر الأبدية بصفته حيواناً، وأعني طبيعته الغريزية.

الدكتور يونغ: نعم، أنت على حق تماماً. العجوز الحكيم في الغابة والعجوز الحكيم في كهنا تكلم زارادشت هما الشيء ذاته. هذا هو الحال دوماً. العجوز الحكيم هو في الوقت نفسه الشخص الذي يذهب، والشخص الذي يأتي، وكل ما هو موجود وغير موجود أيضاً. الموجود اليوم لن يكون موجوداً غداً. ففي هذه العملية الذهنية البسيطة التي تفترض أن

¹ نظراً لاستخدام نيثشه الرمزي لكلمة "راقص" أو "رقص"، تفضل جميع الترجمات هذا الأداء الحرفي لكلمة "Seiltänzer" الألمانية التي تعني "الراقص على الحبل المشدود".

الزمن هو امتداد يعرف أن ما كان، لا يزال موجوداً، وما سيكون، كان موجوداً سلفاً: بقدر ما تحدث الأشياء في هذه الحالة الأبدية، تكون موجودة دوماً. وبالتالي فإن ذلك النموذج البدئي للعجوز الحكيم كان زارادشت في القرن التاسع قبل الميلاد، وهو زارادشت الآن. كما كان المسيح، وكان النبي محمد، وكان "ماني". لقد ذهب وعاد، مات ووُلِدَ مجدداً. هي بالطبع خرقاء للغاية ومتناقضة، لكن الأشياء تحدث كذلك في اللاوعي: تصادف حقائق غريبة من هذا النوع هناك. وما هو موجود في اللاوعي الجمعي، موجود في العالم أيضاً. عندما ننظر إلى السماء وتتعبج من جمال النجوم، فأنت لا تراها كما هي الآن بل كما كانت منذ ملايين السنين. أنت ترى بوضوح نجماً جديداً يتوهج، لكن ذلك النجم أصبح متوهجاً عندما كان توت عنخ أمون فرعون مصر، وربما لم يعد له وجود الآن. لأنه إذا حدثت معجزة أزالتم جميع نجوم السماء من الوجود، فستستمر في رؤيتها مدة أربع سنوات: قد يختفي حينها أول نجم من السماء، وبعد عشرين سنة أو خمسين سنة ربما تختفي نجوم أخرى، لكن السماء ستبقى كما كانت، ويتطلب الأمر ملايين السنين حتى يتلاشى آخر نجم. وهكذا نحن نعيش باستمرار في عصر لا تزال توجد فيه الأشياء التي كانت من قبل. والمزعج في ذلك أننا لا نستطيع أن نرى ما سيكون عليه الأمر في المستقبل. لكن لا وعينا أمام عينينا بطريقة ما، ولديه فكرة عما هو آتٍ، لأن المستقبل يُخلق من خلال الماضي البعيد.

السيد باومان: أود أن أسأل لماذا يمثل "شيفا" الرقص دوماً؟

الآنسة وولف: الرقص هو رمز الخلق بحسب كتاب البروفسور زيمر.¹

¹ هنري زيمر (1890 – 1934)، ألماني مختص بالدراسات الهندية، كان صديقاً مقرباً من يونغ، ومرشده في الديانات الهندية واساطيرها. من المحتمل أن الكتاب المُشار إليه هو كتاب

الدكتور يونغ: نعم، الرقص مرتبط دوماً بالخلق. فرقصات شيفا أصل العالم ودماره. وولادة النجم الراقص من الفوضى هي رمز للخلق.
الدكتور ريكستين: لكن الرقص مع الذات يُعتبر دوماً تعبيراً عن وحدة الكائن.

الدكتور يونغ: هل تقول إنه رقص إبداعي في تمثيل حالة اتحادك ككائن، أو اتحادك مع ذاتك؟
الدكتور ريكستين: نعم، فيه أثر إبداعي.

الدكتور يونغ: لكن حول أي شيء؟ ما هو الأثر الإبداعي؟

الدكتور ريكستين: قد يكون مختلفاً، يعتمد ذلك على نوع الرقص.

الدكتور يونغ: بالضبط. لا يكون الرقص بهدف الوحدة مع الذات أو إظهارها فقط، بل يمكن أن يكون بهدف هطول المطر أو خصوبة المرأة أو الحقل، أو لتهمز عدوك. ترتبط فكرة الأثر أو فكرة خلق شيء ما دوماً بفكرة الرقص. وبناءً عليه، كان الرقص في الأصل طقساً سحرياً يؤدي إلى خلق شيء ما، وكان الفكرة الأصلية حتى للعمل. عندما يرقص البدائيون، فهم يعملون فعلاً، هم يرقصون حتى يصيبهم الإنهاك؛ يستطيعون الرقص مدة ثمان وأربعين ساعة متتالية. ففي رقصات الظبي الخاصة بهنود المكسيك مثلاً، يرتدي أحد المشاركين جلد الظبي وقرونيه، ثم يقوم الصيادون بمطاردته وإطلاق سهام زائفة عليه. ويستمر بالرقص حتى يُنْهَك تماماً فيأخذ شخص آخر موقعه، وتستمر العملية بهذا التعاقب لأيام. إنها

"(1926) *Kunstform und Yoga im indischen Kultbild*", وقد ترجمه إلى الإنكليزية جيرار شابل وجيمس لاوسن بعنوان "الأشكال الفنية واليوغا في صور الهند المقدسة (برينغتون، 1984). ظهر الكثير من أفكار هذا العمل في كتاب بعنوان "أساطير ورموز في الفن والحضارة الهندية" (برينغتون، 1946)، وفي كتاب "الفن في الهند وآسيا" (برينغتون، 1955) وهما كتابان قام بتحريرهما جوزيف كامبل.

طقوس خاصة تُقام قبل موسم صيد الظباء، وتُمارس بوضوح من أجل تجميع قواهم كلها في إطار العقل والموقف المرتبط بصيد الظبي أو إنتاج المزيد من إمدادات اللحوم، أو لجذب الطرائد. هم يراقصون الحيوانات بغية جذبها مثلما يغني صيادو المحار في سكوتلندا من أجل المحار. ويغني الناس في سويسرا للأبقار ما يسمونه أغنية "ranz des vaches"، أو "Kuhreißen"، بغية أن تمنحهم الكثير من الحليب وتُنَجِّب العجول. ثمة الكثير من الطقوس البدائية التي تهدف إلى الخصوبة أو العلاج من الأمراض. يرقصون للأمراض، ويمثلون شياطين الأمراض ويراقصونهم بهدف قتلهم. وهكذا فإن الأفكار الأولى للكفاءة أو الأثر كانت تعود إلى تجارب سيكولوجية غريبة من خلال حركات إيقاعية: لقد تطوّر الأثر من خلال التكرار الإيقاعي الذي يمسك بالنظام كله ببطء. إن طبل الشعوب البدائية مثلاً، إيقاع دوم دوم دوم، له تأثير موجٍ للغاية؛ بعد فترة معينة، يهتز النظام كله بشكل إيقاعي، ويدخلون من خلال هذا الإيقاع في حالة من "النشوة"¹ التي يبدأ فيها الأثر، حالة قد تجعلهم يشاهدون رؤى تساعدهم على إنعاش شجاعتهم أو تركيزهم. إذاً فالشعوب الكسولة بطبيعتها تفعل الأشياء بسرعة كبيرة وتركيز هائل.

راقبت مرة أداءً مذهشاً في شمال أفريقيا، جنوب تونس.² يعود المزار في تلك الدولة لشخص مقدّس مسؤول عادة عن غذاء الفقراء، ويُلقَّب بـ "الشخص الذي يطعم الفقراء". هو لا يستطيع إطعامهم جميعاً من جيبه

¹ Ekstasis: هي الجذر الإغريقي لكلمة "ecstasy - نشوة، ابتهاج"، قد تعني بالشكل الحرفي "التسبب في حالة من الانفصال".

² انظر كتاب "نكريات وأحلام وأفكار" الفصل التاسع، وخطب إيمانويل يونغ الملحق، للاطلاع على تقرير يونغ عن تجاربه في شمال أفريقيا، وكذلك عن زيارته لمدينة نيومكسيكو، حيث اطلع على أساطير هنود البويبلو ورقصاتهم.

الخاص، لكنه اتجه إلى الأرض وزراعتها لتحقيق هذه الغاية، تلك الأرض التي يزرعها عمال متطوعون؛ يعملون هذه السنة في هذه القرية، وفي السنة الأخرى في أرض أخرى. يعمل الرجال ليومين أو ثلاثة على أملاك المزار، ويمارسون ذلك كنوع من الطقوس. رأيهم يجتمعون في الليلة السابقة مع جمالهم، المئات منهم بلافتات خضراء، ثم في الصباح بدأ قرع الطبول والغناء، وبأشر الحشد كله بالرقص. كانوا يحملون سلافاً أو أكياساً، ومعاول قصيرة بدل المجارف، ثم ملؤوا تلك الأكياس برمال وزن مئات الباوندات أو أكثر، وركبوا حاملين تلك الأكياس إلى مكان آخر حيث كانوا يبنون السدود ويشقون قنوات صغيرة لسقاية التربة الجافة جداً. وكل هذا العمل المجهد يُمارس بخطأ راقصة. يصيهم الإنهاك طبعاً في فترة الظهيرة بسبب الحرارة المرتفعة، لكنني راقبتهم لساعات طويلة وهم في قمة كفاءتهم. لقد بنوا سدّاً هائلاً خلال بضع ساعات. وأنا واثق تماماً من أنني لو استطعت استئجار تلك المجموعة مقابل ثلاثة شلنات أو أربعة، سيكون من الصعب تحريكها؛ سيكونون متعبين جداً وضجرين من الحرارة وجائعين.

سنابع الآن الفصل الآتي:

عندما وصل زارادشت أول مدينة قرب الغابة وجد حشداً كبيراً مجتمعاً في ساحة السوق؛ كانوا قد سمعوا بقدوم هيلواني إلى هناك. وهكذا خاطب زارادشت الحشد:

"إنني أعلمكم الإنسان الأعلى. الإنسان شيء لا بدّ من تجاوزه. فماذا فعلتم كي تتجاوزوه؟

كل الكائنات ظلت حتى الآن تُبدع أشياء تفوق مستواها؛ أترغبون أنتم أن تكونوا حالة الجزر في هذا المدّ العظيم، أفضّلون العودة إلى منزلة الحيوان على تجاوز الإنسان؟

ما القرد بالنسبة للإنسان؟ أضحوكة وموضوع سخيرة وعار. هكذا
يجب أن يكون الإنسان قياساً بالإنسان الأعلى: أضحوكة وموضوع سخيرة
وعار.

لقد سلكتكم درياً طويلاً من الدودة إلى الإنسان، ولا زال في أعماقكم
الكثير من الدودة. كنتم قردة ذات يوم، ولا يزال الإنسان حتى الآن قرداً
أكثر من القرد نفسه.

والأكثر حكمة بينكم لا يعدو كونه خليطاً من نبات ومن شبح. فهل
أدعوكم لأن تصيروا نباتات وأشباحاً؟

انظروا، إنني أعلمكم الإنسان الأعلى!"

في بداية هذا الفصل نتابع القصة. هناك دوماً حركة معينة، أو قصة
معينة تستمر في جميع الأخيولات اللاوعية. كان زارادشت بداية في الجبال،
ثم نزل إلى الغابة وسار عبرها حتى التقى بالعجوز الحكيم، وها هو الآن
يصل إلى مدينة قرب الغابة. هذا يشبه الأخيولات بشكل عام، نوع من
الدراما التي تشكّلت في زمنها وموقعها. إنها رمزية طبعاً. فالموقع في أعلى
الجبل، وهو مكان مرتفع يتوافق، كما سنرى لاحقاً، مع وعي مكثف
بمستوى الشمس: هناك يكون المرء منعزلاً. أما الهبوط فيعني الوصول إلى
المستوى الأدنى حيث يجتمع المرء مع الإنسان الموجود في ذاته، أي الكائن
البشري الجمعي العادي. أنت لا ترتبط بالبشر الآخرين من خلال تمايزاتك
العليا، أو من خلال ما يُسمّى وظائفك الفائقة المتميزة، بل من خلال
وظائفك الدونية. لكن التمايز يساعدك على أن تكون مستقلاً. فإذا
استطعت العيش بالكامل من خلال التمايز، لن تحتاج إلى أي كائن بشري
آخر؛ لن تكون ملتزماً بأي شخص، ولا معتمداً على أي شخص. لكن حيث
تكون دونياً وغير فعال، ترتبط بالبشر. يكون الرابط الحيوي الحقيقي دوماً

من خلال الجانب الدوني. أي من خلال "الإنسان المفرط في إنسانيته" كما يقول نيتشه.¹

وصل زارادشت في البداية إلى الغابة، والغابة مظلمة ومثيرة للريبة. وهي بالنسبة للشعوب البدائية موطن الأشباح المليء بالمجازفات المجهولة والمخاطر. إنها المكان الذي يُسقط فيه اللاوعي. وبالتالي كان زارادشت يهبط من سوية الوعي العالية إلى اللاوعي تقريباً لكي يصل إلى الإنسان المنفصل عن الوعي الفائق من خلال حقيقة أنه غير واعٍ للمستوى العالي. توارى الجبل عن نطاق نظره بسبب الغابة، وبسبب روح العجوز التي تسكن الغابة. ووصل إلى المدينة، إلى المكان الجمعي. وصل إلى مستوى البشر العاديين ليتحدث إلى رفاقه البشر. الشخص الأول الذي التقى به هو راقص الجبل المشدود. فإذا كان ذلك حلاً أو أخيلة، ما الذي يعنيه برأيك؟

الدكتور ريكستين: إنه يوحى بصورة كاريكاتورية لزارادشت بالحالة التي هو عليها؛ إنه يرقص دون تواصل مع العصر.
الدكتور يونغ: هل تفترض أنه انعكاس صورة في المرآة أو صورة كاريكاتورية لزارادشت؟

الدكتور ريكستين: ربما كانت صورة للزمن، لأن الناس قطعوا تواصلهم مع الأرض. والرقص في الهواء هو ما يحاول الناس فعله.
الدكتور يونغ: يوجد في الفصل الآتي، المقطع الرابع، تأكيد لهذه الفكرة؛ إذ يقول:

"الإنسان جبل معقود بين الحيوان والإنسان الأعلى - جبل فوق هاوية.

¹ عنوان كتاب نيتشه الذي صدر عام (1878) ويشرح سيكولوجيا الإنسان. لقد أدرك أن معبوده القديم، "الفاطر المقدس" كان مفرطاً في إنسانيته.

خطير هو العبور إلى الضيقة الأخرى، خطير هو الطريق، خطير النظر إلى
الوراء، خطير هو التردد، والتوقف خطير.
تكمّن عظمة الإنسان في كونه جسراً لا هدفاً؛ وما هو مستحبّ فيه هو
كونه معبراً وصبرورة اندثار¹.

الاندثار هنا ترجمة للكلمة الألمانية "Untergang"، لكن ليس لهذه
الكلمة مرادف إنكليزي حقيقي.¹ هذا يبين أن راقص الحبل مرادف له، أو
هو ذاته من جانب معين – جانب الظل كما يمكن لنا أن نقول، لأنه لم
يكن واعياً لحالة التماهي التي يعيشها. يظهر بوضوح في أي مكان أن
زارادشت هو راقص الحبل المشدود، لكن سيوضح أكثر بعد أن نتابع
القصة أن راقص الحبل المشدود هو نيتشه بالمستوى ذاته أيضاً. ومنتابني
الكثير من الشكّ في أن نيتشه يدرك ذلك. لكن على أية حال، يوجد في
المراحل المتقدمة من هذا الكتاب أدلة كثيرة على أنه هو نفسه راقص
الحبل المشدود، في النبوءة التي ارتبطت بمصيره ولا يمكن أن يكون مدرّكاً
لها. وهكذا أطمئن وأنا أفترض أن نيتشه لم يكن واعياً إلى أن زارادشت كان
راقص الحبل المشدود. وكما تعرفون، إذا ظهرت شخصية كهذه في الحلم،
أي إذا واجهت نفسك متلبساً هيئة شخص معين مثلاً، يمكنك أن تستنتج
أنك غير واعٍ لحقيقة أنك تشبه ذلك الشخص في جانب ما. وإذا كان
حيواناً، تكون غير واعٍ لوجود هذا الجانب من الحيوان فيك. أنت تفترض
دوماً أنه شخص آخر، ولهذا فمن الطبيعي جداً ألا يتعرّف نيتشه على تلك
الشخصية. لكننا نحلم أحلاماً كهذه من أجل مقابلة شيء في أنفسنا هو

¹ ترجم كوفمان كلمة "untergang" على أنها "Goning under – النزول تحت الشيء،
الغروب أو الهبوط أو الهلاك".

غريب عنا أساساً، وهذا ما جعل نيتشه يواجه هذا الجانب من نفسه، هيئة راقص الحبل المشدود المؤسفة. إنها مهنة بالية رديئة كونها تتيح مجالاً واسعاً لخطر السقوط والموت.

يبدأ الآن خطابه عن الإنسان الأعلى.¹ نواجه هنا للمرة الأولى مفهوم الإنسان الأعلى. لقد أعطاه تعريفاً معيناً يجعله كائناً يمكن للإنسان أن يخلقه من خلال مسعيه البطولي لخلق شيء يتجاوز ذاته. لكن من الطبيعي أن يكون أي خلق يتجاوز الذات، لأن المرء كائن موجود سلفاً، وإذا أراد خلق شيء جديد، فلا بد أن يكون متجاوزاً حالته. إن جوهر الخلق، أو مبدأ الخلق تحديداً، سيكون شخصاً يتجاوز الذات الموجودة، وهذا هو الإنسان الأعلى. يقول نيتشه: "الإنسان شيء يجب تجاوزه"، أي ينبغي التغلب عليه. والآن ما هو الرابط بين التصريح الوارد في الفصل السابق، أي موت الله، والتصريح الوارد في بداية الفصل الجديد؟

الأنسة حنة: يعني أن احتمالات إسقاط الله على شيء خارج ذاتنا قد انتهت. لقد انتهت هذه الحقبة الآن وعلينا أن نبحث عنه في أنفسنا، أو بالأحرى، في الذات.

الدكتور يونغ: نعم، وهذا عملياً ينقلنا إلى السؤال الآتي: ماذا يحدث للإنسان عندما يُعلن أن الله قد مات؟ لا بد أن يحدث شيء، لأن الله لا يزال حياً لدى الناس الآخرين معلنين بذلك أنهم يفوضون بعض عملياتهم الحيوية المعيّنة إلى مجال ما يسمونه الله.

السيد أليمان: يعني ذلك زيادة في الوعي، أي كسر لما هو محظور. الدكتور يونغ: ليس بالضرورة، لكن ثمة زيادة لشيء ما من خلال ذلك.

¹ معظم الترجمات الحديثة من الألمانية إلى الإنكليزية أعطت كلمة "Übermensch" التي تعني الإنسان الأعلى أو الإنسان الفائق، معنى "overman" والتي تعني الحاكم المطلق.

السيد أليمان: مسؤولية الإنسان تجاه نفسه.

الدكتور يونغ: يمكن للمرء أن يقول "مسؤولية" إذا افترض أن الوعي قد ازداد؛ فلا مسؤولية من دون الوعي طبعاً.

تعليق: لا بدّ أن يعتمد على ذاته إذا لم يجد من يرشده.

الدكتور يونغ: نعم، هو من دون الله بقدر ما يفترض أن الله يرشده. لكن لدينا هنا حالة خاصة: فالآلهة لا ترشد دائماً، وقد تُخطئ بالإرشاد أيضاً. فنحن نصليّ لله المسيحي كي لا يرشدنا إلى الغواية. وقد رفضت إحدى بناتي الصغيرات أن تتلو هذه الصلاة لأن الله لا ينبغي أن يفعل أشياء كهذه. نحن لسنا سوى نمل صغير، لسنا حتى أطفالاً، بالمقارنة مع الله. وأن يشعر الله بمتعة شريرة في توجيهنا نحو أشرار الخطيئة لهو في الواقع عمل شرير للغاية.¹ لكن هناك تأثير واضح يحدث عندما تعلن أن الله قد مات.

السيدة كرولي: التضخم.

الدكتور يونغ: بالطبع. لأنك تعلن حينها أن بعض العمليات الحيوية التي يفترض أنها ترجع إلى كائن خارجي بالنسبة إليك، أصبحت الآن ميتة. إما أنها لم تعد موجودة أبداً، أو أصبحت من نشاطك الخاص. والآن، طالما أن هذه العمليات لا تتأثر بما تصرّح به أياً كان ذلك، فهي لا يمكن أن تموت، وهي لم تمت مطلقاً. هي تحدث كما كانت تحدث دوماً، لكنها تحدث الآن تحت عنوان إخيولاتك الخاصة، وبفعلك أنت. وبدلاً من قول: "تكلم الله معي في الحلم"، تقول: "حلمت حلماً"، أو صنعتُ حلماً: إنه نشاطك الخاص. ثم يأتي أحدهم ويقول: "أنت مرعب، كيف لك أن تصنع هكذا حلماً جهنمياً؟"، ويراودك شعور بأنك شخص فظيع لكي تحلم حلماً كهذا!

¹ كتب يونغ في إحدى المرات: "ما يمكن للإنسان أن يعرفه عن الله... أقل مما يمكن للنمل أن يعرف عن محتويات المتحف البريطاني" (الأعمال الكاملة، المجلد السابع، صفحة 394).

القديس أوغسطين شكر الله كثيراً لأنه لم يجعله مسؤولاً عن أحلامه الخاصة.¹ فقد بقي مؤمناً بالنشاط اللا شخصي. ولو لامست ذهنه فكرة موت الله لكان سيُشعر بأقصى درجات السوء، لأن أحلامه حينها ستكون من صنعه، وأي شرّ أو أي خير فعله الله حتى اليوم كان من فعله الخاص. إذا أصبح الإنسان واعياً لذلك، يمكن لمسؤوليته أن ترتفع إلى مرحلة يتضخّم فيها الوعي بشكل هائل. لكن أيضاً إذا لم يع الشخص ذلك، أي إذا لم يعرف ما الذي فعله بإعلانه موت الله، يمكن أن يحدث لديه تضخّم في شخصيته كلها. وبعدها سوف يتضخّم لاوعيه؛ سيعيقه الحضور المستمرّ لله في اللاوعي، وهذا أصعب بكثير طبعاً. تحدث معه بعض الأمور ويعتقد أنه المسؤول عنها. وقد تخطر بذهنه فكرة مثلاً ويعتقد أنه من أكثر البشر انعداماً للأخلاق بسبب هذه الفكرة. إننا هستيريون للغاية ولا يمكننا أن نكون موضوعيين: نعتقد أننا فعلنا هذا وذاك لأننا لا نفترض أن تلك الأشياء حدثت وحسب.

يشبه اعتقادنا هذا حالة شخص يمشي في غابة ويقول في نفسه عندما يعترض حيوان طريقه: "لماذا جعلتُ هذا الحيوان يعترض طريقي؟" والعقل أشبه بغابة تحدث فيها أشياء من كل نوع. لقد صدّقنا سابقاً (....) أن تلك الأشباح الشيطانية مارست خدعاً سيئة، وهذا كله يجعلنا نتخلّص من المسؤولية عن نشاطات معينة. لكن إذا أعلنت أنه ليس هناك شبح من أي نوع كان، فسوف يكون ذلك كله من صنع يديك؛ أو الأسوأ من صنع زوجتك

¹ على الرغم من أنه شعر بما يلزمه بالابتعاد عن "شهوة الجسد"، اعترف أوغسطين لله بأنه لا يحلم أثناء نومه بالفكر تسبب المتعة فحسب بل هو يرى أنها مقبولة نوعاً ما ولها شيء يشبه الواقع إلى حد كبير (كتاب "اعترافات"، الكتاب العاشر). لكن نيتشه، على النقيض من ذلك: "لا شيء يكون لك أكثر من الأحلام! لا شيء من عكك الخاص أكثر من الأحلام!" (مسلسلة Daybreak - الفجر"، الكتاب الثاني، صفحة 78).

أو جيرانك أو أطفالك وما إلى ذلك. هذا سيئ للغاية. (...). وحينها يصبح ما يفعله الناس هاماً جداً لأنك تفترض أنهم يعرفون ما يفعلونه، وأن الشيطان وحده يمكن أن يفعل أشياء كهذه. لكن أولئك الناس غير واعين أبداً، كما أنك غير واعٍ؛ أنت حقاً لا تعرف ما تفعله، لأنك لست إلهاً؛ ومع ذلك، تتصرف كما لو أنك إله. هذه هي النتيجة الحتمية، وعندئذٍ تصبح هاماً جداً طبعاً ومسؤولاً عن العالم كله. وإذا كنت ميالاً لأن تكون مسيحياً جيداً، فمن الطبيعي أن تحصل على أوهام المخلص. أنت تعتقد بطريقة ما على الأقل أنك مخلص صغير، وأن عليك أن تبشّر الناس وتخبرهم ما هو الجيد بنية صافية. لكن أسبابك سيئة للغاية لأن محاولاتك كلها لا تهدف إلا إلى التخلص من تضخمك.

والآن، عندما أعلن نيتشه موت الله كان في مواجهة راقص الحبل المشدود، فمن هو راقص الحبل المشدود؟

السيدة ستودز: إنه يمثل المخاطرة الكبرى للتضخم.

الدكتور يونغ: حسناً: راقص الحبل المشدود هو مقدار القوة (.....). وفكرة أن الإله راقص هي فكرة وثنية للغاية، وتقوم الفكرة الهندوسية على أنه يرقص لخلق العالم وتدميره أيضاً. لكن الله بصفته خالقاً ومؤلفاً وصانع أشياء هو فكرة مسيحية أيضاً. (.....) لذلك، من خلال تماهي نيتشه مع الإله، أصبح مُجبراً على اتخاذ موقف بطولي يتضمن احتمال تدمير الذات: أصبح حجمه أكبر من ذاته بسبب التضخم. لا يمكن للمرء أن يقول إن ذلك كان سيئاً: إنها صناعة البطل. وكما تعرفون، يجب أن يكون للبطل نزعة تدمير ذاتية هائلة ليصبح بطلاً. إننا نُشيد بالبطل، ولدى البطل شرارة سماوية وإلا لن يكون بطلاً. إذاً فإن راقص الحبل المشدود هذا يواجه نفسه كبطل، لكنه يكون في الوقت نفسه صانع تدميره الشخصي.

إلا أن البطل لا يلعب أي دور في اللحظة الحالية؛ لأن نيتشه يحاول أولاً تعليم الناس فكرته عن الإنسان الأعلى.

ويتابع نيتشه الحديث عن الإنسان الأعلى باعتباره قادراً على خلق نفسه؛ أصبح زارادشت الآن هو التعبير عن الإنسان وعن الإله في آن معاً؛ إذ أصبح بإمكانه الآن أن يلغي نفسه ويخلق كائناً يتجاوز الإنسان، ويُفترض أن هذا الجديد مكون من الإنسان والإله. ثم يقول: "خلقت الكائنات جميعها حتى الآن أشياء تتجاوز ذواتها"، وإن لم يفعل الإنسان هذا، عليه العودة إلى الحيوانات. وهذا ما يفسر تصرف العجوز في الفصل السابق: هو لم يخلق أي شيء، لذلك يعود إلى الحيوانات، إلى الطبيعة. وكما ترى، أولئك الذين لم يخلقوا أنفسهم يعودون إلى الحيوانات. إن فكرة التجديد الذاتي فكرة دينية عامة. لكن في أي نوع من الطقوس التاريخية تعبر هذه الفكرة عن نفسها؟

السيدة بايزن: في طقوس إعادة الولادة وطقوس البدء.

الدكتور يونغ: نعم، جميع طقوس إعادة الولادة في الأديان تعبر عن إعادة التجديد الذاتي، وهي مرتبطة دوماً بفكرة أن الإنسان في تجديده الذاتي يفعل الشيء ذاته الذي يفعله الله. ويكون إلى هذا الحد هو الله ذاته. إن معمودية المسيح في نهر الأردن مثلاً هي لحظة ولادته من قبل الله نفسه. وبحسب التعاليم "الدوسيتية"، كانت اللحظة التي دخل الله فيها في المسيح الإنسان. كان المسيح إنساناً عادياً حتى تمت عمادته، أي عندما دخل الله فيه وأصبح الإنسان الأعلى أو الإنسان الإله. وبقي الإنسان الإله حتى تلك اللحظة التي سبقت صلبه عندما نزع الدم. عندئذٍ تركه الله،

وكان المسيح الإنسان العادي الذي تم صلبه وليس الله أبداً. لذلك قال وهو على الصليب: "إلهي، لماذا تركتني؟"¹

هذا الاعتقاد "الدوسيتي" القديم كان طبعاً اعتقاداً هرطقياً بالنسبة للعقيدة الكاثوليكية، لكنه استمرّ على مدى عقود، ولا يزال باقياً بطريقة أو بأخرى لدى بعض الطوائف الباطنية.² إذاً من دون طقوس إعادة الولادة، يكون الإنسان أشبه بحيوان. وفي الكنيسة الكاثوليكية ينبغي تعميم الناس للحفاظ عليهم من الحالة الطبيعية التي تتضمن عدم قدرتهم على رؤية الله، وهو الامتياز الخاص لهذه الحالة. وتكون العمادة أشبه بولادة جديدة. ونرى في الطقوس الوثنية أنهم يرتدون عباة بيضاء ويتغذون بالحليب كالأطفال الصغار مدة أسبوع تقريباً بعد الولادة الجديدة. كنت في أحد أجزاء أفريقيا، في منطقة كانت الطقوس فيها مؤلمة ومعقدة للغاية، وقيل لي إنه عندما يهرب الشبان والشابات من هذه الطقوس، كما يفعلون الآن تحت تأثير البعثات المسيحية، يُطلق عليهم صفة حيوانات لأنهم لم يخضعوا لطقوس إعادة الولادة. إن طقوس إعادة الولادة كلها عبارة عن تحويل الإنسان إلى شيء يتجاوز الإنسان، ويتم التعبير عن ذلك بطرق مختلفة؛ لا يعود الأهل الحقيقيون الأهل الحقيقيين مثلاً، أو يموتون ويعودون مجدداً على هيئة أشباح تشبه الحيوانات التي كانوا عليها سابقاً، كما يُمنحون أسماء جديدة، وما إلى ذلك.

¹ كتب نيتشه في مكان آخر عن صرخة المسيح على الصليب، وهي ربما تعني "ليلاً على إحباط وعدم استشارة طفت على وهم حياته" (سلسلة الفجر – Daybreak)، الكتاب الثاني، صفحة 114.

² "Doketics" (من كلمة "dokien" وتعني "كما يبدو") "الدوسيتية" بحسب "مرقيون المينوي"، لو مات المسيح على الصليب لكان مجرد إنسان عادي. يقدم "ترتليان" العقيدة الأرثوذكسية بأن المسيح كان إنساناً وإلهاً. والبدعة المعارضة لهذه "الدوسيتية" هي تلك "البيونيتية – Ebionites" التي تقول إن المسيح كان إنساناً وحسب.

المحاضرة الرابعة

23 أيار - مايو 1934

الدكتور يونغ:

لدي سؤال من السيدة بيلوارد: "فهمت ما قلته في المحاضرة السابقة بأن القوى الموجودة فينا، والتي نسميها الله، هي قوى التجديد الذاتي. لكن إذا كان بالإمكان حدوث عمليات تجديد ذاتي، ألا ينطبق ذلك على التضخم؟

نعم، التضخم عَرَضٌ مرضي لا يحدث إلا في حال عدم حدوث عمليات التجديد الذاتي الإبداعي الفعلي؛ هذا واضح جداً: التضخم دوماً عَرَضٌ من أعراض العمليات الإبداعية الموروثة.

ثم لدي هنا سؤالان من السيد باومان. الأول هو: "لماذا نعتبر الرقص رمزاً للخلق والتدمير؟ هل يعني ذلك أن نكون في الجسد وفي الزمن (الزمن باعتباره البعد الرابع)؟ وهل المادة أو الشكل الذي يتحرك ويتغير في الزمن هو خلق أم تدمير؟"

أنت تسأل عن مبرر لتفسير القوى الإبداعية كقوى مدمرة، أي إنك تسأل لماذا يكون الرقص مثلاً رمزاً للخلق والتدمير كليهما. هذا لأن الرقص الطقسي رمزي بالنسبة إلى البدائيين؛ هو دوماً تمثيل للقوى الخلاقة في لا

وعينا. وبالتالي غالباً ما يعني سلوكاً جنسياً أو تخصيصاً للأرض أو لإنتاج أثر معين، سواء أكان بناءً أم تدميراً. وكمثال للعمل الإبداعي، يكون الرقص بالضرورة رمزاً للبناء. من المستحيل أن تخلق دون تدمير: لا بدّ من تدمير حالات معينة لإنتاج حالات جديدة. والإبداع المصطنع أيضاً هو عمل تدميري حتماً. الإله الهندوسي النموذجي صاحب القوى الإبداعية هو شيفا الذي يرقص في المقابر؛ هو المدمر الأعظم لأنه حياة الإبداع، وبهذه الطريقة يكون خلاقاً وتدميراً. ربما رأيت أولئك الراقصين الهنود الذين كانوا في زيورخ؛ لقد مثلوا العمل الإبداعي بأفضل طريقة ممكنة. حيث تعبّر الأذرع الكثيرة للإله عن كفاءته الاستثنائية طبعاً؛ هو لا يعمل بيدين فقط بل بأيدٍ كثيرة. ثم إذا نظرت إليه من الناحية السيكلوجية، تجد أن حياة الفرد المبدع تتضمن كل أشكال التدمير، حتى التدمير الذاتي.

السيدة كرولي: ألن يكون التضخّم في هذه الحالة أيضاً جزءاً من العملية الإبداعية مع أنه تدميري بمعنى ما؟

الدكتور يونغ: التضخم شيء غير طبيعي، وليس بالضرورة جزءاً من العملية الإبداعية، مع أنه يحدث غالباً أن يكون مرتبطاً بالعملية الإبداعية لسوء الحظ. لكن الفنان المبدع مثلاً، يمكن أن يخلق دون أن يتخيّل نفسه خالقاً. يستطيع أن يخلق فقط لأن واجبه اللعين يقتضي أن يفعل ذلك، أو لأنه لا يستطيع أن يمنع نفسه عن ذلك. هذا يعني أنه شخص إبداعي دون وعي ذاتي. لأنه حالما يدخل الوعي الذاتي، يحدث التضخّم: تتخيّل أنك مُبدع. ثم تتخيّل أنك الله، لأنك تشعر طبعاً وكأنك تحظى بمبلغ كبير إذا كان لديك الوقت لتفكر بذلك. إذا كان لديك الوقت، يعني أنك انفصلت عن العملية الإبداعية؛ تنظر إلى نفسك وتقول: "اللعنة، أي شخص هو هذا! أليس ضخماً؟" ثم تنغمس في ذلك، وتحيا سيرتك الذاتية فعلاً وترها مطبوعة: في سنة كذا وكذا، في ذلك اليوم، فعل كذا وكذا، وكان لديه الإلهام

معين. عندئذٍ تكون قد أفسدت عمليتك الإبداعية، لكن يكون لديك في الوقت نفسه أسلم حالة تضخّم من الناحية الصحية.¹

السيدة كرولي: تحدثت عن القوى النموذجية البدئية الهائلة في نيتشه. كيف له أن يكتب هكذا تكلم زارادشت دون أن يتماهى معه إذا كانت النماذج البدئية تعمل فيه؟

الدكتور يونغ: نعم، لكنها لم تكن تعمل فيه، هو كان يعمل فيها: تلك هي وجهة النظر الطبيعية.

السيدة كرولي: هل تقصد من ناحية الرقص؟

الدكتور يونغ: بالطبع. أنت تقفين على الحبل وترقصين على أنغامها وألحانها. لكن بقدر ما تقولين إن هذه القوى الإبداعية كانت في نيتشه أو في نفسي أنا أو في أي شخص آخر، فأنت تتضخّمين، لأن الإنسان لا يمتلك قوى إبداعية، بل هي التي تمتلكه. هذه هي الحقيقة. إذا سمح لها أن تمتلك دون استفسار، ودون أن ينظر إليها، لن يكون هناك تضخّم، لكن في اللحظة التي ينفصل عنها، عندما يفكر ويقول في نفسه: "أنا هو هذا الشخص"، يحدث التضخّم.

سؤال: هل يمكن تجنّب ذلك؟

الدكتور يونغ: فقط عبر الطاعة الكاملة من دون محاولة النظر إلى نفسك. عليك أن تكون ساذجاً تماماً.

السيد باومان: هل تحدث بشكل آلي؟

الدكتور يونغ: تحدث آلياً بحيث تصبح واعياً لذاتك ومن ثم تتلاشى؛ يكون الأمر كما لو أنك لأمست سلك توتّر عالٍ.

¹ كان يونغ مسحوراً بشكل خاص بالشاعر صاحب الرؤية أو الفنان الذي تكون إبداعيته عبارة عن تجربة بدائية، "إملاء" من أصوات مجهولة، "حنس رالع يسعى للتعبير عنه". انظر كتاب "السيكولوجيا والأدب - Psychology and Literature" في الأعمال الكاملة، المجلد الخامس عشر.

السيد باومان: ألا يمكنك الهروب منها؟

الدكتور يونغ: إذا كنت بسيطاً بما يكفي... لم يستطع نيتشه طبعاً أن يمنع نفسه من أن ينظر إلى الشيء، ثم سيطر عليه الاستياء، لأن القوى الإبداعية تسرق وقتك وتستنزف طاقاتك، وما هي النتيجة؟ ربما تأليف كتاب. لكن أين حياتك الشخصية؟ لا شيء. لهذا يشعر هذا النوع من الأشخاص بأنهم مخدوعون للغاية؛ ينتهون للأمر، وعلى الجميع أن يركع أمامهم لتعويض ما سرقه الله. لقد خرجت القوى الإبداعية منهم ويريدون الآن إضفاء طابع شخصي عليها، يريدون أن يتخيلوا أنها شيفر بغية الحصول على فرحة كونهم مبدعين. لكن إذا كنت تعرف أنك مبدع، وتستمتع بكونك مبدع، فسوف تُصلب بعد ذلك، لأن أي شخص يتماهي مع الله ستقطع أوصاله. قال الأسقف سينيسيموس، وهو أحد آباء الكنيسة القدماء، إن روح الإنسان المبدعة يمكن أن تنفذ إلى أعماق الكون أو إلى ذراه مثل الله أو مثل شيطان عظيم، لكن تعين عليه بتصريحه هذا أن يواجه العقاب الإلهي.¹ وسيكون عقابه مثل تقطيع أوصال ديونيسيوس أو صلب المسيح. سنأتي في الوقت الحاضر إلى المشكلة ذاتها لدى زارادشت.

سؤال باومان الثاني هو: "تتطلب إقامة علاقة مع الحشد النزول إلى مستوى سيكولوجي منخفض. هل من الضروري الخوض في علاقة لاواعية عادية مع الناس، نوع من التماهي أو "سحر المشاركة" مع الحشد،² أم على المرء أن يُظهر فقط أن لديه جوانب دونية؟"

¹ عن سينيسيموس، أسقف بظليموس، قال يونغ: "في كتابه "De Insomnio - الأرق" منح روح الإنسان المبدعة بشكل خاص الدور الميكولوجي ذاته الذي منحه شيلر لمجموعة الغرائز البشرية التي تحافظ على حياة الفرد وتطوره.... بالإضافة إلى الغضب الإبداعي" (الأصل الكاملة، المجلد السادس، صفحة 174). ويقصد يونغ هنا التصالح بين المتضادات.

² "سحر المشاركة - Participation mystique" مصطلح يعود إلى لوي بروهيل. انظر كتاب "عقلية بدائية - Primitive Mentality" (لندن، 1923). استخدمها يونغ كثيراً لتصنيف

لا يحتاج المرء أن يُظهر أن لديه جوانب دنيوية؛ هذا معروف بشكل عام. ربما تعرف أن حولك أشخاصاً واثقين تماماً بأنهم يرون الجوانب الدنيوية لديك. لدى الناس خصائص جيدة برؤية جوانب القصور لدى الآخرين بشكل جيد؛ لكنهم يفشلون برؤية جوانب قصورهم. وبالتالي لا نحتاج إلى الكثير من الوعي الذاتي من ذلك الجانب؛ إن أوجه قصورنا ملحوظة؛ لا نحتاج إلى إظهارها. نحن بحاجة إلى أن نراها بأنفسنا؛ إننا الحضور الذي لا يرى ولا يسمع. الآن، لا يمكن لهذا الهبوط أن يحدث إلا إذا كان الشخص في مستوى عالٍ. وكما تعلمون، زارادشت هو الإنسان أو الروح التي بدأت الآن ترتفع بعد نزولها السابق على مدى قرون. أما العجوز الذي التقينا به في الغابة فهو الروح المسيحية التقليدية التي انسحبت ببطء إلى الطبيعة حيث يُفترض أن تتلاشى في النهاية، لكن الروح لم تنسحب إلى الطبيعة بشكل نهائي طالما أن هناك إنساناً تتظاهر فيه. وهكذا فإنه ظهر أثناء تراجعه وكان الجانب المقرب منه هو زارادشت. وعندما هبط الجانب الآخر، انبثق تجسيد الروح الجديدة. ومن هنا نجد أنه الروح ذاتها أساساً. لقد ظهر زارادشت على الجبل، وهو ينزل الآن إلى مستوى الإنسان العادي.

إذا خَفَضْنَا هذه الظاهرة إلى المستوى السيكلوجي الشخصي الخاص بنيتشه فسوف تكون على النحو الآتي: كان نيتشه بروفيسوراً في بازل مدة عشر سنوات تقريباً، ثم انسحب من مهنته وعاش في نيس ورابالو وفي سيلز ماريا في إنغادين؛ لقد أتى الكثير من رمزية الجبال إلى كتاب *زارادشت* من ذلك المحيط الجبلي. اعتاد السير في الجبال وكتب قصائد جميلة عنها. ومن هنا نجد أنها شكّلت جزءاً من مخيلته لدرجة أنه شعر بعزلة تامة على قمة جبل عالٍ حيث يمكنه النظر إلى مستقبل الإنسان، أو حيث يستطيع أن

الفتل لدى الشعوب البدائية بشكل خاص وليس بشكل حصري، وذلك لكي يميّز المرء ذاته عن العناصر الهامة المختلفة في البيئة. انظر الأعمال الكاملة، المجلد التاسع.

يرى الحياة في الأسفل عند قدميه. وهناك اكتسب تلك البصيرة، ذلك الإنجيل الجديد. ثم هبط مثلما هبط موسى من سيناء، ليقدّمه للناس. هكذا كان شعور نيتشه، لكن بقدر ما كان يفعل ذلك بسذاجة، ودون دراية بما يفعله، كان متطابقاً مع الروح المبدعة؛ لقد عرف الكثير عنها فأصابه التضخم. ومن هنا نشأ التماهي مع زارادشت. لكن كيف يمكن لرجل متضخم مثله أن يهبط إلى مستوى الإنسان ليقف بهيئة مبشّر على تلة ويعظ الناس؟ كان في خطبته الأولى يقف على منصّة عالية ويحدث الحاضرين الواقفين في الأسفل ويقول: "على المرء أن..."، فيظهر من هذه الطريقة أن خطبته غير مؤثرة لأنه لم يكن على المستوى ذاته. لو كان ساذجاً لما انتبه إلى رسالته، بل كان سيتحدث ببساطة إلى أي شخص بجانبه على الطريق ويسأله عن حاله وما إلى ذلك؛ سيشير أثناء الحديث إلى ما يثير اهتمامه، ويصيب الشخص الآخر بصدمة. عندئذٍ سيحظى بالأثر الذي يريده. لكن إذا كنت تتحدث عن أعظم الأشياء بطريقة فوقية، لن يحظى كلامك بأدنى اهتمام؛ لن يترك أي انطباع لأنك تتحدث بفوقية لا يفهمها سوى الأشخاص الخطأ. لذلك عندما كان يُقرأ كتاب هكذا تكلم زارادشت في البداية، لم يفهم سوى الأشخاص الخطأ ما الذي كان يعنيه فعلاً؛ كان جميع غرباء الأطوار في أوروبا ممثلين بزارادشت، ولم تظهر أية فائدة منه.

وكما ترون، أمر جيد أننا نقوم فقط بمحاولة تحليل هكذا تكلم زارادشت؛ نحن استعدادنا السيכולوجي كله لكي نفهم ما يعنيه فعلاً. وكذلك لم يفهم أحد الجزء الثاني من مسرحية فاوست؛ واستغرق الأمر إعداداً طويلاً مضنياً للتعقّق في جوهره: إنها مسرحية نبوية للغاية. إننا بحاجة إلى تحليل الظواهر الاجتماعية والسياسية للحرب وما بعد الحرب لنحظى بنظرة عميقة في معنى هكذا تكلم زارادشت. والآن، لو كان نيتشه

غير واعٍ لما يفعله، لكان قادراً على النزول إلى الأرض. لكن لا يستحق الأمر فعلاً أن نتحدث عن الرجل نيتشه، لأنه كان مسلوباً؛ لقد عاش فقط على أمل أن يتكلم زارادشت، أما عندما يصل الأمر إلى حياته الخاصة، نجد أنه كان تعيساً ومسكيناً للغاية، وأنه كان عبارة عن مريض عصبي يعيش في نُزل الريفيرا وإنغادين، وأخيراً في تورين حيث تمكن الشيطان منه بشكل كامل.

لدي هنا مشاركة من الأنسة كورنفورد: "جاء زارادشت كراقص لأنه يمثل النقيض تماماً للراهب المسيحي. وبدلاً من "كبح شهوة الجسد" كما تعلم الراهب أن يفعل، يعيش هو في جسده، ويعي وجوده تماماً ويستخدمه. وهكذا بينما ينغرس الناسك في مجرى الحياة كقضب حديدي، يكون الراقص أشبه بنبتة تستجيب لكل حركة في الماء. وهكذا نجد أن من الطبيعي جداً أن يأتي الواعظ بالدين الجديد كراقص، طالما أنه يأتي بالمرونة عوضاً عن القساوة".

نعم، المرونة مقابل القساوة هي أيضاً وجهة نظر، هذا تناقض آخر، ثنائية تلعب دورها. وهناك طبعاً العديد من الملاحظات الجانبية التي تساعد على بث الحيوية في النص لكنها ستبعدنا قليلاً عن هدفنا.

ثم لدينا سؤال من الأنسة حنة: "لطالما اعتقدت أن الذات تتخذ هيئة إله موضوعي مع أنه فردي، وهو ما أملت أن *أكتشفه*؛ لكن عندما تقول "خلق شيء يتجاوز ذواتنا)، هذا ما يقوله زارادشت، فأنا لا أمنح نفسي فضل ابتكار صيغة مناسبة جداً كهذه)، فهل كنت تقصد الذات؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل تم خلقها بالولادة الجديدة؟ هل تُعتبر الولادة الجديدة استسلاماً للعملية الطبيعية بإرادتنا أم أنها لا تزال عملية نشيطة؟"

ما الذي تقصدينه بعبارة: "لا تزال عملية نشيطة؟"

الأنسة حنة: قصدت، هل علينا أن نفعل شيئاً أم أن شيئاً سيتم فعله

علينا؟

الدكتور يونغ: إنها عملية سلبية للغاية.

الآنسة حنة: إذا استسلمت لها ستكون سلبية، أليس كذلك؟

الدكتور يونغ: نعم، لكن يمكن أيضاً أن تستسلمي لها بالإرادة، وبإنشأط كبير. لكن دعينا نفترض الإنسان الأعلى بالصيغة التي طرحها نيتشه عن الذات. هو يرى أنك من خلال خلق ما يتجاوز ذاتك، تخلقين الإنسان الأعلى، وبالإرادة إن جاز التعبير؛ قال أيضاً إن على المرء أن يرغب بذلك، مما يُظهر بوضوح أن الإنسان الأعلى بالنسبة إليه هو خلق حيوي قام به الإنسان. لكن لا يمكننا أن نخلق ما يتجاوز ذاتنا؛ علينا أن نكون آلهة لنستطيع فعل ذلك. كما ترين، يعود هذا الارتباك إلى حقيقة أنه تمأى مع العملية الإبداعية في لفته. المنظور الصحيح الذي يوضح الأمر هو أن العملية الإبداعية لديك ليست من صنعك. هي تستولي عليك وتستخدمك ببساطة؛ إنها إرادة مختلفة عن إرادتك. عندئذ تفهمين أنها شيء آخر شيء يتجاوز ذاتك الإبداعية. هي بالضرورة تتجاوز ذاتك لأن القوى الإبداعية كانت قبل عمل الخلق وبعده. كانت قبل أن تكوني موجودة، عندما كنت لاواعية؛ ما تُنتجه يتجاوز ذاتك بالضرورة لأن تلك القوى تتجاوز ذاتك. وأنت لا تستطيعين أن تحكميها؛ هي التي تخلق ما تختاره. تستطيعين طبعاً أن تتماهي معها إلى حد ما لكن ذلك سيكون طفولياً للغاية؛ ستصبحين حينها كطفلة شقية لا تأبه بأي تحذير يردعها عن الصعود فوق كرسي، وتصبر على فعل ذلك وتسقط طبعاً. تقولين لها: "أرايت الآن!" وهي تقول: "لكنني أردت ذلك!" واهم بالتأكيد من يتماهى مع هذه العمليات. وبالتالي فإن خلق شيء يتجاوز ذاتنا هو مجرد صيغة تأتي من فكرة أننا نُبدع. نحن لسنا مبدعين وإنما أدوات في العملية الإبداعية: إنها تخلق فينا، ومن خلالنا.

سنتابع الآن الفصل الثالث حيث تمت الإشارة أولاً إلى راقص الحبل. يقول زارادشت هنا: "والأكثر حكمة بينكم لا يعدو كونه خليطاً من نبات ومن شبح. فهل أدعوكم لأن تصيروا نباتات وأشباح؟" كيف تفهمون هذا التعبير الغريب؟ إلى أي حد يكون الأكثر حكمة بين الناس لا يعدو كونه مزيجاً من نبات وشبح؟

السيدة باينز: هل يتحدث هنا عن الأكثر حكمة بين الرجال المسيحيين الحكماء السابقين أم عن البشرية بشكل عام؟

الدكتور يونغ: يجب أن يكون الأكثر حكمة بين الموجودين في الحشد، الناس في زمننا. وهو يصف حكمة معينة يتم وعظهم بها، وأنا أريد أن أعرف إلى أي حد هو مزيج من نبات وشبح.

السيد نوثال سميث: بقدر الانفصال بين الروحانية والدينية ينفصل الناس.

الدكتور يونغ: لكن المزيج غير منفصل. الاندماج هو الهدف هنا لكنه مكوّن من شيئين: النبات الهجين شيء واحد لكنه خليط، مثل الكلمة الهجينة المكونة من كلمات لاتينية وإغريقية مجتمعة معاً لتشكل كلمة واحدة.

تعليق: إنها مجرد وحدة بين النبات والروح..

الدكتور يونغ: لكنه لم يقل روحاً، بل شبحاً.

السيدة أدلر: الحيوان ليس بينهما، إنه مفقود.

الدكتور يونغ: سيكون الحيوان هو النقيض، العكس. وسيتحدث نيتشه لاحقاً عن الوحش الأشقر؛ هذه فكرته، الإنسان الأعلى مقابل حكمة النبات والشبح. لكن أودّ أن أعرف لماذا النبات والشبح. يقول إنه حتى الأكثر حكمة هو مجرد تنافر، أو عدم تناغم، والتنافر في اللغة الألمانية هو "Entzweiung"، وهي تعني شيئاً لا يصلح تماماً. والهجين تنافر متحد، أي

إنه نوع بغيض من اتحاد المتضادات. النبات غير واع بالمطلق، والشبح ليس له جسد، لا أحد، وبالتالي هو شبح ميتافيزيقي يرتبط بالنبات وبشكل وحدة، شيء غير واع بالمطلق وقريب من المادة.

السيدة باومان: ألا تعني حياة النبات عادة تطوراً روحانياً من الناحية الرمزية؟ يعني أن له حياة طبيعية بقدر ما للنبات حياة طبيعية، وهو ميت ويعيد بقدر ما هو شبح.

الدكتور يونغ: نعم، يموت الجسد ويغدو شبحاً. ثم يتشكل المزيج بالنمو الطبيعي من جانب واحد، ويكون سليماً تماماً، مع أن هناك ما يموت بينهما، إنه الإنسان الحيوان: الجسد يموت، ولا يبقى سوى الشبح. لكن الجسد الذي عاشت فيه الروح الطبيعية الأصلية، الروح المسيحية بطبيعتها، يتلاشى حينها؛ لا يبقى سوى هذا المزيج من النبات، البداية السليمة، وذلك الشبح، النهاية الحزينة لحياة الإنسان. أودّ أن ألفت انتباهكم إلى هذا التعبير المجازي الغريب لأن نيتشه دخل الجزء الأوسط، ووعظ الجسد مجدداً. بمعنى آخر، جاء الوحش الأشقر ليملاً الهوة هناك، فاتحد النبات والشبح مجدداً، ثم ركّز على الجزء الأوسط الذي كان يفترقه سابقاً. وهكذا غالباً ما يمكننا رؤية فلسفة نيتشه كلها في أصغر تفاصيل مجازاته.

سنتابع الآن في النص الأساسي حيث بدأ هنا بفلسفته الحقيقية معطياً الإنسان الأعلى معنى الأرض: "الإنسان الأعلى كنه الأرض. فلتعلن إرادتك: ليكن الإنسان الأعلى هو معنى الأرض!" أعطاه صيغة الأمر - ليكن الإنسان الأعلى هو معنى الأرض. لأن الأرض قد تتخذ معاني أخرى طبعاً؛ إن اتخاذ الإنسان الأعلى لمعنى الأرض ليس أكثر النتائج التي نستخلصها وضوحاً. استخلص علم البيولوجيا مثلاً نتائج مختلفة تماماً في الأيام التي

أَلْفَ بها نيتشه كتابه. والآن، إلى أي حد يكون للإنسان الأعلى معنى الأرض؟
كيف تفهمون ذلك؟

السيدة كرولي: الأرض هي ما يصنعه الإنسان؛ هذا ما تعنيه للإنسان.
الدكتور يونغ: هذا ما يتضمنه التوصيف، أي إنه تُركّ للإنسان أن
يبتكر معنى للأرض - على الإنسان أن يرينا أن الإنسان الأعلى هو المعنى.
لكن لماذا تُعطى الأرض معنى كهذا؟

السيدة كرولي: لأنها تتخذ شكلاً جنينياً من وجهة النظر هذه؛ هي دائماً
في حالة تجديد، إنها الإمكانية.

الدكتور يونغ: لا، السؤال الحقيقي هو: ما علاقة زارادشت بالأرض؟
الدكتور إشر: تشبه ما هو كامن بين النبات والشبح. في الوسط تكون
الأرض، الجسد.

الدكتور يونغ: نعم، بدلاً من تسميتها جسداً أو حيواناً، أطلق عليها اسم
الأرض، الأرض هي الجسد، إذاً فالجسد يتوسط المجال بين النبات والشبح.
أنت تلاحظ أن النبات ليس جسداً حيوانياً حتى الآن، والشبح لم يعد
كذلك؛ الجسد الحيواني للإنسان هو بينهما. ونعرف من رموز الأحلام أيضاً
أن الأرض هي الجسد أساساً؛ تعني المادة دوماً شيئاً يشبه الأمعاء والأجزاء
الدنيا الأخرى من الجسد. لكن إلى أي حد يمكن اعتبار الإنسان الأعلى
جسداً؟ نحن نفترض أن الإنسان الأعلى هو جسد.

الآنسة حنة: يكمن المعنى دوماً فيما تفقده، وقد فقد زارادشت الجسد،
أليس كذلك؟ - إنه عالي جداً.

الدكتور يونغ: يفقد الجسد من ينسحب إلى الغابة. لقد تراجع وخسر
الأرض؛ وزارادشت مستمرّ بالسعي إليه والوعظ به. وكان نيتشه الإنسان
قد فقد جسده إلى حد كبير طبعاً. لكن زارادشت هو الموجود هنا، وهو
النوع الشائع من الروح؛ روحنا العامة فقدت الأرض، وفقدت ثقلها. وتم

إلغاء الجسد لأنه شيء أخرج للغاية؛ يمكننا التعامل مع الأشياء روحانياً بسهولة أكبر بكثير من دون الجسد الخسيس. إذا فهمت الإنسان الأعلى على أنه ذات، فكيف يمكن للذات أن تعبر عن نفسها عندئذٍ - أو إذا كنت مجرد روح، فكيف يمكنك التعبير عن نفسك؟

الآنسة حنة: الجسد هو الطريقة الوحيدة التي يمكن رؤية الروح من خلالها.

الدكتور يونغ: طبعاً. يمكن أن تكون أي شيء إذا كنت روحاً، لأنك تبقى دون شكل ولا هيئة، تكون هواء وحسب. تستطيع أن تفترض أي شكل؛ تستطيع أن تكون هذا أو ذاك؛ يمكنك أن تتحوّل بإرادتك إلى شيء لا يعلم إلا الله ما هو. "لكن ليس عليك أن تفكر بهذه الطريقة"، أو: "عليك أن تؤمن بشيء ما، فهذا سيضمن لك الحماية". آمن إذا كنت تستطيع! هذه هي المشكلة وحسب. ولماذا لا تستطيع؟ لأن لديك جسداً. لو كنت روحاً لاستطعت أن تكون أي شيء، لكن الحقيقة الدنيئة هي أنك متجذر هنا تماماً ولا تستطيع أن تخرج من جلدك؛ لديك ضرورات محددة. لا يمكنك أن تخرج من حقيقة جنسك طبعاً، ولا من لون عينيك أو سلامة جسدك أو مَرَضِهِ، ولا من قدرة تحمّلك الجسدية. تلك حقائق محددة تجعلك فرداً، تجعلك ذاتاً، تجعلك ذاتك أنت، وليست ذات أي شخص آخر. لو كنت روحاً لاستطعت استبدال هيئتك بهيئة أخرى كل لحظة، لكنك عالق بهذا الجسد؛ وبالتالي فالجسد قبيح: إنه مصدر إزعاج واضح. يحاول جميع مدّعي الروحانية أن يتخلّصوا من حقيقة الجسد: يريدون تدميره ليصبحوا شيئاً آخر متخيلاً، لكنهم لن يكونوا ذلك الشيء لأن الجسد يخذلهم؛ يقول الجسد شيئاً آخر. يعتقدون أنهم يستطيعون العيش دون جنس ولا مشاعر، ومن دون شروط الإنسان العادية؛ وهذا خطأ، هذا كذب، والجسد يُنكر قناعاتهم. هذا ما كان يعنيه نيتشه هنا. الإنسان الأعلى، هو الذات، هو معنى الأرض؛ وهو مشكل من حقيقة أننا مكوّنون من الأرض.

عندما تدرس رموز الفردانية تكتشف أن إمكانية حدوثها مستحيلة من الناحية الرمزية دون وجود حيوان قائم يخرج من الطين البدائي ويدخل منطقة الروح؛ هذه البقعة السوداء، التي مثل الأرض، هي شيء لا غنى عنه أبداً في درع الروحانية المتألق. تتراءى للناس أحياناً أخيويلة تكون الروح فيها مكونة من قطع أو جزئيات من الحديد أو الرصاص أو أية مادة ثقيلة أخرى. إنها الفكرة ذاتها؛ جميع تلك المعادن الثقيلة هي روح الأرض تحديداً. يتكون مركز الأرض من معادن ثقيلة، وبالتالي تصبح رموزاً للعناصر التي تشكل الذات. إذاً إن جوهر الجسد مكون من الذات. ليس هناك من تحديد آخر، وحالما تدخل عالم الروح، تتبخر ذاتك - يُنظر إليها من وجهة نظر بشرية. وهي من وجهة النظر الأخرى خالدة طبعاً ولا يمكن أن تتبخر، لكن "الأتمان"¹ الشخصي في التعاليم الهندوسية شخصي فعلاً؛ إنه روح هذا الجسد الخاص، وهو الجسد الذي يجعل كل شيء خاصاً.

إنه معنى الأرض الميتافيزيقي الجوهرية الذي يمنح الأشياء صفاتها، ويجعل الأشياء متميزة. تكون العناصر متميزة فقط في المسافة والزمن، حيث تشكل كتلة لها مواصفات فيزيائية وكيميائية معينة يمكن تمييزها من خلالها. وإلا فلن تكون مدركاً لأي شيء موجود، أو يُفترض أنه موجود. يقولون في الشرق إن الله كان في البدء وحيداً تماماً، ولم يكن مرتاحاً أبداً لأنه لا يعرف من هو فعلاً؛ لهذا خلق الكون ليرى من هو فعلاً. ثم خلق كائنات متميزة يستطيع من خلالها أن يرى انعكاسه كما لو أنه ينظر في مرآة. لأنك إذا كنت لا تعرف ما أنت عليه فعلاً، عليك أن ترى نفسك من الخارج؛ تحتاج إلى مرآة لترى وجهك وكيف يبدو، وماذا يشبه. أما إذا عشت في مكان ما في الصحراء حيث لا يكون لديك مرآة، وحيث لا تلتقي بمن

¹ "أتمان - Atman": هي مبدأ الحياة الروحية للكون، وخاصة عندما يتم اعتباره متصلاً في الذات الحقيقية للفرد - وتعني أيضاً طاقة الحياة لدى الإنسان. المترجم

يمنحك انعكاساً لذاتك، فكيف يمكنك أن تعرف ما أنت عليه؟ افترض الفلاسفة القدماء دوماً أنه ليس لله نقيض، ولا وجود لإله آخر؛ لكنه بحاجة إليه ليدرك نفسه. إن ذلك يعني الانفصال، يعني تمايز الأشياء في المسافة والزمن. وبالفعل، لا يمكن لجوهر التمايز أو فكرة الذات أن يكون لها وجود لحظة واحدة إن لم يكن هناك جسد يخلق هذا التمايز ويحافظ عليه. وقد نفترض أنه إذا تلاشى الجسد وتفكك، فستفكك الذات بطريقة ما لأنها تفقد روابطها.¹ يمكنك أن تراقب أشياء كهذه في "المشاركة الغامضة"²؛ بقدر ما يكون وعيك غير مدرك تماماً لحقيقة جسدك وكل حقائقه المفترضة، تتداخل روحك أو نفسك مع الجسد وتختلط بالنفوس الأخرى. عندئذ لا تعرف فعلاً من أنت؛ ربما تكون شيئاً آخر أيضاً – لديك بعض الشك. تخبرنا التجارب أننا نتصرف في جوانب عدة كما لو أننا أشخاص آخرون، ربما نتصرف كالأم أو الأب أو الأخ أو أي شخص آخر صادف أن كنا معه بحالة تواصل حميم نوعاً ما.

الناس غير المدركين للجسد عن وعي يعانون من عدم واقعية الحياة في ذلك الترابط المتداخل ضمن "المشاركة الغامضة"؛ لا يعرفون متى يشعرون بالجوع، وهملون وظائف الجسد البسيطة. لدي مريضة في الثامنة والعشرين من عمرها، وقد شعرت بالخوف لأنها لم تعد تسمع وقع خطواتها عندما تسير في الطريق فلجأت إلي. حلمت بأنها كانت تمتطي منطاداً، أي إنها لا تجلس في مقصورته بل تجلس فوقه، وتحلق عالياً في الفضاء، ومن موقعها هناك رأيتي أحمل بندقية وأطلق النار عليها من الأسفل. ثم أصيبتها في النهاية. إنها الفتاة ذاتها التي أخبرتك أنها لم تعد ترى جسدتها. اقترحت

¹ أصغر من الصغير وأعظم من العظيم / هو الروح (أتمان) الذي يقيم في قلب الكائن هنا / الذي هو من نون إرادة نشيطة (a-kratu) تراقبه، / يصبح حراً من الحزن – " (كتا إهنيشاد 2.20).

² "المشاركة الغامضة – participation mystique": هي الارتباط البشري الفريزي بقبعات الخيال الرمزي. هذه الحياة الرمزية تسبق كل التمايز العقلي والفكري أو ترافقه. المترجم.

عليها أن تستحم من حين لآخر، ثم أخبرني أنها نشأت في دير للراهبات، وأن الراهبات قلن لها إن النظر إلى الجسد خطيئة، وإن عليها دوماً أن تغطي حوض الاستحمام بستائر كتانية، وبالتالي فهي لم تر نفسها. وعندئذ قلت لها: "عودي إلى البيت الآن واخلي ملابسك وقفي أمام مرآتك الطويلة وانظري إلى نفسك". وعندما عادت قالت لي: "لم يكن الأمر سيئاً، إلا أنني أعتقد أن ساقئ مشعرتان جداً" هذه هي الحقيقة، هكذا يفكر الناس ويشعرون عندما يكون لديهم أعراض كهذه.

سنتابع تفسير الفقرة الآتية: **"أناشدكم أن تظلّوا أوفياء للأرض يا إخوتي"**. ما الذي كان يعنيه بعبارة "تظلّوا أوفياء للأرض"؟
الأنسة حنة: ما كنت تقوله الآن تحديداً، أن بإمكانك أن تكون أي شيء لكن عليك أن تبقى في الجسد.

الدكتور يونغ: نعم، إنه يتحدث هنا عن آمال فوق أرضية، وهي بالطبع محاولة لنقل شدة الانتباه من حياة الفرد الواقعية إلى إمكانيات روحانية تتجاوزها. تتشكل الروح من إمكانيات، ويستطيع المرء أن يقول إن عالم الإمكانيات كان عالم الروح. يمكن للروح أن تصبح أي شيء، لكن الأرض تبقى شيئاً محدوداً. لذلك يصبح معنى عبارة "تظلّوا أوفياء للأرض"، أن تحافظوا على علاقة واعية مع الجسد. لا تهربوا وتجعلوا أنفسكم غير واعين لحقائق الجسد لأنه يُبقيكم في الحياة الحقيقية، ويساعدكم على ألا تضيعوا في عالم الإمكانيات المجردة حيث تكونون معصوبي العينين. هذه بالطبع تعاليم أحادية الجانب إلى حد ما، وحين تكون موجّهة إلى من هو ليس إلا جسداً تكون خطأ كلها. عليك أن تتذكر أن غالبية الناس إلى حد بعيد، ليسوا سوى أجساد. وبالتالي فهذه التعاليم ليست صالحة إلا لأولئك الذين فقدوا أجسادهم، المخدوعين بالروح، مثل "كلاجيس" الذي عرف الروح بأنها عدوة النفس، والنفس هي حياة الجسد، لأنه افترض أن معظم

الناس فقدوا حقيقة الجسد كما فقدوا هو.¹ لكن كأمر واقع، ثمة الكثير من الناس المنغمسين بالكامل في الجسد، وعلى المرء أن يعظ هؤلاء بالمسيحية المبكرة، أو بآلهة سليمة على الأقل، لأنهم لا يمتلكون أية فكرة عن الإمكانات الروحانية.

الحقيقة ليست حقيقة بشكل عام. هي حقيقة فقط عندما تعمل، وتكون كذبة عندما لا تعمل، تصبح غير صالحة.² إن الفلسفة والدين مثل السيكلوجيا تماماً من ناحية أنك لا تستطيع أن تصوغ فيها مبدأً محدداً: هذا مستحيل تماماً، لأن ما يكون صحيحاً في مرحلة تطور معينة، لا يعود صحيحاً أبداً في مرحلة أخرى. وهكذا فهي دوماً قضية تطور، وقضية وقت؛ أفضل حقيقة لمرحلة معينة ربما تكون سامة لمرحلة أخرى. وفي مسائل من هذا النوع، تُظهر الطبيعة أنها أرستقراطية تماماً وحصرية بفئة معينة. لا شيء يمكن لعقولنا الليبرالية أن تأمل بأن تقول عنه: هذا شيء حقيقي يبقى نفسه في كل مكان، وذاك نوع من الهراء. ثمة الكثير من عدم اليقين بما يخص الحقيقة؛ إننا نواجه استحالة مطلقة في خلق أي شيء يكون حقيقياً بشكل عام. وغالباً ما يخطر بذهني أنني عندما أمارس التحليل النفسي على مريض معين، إن سمع مريض آخر ما كنت أقوله للمريض الأول، فسوف يُصدم: لن يستطيع تحمّل الأمر. أنا أقول أشياء يعتبرها الآخر تجديفاً بحتاً، وغالباً ما يأتي أحدهم تلو الآخر. وبالتالي عليّ

¹ لونيغ كلاجيس (1872-1956)، عالم نفس ألماني وفيلسوف طوّر تصنيف الشخصية اعتماداً على "بأي قطب من القطبين تتعلّق الشخصية": الروح (التي هي منبع محن الإنسان كلها) أم قوة الحياة. كان عمله الأضخم كتاب "Die Geist als widersacher der Seele" (الروح باعتبارها خصماً للنفس أو طاقة الحياة) (لويغ - 1929-1932)، ثلاثة مجلدات.

² وليام جيمس (1842-1910)، الذي عرفه بونغ وأعجب به، كتب أنه بالنسبة للبراغماتية فإن "الاختبار الوحيد للحقيقة الممكنة هو ما يعمل بشكل أفضل أثناء قيادتنا". كتاب "البراغماتية" (بوستون - 1907)، صفحة 80.

أن ألتف منة وثمانين درجة وأقول أسود عوضاً عن أبيض. لكن هذا ضروري جداً. تعلّمت منذ فترة طويلة أن هناك خطوات ومراحل للتطور تشبه درجات السلم. كما أن هناك مقدرات مختلفة على المرء أن يتصرّف ويعلم وفقاً لها. وإذا بدأت تعلّم بالإطار العام، عليك أن تحذر من وضع الأشياء بطريقة لا يمكن فهمها، وإذا وضعتها بالطريقة الخاصة، يتجه الفهم بالاتجاه الصحيح بدل الخاطئ. لكن حتى ذلك لا يكون مفيداً دوماً. لذلك فإن مهنة تعليم الفلسفة أو الدين أو السيكلوجيا ليست من المهن التي يُعترف بفضلها.

السيد باومان: ألا يمكن للمرء أن يقول إن على الحياة الروحانية الجديدة أن تنبثق من العقل الطبيعي بطريقة ما؟ فهمت أن العقل الطبيعي ينبثق من الأرض.

الدكتور يونغ: حسناً، لدى زارادشت ما يقوله عن ذلك. إنه مجرد ناقد هنا: يقول إن على المرء ألا يُصغي لأولئك الذين يتحدثون عن آمال فوق أرضية. لكن ما يقوله الإنسان الأعلى مسألة أخرى، وهو قوي جداً في هذه النقطة. يقول إن أفضح آيات الكفر الآن أن يأثم امرؤ في حق الأرض ويمنح أحشاء ما لا يدركه عقل ولا نظراً تقديراً أكثر من المعنى الذي في الأرض، هذا هو معنى الأرض. تكمن فردانية الأرض في أن تكون الأشياء هكذا ولا شيء آخر. وكما ترى، لا يمكن إلا لشخص خضع لفترة طويلة لفتنة وهم تلك الأشياء أن يكون مختلفاً تماماً عما هو عليه، ويشعر بتأثير رسالة زارادشت. يمكن للعقل المسيحي الحقيقي فقط أو الروحاني الحقيقي – بغض النظر عما إذا كان يعترف بالمسيحية أم لا – أن يشعر بالتجديد الحقيقي في رسالة كهذه. وهو لا يرحّب بها طبعاً بل يكرهها. يعتقد أنه محض تجديد ضدّ الروح أن يقول إن هذا الشخص ينبغي أن يكون حقيقياً في الأرض، أو

ينبغي أن يمنح الجسد قيمة أعلى من الروح. لكن من المنطقي تماماً أن يثار الجسد من الروح ويقهرها بعد مرور عصر طويل استنفد أهمية الروح. ربما يتغلب عليها لفترة ما. لكننا نعتبر عن هذه الأشياء من ناحية *الروح والمادة* طبعاً، دون أن نعرف تماماً ما الذي تحدده بهذه المصطلحات. عليك في الفلسفة الصينية الكلاسيكية أن تستخدم مصطلحات "*اليانغ*" و"*الين*"، وتقول إنهما تقومان بتغيير موقعهما وفقاً لقوانين السماء. اليانغ يأكل الين، ومن اليانغ يولد الين مجدداً؛ إنه ينبثق مجدداً، والين يغلب اليانغ، وهكذا. ذلك مسار الطبيعة. لا يشعر الصينيون بالقلق أبداً لأنهم شاهدوا هذه العملية الطبيعية الغريبة لفترة طويلة جداً. لكن تاريخنا ليس قديماً كفاية، وبالتالي تُدهشنا رؤية أن الروح تأكل الجسد، ومن ثم يأكل الجسد الروح. إنها العملية ذاتها تماماً. لقد تعلمنا أن الله عين ابنه ليتغلب على الجسد بالروح كحدث فريد من نوعه في التاريخ؛ والآن نعلم الحقيقة المعاكسة التي تقول إن الجسد يأكل الروح. وما زلنا لا نصدق ذلك على الرغم من أنه أصبح أكثر وضوحاً مما كان عليه عندما ظهر للمرة الأولى في عصر الإصلاح.

الدكتور ريكستين: قلت إن الروح تتشكل من إمكانيات لانهائية. لكن الروح يمكن أن تكون قانوناً محدداً جداً يؤسس حقائق محددة تماماً. أعتقد أن هذا النوع من الروح هنا شيء تعرض للتراجع.

نحن نتحدث عن الروح في الجوهر النقي. الروح التي تخلق قوانين محددة في روح الإنسان، وليس الروح كما هي موجودة في لاوعينا حيث تتشكل من إمكانيات غير محدودة بالمطلق. وكما تعلم، حتى لو خلق أحدهم عدداً من القوانين المحددة – والعدد مقيد – ثمة القليل جداً مما لن يتم التخلص منه خلال فترة قصيرة. كما أن هناك أيضاً إمكانية هائلة لقوانين

جديدة واكتشافات جديدة - وجهات نظر جديدة كامنة فينا، وهذا فعلاً هو ما يشكّل حياة الروح. هي لا تتشكّل من قانون محدد إلى الأبد؛ حياة الروح تتشكل من حياة جديدة مستمرة بالخلق.

الدكتور ريكستين: لم أقصد قانوناً محدداً صالِحاً في هذه اللحظة.

الدكتور يونغ: هل يمكنك أن تعطي أمثلة لأرى ما تعنيه بوضوح؟

الدكتور ريكستين: الروح المسيحية مثلاً كانت صالحة في زمنها؛ اختارت من الإمكانات الكثيرة إمكانية واحدة.

الدكتور يونغ: نعم، هكذا تماماً. بالطبع تلك كانت روح. ما من شك بأن الروح لها صلاحيتها لكنها صلاحية نسبية، وهي إما أن تتخذ مكان روح من نوع آخر، أو يتخذ "الين" موقعها، أي المبدأ المعاكس. من الممكن أن تُكبح كلها حتى تختفي بشكل كامل تقريباً. لقد مرّت هكذا حقبة من الغموض الكامل بين القرنين الرابع والثامن الميلادي، وربما كان هناك فترات مشابهة في التاريخ. لدينا معلومات بسيطة عن الفترة التي تلت، والفترة التي مضت قبل سقوط الإمبراطوريات العظيمة؛ اكتشفنا فجأة حضارة جديدة، والأحداث في الفترة التي كانت في الفترة السابقة مُحاطة بغموض عميق.

لقد تحدث نيتشه غالباً عن الاحتقار. يقول هنا: "في زمن ما كانت الروح تنظر إلى الجسد باحتقار؛ وكان ذلك الاحتقار أكثر الأمور سموّاً في ما مضى". هذه الفكرة عن الاحتقار غريبة جداً. إنها مصطلح تقني تقريباً. هو يقصد "بالاحتقار" موقفاً سلبيّاً يتم التعبير عنه بشكل درامي. كان موقف المسيحية السلبي في وقوفها ضدّ الجسد؛ أي إن أعلى أشكال المثالية يكمن في وجوب التغلّب على الجسد. لكنه يقول إنها وصلت حتى إلى الروح؛ وأصبحت الروح هزيلة وبشعة وجائعة لأنها فقدت الجسد. هذا التصريح لا يتوافق مع التعاليم المسيحية أبداً حيث إنك كلما تغلّبت على الجسد أكثر،

يُفترض بك أن تصبح أكثر جمالاً وسُمنة في الجنة. لكنك تجد من الناحية السيكولوجية أن الروح تصبح نحيلة فعلاً بسبب خسارتها مبررات وجودها. ما يصبح جميلاً وكبيراً وسميناً هو منظومة معينة من الأفكار تُسمى "المعتقدات"، "القناعات"، لكن روحك لا تعيش ضمن نظام أفكار من هذا النوع إلا لأن الشيء جديد، ولأنك ترى الخطر الذي تهرب منه. يبدو الأمر كما لو أنك تتجاز الجبال عبر طرقات سيئة ثم تصل إلى السهل وتقول: "يا له من سهل جميل!" وأنت لا تزال تحتفظ بذاكرتك بتلك الجبال العالية خلفك. ومتى فكرت بأنه ليس في السهل ما يثير نوعاً خاصاً من الاهتمام، تنظر إلى الخلف وتدرك أن الطريقة وعرة جداً وقاسية هناك، وأن الطريق هنا سهل على الأقل. لكنك تفقد منظر تلك الجبال، وستتوق إليها لأن المنظر الطبيعي كان أجمل بكثير من منظر السهل المربع بالنسبة إليك، والذي يمنحك شعوراً بالغثيان. وعندما تعود بالذاكرة إلى سفوح التلال الأولى حيث يمكنك التسلق بدلاً من الذهاب بمستوى واحد على مدى الطريق، تثمن تلك اللحظة. هكذا هو الحال مع هذه الحقيقة. طالما أن منظومة الأفكار المسيحية تعمل بشكل جيد، تكون الروح حيّة. وتنتج الروح نفسها تلك الأفكار لأن هناك حاجة لهذا النوع من الصيغ.

علينا أن نحاول تخيل الظروف الواقعية للحضارات القديمة المتأخرة كالحضارة الرومانية والإغريقية مثلاً، وماذا كانت أفكارهم الأساسية. عادة لا نعرف إلا القليل عنها، لذلك لا نستطيع تقييم كلمات المسيح، لأننا لا نعرف لمن كان يوجّه حديثه. ثمة أشياء معينة لا نستطيع أن نفهمها أبداً لأننا غير قادرين على إعادة بناء ظروف معينة قيلت فيها هذه الكلمات. تمت الإشارة بنوع من الدهشة إلى أنه في البوذية الهائية، وهي المدرسة الصغيرة الأصلية للبوذية الهندية، لا يوجد آلهة كما يبدو. لكن إذا عرفت أن أولى

تعاليم بوذا كانت تنقلب على بانثيون يشمل مليوني إله هندوسي، تستطيع أن تفهم تماماً لماذا لا نشعر بالحاجة إلى اختراع آلهة جديدة. كان بوذا مُرهقاً من تلك الآلهة كلها لدرجة توقّف عن الكلام عنها. (...) نيتشه هو ابن كاهن. وكان قد سمع تلك الكلمات مراراً وتكراراً، وهو ما يفسّر استخدامه لكلمة /احتقار/. كان التأثير المبكر لمرحلة شبابه هاماً جداً طبعاً. ومن هنا فليس عليك فقط أن تتذكر ظروف العالم الذي تحدث إليه النبي فقط، بل الظروف التي عاشها هو نفسه عندما كان طفلاً. يتوافق الأنبياء مع زمينهم بطريقة أو بأخرى. وهو لم يكن ليلتقط التأثير الكامل لروح زمننا لو لم يكن ابن كاهن يمثل النظام المحتضر والروح المحتضرة. يمكنه أن يتذوّق الشيء في أنقى مضمون له: لقد امتلك جوهر زمنه.

فكرة نيتشه التي تقول إن الروح لا تتغذى بكل هذا الكلام اللاهوتي هي فكرة واضحة للغاية: العقل يتغذى فقط، لكن الروح أبعد من أن تتغذى كما ينبغي. بل على العكس تماماً، يزداد جوعها وتتوق للتغيير لأن أية فكرة جديدة تمنحها الغذاء فعلاً. وجاءت الفكرة الجديدة لأن الظروف الأصلية التي كانت فيها التعاليم المسيحية صحيحة بالكامل قد تلاشت في العالم القديم. فمن خلفية عالم مسيحية القرون الوسطى كانت الفكرة الجديدة ضرورية لتغذي النفس ضدّ الفترة التي كانت تُعطى فيها الروح قيمة عالية جداً: كان هناك حاجة لتعاليم تؤكد على الجسد مجدداً. هناك كتاب جديد ألّفه كيسرلينغ بعنوان: "الثورة العالمية ومسؤولية الروح"

"La Révolution mondiale et la responsabilité de l'esprit"

وفيه يتحدث عن تمرد قوى الأرض، ويقول إن الإنسان نفسه مكون من ثمانين إلى تسعين بالمئة من قوى الأرض. وتقوم فكرته على أن هذه الثورة يجب أن تطفئها الروح؛ يجب على الروح أن تخمد تلك القوى. إنها الفكرة

المسيحية ذاتها: تقول الروح، يجب ذلك، لكن "كم هو قليل احتمال النجاح". يقول هو نفسه إن هذا لن يفيدنا، لكنه اتبع هذه الروح على الرغم من ذلك. وعلى أية حال، كان مايراه حقيقياً فعلاً هو العكس: جميع القيم الروحانية تهبط، ويأتي في الأعلى الأرض والإنسان كما هو، وليس كما يجب أن يكون، أو كما نرغب به أن يكون. إنه ينبثق كما هو لا محالة، وإذا كبحنه يصبح أكثر سوءاً. تلك هي المهمة، وسوف تؤدي إلى قيم جديدة تماماً للإنسان، وإلى فكرة دينية جديدة بالمطلق: إن تقدير الإنسان كما هو فعلاً، وتقدير العالم كما هو فعلاً، يتناقض مع الأوهام والتوقعات. وهذا سيدوم حتى يصبح العالم كما هو مقبولاً إلى حد ما، وبعد ذلك ستصبح هذه الحقيقة جافة وقليلة الأهمية، ثم سيأتي ما هو جديد.

شكلت هذه الموجات دورة التاريخ. ومن المفترض أنها تتبع أشهر السنة الأفلاطونية، لكن لدينا فقط تجربة ثلاثة أشهر، وهذا قليل جداً بالتأكيد مقارنة مع حقيقة أن كل سنة أفلاطونية تتضمن ستة وعشرين ألف سنة عادية. لكن الإنسان موجود طبعاً على مدى عدد من السنوات الأفلاطونية. ويعود وعيه إلى مئات آلاف السنوات التي لا تشكل منها السنوات الستة والعشرون ألفاً إلا جزءاً بسيطاً؛ وهكذا فقد أمضى الكثير من الوقت في حالة وعي إلى حد ما خلال فصول السنة الأفلاطونية كلها، وبالتالي لديه تجربة تلك التغيرات الفصلية هذه في عظامه. لدينا الآن مثلاً تغيير من مؤشر الربيع إلى مؤشر الشتاء. هذا لا علاقة له بالنجوم، إنه مجرد إسقاط دورة غريبة في الإنسان قد تُظهر نفسها في تغيرات القيم الدينية والأخلاقية؛ وربما أيضاً في تغيير الطباع أو شيء من هذا القبيل، تغير في برج اللاوعي. والآن، بعد التقدم قليلاً في هذا الفصل يقول زارادشت: "أليست روحكم فاقدة وقدارة وطمأنينة بالاسة؟" ما الذي يعنيه بعبارة "طمأنينة بالاسة؟"

بالمناسبة، هذه العبارة ليست كذلك في الأصل، فهي تعني حرفياً "الرضا البائس عن النفس".

السيدة باينز: يعني أن البشر يفضلون النوم على أن يعيشوا حياة شديدة التعقيد.

الدكتور يونغ: تماماً. إنها نزعة الناس للعيش دون أن يصيبهم الإزعاج، وكان هو في مواجهة عالم مغرق في المادية. كان القرن الثامن، وهم لا يودّون أن يصيبهم أي إزعاج، كما كان العالم لا يودّ أن يصيبه أي إزعاج؛ يود العالم دوماً أن يتعامل مع الأشياء بأسهل الطرق الممكنة. والناس الغارقون في طمأنينتهم البائسة، لم يستطيعوا أن يفهموا معنى الإنسان الأعلى. اعتقد نيتشه أنه كان من واجبنا، ومن التزامنا الأخلاقي الأسوأ، أن نخلق الإنسان الأعلى، أي ذلك الإنسان الأكثر سموً منا. وكما سنرى لاحقاً، هذا لا يغطي فكرته عن الإنسان الأعلى طبعاً. هو يقدّم لنا فكرة جديدة، ويقول إن الإنسان الأعلى هو بحر: "إنّه ذلك البحر الذي سيفرق فيه احتقاركم الأكبر". ما الذي يدلّ عليه من خلال مقارنة الإنسان الأعلى بالبحر؟

الدكتور ريكستين: الحياة كلها تأتي من المحيط. إنه اللاوعي الجمعي.

الدكتور يونغ: نعم، يرمز المحيط دوماً إلى اللاوعي الجمعي. إنه الرمز العام الشامل، والذات، والإنسان الأعلى، هو المحيط أيضاً وفقاً لزارادشت. وبالتالي فإن الذات هي الوعي الجمعي كله، ومنشأ الحياة ونهايتها، وأصل الأمطار وأصل الأنهار كلها، وأصل الكون كله، ونهاية كل التمايزات.

السيدة باومان: أليس مطابقاً لعبارة "أصغر من الصغير وأكبر من الكبير؟"

الدكتور يونغ: نعم، تلك هي صيغة الذات: ثمة توافق غريب بين الصغير والعظمة. الذات تشمل الكل مع أنها الأصغر – مبدأ يتصف بالتناقض

ويتجاوز فهمنا، كما يجب أن يكون بالتأكيد.¹ هذا يبين أن نيتشه لم يفهم الإنسان الأعلى على أنه النوع الأسوأ والأشدّ تبايناً مع الإنسان. نحن مثلاً البشر القروء الذين ينبغي أن نكون أكثر بشرية. غالباً ما يبدو كما لو أنه يقصد ذلك وحسب، لكنّ لديه حدس مرتبط بذلك، وفي فقرة كهذه نرى أن الأمر أكثر تعقيداً بكثير.

¹ بالنسبة إلى يونغ، أحد أكثر الأشياء التي تلفت الانتباه بشكل خاص عن القنوصيين الأوائل كان إيمانهم بأنه قبل المتضادات الضرورية للوعي وبهذا في أن معاً، ومع ذلك في علاقة معقدة مع الكائنات الأخرى الخارقة للطبيعة. في نظرية يونغ، كان شرط احتواء المتناقضات – الكبير/ الصغير، الذكر/ الأنثى، وما إلى ذلك – عبارة عن وصف للذات. انظر الأعمال الكاملة، المجلد التاسع، الفصل الرابع.

المحاضرة الخامسة

6 حزيران - يونيو 1934

الدكتور يونغ:

لدينا السؤال الآتي من الأنسة حنة: "يبدو غريباً بالنسبة إلي أن يستخدم زارادشت تعبير " ... ويمنع أحشاء ما لا يُدركه عقل ولا نظر..."، ليصف أن الإنسان يميل إلى ربط الأحشاء بالأرض؟

لكن يبدو هذا التعبير ملائماً جداً بالنسبة إلي لأن "الأحشاء" تعني ببساطة "المحتويات"، وفي عبارة "ما لا يُدركه عقل ولا نظر" يشير نيتشه بالتأكيد إلى الإله المجهول الذي مات بالنسبة إليه. ومن المضحك طبعاً أنه في مسار كتاب *زارادشت* كله يتولّد لديك شعور كما لو أن هذا الإله الذي ادعى نيتشه موته لم يكن ميتاً تماماً. كان متوارياً في الخلفية بطريقة ما وكأنه الشخص العظيم الذي لا يُدرك، ولا ينبغي الحديث عنه؛ عليك ببساطة ألا تأخذه بعين الاعتبار؛ إنه خطير جداً لدرجة لا يمكن حتى الإشارة إليه. وبالتالي فإن تعبيره الغريب بأنه لا يجب الاهتمام بأحشاء من هو غير معروف يعني أن أحدهم موجود هناك لكنه محظور (تابو). وكما ترين، يمكن تفسير الأمر سيكولوجياً من حقيقة أن نيتشه أطلق على نفسه

صفة الملحد، لأن أي شخص يصف نفسه بالملحد يكون مؤمناً سلبياً؛ وبشكل طبيعي هو لن ينكر شيئاً إذا لم يعتقد بطبيعة الحال أن هناك ما يجب إنكاره. إن ادعاءك بأنك ملحد يعني اعترافاً بوجود الله لأنك سواء أقممت بتأكيد الشيء أم بإنكاره فأنت تثبت أنه موجود: لا يمكن أن تُنكر شيئاً دون أن تمنحه وجوداً معيناً. هو موجود في مكان ما حتى لو افترضت أنه موجود في أذهان بعض الناس؛ وجوده في أذهان بعض الناس الآخرين يعني أنه موجود فعلاً. وهكذا فإنه نيتشه موجود في مكان ما ولديه محتويات معينة إلا أنه يجب أن يحرص على ألا يُشير إليها.

أن يكون الملحد مهتماً بالله بشكل خاص هو أمر ليس مفهوماً لنا لأننا لا نزال غير متمدّنين بطريقة لا يمكن وصفها من هذه الناحية، لكن الشرق يختلف عنا في مسائل كهذه. لديهم مقولة إن الإنسان الذي يحب الله يحتاج أن تُعاد ولادته سبع مرات لكي يُعتق أو يصل إلى النيرفانا، لكن من يكره الله لا يحتاج إلا لثلاث مرات. لماذا؟ لأن من يكره الله يفكر فيه أكثر بكثير ممن يحبه. لذلك فالمسيحي الملحد يكره الله لكنه بطريقة ما مسيحي أفضل من الذي يحب الله؛ نيتشه مسيحي أفضل وأكثر عقلانية بكثير من المسيحيين الذين سبقوه والذين سيأتون بعده. وهذا يفسّر الكثير عن كتاب *زارادشت* الذي يُعتبر كتاباً عقلانياً للغاية. وإذا كان على أحدهم أن يحاول عيش هذه التعاليم فسيحفظ بتجارب مدهشة. سيشعر بالتأكيد بأنه مسيحي أفضل من جميع أولئك الذين سبقوه. يمكنه أن يشتري هالة من نور لاستخدامه الخاص ويجعل نفسه القديس الأول والوحيد لكنيستته الخاصة. صحيح طبعاً أننا نستخدم تعبير "أحشاء...." بدلاً من الارتباط بالأرض، ونقصد بها من الناحية السيكلوجية محتويات اللاوعي التي نعتقد بأنها تشبه الأحشاء. لكن اللاوعي كان في الأدنى تماماً بالنسبة إلى العصر

المسيحي؛ كانت السماء النارية المضيفة في الأعلى. جميع "السلطات والإمارات" السماوية للكنيسة الكاثوليكية هي فعلاً محتويات اللاوعي،¹ لكنها في تلك الفترة أسقطت اللاوعي على العالم العلوي، ولم يتم تخفيضه إلى العالم السفلي، أي إلى الأرض والأحشاء الحقيقية والمنطقة المعوية ومملكة الجهاز العصبي الودّي إلا في الهبوط الذي حدث في السنوات الأربعمئة الأخيرة.

ثم لدينا سؤال من السيدة بيلوارد: "هل الفنان هو الشخص الذي يمكنه تأطير القوى الإبداعية في اللحظة والزمن الحاليين؟ وهل يفعل الجسد الشيء نفسه بالنسبة إلى الذات؟ - وهل الذات تخضع لقانون فرادة اللحظة في الزمن؟"

هذه مسألة فلسفية بامتياز. يمكن للفنان طبعاً أن يؤطر القوى الإبداعية في اللحظة والزمن الحاليين؛ تتكون قوته الإبداعية من حقيقة أنه يستطيع التعبير عن اللحظة الإبداعية الفعلية لأنه مُبدع، أو هو أداة القوى الإبداعية المرادفة. عندما يكون المرء مبدعاً، يخلق الشيء الذي يأتي إلى الوجود في هذه اللحظة، والذي كان وجوداً مُحتملاً سابقاً. ويفعل الجسد الشيء نفسه مع الذات؛ الجسد تعبير عن فرادة ما قبل الوجود. يبدو كما لو أنه بُني من خلال فرادة ما قبل الوجود؛ إنه إدراك وحدة الحياة. لكن ليست هذه الطريقة البيولوجية للتعبير عن الأمر. إذ يحاول علم البيولوجيا أن يفسّر الحياة من خلال السببية الفيزيولوجية، سببية تحولات الجسد الكيميائية، كما نحاول تفسير تطور أشكال معينة في

¹ فَبُنِيَ فِيهِ خَلْقَ النَّكْلِ: مَا فِي الْمُنْقَوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى، مَتَوَاءَ حَنِّ غُرُوفِنَا أَمْ سَبَاتَاتِ أَمْ رِيَامَاتِ أَمْ سَنَابِلِينَ. النَّكْلُ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ. (رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس 1:

ظروف مناخية أو ظروف فيزيولوجية أو فيزيائية معينة. لكن نجاح تلك التفسيرات ليس عظيماً بسبب افتقارنا العميق للمعرفة. وعلى سبيل المثال، لماذا يسود صنف معين من أصناف الحيوانات في حقبة جيولوجية معينة. كان هناك طبعاً عدد محدود من البحار، كان هناك بالتأكيد كمية محددة من البحر، لكن كان لدينا في إحدى الفترات حيوانات مائية، وفي فترة أخرى حيوانات برية؛ لا يمكننا الافتراض إلا أن الحيوانات المائية قد زحفت ببطء من البحر وأصبحت برمائية، ثم تطورت إلى حيوانات فضّلت أن تبقى على أرض ثابتة. لكن كيف فعلت ذلك ولماذا يبقى أمراً غامضاً. لا يمكننا أن نتخيل كيف يمكن لسמكة فجأة أن تتحوّل إلى حيوان يمشي على أربع أقدام ويتنقّس الهواء من رتبه. ولا يمكن حتى لمبادئ داروين أن تفسّر عدم موتها خارج المياه. لو جفّ البحر تماماً أو بقي جزء منه مثلاً، أي لو أنه ازداد ضحالة وجفّ ببطء لأصبح الماء أشدّ ملوحة ومات السمك فيه لأن السمك لا يستطيع العيش في وسط تزيد ملوحته عن نسبة معينة. لا يوجد في البحر الأحمر أسماك، ولا يوجد فيه أية حياة بسبب الملوحة عالية التركيز.¹ نستطيع أن نفترض أن البحر كان يزود بالمياه العذبة باستمرار، وأنه يتبخّر بشكل تدريجي، لكن نعرف بشكل عام أن جفاف البحيرة تدريجياً سيؤدي إلى موت السمك تدريجياً وليس تطوير رثات يتنقّس بها.

الأمر الغريب الذي يُطلعنا عليه علم المتحجّرات الآن هو أنه ظهرت في العصر الحديث أنواع كثيرة جديدة متطورة مكتملة النمو؛ لا نستطيع أن نجد أي أثر للمراحل التي مرّت بها أثناء تحوّلها. يبدو الأمر كما لو أن هذه الحيوانات كلها ظهرت بشكل مفاجئ. وفي الأزمنة الحديثة، بين المهتمين بهذه

¹ زلّة لسان. الصحيح في هذا المثال هو البحر الميت وليس البحر الأحمر.

القضايا من علماء بيولوجيا وعلماء أحياء وما إلى ذلك، نجد أن هناك ميلاً متزايداً لافتراض حالة خلق غريبة في الحياة، وإمكانية خلق أنواع جديدة بطرق مجهولة. ولدينا ما يشبه ذلك في ما يُسمى طفرات النباتات حيث يأتي إلى الوجود نوع جديد مكتمل النمو مثل نبات المزان (أشجار خشب الزان) الشهير ذي الأوراق الحمراء مثلاً، والذي انبثق فجأة إلى الوجود في جوالي منتصف القرن التاسع عشر: لقد حدث ذلك وحسب.¹ وهناك حالات أخرى معروفة جداً من طفرات الأشجار. لقد جعلت هذه التجارب علماء البيولوجيا المعاصرين يعتقدون أن هناك عوامل خلق غريبة في الحياة.

إذا طبقنا تلك الفكرة بشكل عام نستنتج أن هناك فرادة سابقة للوجود، أو وحدة حياة، تخلق جسداً معيناً وفقاً لفرادتها الغريبة، وهي تُبدعه كما يُبدع الرسام لوحة فنية من خلال رؤية مُسبقة. وإذا تم خلق الجسد من خلال الذات، وتطلّبت الذات فرادة معينة، فإننا نطابق هذا التفرد مع تفرد لحظة الخلق.² هذا مُثبت إلى حد ما من خلال حقيقة خرقاء جداً هي أن فرادة اللحظة الخاصة في الوقت الذي يُخلق فيه الشيء تتحدد بمواصفات معينة، كما يثبت من حقيقة أن الأبراج يمكن أن تعطي سمات الفرد.³ إذا كان من المستحيل أن نستدلّ على شخصية الإنسان من الأبراج، فإن فكرة تطابق فرادة الذات مع فرادة اللحظة عندما ينبثق

¹ "Fagus sylvatica purpurea"، ويسمى بشكل عام نبات المران الأرجواني أو النحاسي.

² في كتاب "أيتريا الأبنشاد"، يقوم "اتمان"، وهو الذات والخالق، بتشكيل جسد من خلال إعطاء امر للنار لتصوير كلاماً، ريحاً، نفساً، شمعاً، نظراً، قرأ، عقلاً، ماء، نطفة، وما إلى ذلك (Hume*, p. 274).

³ طرح يونغ آراء مختلفة عن موضوع الأبراج أو علم التنجيم. انظر أثناء محاضرة (13 شباط فبراير، 1935) لمزيد من الآراء السلبية، لكن لمزيد من النظرة الإيجابية عن ظواهر تنجيمية تمت معالجتها بشكل متزامن وليس سببياً، انظر الأعمال الكاملة، المجلد الثامن، صفحة 872-915.

الشيء إلى الوجود لن تكون صالحة؛ لكن يمكنك الاستدلال في الواقع من الأبراج، يمكنك أن تُبين شخصية الفرد إلى حد كبير جداً.

ستنابيع الآن في النص، والقسم الأخير من خطبة الإنسان الأعلى:
"ليست إثمكم هو الذي يصرخ في وجه السماء بل رضاكم؛ شحكم ذاته الذي في إثمكم هو الذي يصرخ في وجه السماء"

كلمة "sparingness – الشح" تعني باللغة الألمانية "Genugsakeit".
وأنا أود أن أسميها "frugality – توفيراً"، توفيركم ذاته الذي في خطيئتك
هو الذي يصرخ في وجه السماء.¹

"أين الصاعقة التي تلعقكم بلسانها؟ أين الجنون الذي كان عليكم أن
تُلَقِّحوا به؟

انظروا، أنا أعلمكم الإنسان الأعلى: إنه تلك الصاعقة، إنه ذلك
الجنون!"

لدينا هنا أيضاً "احتقار أو ازدراء كبير". هو يقول – قبل عدة فقرات من
هذه الفقرة – إن أعظم شيء يمكن للإنسان أن يختبره هو ساعة الاحتقار
الكبير. من الواضح أنه جعل منه هدفاً، ولا بد أنه يعني حقيقة سيكولوجية
محددة. ما الذي يعنيه بهذه العبارة هنا بحسب رأيكم؟

السيدة بايتز: ألا تعني الوصول إلى وجهة نظر تستعدّ فيها للتخلي عن
أثمن ما لديك؟

الدكتور يونغ: سنرى ما إذا كان هذا الاقتراح مناسباً. عندما أسأل الناس
ما هو أكثر ما يرغبون به، أو أثمن ما لديهم، تكون إجابة معظمهم هي

¹ "Genugsamkeit" ترجمها كولمان إلى اللغة الإنكليزية بمعنى "thrift – توفير، تقتير"؛
وترجمها هولنغثال بمعنى "Moderation – إدارة".

السعادة. تؤمن القارة بأكملها بمسألة السعادة من خلال عدم الاكتراث بيوم غد، والعبارة أشبه بقول مأثور تؤمن به جميعاً إلى حد ما. ثم سيقول آخرون إنهم يرغبون بالمنطق إلى حد معين. أنت تعرف أن إلهة المنطق اعتلت العرش في "نوتردام" بدلاً من الله، وأظن أن ذلك كان في عام 1796.¹ ثم صارت الفضيلة أهم ما هو مرغوب فيه وفقاً لبعض المعتقدات. وللزاهة قيمتها بالتأكيد لدى البعض باعتبارها أروع ما يمكنهم امتلاكه؛ تستطيع أيضاً أن تقول إنها الاحترام، لأنك إذا شعرت بأنك محترم جداً فأنت نزيه للغاية. وكان الأروع بين تلك الأشياء كلها هو الشفقة لأنها في صميم الحب المسيحي. الشفقة على كل ما هو حي تحتل جوهر البوذية أيضاً،² تصل إلى أبعد من ذلك بكثير لدرجة أن يقوم أحد كهنة المعبد بكس الأرض كل صباح بعناية فائقة لإزالة الحشرات التي يُحتمل أن تطأها بقدمك وليس بهدف النظافة، وهكذا تكون الحشرات مدعوة لمغادرة المناطق الدينية المقدسة لتحمي نفسها من أذية ممكنة لأقدامها أو أجسادها الضئيلة.

إذاً لدينا هنا سلسلة أشياء نبيلة جداً تمسكت بها البشرية دوماً باعتبارها الأعلى قيمة. لذلك فإن الفرضية التي وضعتها السيدة بايتز تفسر هذا الاحتقار على أنه احتقار لهذه الفضائل كلها. لكن لماذا تكون ساعة الاحتقار الأعظم، واحتقار تلك المثاليات النبيلة كلها، وأكثر الأشياء التي يمكن الرغبة بها قيمة، هي أكثر الساعات سمواً في الحياة.

إجابة: لأن هذه الصفات مجرد تعويض عن الظل.

¹ إن يونغ الذي قيل إنه قُتِم هذه المحاضرات من دون أوراق كان قريباً جداً من الدقة. تولت هذه الإلهة عرشها في ما أسمته الجمهورية الفرنسية الجديدة "معبد المنطق" عام 1793.

² بالنسبة إلى نيتشه، الشفقة هي "الضعف، كخسارة النفس بسبب آثار مؤذية. إنها تزيد من حجم المعاناة في العالم" (سلسلة الفجر، الكتاب الثاني، صفحة 85).

الدكتور يونغ: نستنتج إذاً أن نيتشه بحث فعلاً عن الأشياء الغامضة الكامنة خلف هذه القيم الجميلة كلها، كما لو أنها تجاوزت كل الخير الذي يمكن للجنس البشري أن يرغب به.¹ هذه فرضية أخرى.

هو يقول: ليست خطيئتك بل توفيركم، وشحكم في الخطيئة هو الذي يصرخ في وجه السماء! لذلك فقد أتى الاحتقار فعلاً من حقيقة أن الظل هائل وكثيف لدرجة أن يبدأ المرء باحتقار القيم جميعها التي أشاد بها الإنسان في الماضي. ولماذا ذلك؟ إنه يخلق بالنتيجة خيلاً مظلماً كالجحيم، وساحقاً لدرجة أنه من غير المجدي الإشادة بكل تلك الصفات الفاضلة؛ أعظم حقيقة هي في الظلمة وليس في تلك الأفكار التي تتحدث عن الجمال والضوء. وكونه يقول إن توفيركم في الخطيئة هو الذي يصرخ في وجه السماء يعني أنه يرى تلك المثاليات ذريعة أو حيلة ضد الحقيقة الساحقة التي تعتبر الخطيئة من طبيعة الإنسان.

ترى هنا كلمة "المسيحي" الجيد لكنها مسبوقة "بالحرف - a"²؛ هو يرى ذلك كله كخطيئة، وهي الطريقة التي يتحدث بها المسيحيون. هو لا يزال في ظل الكنيسة؛ لا يزال ضمن مناطق مقدسة، ويشعر بأنه مُجَدَّف. الأشياء

¹ في النظرية اليونانية، الظل هو تجسيد الجنس نفسه للأجزاء غير المرغوبة نسبياً - تتراوح من المزجة إلى الخبيثة - من مواجهة شخصية مع ما يمكن اعتباره أساسياً للتطور. انظر الأعمال الكاملة، المجلد التاسع، الصفحة 14.

² عندما يوضع الحرف "a" قبل الاسم فهو يلغي التصميم عنه، وفي هذه الحالة نصف "مسيحياً جيداً" وليس "المسيحي الجيد"، أي إننا نلغي وجود مبدأ عام يمنح الصفات الجيدة لهذه الفئة تحديداً. ولاحقاً، سنرى في أكثر من موقع إشارة إلى وجود الحرف "a" قبل الاسم. يقول مثلاً إن نيتشه تحدث عن الله مع إضافة الحرف "a" قبله، وهذا يعني أنه يتحدث عن "إله" وليس عن "الله" بالطريقة المتعارف عليه في الألبان. وأن الناس يتحدثون عن "عقيدتهم" دون أن يسبقها الحرف "a" أي إنهم يتحدثون عن "العقيدة" باعتبارها الشيء الصحيح المثالي وليس عن "عقيدة" خاصة لها وصفها وتقييمها. المترجم.

القائمة التي تُعتبر خطيئة لا تكون خطيئة إلا عندما تكون على القائمة المرتبطة بوجهة النظر السابقة عن الصفات الجيدة؛ إذا تخيلت يوماً أن هذه هي حقاً أروع المثاليات التي يمكن للإنسان أن يطمح إليها، فسيبدو حينها كل شيء أقل جودة وكأنه قاتم وأتم ولا أخلاقي. ومن هنا كان يأمل بشرارة برق تُخرج البشر من فكرة السهولة الخميصة تلك، وتوقظهم بحيث يستطيعون رؤية الحقيقة الفعلية للإنسان. واعتقد أن هذا البرق الذي ينبغي أن يلحق البشر بلسانه هو الإنسان الأعلى.

يمكننا أن نصف خطاباً من هذا النوع بالمجازي، حيث ينقل لنا فكرة عن حالة يكون فيها الجميع نائمين إلى حد ما، أي دون أي إدراك، ثم يوقظهم حدث مفاجئ كوقوع حادث مرعب أو الإصابة بألم شديد، ولهذا يكون البرق تشبيهاً جيداً. لكن ثمة شيء آخر في هذه الصورة عن البرق. تتضح هذه الصورة في مؤلفات صينية كان نيتشه يجهلها بالتأكيد. إنه مقطع شعري لا يمكنني اقتباسه حرفياً، لكن تقوم فكرته على أنه من وقت لآخر يغرق الإنسان في حالة نوم أو سبات يتعذر تفسيره، تماماً كما يكون حال الطبيعة قبل عاصفة رعدية. يكون الهواء ثقيلاً وجميع الكائنات الحية غارقة في النوم؛ لا تُبدي الأشجار أية حركة؛ يبدو كل شيء ككتلة من الرصاص الثقيل. يقول النص الصيني إن شيئاً ما ينتشر فوق الأرض كمعجزة لا يمكن تفسيرها، ويتبع ذلك دعوة لكي ينهض التنين الملتف على نفسه والقابع في الأعماق، حيث ينبغي أن ينهض ويقذف شرارات البرق بذيله ويوقظ الطبيعة كلها مجدداً.¹ إنه المجاز ذاته، لكن الرمزية أكثر وضوحاً هنا. ما الذي يعنيه هذا التنين؟

¹ أشار يونغ مراراً إلى أن التنين رمز إيجابي بالنسبة للصينيين، ذلك الذي يتلألأ في السماوات، مخلوق رشيق يعرض الأرواح الشريرة. انظر الأعمال الكاملة، المجلد العاشر، صفحة 939. كما يشرح زيمر كيف أن "إنرا" يلقي صاعقه على الثعبان الذي يتخذ شكل سحابة ويحرر "الفيضان

السيدة كرولي: لو كان هذا المقطع الشعري هندوسياً لكان يعبر عن الكونداليني.

الدكتور يونغ: نعم، لكن ما هو المعنى الصيبي؟
السيدة فيرز: مبدأ "اليانغ".

الدكتور يونغ: نعم، فالحالة التي وصفها هي حالة "الين" الذي يتخذ كل شيء فيه هيئة محددة. يكون كل شيء حقيقياً ولموساً ولا يدع مجالاً للشك؛ أعني عندما تصبح الأشياء كلها بحالة استرخاء. تعني حالة السبات العميق هذه أن مبدأ "الين" قد ابتلع مبدأ "اليانغ" بشكل كامل. تشبه الحالة غيمة داكنة تغطي وجه الأرض، ويكمن في ذلك الغيم القاتم برق ملتف مستعدّ للقفص. وعندئذٍ يطلق "اليانغ" قذائفه فيشق الغيم ويسقط المطر، ثم يصبح الجو صاحياً وتبدأ الأنهار بالتدفق، وتبزغ نباتات جديدة من التربة العطشى، وتُخلق حياة جديدة. يشير هذا التشبيه بالتأكيد إلى شرط سيكولوجي كامن في الرمزية التي تظهر بوضوح شديد في النص الصيبي. وهو تشبيه قريب جداً، كما أشارت السيدة كرولي للتو، من أفعى الكونداليني التي تُسمى "الملتفة"؛ تكون الأفعى الملتفة في حالة ثبات تام في أعماق الظلمة، في الكهف، وعندما تأتي اللحظة المناسبة مع حدوث شيء ما، تنبثق الكونداليني لتطلق هسيسها ولدغتها التي يكون مفعولها أشبه بوميض برق. يصف هذا النوع من الكونداليني لحظة سيكولوجية معينة يحدث فيها تحطيم للنظام القديم عبر نوع من الومض الحدسي؛

الحياة" (زيمر/ أساطير، صفحة 3). لوحة "التنقين التسعة" المشهورة التي رسمها فان تاوي عام 1244، تظهر تنقين بين الأمواج والغيوم. التنقين لا تجلب المطر فقط بل ترمز إلى التاو نفسه. انظر كتاب انطون كريستي بعنوان "أساطير صينية" (أفيلهيلم، ميونخ، 1968، صفحة 44-45).

يهبط على أحدهم حدس فجائي يكون أول وميض يفكك الحالة المعقدة التي كان يعتقد أنها باقية أبداً.¹

بهذا المعنى فهم نيتشه فكرة الإنسان الأعلى. اعتقد أن الإنسان اعتاد على فكرة جدوى العيش مع هذه الفضائل كلها، ومع هذه المثاليات والأشياء الجميلة، وظن أنه سيبقى على هذا النحو دوماً. يعيش الإنسان في نظام معين يحتل فيه موقعاً معيناً، ويبدو كما لو أنه خالد أبداً. لكن كما تعلمون، لم يتم إبرام معاهدة واحدة إلا واعتقد البشر أنها دائمة أبد الدهر؛ لم تتأسس دولة ولا كنيسة، إلا لتدوم إلى الأبد: يجب أن يدوم كل شيء إلى الأبد. هذا شرط مرغوب فيه على ما يبدو، ويجب أن يستمر إلى الأبد، على الرغم من حقيقة أننا نعرف جيداً كم تستمر المعاهدات عادة. لكن الإنسان يسعى مراراً وتكراراً لترسيخ شيء إلى الأبد. وهذا ليس سخيلاً لأن من جوهر الحضارة أو الثقافة أنها تستطيع مقاومة الزمن، عليها أن تقاوم الزمن؛ إن طابع أي شيء يصنعه الإنسان أن يستطيع مقاومة نشاط الحث المستمر الذي يمارسه الزمن والطبيعة. لذلك نبي بيوتاً بدل الملاجئ الهزيلة تحت الأشجار أو الخيم أو أية وسيلة زائلة أخرى؛ إننا نصنع أشياء متينة قدر الإمكان بغية تأكيد انتصار الإنسان على الطبيعة وعلى تحول الأشياء فيها. وإذا شعرت بأنك تصوغ فكرة فلسفية لن تدوم أكثر من أسبوعين قادمين، فلن تصوغها أبداً؛ أنت تصوغ فلسفة مع افتراض أنك ستأتي بالحقيقة التي ستدوم آلاف السنوات على الأقل. هذه النزعة لخلق

¹ يوغا الكونداليني، عقيدة بوذية للتقنات وممارستها، حيث "الكليسا - Klesha" أو الحث على الفرد، يتم ترميزه باللعى يستيقظ ويرتقي من قاعدة العمود الفقري عبر الشاكراس السبع أو أوراق زهرة اللوتس السبع، وتحت في كل مرحلة طاقة لنوع جديد من الوعي. وقد قدم يونغ ملاحظات سيكولوجية في محاضرات عام 1932 في النادي السيكلوجي للبروفسور فيلهيلم هاور (1881-1962)، المتخصص في الثقافات الهندية من جامعة "كوبينغن". وهذه المحاضرات والتطبيقات والمنقشات محفوظة "سيمنار يوغا الكونداليني".

شكل من أشكال الحضارة، سواء أكان دينياً أم سياسياً أم اجتماعياً، كان لديها دوماً ادعاء الديمومة ومقاومة هجمات الطبيعة والزمن. وفي ظروف كهذه، في الجزء الأخير من العصور الوسطى، وُلِدَ نيتشه.

أنتم ترون أن العصور الوسطى قد امتدّت حتى بداية الحرب العالمية؛ ما زال لدينا نظام إقطاعي، ولدينا ملوك وأمراء إقطاعيات وفقاً لأفكار العصور الوسطى - بأشكال مختلفة إلى حد ما طبعاً، لكنها لا تختلف كثيراً عما كان في الألفيتين الماضيتين. أفضل دليل على ذلك هو أننا لا نزال نؤسس قناعاتنا الدينية والفلسفية على العهد الجديد. هو السلطة العليا، وقد خلق شكلاً اجتماعياً وأخلاقيات وقناعات دينية وفلسفية معينة؛ حتى لو كانت مسبقة "بالحرف a"، ولم تتم الإشارة إليها بنوع من التخصيص. وحتى عندما ننفي تلك المعتقدات القديمة تبقى قناعاتنا موجودة الآن كما كانت دوماً. وُلِدَ نيتشه في فترة كهذه كما قلت سابقاً، وشعر بوجود حالة سبات لا بدّ من تفجيرها بفكرة الإنسان الأعلى التي تعني أن الإنسان ليس شكلاً محدداً، ولا كينونة محددة بقيت على حالها للملايين السنين، بل يستطيع أن يتغير، ويمكن أن تُصيبه طفرة تحوّله فجأة إلى شيء آخر.

وهذه أيضاً فكرة مسيحية طبعاً: فكرة "التحوّل" المسيحية. في الأيام الأولى للمسيحية كان لديهم فكرة "التحوّل" ذاتها، وهي أنه عندما يخضع الشخص لطقوس "السّرّ المقدّس، القَسَم - *mysterium*" أو إلى "*sacramentum*" (المصطلحان مترادفان: مع بدايات الكنيسة كان يُسمى "*mysterium*"، ولاحقاً فضّلوا أن يُطلقوا على تلك الطقوس الغامضة اسم "*sacramentum*"، لكن العملية كانت ذاتها)، يُصبح مقدساً، أو يصبح "مانا" لأنه يتحوّل إلى شيء آخر. يتم تغطيسه بالماء بشكل كامل، ثم يُسحب منه كما لو أنه يخرج من رحم. وفي كتاب *القُدّاس الروماني*، لا يزال يُطلق على مكان العمادة في الكنيسة اسم "*uterus ecclesiae* - الرحم الكنسي"،

ويُطلق على من خضعوا لهذه العملية اسم "المولودين من جديد" - *quasi modo geniti*¹. كانوا يفهمون العملية بأنها تغيير كامل وشامل للإنسان؛ لم يعد آدم القديم بل تحوّل إلى شيء جديد. ارتدى الجسد الجديد، هيئة يسوع، وتحوّل إلى طفل الله الكائن الخالد. ومن دون المعمودية، أو من دون مشاركة يفقد المرء *دواء الخلود*، ويكون مجرد كائن عادي كالحيوان؛ لا يكون لديه روح. وبلغ هذا الاعتقاد في عمقه حداً جعل "ترتليان" يعتقد بأنه لن يعود بإمكان الشخص الخاضع لطقوس العمادة أن يرتكب أي خطيئة، وإذا حدث وارتكب خطيئة ما بمحض المصادفة، فلا بدّ أن شيئاً خاطئاً حدث أثناء طقوس المعمودية، ويجب إعادتها. وقد أدهشته رؤية أشخاص يرتكبون الآثام حتى بعد معموديتهم الثانية؛ ظنّ حينها بأنهم كانوا أولاد إبليس، وضائعين تماماً، ويجب التخلّص منهم ببساطة. لكن في أيامنا هذه، عندما لا يتصرّف أحد أعضاء حركة دينية وفقاً للقواعد المطلوبة، يُطلق عليه صفة العصاةي ويرسل إلى المحلل النفسي. وحينها يطالب المحلل النفسي تبريراً لذلك، ماذا بإمكانه أن يفعل، هل هو أعظم من الله؟

لا يزال الاعتقاد السائد هو أننا نصبح أشخاصاً مختلفين تماماً عبر عملية التحوّل الديني. يتعم أحدهم بالدين المسيحي ويصبح عالماً، ويُفترض بأنه تغيّر بشكل كامل، فيقول أحدهم: انظر إلى هذا الشخص الآن، لقد كان في السابق مجرد وغدٍ حقيقي لكنه تغيّر الآن، لم يعد يشرب الخمر ولا يهدر وقته بمطاردة النساء، إذلاً لا بدّ أن التعاليم المسيحية التي غيرته هي الحقيقة المطلقة. ثم تأتي الطوائف الميثودية والمعمودية وجيش الخلاص وحركة إكسفورد وأربعمئة فئة أخرى لتخبرك أن جميع أتباعها أصبحوا

¹ "كتاب القّاس الروماني - *The Missale Romanum*" هو كتاب يحتوي على خدمات القّاس، ويعني التوصيف في حالتنا هنا مبالغة رحم الكنيسة الذي يمكن أن يولد الجميع منه من جديد.

مختلفين تماماً؛ معيار الحقيقة هو ذلك الشخص الذي تغيّر، مما يؤكد بعض السحر السري في هذه الأشكال أو القناعات. كان هذا معتقد المسيحية الأولى، وهي الفكرة ذاتها التي يطرحها نيتشه هنا: فكرة أن الإنسان الأعلى سيظهر كالبرق، وهو ما يزعج حالة السبات العميقة لعالمه، بحيث يمكن لهذا الإنسان أن يتغير. هي غير مطابقة تماماً لفكرة التحوّل المسيحي من خلال نعمة الله أو المعمودية. وهذا يرجع للإنسان، لأنه عندما يموت الله يظهر مرة أخرى في الشخص الذي قتله؛ الملكات الإبداعية السماوية يجب أن تسكن في الإنسان. وعندما يحظى الإنسان بملكات التحوّل إلى الإنسان الأعلى، ولا نعني بذلك امتلاكه مزيداً من الفضائل بل تجاوزه للإنسان الموجود اليوم، أي إنه مخلوق مختلف بشكل واضح، يمكنه التعامل مع الظلمة الموجودة في الطبيعة البشرية.

الدكتور ريكستين: أعتقد أن الصورة الأقدم عن هذه الفكرة هي الأسطورة الإيرانية عن الإنسان البدائي الأصلي الذي كان نائماً ويُفترض به أن يستيقظ.

الدكتور يونغ: نعم، تلك فكرة مشابهة، وهناك معتقدات بدائية أخرى تقول إن الثنائي الأول، أو الإله الأول، كان نائماً ويجب إيقاظه.

عندما قال زارادشت ذلك، صرخ أحد الحاضرين: "كفانا كلاماً عن راقص الحبل هذا؛ دعونا نراه". وإذا الشعب كلّهُ يضحك ساخراً من زارادشت. لكن راقص الحبل الذي ظنَّ أنّ ذلك الكلام كان فعلاً يعنيه، يشرع الآن في أداء عمله.

إلام يشير راقص الحبل هنا؟

تعليق: إلى زارادشت؟

الدكتور يونغ: حسناً، لا بد أن أقول إن هذا غير واضح تماماً. نحن لا نعرف إلا بوجود إنسان هو راقص الجبل فعلاً، ثم طالب الناس أن يقوم راقص الجبل بعمله¹. لدينا هنا التباس معين بين راقص الجبل الحقيقي والرمزي.

السيدة باومان: ربما يكون الإنسان الأعلى.

الدكتور يونغ: نعم، لا يمكن مقارنة الإنسان العادي براقص جبل؛ هو يعيش في منازل جيدة ومدن آمنة تحميها الشرطة، وهناك قوانين رائعة وحدود لكل دولة وحالات مستقرة. لكن راقص الجبل يسير على جبل مشدود في الهواء؛ إنها لعبة بهلوانية، وإذا سقط فسوف يموت. إنها مغامرة هائلة، ورمز لحالة انتقال خطيرة. وبالتالي في حالة راقص الجبل هذه، يمكن للإنسان الأعلى أن يكون إنساناً عادياً يقوم بمخاطرة كبيرة كراقص جبل يجاذف بحياته. يبدو الأمر كما لو أن لدينا سوء فهم هنا بين الجمهور والمتحدث. يعتقد الناس أن زارادشت يتحدث عن راقص جبل حقيقي بينما هو يتحدث في الواقع عن الإنسان الأعلى الذي يرمز إليه راقص الجبل المشدود.

كنا نقرأ خطب زارادشت وأفكاره ولم يكن فيها سوى القليل من الأداء، لكننا نصادف هنا بعض الأداء مجدداً، كما كان الحال مع هبوط زارادشت من الجبل ولقائه بالعجوز الحكيم. ومتى تحوّل الكلام إلى فعل، يكون هناك مبرر لذلك. هل تعرف ما هو؟ لماذا يتحوّل الكلام فجأة إلى فعل؟

السيدة فيرز: إذا كان ما ينبغي قوله غير واضح، وغير مُدرك بما يكفي ليُصاغ بكلمات، يحتلّ موقعه نوع من الأداء الرمزي.

¹ في السيرة الذاتية التي ألّفها حول أخيه، لم تتحدث الزبابت نيتشه فقط عن الظهور المتكرر لبهلوانيين (الراقصين على الجبال) في مدينتهم نومبيرغ بل حتى روت أمثلة عن بهلوانيين يقفز أحدهم فوق الآخر. كتاب "حياة نيتشه" المجلد الأول، صفحة 54.

الدكتور ريكستين: الخطاب أحادي الجانب دوماً، والأداء هنا قد يكون ردّ فعل من جانب اللاوعي أظهره الخطاب سابقاً. إنه يعلم جانب "البانغ" إلى حدّ كبير، لذلك قد يكون الأداء ردّ فعل من جانب "الين".

الدكتور يونغ: يتوافق كلامك بطريقة ما مع ما قالته السيدة فيرز. ثمة ما هو مفقود في الخطبة كما يبدو؛ مع تلك العبارة: "أنا أعلمكم الإنسان الأعلى"، تم الوصول إلى ذروة معينة لم يستطع تجاوزها في تلك اللحظة. قال إنّه تلك الصاعقة، إنّ ذلك الجنون، ويجب الآن أن تستمرّ الخطبة طبعاً ويقول من أين ستبدأ، وكيف سيكون أثر الصاعقة أو أثر الجنون، وكيف ستظهر الصاعقة؟ لكن بدا حينها وكأنه أعاق نفسه بعقبة ما، واختفت الخطبة. كان ذلك أشبه بتوقف أثناء الكلام: أفكار المرء تهجره فجأة، وعليه أن يفعل شيئاً حيال ذلك، ثم يتحول إلى الأداء والفعل، ويجب أن يكون هذا الفعل تعبيراً رمزياً عن الكلمة المنطوقة.

السيد نوثال سميث: لا بدّ أنه حدث عندما تعب من الكلام.

الدكتور يونغ: لا يتعب زارادشت من الكلام بسهولة.

السيد نوثال سميث: لكن البشر تعبوا.

الدكتور يونغ: هو لا يكثر بالبشر، ولدينا الدليل على ذلك في المقطع الآتي حيث قال: "لكن زارادشت ظلّ ينظر إلى ذلك الشعب ويتعجب، ثم تكلم هكذا:....". لقد تابع الكلام؛ هو ليس خائفاً من إرهاب البشر بكلامه، وكان ذلك قبل أن يتمكن راقص الحبل المشدود من القيام بالأداء، لأن زارادشت لا يزال يتحدث. لا، لقد أصاب شيئاً ما هناك، لقد أعاق نفسه بعقبة غير مرئية، وهنا طبعاً يكون الانتقال إلى سؤال عن كيفية عمل هذه الفكرة، ما الذي تعنيه للإنسان، وما الذي تعنيه لنفسه قبل كل شيء. عندما يتحدث أحدهم قليلاً ثم يتوقّف فجأة غير قادر على صوغ جملة

أخرى يمكنك التأكيد على أنه صادق شيئاً ما في نفسه سبب له هذا التردد.¹ إذا صرح أحدهم بقناعاته المقدسة التي تقول إن الأمور يجب أن تحدث دوماً بهذه الطريقة وتلك، ومن ثم لم يعرف كيف يتابع كلامه، فهذا لأن الشيطان كان عالماً به ويسأل: "هل تعرف فعلاً ما هي قناعتك؟" أو "هل تعني فعلاً ما تقول؟" من الواضح حينها أنه لا يعرف ما قاله أو ما هي قناعته. يحدث هذا غالباً عندما يقول الناس أكثر مما يستوعبون فيضطربون من أعماقهم؛ ينسون ما أرادوا قوله لأن اللاوعي قد أعاقه. كانوا ينزلقون تلقائياً ويبحرون بسهولة عندما اصطدموا ببابسة في المياه الضحلة حيث انبثق اللاوعي وغدا قريباً من السطح: أعاقهم اللاوعي فجأة. في حالات كهذه تأتي الرمزية، أو يأتي الأداء الدالّ على وجود عرض ما.

في هذه اللحظة. تردد زارادشت، ونظر إلى الناس مذهولاً. كان يُفترض به أن يُذهل من نفسه في الواقع لأن نيتشه هنا لامس شيئاً أطلق شرارة في الوقت الحاضر. هو قادر على الاستمرار، لكن في الوقت الحالي، وبينما زارادشت يتابع كلامه، بدأ الأداء الرمزي بالعمل. الآن، من الواضح أن راقص الحبل مرتبط بزارادشت - إنه أدائه الرمزي - واعتقد أننا لسنا مخطئين في افتراض أنه كان يمثل الجانب الدوني من نيتشه لأن انشغاله براقص الحبل المشدود في الفصول اللاحقة يُظهر أنه مهتم جداً بهذه الشخصية، ويرى نفسه فيه. وهكذا ربما نفترض حالياً، كما يحدث حينما يحلم المرء بشخص دوني، بأن هذه هي الشخصية الظلية، أي الشخص الدوني الكامن في داخله. وبالفعل، الإنسان الدوني الكامن فيه، والذي علق

¹ يستخدم يونغ هنا تجريته التي تُسمى "تجربة الارتباط"، حيث يراقب فيها توقف استجابة الأشخاص المشاركين في التجربة على كلمات تحفيزية معينة، ويستطيع من خلال ضبط المركبات والعقد التي لديهم. انظر الأعمال الكاملة، المجلد الثاني.

به في هذه اللحظة يقول: "ماذا بشأن الانتقال الآن إلى الإنسان الأعلى؟ كيف يمكن أن تصبح إنساناً أعلى؟ لأن هذا متوقع منك يا زارادشت؛ منك شخصياً يا فريدريك نيتشه. كيف تتجاوز نوبات الصداق والإقياء وعدم النوم، والضعف الجسدي والأدوية المهدئة، والحساسية والهيجان الرهيبيين؟"¹ أنت ترى أن ذلك يمكن أن يحدث لكل فرد منا. بدأ الآن الكلام مجدداً عن الإنسان الأعلى، لأنه بدأ يتساءل ما هو أثر الإنسان الأعلى أو معنى فكرته بالنسبة إليه شخصياً. وهكذا يقول بنوع من طرح الأفكار:

"الإنسان حبل معقود بين الحيوان والإنسان الأعلى – حبل فوق هاوية."

تلك كانت إجابته على شكوكه المرتبطة بكيفية انتقال الإنسان العادي إلى إنسان أعلى، وبأية وسائل يمكن لهذا الانتقال أن يحدث، ولماذا يجب أن يحدث. تلك كانت شكوك الشخص الدوني القابع في داخله، لذلك كانت بأسلوب التحذير نوعاً ما.

"خطر هو العبور إلى الضيقة الأخرى، خطر هو الطريق، خطر النظر على الوراء، خطر هو التردد، والتوقف خطر."

تكمُن عظمة الإنسان في كونه جسراً لا هدفاً؛ وما هو مستحب فيه هو كونه معبراً وصيرورة اندثار."

العبارة باللغة الألمانية هي "Untergang and Übergang"، وهي تعني حرفياً "يعلو أو يذهب إلى المآراء، ثم يغرب مثل الشمس. هو يقول:

¹ "الأم الرأس المستمرة، والإقياء المستمر، وكل أمراض السابقة عانت مجدداً، ملفوفة في حالة إرهاب عصبي يجعل جسدي كله عديم الفائدة... أنا لا أعاني من مرض الدماغ" (من رسالة إلى فرانس أوفرييك، الرابع من تموز - يوليو، 1888، في رسائل/ ميللتون).

"أحب أولئك الذي لا يعرفون كيف يعيشون إلا كعابرين إلى الهلاك،
فهم الذين يعبرون إلى الضيقة الأخرى."

كان من الأفضل القول: "أحب أولئك الذين لا يعيشون، ويبقون كفروب
الشمس، لأنهم يمشون إلى المآراء".¹

"أحب من عظم احتقارهم لأنهم أفضل المبجلين، وهم مهام التوق إلى
الضيقة الأخرى."

كان يهدئ نفسه بهذه الكلمات أو يشرح لنفسه لماذا هذا التوق إلى
الإنسان الأعلى، أو لماذا يكون مضي الإنسان إلى المآراء فضيلة أعظم من
بقائه كإنسان عادي. هو يؤكد لنفسه محبته لأولئك البشر الذي لا يبقون
على ما هم عليه بل يعيشون كي يتحولوا، كي يتجاوزوا أنفسهم ليصبحوا
شيئاً آخر.

"أحب أولئك الذين لا يسعون إلى مبرر خلف النجوم من أجل الهلاك
والتضحية بأنفسهم، بل يضحون بأنفسهم للأرض، كي تصبح الأرض يوماً
ملكاً للإنسان الأعلى."

لقد أنكر فكرة التضحية بالذات المسيحية من أجل أن يتجاوز العالم،
من أجل روحانية تسمو على العالم الدنيوي. لم يَزَ أية ميزة في قتل الجسد
لصالح الروح، والأهم من ذلك أن الإنسان لن يتحول إذا ضحى بنفسه من
أجل الروح وحسب. تقوم فكرته على أن العيش والتضحية بالنفس من
أجل الأرض والواقع يتطلب شجاعة وفضيلة وتضحية أعظم بكثير؛ فإذا
ضحى الإنسان بنفسه من أجل واقع حقيقي ملموس، سيتحول هذا

¹ ترجمة أخرى: "أحب أولئك الذين لا يعرفون كيف يعيشون إلا عن طريق الهبوط، لأنهم هم الذين
يعبرون" (كولمان، صفحة 127).

الإنسان ويمهّد الطريق للإنسان الأعلى. يصادف المرء أحياناً مشاكل كهذه لدى أشخاص يخضعون للتحليل، ولا سيما في حالات التحوّل. وترى ذلك يحدث أحياناً للأتقياء الذين يُصابون بحالات عُصاب تجعلهم يلجؤون إلى التحليل النفسي مع الأسف، حتى إنهم يقعون في حب المحلل. كما أنهم يصلون إلى حالة تحوّل تتخذ أحياناً جانباً دينياً مقلقاً للغاية - يتخذ المحلل موقع يسوع: يودّون لو يقبلون قدميه ويسمّونه يسوع. وتتطوّر الحالة إلى مقاومة هائلة ضدّ هذا التحوّل التجديفي. لكن كلما ازدادت المقاومة، ازداد الإسقاط - حتى تغمره الإسقاطات المسيحية السلبية بشكل كامل تقريباً. وعندئذٍ لا يصبح في هذه الحالة يسوع وحسب بل يُصبح هو الشيطان نفسه. عادة ما يكون الصراع هائلاً لدى هؤلاء. ويحدث معهم الشيء ذاته الذي لمَح إليه نيتشه: يُصبحون عُصابيين لأنهم يبالغون بروحانياتهم. يتماهون مع الأرواح الموجودة في الجنّة ويتخيّلون أنفسهم أرواحاً ولا شيء آخر.

لكن لديهم ظل كثيف لسوء الحظ. لديهم جسد متوارٍ لا يتوافق مع ظاهريهم الروحاني، فيثور ضدّ هذه الروحانية ويسبّب العُصاب. ولاحقاً أثناء التحليل النفسي، يصبحون مدركين لحقيقة أن هناك شيئاً هو الجسد، وأن الروح لا تدفع ثمن الأداء كله. على الجسد أن يدفع مقابل الضرر أيضاً. ثم يصرّ اللاوعي كثيراً على الحضور الجسدي للمحلل؛ لهذا التحوّل معنى أنه ينبغي عليهم إدراك إسقاطات مكنوناتهم الدينية على إنسان عادي كالمحلل. ويكونون سعداء جداً بالطبع إذا لم يكن شخصاً عادياً. "يا له من شخص عظيم!" ذهنه الاستثنائي يبرر حقيقة تحوّلهم لأنه لو كان شخصاً عادياً لما كان ذلك ممكناً. لكنني أؤكد، ليس ذهنه إطلاقاً.

لقد اختبرت ذلك لسنوات طويلة. في محاضرتي الأخيرة في الجامعة،¹ نزلت الدَّرَج إلى جانب بعض الفتيات وسمعت تعليقاتهن: "لم أفهم كلمة مما قاله اليوم". "لم تفهمي؟ كانت واضحة وضوح الشمس". "إذاً هل تستطيعين أن تفسري لي هذا الشيء الذي قاله أو ذاك؟" "أوه، لا، أنا لم أفهم تماماً لكنني أعرف أنه على حق، إنه قوي جداً ويتمتع بصحة جيدة"

إنه لشيء مريع أن تجد قيمك كلها تُسقط على مخلوق بشري ذي جسد، ولا سيما قيمك الدينية. وأنا أؤكد على أنه إذا كان لهذا الشخص ذهن، فهذه عقبة، ليس شيئاً جيداً إطلاقاً لأن عليك حينها أن تُبعد العقل كله لترى أنه جسد. وأن ترى قيمة دينية في الجسد لهو اكتشاف مريع للمسيحي المؤمن. إنه ذلك الشيء الذي لَمَح إليه الرب بذاته عندما تحدث عن إمكانية أن يُرى على هيئة أدنى إخواننا، وأننا نستطيع أن ندرك الرب في أدنى إخواننا. عبارة حكيمة جداً، لكنها بغیضة جداً بالنسبة إلى المسيحيين. هي بغیضة لأنهم لا يريدون سوى الشفقة على أدنى إخواننا؛ فكرة رؤية أي شيء ذي قيمة دينية عالية فهم فكرة خطيرة جداً. لقد شرحت ذلك مرة في مؤتمر اللاهوتيين في ستراسبورغ فحوّل الجميع نظراتهم عنه والتفّوا عليه. بدت تلك الفكرة وكأنها حساء ساخن لا يرغبون بلمسه بإصبعهم. لكنها باللغة الأهمية على الرغم من ذلك؛ تُعتبر مشكلة في أيامنا هذه، وكان نيتشه مهتماً بها طبعاً. هو يفهم قبول رجل الأرض كتضحية ذاتية لها ميزة أعظم بكثير من أية تضحية أخرى من أجل الروح. يرى أن قبول الإنسان الحقيقي

¹ استقال يونغ عام 1913 كمحاضر خارجي في جامعة زيورخ، وهو المنصب الذي شغله منذ عام 1908. لكنه ربما كان يقصد هنا محاضراته الأخيرة في "المعهد الفيدرالي السويسري للتكنولوجيا" في زيورخ.

المتماهي مع جسده، هو المعنى الأعظم لزمنا، لأن تضحية كهذه ستضع الإنسان الحديث أمام مشكلة بالغة الصعوبة، وغير قابلة للحل تقريباً. وسنقبل عندها أي شيء في العالم، أي شيطان أو أي جحيم، بدل قبولنا لذواتنا بشكلنا الملموس على وجه الخصوص. هذا أكثر ما نخشاه. وكما ترون، لا يُعتبر هذا المخلوق أثماً جداً، ولا حتى مميزاً في أثنائه، بل هو مجرد مخلوق تافه من منزلة متدنية، ولا يُثير أدنى اهتمام. نحن نفضّل الأثام المميزة على أن نكون ذواتنا بكل التفاهة التي نمثلها. ومن هنا يتابع زارادشت: "أحبّ ذلك الذي يحيا ليعرف، والذي يتوق إلى المعرفة كي يحيا الإنسان الأعلى يوماً ما. هذا ما يريده طالب المعرفة من هلاكه."

هنا أيضاً الكلمة الألمانية المعروفة "Untergang" التي تمت ترجمتها إلى اللغة الإنكليزية "down-going" وتعني الهبوط أو غروب الشمس أو الهلاك؛ والمعنى النهائي هو غروب شمس كل مثالياته عن نفسه؛ إنه تحرر استثنائي من الوهم، وزيادة في المعرفة. فبدون التحرر من الوهم لن تصل المعرفة، ومن دون المعرفة لن تحظى بوعي جديد، ومن دون الوعي لن تتغير: عندما تعيش في اللاوعي، تبقى كما أنت إلى الأبد.

"أحبّ ذلك الذي يعمل وابتكر كي يبني بيت الإنسان الأعلى."

هذا هو الإنسان الجديد الذي يعرف، الإنسان الذي سيزداد وعيه فردانية إذا استطاع أن يستوعب حقيقة نفسه.

"ويهبّ له الأرض والندابة والزرع؛ وهكذا يمضي بإرادته إلى الهلاك."

هو يهبط إلى الواقع الملموس. ويصبح من جديد إنساناً غير متماهٍ مع مثالياته. أي إنه خلق مثاليات جديدة تتوافق مع الإنسان الحقيقي، مع الإنسان بالشكل الذي يكون عليه في الجسد.

"أحبّ ذلك الذي يحبّ فضيلته: فالفضيلة هي إرادة الهلاك، وسهم التوق."

مرة أخرى فضيلة الهلاك، أو فضيلة الهبوط، فضيلة الوصول إلى الأرض، إلى الإنسان كما هو. وسهم الرغبة المتأججة هو التغيير، هو المضي إلى الماوراء لأن قبول المرء لذاته يؤلّد لديه التوق ليكون مختلفاً وهو ما يجعل العالم كله يسير قُدماً. نحن لا نريد أن نكون ذواتنا لأننا لا نستطيع تحمّل أنفسنا؛ لذلك لا نحرز أي تقدّم. ثم نبقى على حالنا ولا نقبل الشيء الوحيد الذي يُعتبر قوة دافعة كافية لتحقيقها. لكن عندما نقبل الشيء الذي نراه كريهاً، تتولّد رغبة التغيير الحقيقية، وليس قبل ذلك.

"أحبّ ذلك الذي لا يحتفظ لنفسه بقطرة واحدة من الروح، بل يريد أن يكون بكلّيته روحاً لفضيلته؛ ويكون بذلك روحاً يعبر الجسر."

هو يحبّ من لديه الحدس لفضيلة كهذه، والذي يفهم بشكل حتمي على الأقل معنى تلك الفضيلة، وهكذا يعبر الجسر بالروح.

"أحبّ ذلك الذي يجعل من فضيلته نزعته وقدره: فمن أجل فضيلته يريد أن يحيا أو يكفّ عن الحياة."

يُظهر ذلك أنها بالفعل تضحية بالذات لأنك تخاطر بالعيش، أو تخاطر بالموت. مشروع يتضمن كل المغامرات الموجودة في مشروع حقيقي، ولديه مخاطره الخاصة. ليكن ذلك حبّي من الآن فصاعداً.¹ هذا هو الموقف السائد في ألمانيا الآن. وهو المعنى الداخلي للنازية. يعيشون لكي يعيشوا - أو يموتوا. عندما تسمع الناس الجادين فعلاً يتحدثون، تُدرك تماماً أن نيتشه

¹ "Amor fati": ليكن ذلك حبّي من الآن فصاعداً" (العلم المرح، صفحة 276). إن محبة نيتشه للقدر، واعتناقه "للعود الأبدي"، هو جزء من الفلسفة اللاحقة عن "تأكيد الحياة - affirmation".

قد تَوَقَّع هذا النمط. هم يثْمَنون أنهم على أهبة الاستعداد، ثم يسأل أي عقلاني بشكل طبيعي، لأجل أي شيء؟ هذه هي الفكرة تماماً – لا أحد يعرف لأجل أي شيء هو مستعد. ليس لديهم أي برنامج، ولا مخطط قيد الإنجاز. إنهم يعيشون اللحظة ولا يعرفون إلى أين يتجهون. يعترف الأعضاء المؤهلون والفعالون في ذلك الحزب بأنهم لا يعرفون، لكن ثمة شيئاً واحداً مؤكداً: إنهم ذاهبون بلا رجعة، وعلمهم المخاطرة. ثم يسأل العقلانيون: "ما هي المخاطرة؟" وتكون الإجابة "مخاطرة". لا يعلمون بماذا يخاطرون؛ يتخذون بطبيعة الحال موقفاً لأن علمهم أن يتخذوا موقفاً، وهو موقف يتضمن مخاطرة من أي نوع كانت. إنه محض جنون وجهة النظر العقلانية، وهو ما كان يقصده نيتشه. ومن هنا قال إن الإنسان الأعلى هو الصاعقة أو الجنون. يمكن للمرء أن يقول إن هذا كله جنون مَرَضِي أو سماوي أو شيطاني، لكنه بالضبط الجنون الذي يعنيه نيتشه. لهذا يُعتبر نيتشه المتنبي العظيم لما يحدث في ألمانيا فعلاً.

"أحبّ ذلك الذي لا يرغب بالكثير من الفضائل. ففي الفضيلة الواحدة فضيلة أكثر مما هو في اثنتين، لأن تلك هي العقدة التي ينشد إليها القدر."

عبارة تفيض حكمة لأنه كلما ازدادت رغبتك بالفضائل، ازداد ابتعادك عن مقصدهك الحقيقي. لا يوجد سوى تلك الفضيلة التي تجعلك تعيش ما أنت عليه.

"أحبّ ذلك الذي يبدّر روحه، فلا يريد شكراً ويدفع شيئاً بالمقابل: فهو يهب دوماً، ولا يريد أن يحافظ على نفسه¹."

¹ ربما يردد نيتشه هنا بشكل واع صدى المقولة المشهورة للرجل الشهيم: ليست طريقة أرسطية أن "يمنح المائدة، بل هو يخجل من تلقيها، لأن الأولى علامة على التفوق، والثانية علامة على

إنها مرة أخرى فكرة الهلاك، إنفاق الحياة. نحن نحاول دائماً، كما ترون، أن نحفظ بحياتنا ونقتصد فيها، لكنه يعط بالإسراف، يعط بالإسراف المرء بذاته. ويقصد بذلك أن يعطي المرء كل ما لديه دون قيود، ومرة أخرى التضحية بالذات للقدر، للأشياء التي قد تحدث لأسباب مجهولة، أي الاستسلام الكامل للحياة والقدر.

"أحبّ ذلك الذي يخجل عندما يقف الحظّ إلى جانبه، الذي يسأل نفسه إذاً: هل أنا غشّاش؟ - لأنه يسعى إلى حتفه".
إلى الهلاك. هذا واضح.

"أحبّ ذلك الذي ينثر وعوداً براقّة تسبق أفعاله، وينقذ دوماً أكثر مما يعد به؛ لأنه يسعى إلى هلاكه".

موقف آخر يرتبط بالأفعال، القيام بأكثر مما نوى المرء فعله حقيقة. ويعني بذلك اتباع الدوافع التي تكمن دوماً خلف ما نفعله، الدافع الغريزي العضوي الذي يتخذ طابع ردّ الفعل الطبيعي، كما هو حال كل غريزة. أي أن تمضي على طول الطريق؛ أنت نويت أن تسير ميلين، لكنها تحملك على مدى خمسين ميلاً، وأنت تترك ذلك يحدث. وإلا فلن يكون هناك هبوط. أنت لا تستطيع إدارة القدر؛ أنت لن تستطيع معرفة نفسك بشكل كامل إذا كنت تستطيع إدارة نفسك، وإذا كان باستطاعتك أن تقول لله: "هذا فقط ولا شيء آخر".

"أحبّ من يبرر أعمال الخلف ويدافع عن السلف؛ لأنه يريد أن يلقي حتفه في معاصريه".

ذلك الاستسلام الكامل للضرورات الحالية يعني الإنجاز طبعاً، يعني خلاص الأجيال السابقة، وخلاص حياة غير منجزة تنتظر الإنجاز. إذا كنا

الدونية" (كتاب "الأخلاقيات النيقومانية، في الأعمال الكاملة لأرسطو، تحرير جونثان بارنيز؛ برينغتون، B. S. LXXXI: 2, 1983).

نعيش بشكل كامل، نستسلم لحياتهم ونخلصهم. كما نستعد لجيل المستقبل، لأننا عشنا حياتنا الخاصة؛ لقد أنجزنا حياتنا، ولم نترك أية لعنة قد تصيب الأجيال القادمة – لعنة الحياة التي اتخذت طابعاً اقتصادياً.

"أحبّ ذلك الذي يحاول أن يهذب ربه، لأنه يحبّه: لأنه سيلقى حتفه حتماً في غضب ربه."

كما ترى إنه يكرر الأمر مجدداً، لا يضع "الحرف a" هذه المرة، ويتحدث هنا عن الله الذي نعرفه من الأديان وليس عن "إله" غير محدد.

"أحبّ ذلك الذي تكون روحه عميقة حتى وهو جريح، والذي يمكنه أن يهلك لأصغر الحوادث؛ هكذا يسير طواعية فوق الجسر.

أحبّ ذلك الذي تفيض روحه فينمى نفسه، وتكون الأشياء كلها في داخله: هكذا تكون الأشياء كلها هلاكة."

هذا يعني النزول إلى الواقع بمعنى السقوط. لأنه يقع في الشرك ويصاب بسهولة؛ يُطبق القدر قبضته عليه فيصبح كاملاً. إنه نوع من القبول المثالي الكامل لما هو عليه المرء، ويستخلص النتيجة الأخيرة من حقيقة أنه أصبح ما هو عليه.

سؤال: أهو يمتلئ من فعله الخاص؟

الدكتور يونغ: هو نوع من التعاليم الدينية: مطلقة للغاية.

"أحبّ ذلك الذي يكون عقلاً حراً وقلباً حراً؛ وهكذا يكون رأسه أحشاء لقلبه، لكنّ قلبه يقوده إلى حتفه."

هذا يمثل اعترافاً. يتحدث القلب عبر شفاه زارادشت وليس عقله. ومرة أخرى هذا تماماً ما يحدث في ألمانيا الآن، نتحدث قلوبهم عبر رؤوسهم. وتتوق هذه القلوب للتدمير، لأنه ينبغي على العالم القديم المليء بالأفكار القديمة أن يُدمر. ليس ذلك لأن القلب اخترع فكرة التدمير، بل لأن القلب

يحتوي المنبع السريّ للإرادة التي تتحدث من خلال الرأس. لكن ذلك محظور على نيتشه.

"أحبّ الذين يكونون كالقطرات الثقيلة التي تسقط من الغيمة الداكنة فوق رؤوس البشر."

لدينا هنا صورة الغيمة الداكنة التي تغطي الأرض، والتي تتوارى فيها الصاعقة.

"إنّهم ينبئون بقدوم الصاعقة، يمشون إلى حتفهم كمنبئين.

انظروا، إنّني المنبئ بقدوم الصاعقة، والقطرة الثقيلة النازلة من السحابة: تلك الصاعقة اسمها الإنسان الأعلى."

هذا يعني قدوم الإنسان الأعلى طبعاً. موقف قادم، وروح جديدة تملأ الشكل البشري وتغيّر العالم والثقافة السائدتين حتى يومنا هذا. في ذهن نيتشه، الإنسان الأعلى هو نمط جديد للإنسان الحامل لموقف كهذا.

المحاضرة السادسة

13 حزيران - يونيو 1934

الدكتور يونغ:

لدينا عدة أسئلة. تسأل السيدة كرولي: "عندما نتحدث عن أداء رمزي اعترض حوار زارادشت، هل تعني أن تدفق أو تقدم الإدراك الواعي هو الذي اعترضه؟ وفي هذه الحالة، ألا يجعل بنية الأداء سلبية؟ وإذا كان الحلم هو رسول الإدراك الواعي، فلم لا يمثل هذا الأداء الرمزي خطوة أخرى في تطور الواقع الداخلي؟ بكلام آخر، أليس الحوار والأداء وجهين للحقيقة ذاتها؟ وإذا نظرنا إليه كاعتراض سلبي، فهذا يخلق إحساساً بانقطاع إيقاع نموّه، أوّذ أن أعرف أنها كنت تقصد".

لم أكن أقصد أن الأداء الرمزي كان أقل قيمة من الخطبة بأي حال من الأحوال. الفكرة ببساطة هي أن الخطبة وصلت إلى نقطة كان لا بدّ أن يأتي بعدها عنصر آخر؛ كما لو أنك تدفعين النقاش إلى حافة لا يمكن التقدّم بعدها خطوة واحدة، وعندئذٍ تقومين بفعل شيء آخر بدل النقاش. في رواية فولتير بعنوان "كانديد" مثلاً، وفي نهايتها تحديداً، عندما أنهى البروفسور بانغلوس حوار الطويل عن العالم بأن هذا أفضل العوالم،

وكل شيء فيه هو أفضل ما يمكن، لفت كانديد انتباهه إلى مرضه التناسلي الأكثر إثارة للاشمئزاز. لكن بانغلوس أكد أنه حتى مرضه محترم للغاية لأنه أصيب به عبر سلسلة متوالية من كولومبوس إلى وساطة الكاردينال وعشيقتة. (هذا نمط فولتيري حقيقي! - أنا لست مسؤولاً). وعندما أنهى حجته، هُزِمَ كانديد وقال: بعد هذا الكلام كله عليهم القيام بشيء معقول لأنه ليس لديهم ما يأكلونه: عليهم أن يزرعوا الملفوف. هذا الانقطاع ليس انقطاعاً دونياً أو أقل شأنًا على الإطلاق، لأن من الأفضل بالتأكيد زراعة الملفوف وتسميده؛ بدا الجميع سعداء بتوقف هذه الخطبة الطويلة.¹

في هذه الحالة، توقفت الخطبة حالياً ومن الصعب طبعاً معرفة ما هو أت. يلاحظ المرء عادة في سلسلة من الأخيولات أنها تتوقف بتأثير شيء جديد، بحافز مختلف أو حركة. أو يحدث في الحلم أن تستيقظ وتفهم لماذا استيقظت: هذا لأن الحالة أصبحت لا تُحتمل، أو لأن الحوار الدائر في الحلم قد انتهى. لقد حققت مقداراً معيناً من الوضوح، وأصبح بإمكانك إغلاق هذا الملف والبدء بملف جديد. وصل إلى الذروة عندما قال: "انظروا، ها إنّي أعلمكم الإنسان الأعلى: إنّه تلك الصاعقة، إنّه ذلك الجنون!" هذا هو الجوهر الحقيقي للفكرة التي أراد نقلها إلى الحشد. فما الذي تتوقعونه بعد تصريح كهذا؟

السيدة كرولي: أن الصاعقة سهيبت؛ لا بدّ أن تتضح.

الدكتور يونغ: تتوقعين أن تهبط الصاعقة الآن ويُصدم الحضور بها وكأنها معجزة عيد العنصرة حيث هبطت الروح القدس على شكل ألسنة

¹ في رواية كانديد (1759)، بقي بانجلوس، الصورة الكاريكاتورية التي رسمها فولتير عن لايبنتز وفلسفته المتفائلة عن التسامع السابق للإشياء، يصرّ على كانديد صاحب العينين المفتوحتين دهشة، واللّتين تظهران العكس، أن كل شيء هو لأجل الخير حيث أننا نعيش في أفضل العوالم الممكنة، حتى نهاية الكتاب حيث قال الشاب "قيل ذلك كله بشكل جيد، لكن علينا زراعة حقيقتنا".

لهب.¹ لم يحدث أي شيء من ذلك على أية حال. لكن شيئاً ما قد حدث؛ بدأ أداء راقص الحبل المشدود، لقد نزلت الصاعقة في الواقع لكن المرة لا يرى أثرها. ومع ذلك، يمكن أن نرى أن الأثر قد بدأ. هي غير مرئية هنا في النص لأن مسار الأفكار كلها يتجه نحو العالم السفلي، لكن من كتب هذه الكلمات هو نيتشه، ليس زارادشت ولا راقص الحبل المشدود؛ بينما كان نيتشه يكتب كلماته ضربته الصاعقة. سيظهر هذا الأمر بوضوح فيما بعد.

السيد أليمان: أليست كلمة جنون هي التي ضربته؟

الدكتور يونغ: تماماً. لم يكن نيتشه قادراً على معرفة قدره، لكن عندما كتب هذه الكلمات، صرخ اللاوعي: "توقف!" ثم انحدر الأمر كله إلى العالم السفلي، وبدأ الحدث الغريب الذي يرمز إلى أحداث قادمة لا يمكن التنبؤ بها بطريقة واعية.

لدي سؤال السيدة باومان: "هل تتفضل وتحدث أكثر عن كون القلب أصبح منبعاً سرّاً للإرادة التي نطق بها الرأس؟ تحدثت عنها في المحاضرة السابقة في الفقرة التي يقول فيها زارادشت: "أحبّ ذلك الذي يكون عقلاً حراً وقلباً حراً؛ وهكذا يكون رأسه أحشاء لقلبه، لكنّ قلبه يقوده إلى حتفه".

الفكرة هي أن رأسه محتوئاً في القلب، والقلب يتحدث من خلال الرأس. إنه تعبير مجازي يشير إلى أن في القلب رغبة دفيئة تتجاوز الرأس وتتفوق عليه. وهي فكرة معروفة جداً تفترض أن الناس يمكن أن يجادلوا بطرق منطقية وعقلانية ظاهرياً في حين أنهم يتحدثون فعلاً عن رغبات كامنة في قلوبهم. وأعتقد أن أشعيا، على سبيل المثال، ويتخ الأنبياء الزائفين بسبب

¹ وَلَمَّا خَضَرَ نَوْمُ الْخَمْسِينَ مِائَةِ الْجَمِيعِ مَعًا بَنَظَرٍ وَاجِدَةٍ، وَصَارَ بُلْغَةً مِنَ السَّعَاءِ صَوْتُ مَعَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ غَاصِفَةٍ وَمَلَأَ كُلَّ النَّبْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمُ الْمَبْنَى مُنْقَبِطَةً كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَنْقَرَتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَاسْتَأْذَنَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَؤْا يَتَكَلَّمُونَ بِالسَّيْنَةِ الْغَرِيبَةِ مَعًا أَغْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَتَلَفَّؤْا. (أعمال الرسل 2: 1-4).

كلامهم عن رغبات قلوبهم بدلاً من كلمات الرب.¹ تعبر كلمات أشعيا عن نوع من الإدانة أو إنقاص القيمة لكنها تتخذ صفة المديح في حالتنا. وتعني أن في القلب رغبة بالتدمير الذاتي، وستؤدي في نهاية المطاف إلى الإنسان الأعلى. يرغب القلب بتدمير ذلك الكائن الأعرج المروّض الدنيء المستقى إنساناً، ذلك الكائن الخسيس للغاية بالنسبة إلى نيتشه، الكائن الذي ينبغي التغلب عليه. وهكذا فإن رغبة القلب، تلك الرغبة السرية بالتدمير، تُخضع الرأس، وبغض النظر عما يفكر فيه الرأس سيخضع للقلب الذي يعرف الهدف. لا يمكن للإنسان الأعلى أن يعيش إلا من خلال تدمير الإنسان العادي بالحالة التي هو عليها. والشبيه السياسي لهذه الحالة هو رغبة التدمير الدفينة الموجودة في العالم كله وليس في ألمانيا فقط: لا يمكنك طبعاً أن تراها بوضوح حالياً لكنها موجودة في كل مكان. يسعى لواعينا الجمعي إلى تدمير الملايين. لماذا يقوم البشر بتخزين هذا الكم الهائل من المدافع والذخيرة؟ لا يمكن تفسير ذلك إلا من خلال حقيقة أن هناك إرادة علياً تُخضع الرؤوس كلها. يقول نيتشه هنا إنه أحب رغبة التدمير تلك؛ ولهذا قيل إنه وعظ بالحرب. كان ذلك التأكيد كابوساً مرعباً بالنسبة إلينا لكن الموقف الشرقي لا يرى الأمر بهذه الخطورة. سيقول الموقف الشرقي: حيث يكون هناك الكثير من البشر ينبغي تخفيض العدد، وبشكل طبيعي سيحين الوقت المناسب الذي تتم فيه إبادة عدد معين من هؤلاء الناس: هذا ما يجب أن يحدث ببساطة.

السيدة كرولي: أليس هذا تحديداً هو الحوار بين كريشنا وأرجونا في بداية "باغافاد غيتا"؟²

¹ حذر الرب من الأنبياء الزالمين إذ قال: "بِالْغَيْبِ يَتَنَبَّأُ الْأَنْبِيَاءُ بِأَسْمِي. لَمْ أَنْ مِثْلَهُمْ، وَلَا أَمَزْتُهُمْ، وَلَا كَلَّمْتُهُمْ. بِرُؤْيَا غَيْبَةٍ وَجَزَائِلٍ وَنَهْلٍ وَمَغْرِبِ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَنَبَّؤُونَ لَكُمْ. (سفر أرميا 23:14).

² "عندما يكون هناك زيادة سكانية غير مرغوب بها، تنشأ حالة جحيمية". "باغافاد غيتا" - Bhagavad Gita - ترجمة بكافيندانتا سوامي برويلابادا (نيويورك، 1972)، النص 41.

الدكتور يونغ: لا داعي لقراءتها في كتاب "الباغافاد غيتا". يمكنك أن تسمعها في الشرق من أي إنسان امتلك حكمة طبيعية في شرايينه؛ هو مقتنع تماماً بالأمر ولا يعبر عنه بنوع من الرثاء. وكما ترون، إننا نُصدر الكثير من الصخب في أوروبا عندما يموت بضع مئات من البشر في الصين بسبب الجوع أو فيضانات "هوانغ هو" أو "يانغتر كيانغ" بينما لم يزعج الصينيون أنفسهم إلى هذه الدرجة. يقول الصينيون: لا بد أن يرحل الكثير من البشر. لكن لدينا نحن - المسيحيين - القليل من الإيمان بالحياة لدرجة نعتقد فيها أن علينا الحفاظ على كل إزعاج صغير جاء إلى حيز الوجود. وهذا طبعاً غير مرجح للناس الذين يعانون فعلاً من كارثة، لكننا سنعاني جميعاً من الكارثة عندما تنهمر تلك القنابل كالأمطار على مدننا. ونحن أنفسنا من يتسبب بهذه الكارثة باستمرار، ولا أحد يريد ذلك، والكل يفعل ذلك.

لديّ سؤال من السيدة باينز حول محاضرة قدّمها بروفيسور فلسفة القانون في باريس. كان يتحدث عن سيكولوجيا القوة وما يسمى تناقض القوة، بمعنى أن القوة هي خير وشرّ في آن معاً، مما يشكّل نقيضاً صلباً في كيان القوّة تحديداً¹ وهي تسأل: "يوم السبت الماضي مساءً، بدا المحاضر في النادي السيكلوجي وكأنه يعتقد أن وجهة نظره تتوافق تماماً مع وجهة نظر علم النفس التحليلي. إذ صرّح بأن حلّ الصراع يكون في التصالح بين الفرضية ونقيضها، أو بكلام آخر، من خلال "دور السموّ" الذي يأخذ في الحسبان جميع المتضادات ويعمل على التوفيق بينها. لكنه طرح بعد ذلك

¹ الحديث هنا عن البروفيسور "هريس فايشلافزات" (1877-1954)، المنظر العقلاني وفيلسوف القانون. محاضراته في مؤسسة إراثوس بعنوان "أسلوبان للخلاص: الخلاص باعتباره حلاً للتناقضات التراجيدية"، قام بنشرها وترجمتها "رالف متهيم" في كتابه بعنوان "في الرؤى الغامضة - In The Mystic Vision" المجلد السابع من "أعمال مختار من كتب إيراثوس السنوية (Brinceton, B. S. XXX, 1968).

وجهة النظر التي تقول إن المسيحية لا تزال أفضل مرشد لنا في مسار الحياة. هل من الممكن إنكار أن المسيحية تطالب بالتضحية بكل شيء أمام المبدأ الواحد، مبدأ الروح مثلاً؟ ألم يُظهر علم النفس التحليلي أن النفس لدى الإنسان الحديث في حالة تمرّد مفتوح على هذه الأحادية في التوجّه، ويُجبر على السعي إلى طرق جديدة تسمح له بالعيش مع الجسد، وكذلك مع الروح؟ أليس هذا المضمون الكلي لوجهة نظر نيتشه؟¹

هذه بالتأكيد وجهة نظر نيتشه، لكن علينا من جهة أخرى أن نقول إن وجهة نظره غامضة جداً لمعظم الناس حتى ذوي الثقافة العالية منهم، إنهم لا يفهمونه. عندما صدر كتاب *هكذا تكلم زرادشت*، كنت أعيش في بازل وسمعتهم يتحدثون عنه، كان الجميع في حيرة بالغة؛ لم يكن لديهم أدنى فكرة عما يدور حوله الكتاب. وبدأ المؤرخ المعروف "كارل يعقوب بوركهارت" مصدوماً. كان خائفاً منه.¹ وعندما تناقل الناس شائعات تقول إن نيتشه دخل مصحة عقلية، شكر الجميع السماء على نعمها. ثم اتضحت المسألة: انزاح الكابوس وشعر الجميع بالسعادة لأن نيتشه أصبح خلف الحدود. لقد قال أشياء مربعة لكن المربع في الأمر أنها كانت حلماً أحرق لرجل مجنون. كان المزاج العام على هذا الشكل في السنوات الخمسين الماضية، ولا يختلف الأمر كثيراً في أيامنا هذه لأن ذكاء البشر لم يتطوّر. لقد ازدادت تجاربنا طبعاً. وساعدت الحرب العالمية كثيراً من الناس على فهم ما كان يعنيه الكتاب، أو ما الذي يشير إليه على الأقل. لكن السواد الأعظم من الناس كانوا ينامون بهناء في أحلام العصور الوسطى، وليس لديهم أدنى فكرة عن إشكالات كهذه، وملايين لا تُحصى منهم لا يزالون نياماً. يمكنهم

¹ بالتمسبة لبوركهارت، انظر أعلاه محاضرة التاسع من أيار - مايو 1934، سنوات بونغ في بازل، حيث التحق بالجامعة من عام 1886 حتى 1900. ومات نيتشه في السنة التي انتقل فيها بونغ، الطبيب الشاب، إلى زيورخ. بعد انهيار نيتشه في تورين، تم نقله إلى بازل، وبعدها إلى المصحة العقلية في جينا حيث بقي فيها لفترة قصيرة إلى أن تم نقله إلى منزل أخته.

العيش تماماً كما كانوا في الزمن الذي كانت فيه الشمس تدور حول الأرض. وبالتالي فإن مشكلة كهذه غير موجودة لبشر من هذا النوع، فلا تزال المسيحية المرشد الأفضل لحياتهم بغض النظر عما إذا كانت رمزية المسيح مفهومة أم لا. وكما تلاحظون، يمكن فهم الأمر بطرق مختلفة، يمكن فهمه بالطريقة الكاثوليكية، وبالطريقة الأرثوذكسية الإغريقية – ثمة أربعئة طائفة بروتستانتية تثير الضجيج من أجل لا شيء. وهناك الأفكار غير الأرثوذكسية وغير الرسمية عن الموضوع. لكن تبقى الشخصية الرئيسة هي المسيح. وطالما أن البشر غير قادرين على فهم معنى الفردانية والذات فسوف يتم إسقاطها ولا يمكن فعل أي شيء حيال ذلك. وإذا لم يتم الإسقاط على شخصية المسيح فسوف يتم على أي قائد آخر أو أية شخصية مثيولوجية سواء أكان بوذا أو أية منظومة دينية أخرى. ولا يمكن طبعاً إحصاء عدد الناس غير الواعين لوجود الذات، أو الذين لم يشعروا حتى الآن بإدراك أن ثمة مشكلة من هذا النوع.¹ لذلك على المرء أن يأخذ حقيقة المسيحية بعين الاعتبار، ويتعامل معها بجدية تامة كأفضل مرشد في قضايا من هذا النوع؛ كان هذا النظام المرشد هو الأفضل لنا على مدى ألفي عام، كما كان حال البوذية في الهند.

طالما أن بإمكان الناس العيش في نظام من هذا النوع، إذا كان يعبر فعلاً عن حقائق اللاوعي، فهو جيد إذاً ولا يمكن قول أي شيء ضده؛ لا يمكننا حتى انتقاده. وهذا يعني طبعاً أنه بقدر ما يكونون جادين، ولا يضعون "الحرف a" قبل كلمة عقيدة، أي يسمونها "العقيدة" وليس "عقيدتهم"، فهم يضعون الإلحاد بدلاً من الإيمان. أنا لا أعتبر الملحدين جادين: إنهم لا يرون أنهم لا يزالون مؤمنين بإنكار الله. أنا أفهم من عبارة "بشر جادين"

¹ انظر الأعمال الكاملة، المجلد الثاني عشر، لمزيد من المعلومات عن كيف يمكن للإسقاط الديني أن يقطع المحتوى اللاوعي "عن كل مشاركة وتأثير على العقل الواعي".

أولئك الذين يعرفون أن تجربة دينية من هذا النوع هي ممكنة، وتعني الخير الأفضل الذي يمكن للإنسان تخيُّله. يُدرك هؤلاء الناس طبعاً أن الرمز المسيحي بالطريقة التي عرفناه بها، بالشكل الذي هو عليه الآن، لا يوفّر شكلاً تكون الحياة كاملة من خلاله. ومرة أخرى بقدر ما هذه حقيقة، نقف أمام مشكلة ما الذي يمكننا فعله، أو كيف يمكننا العيش عندما يخذلنا هذا الرمز. يمكننا أن نفترض مثلاً أن الناس الذين يعانون من مشكلة كهذه هم أشخاص غير طبيعيين، وأنه مجرد خيار لعقول غير طبيعية لا يمكنها ببساطة أن تنحني للتقاليد، وهم غير طبيعيين بشكل لا تعود هناك إمكانية للتعبير عنهم من خلال رمز جمعي أو طبيعي إلى حد ما، ولدرجة أنه حتى المسيح كرمز عام، أو ما يعنيه بوذا في الشرق، غير قادر أن يعبر عن تلك النزوات الخاصة الموجودة في العقول الحديثة. هذا هو موقف الأشخاص الأذكاء جداً. هم يعتبرون أن ما يُطلق عليه مشاكل حديثة هي مجرد نوع من التنوعات العصابية المرّضية لأنهم يعتبرون أن كل ما يمكن أن يكون منطقياً، قد تم التعبير عنه في العقيدة المسيحية.

حظيت مؤخراً بفرصة التحدّث إلى بعض الأشخاص الفرنسيين الكاثوليكين حتى النخاع، والذين يعتبرون أن هذه التجارب الدينية أو السيكلوجية، الواضحة جداً للشعوب البدائية كمثال، لا وجود لها إطلاقاً. يقولون ذلك لأنها بالنسبة إليهم موجودة في الكنيسة. لكن هل عليك أن تفترض عندئذٍ أنهم مؤمنون بانتمائهم الكاثوليكي. أبدأً هم كاثوليكيون مع "حرف a" سابق للاسم، أي إنهم "كاثوليكيون" وليس "الكاثوليكيون"، لكنهم في الكنيسة على الرغم من ذلك. عندما يكونون إيجابيين، يقولون إن الروح مشكلة دينية تعالجها الكنيسة، ولا علاقة لهم بها؛ لا تلعب الروح أي دور على الإطلاق إلا بقدر ما يرتبطون بالكنيسة. أما إذا كانوا سلبيين فيقولون إن كل شيء في الكنيسة، والتجربة السيكلوجية

برمتها مجرد هراء. كما أنهم يكرّسون ذلك من حين لآخر بروح الإصرار بغية مساعدة اللاوعي المخزّن على الانفراج. وهم يصنّفون أنفسهم على الأرجح في مجتمع التفكير الحر أو مجتمع الدعوة للإلحاد. لكن لا تزال سيكولوجيتهم كلها في الكنيسة الكاثوليكية بشكلها السلبي أو الإيجابي. وبالنسبة لبشر من هذا النوع، من غير المنطقي أبداً أن تتحدث أمامهم عن نيتشه أو أن تطرح وجهة نظر من علم النفس التحليلي، فالحديث معهم بقضايا كهذه أشبه بالحديث مع طيور البطريق. شعرت حينها وكأنني القديس "مالو" إلا أنني لم أكن أعنى ولا أصمّ: رأيت أنهم كطيور البطريق.¹ كان لديهم النصف الواعي فقط ولا وجود للوعي، حتى النصف الواعي كان مكوناً من جدران الكنيسة.

لا يزال الرمز المسيحي حياً بسبب ملايين الناس الأحياء الذين يحتاجونه بشكل كبير، ولا يزال كل شيء بالنسبة إليهم متضمناً فيه، ويتوقعون، إن جاز التعبير، ما نحصل عليه من خلال اللاوعي الجمعي بشكل محدد. لأننا نحتاج باستمرار إلى المبادئ المسيحية كي نفهم اللاوعي الجمعي. نحن نطبّق المبادئ الشرقية أيضاً لكننا نضخمها لتفسير ما هو موجود في الرمزية المسيحية. من الصحيح أن لدى المسيحية في الفترة الأخيرة أحادية جانب لا تتوافق مع زمننا، لكن هذا الموقف الروحاني المزعوم كان سليماً ومعافى يوماً ما، وكان لا بدّ أن يكون كذلك. كما أن الاطلاع على الظروف الخاصة بالحضارة القديمة يجعلك تفهم لماذا كانت هناك حاجة لدين كالدين المسيحي. كان كل التأكيد على الروح ضرورياً للغاية؛ لا يمكن للمرء أن يتخيل الشكل الذي كان سيصبح العالم عليه لو لم تحدث ردّة الفعل هذه.

¹ في كتاب "جزيرة البطريق" (نيويورك 1909)، تمت الإشارة إلى القديس مالو الذي عاش سنة (621) ميلادية، لكن يُذكر عن قديس اسمه مالو أنه رأى بشكل طفيف طيور البطريق على الجزيرة التي رسا عليها، حيث قام بصنعتهم كرجال صغار جداً. ناقش يونغ "جزيرة البطريق" أيضاً في كتاب "الأحلام"، صفحة 88.

أنتم تعلمون أنه عندما وصلت البوذية للمرة الأولى إلى الشعب البربري المقيم خلف حدود الهند، وصلت عارية تماماً من دون آلهة، لأنه كان هناك سلفاً مليوناً إله في الهند، وكانت مستغرق الآلهة الجديدة في وضع كهذا، وبالتالي، بقدر ما كانت البوذية نوعاً من الاحتجاج على الهندوسية السائدة، اعتقدوا أنهم ليسوا بحاجة لها. فكّروا أن العمل الحاسم قد يحدث في مجال الإنسان وليس في مجال الآلهة؛ حتى الآلهة يجب أن تصبح بشراً بغية خلاصها. لكن عندما وصلت البوذية إلى نيبال والتبت والصين، في حالة بوذية الهينايانا، أو ما يُسمّى الوعاء الصغير، لم تكن مناسبة. لم يجدوا هناك سوى آلهة القبائل القديمة والأصنام والشامانات وأنواع السحر الأسود كله، مثل ديانة "البونغ - Bung" في التبت. وهكذا شعرت البوذية فوراً أنها بحاجة إلى الآلهة مجدداً، فكان لديها سلسلة من الأنبياء الذين كشفوا عن وجود آلهة "المهايانا". عندئذٍ نشأت أفكار "البوديساتفا" الذي أصبح أكثر أهمية بكثير من بوذا نفسه، ونشأت معها كل الإلهات مثل "كوان"، "ين"، و"تارا البيضاء". وبشكل طبيعي كان عليهم اختراع آلهة إناث، وليس بشكل مصطنع طبعاً بل من خلال وحي خاص أتى من اللاوعي لهذه الغاية تحديداً.¹

عندما أظهر البروفسور موقفاً إيجابياً جداً من المسيحية، دعمت أنا ذلك الموقف لأن موقفي منها إيجابي أيضاً. لكنني أستطيع، على سبيل المثال، أن أقدم دليلاً سيكولوجياً واضحاً عن أحد المبادئ العقائدية الأكثر غموضاً، كالثالوث المقدس، أو تلك النقطة التي أثاروها ضدّ "الأروميين" (أتباع أريوس) في بدايات الكنيسة، والتي تقول إن المسيح كان

¹ الدين القديم في التبت، الذي يُسمى "باتغ" أو "بون"، وهو شكل من أشكال عبادة الطبيعة، تم استبداله ببوذية الماهايانا (أي النقل العظيم). البوديساتفا (كانت تطلّع للاستنارة) تؤجل استنارتها الخاصة لمساعدة الآخرين على الاستنارة.

من طبيعة مطابقة لطبيعة الله ذاته. قال الأريوسيون إن المسيح كان مشابهاً فقط، وليس مطابقاً، في جوهره للأب. وهذا يبدو مجرد هراء بالنسبة إلينا، لكن أحدهم قتل الآخر بسبب هذا الطرح، وهو ذو أهمية كبيرة طبعاً إذا نظرنا إليه وجهة نظر سيكولوجية.¹ يمكننا أن نشعر بالامتنان لأبناء الكنيسة القدماء لأنهم توصلوا إلى نتيجة مفادها أن المسيح يجب أن يكون من جوهر مطابق لجوهر الأب: نتيجة كهذه كانت ضرورية جداً لتطوّرنا السيكولوجي. ولأسباب سيكولوجية أيضاً كان لا بدّ أن تُمعى الغنوصية. أنا ضدّ تدمير المسيحية لأنني أعتقد أن معظم البشر لن يكونوا قادرين على تجاوز المفهوم المسيحي على مدى آلاف السنوات القادمة؛ وبالتالي لا بدّ من وجودها ولا يمكن إلغاؤها. وعلينا أن نتوقف عن التفكير بغياء واعتبار الناس جميعاً متشابهين ولديهم العقيدة ذاتها. هذا مستحيل تماماً، إننا نقوم بتحويل الزنوج إلى المسيحية مثلاً كي ندمّرهم. إذ كان الذهاب إلى أفريقيا وإطلاق النار عليهم أفضل من تحويلهم إلى منحطّين عبر جعلهم مسيحيين. وعظمهم المبشّرون بأن يرتدوا الملابس، لكن الإنكليز كانوا أذكى بما يكفي إذ لم يسمحوا بذلك – لم يستطيعوا منع أنفسهم من أن يصبحوا أذكى بعد فترة من الزمن، ليس هناك تميّز في ذلك. ففي أقسام معينة من بولنيزيا، ضربوا السكان الأصليين الذين ارتدوا سراويل بعنف شديد. كان عليهم أن يسيروا عراة. يتراءى للمبشرين أخيوالات جنسية خبيثة إذا سار الناس عراة، لهذا طلبوا منهم الاحتشام. يكون للناس عادة أخيوالات جنسية أقلّ بكثير إذا ساروا عراة فعلاً لكن المشهد سيكون "مرعباً".

¹ يظ أريوس (توفي سنة 336 ميلادية) بأن جوهر الأب وجوهر الابن وجوهر الروح القدس أشياء منفصلة لكنها متشابهة، وهذا ما جعل من المسيح الشخص الذي أتى إلى الوجود. وعقيدة "نيقيا"، الموجهة مباشرة إلى بدعة أريوس، أصرت على تطبيق جوهر عناصر الثالوث المقدس، وبالتالي جعلت الابن، مثل الأب والروح القدس، خالدين.

لدينا هنا سؤال من السيدة بيلوارد: "بالإشارة إلى النبوءة التي تقول إن المسيح قد يظهر على هيئة أدنى أخواننا، هل يعني ذلك مثل "فالتينو" أو "موسوليني" أو بهيئة "مصارع الجائزة"؟"

من غير المرجح إطلاقاً أن يظهر المسيح في هيئة كهذه، إلا إذا وقع موسوليني أو مصارع ما في حبك، أو وقعت أنت في حب أحدهما. عندئذٍ قد يحدث ذلك. وطالما أن أناساً كهؤلاء هم في مكان ما في الأفق، أو مرسومون على جدار، فالأذى الناتج عنهم ضئيل جداً. لكن المسيح، باعتباره رمزاً للذات، هو موغل بالعمق ولا يصل إليك إلا في العمق. موسوليني لن يفعل ذلك. والسبب الذي يجعل الناس تقع في حب فنانيين أو في حب فالتينو هو أنهم بعيدون جداً عنه، ولهذا لا يكون مؤذياً جداً؛ كل امرأة تعشق فناناً تعرف في أعماقها أنه لا يعيرها أدنى اهتمام. ولا يصبح ذلك خطيراً إلا عندما يدخل الحب فعلاً، عندئذٍ يهرب الناس بأسرع ما يمكن، لأنه عندما يكون الله في الأقرب، يصبح الخطر بحالته القصوى.

السيدة بيلوارد: من أين هذا الاقتباس؟

الدكتور يونغ: الأنسة حنة تسأل عن ذلك أيضاً. الاقتباس من الإصحاح الخامس من إنجيل متى: "بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدٍ إِنْ خَوْتِي هَؤُلَاءِ الْأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ". هو أمر هام جداً طبعاً أن يكون المسيح أحد إخوتك الأصاغر.¹ والفكرة ذاتها واردة في الصوفية الإسلامية البدائية جداً، بطريقة مختلفة إلى حد ما وأكثر اكتمالاً. (سبق أن ذكرت لكم ما قاله لي زعيم طائفة صوفية).² كما ترون، الذات شيء مزعج إلى حد ما، وواقعية جداً، لأنها ما أنت عليه فعلاً وليس ما ترغب بأن تكون عليه أو تتخيل أنك عليه؛

¹ إنجيل متى 25: 40.

² انظر أعلاه، محاضرة التاسع من أيار- مايو 1934.

بما أن الواقع تعيس جداً وخطير أحياناً ومثير للاشمئزاز فسوف تبذل بطبيعة الحال كل ما لديك من جهد كي لا تكون ذاتك. لذلك تم اختراع الفكرة المناسبة تماماً وهي أن من السيئ جداً أن تكون ذاتك. ولا يجب أن تفكر بنفسك؛ عليك أن تحب أخاك أو جيرانك وإنما ليس ذاتك. لكن لسوء الحظ أن المسيح قال إن عليك أن تحب أخاك أو جارك كما تحب ذاتك، فكيف لك أن تحب أخاك إذا كنت لا تحب ذاتك؟ لقد فسر أحد الفلاسفة الغنوصيين الأوائل، كاربوكراتس، فقرة معينة من إنجيل متى بطريقة غريبة جداً. تقول الفقرة على لسان المسيح:

إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ، وَمَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: رَقَا، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْمُجْمَعِ، وَمَنْ قَالَ: يَا أَحْمَقُ، يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ نَارِ جَهَنَّمَ.

فَإِنْ قَدِمْتَ قُرْبَانَكَ إِلَى الْمَذْبَحِ، وَهُنَاكَ تَذَكَّرْتَ أَنَّ لِأَخِيكَ شَيْئًا عَلَيْكَ، فَاتْرُكْ هُنَاكَ قُرْبَانَكَ قُدَّامَ الْمَذْبَحِ، وَاذْهَبْ أَوَّلًا اصْطَلِحْ مَعَ أَخِيكَ، وَحِينَئِذٍ تَعَالَ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ.

لكن كاربوكراتس فسر الآية الأخيرة على الشكل الآتي: إذا قدمت قربانك إلى المذبح، واكتشفت أي شيء ضد ذاتك، اذهب أولاً لتصالح نفسك مع نفسك.¹ إنها من عادات قبائل الهنود الحمر؛ عندما لا يكون الشخص متفقاً مع ذاته في يوم اجتماع المجلس، لا يذهب إلى الاجتماع لإدراكه أنه من غير المناسب أن يكون عادلاً وصادقاً وغير متحيز إذا كان يتصارع مع ذاته. ومن هنا افترض كاربوكراتس بطريقة صحيحة أنه لا يمكنك أن تسامح الآخر إذا لم تسامح نفسك؛ ولا يمكنك أن تحب الآخر إذا كنت لا

¹ إنجيل متى 5: 22. كاربوكراتس، عظم في الإسكندرية خلال فترة حكم هادريان (117-138). وهو معروف لنا بشكل أساسي من خلال مؤلفات الأب إيرائوس (حوالي: 149-202) المناهضة للغنوصية.

تحب نفسك. هذا هو المسيحي الحقيقي. لكن المسيحية في فترات الأخيرة، ومع أملها بإيجاد وسائل للهروب من الذات، اخترعت الفكرة الجهنمية التي تقول إن عليك أن تحب جارك وتدوس نفسك بالحذاء، في تناقض مع كلمات الرب التي تقول إن عليك أن تحب جارك كما تحب نفسك، مفترضة أنك تحب نفسك بطبيعة الحال. وإلا فكيف لنا أن نكون غير متحيزين، أو كيف لنا أن نسامح؟ لذلك أصبح حب المسيحي لجاره موضع شك للغاية. إذا أخبرني أي شخص بأنه يحبني أكثر من نفسه، ويريد التضحية بنفسه، أقول له: كم يكلف ذلك؟ ما الذي تريده بعد ذلك؟ لا بد أنه سيتم تقديم حساب طويل بعد ذلك مباشرة. فالتضحية سوف تقدمه لأنها ليست إثارة؛ ليس هناك إثارة بهذا المعنى. لكن إذا استطعت أن تحب ذاتك، فستكون في طريقك نحو الإثارة. إنها مهمة صعبة وكرهية أن تحب ذاتك لدرجة أنك إذا استطعت ذلك، تستطيع أن تحب أي ضفدع، لأنك أسوأ من أكثر الحيوانات إثارة للاشمئزاز.

تقول الأنسة حنة أيضاً: "فهمتكم عندما قلت سابقاً أن من المفترض إزاحة العقل لترى أنه هو الجسد، وأن هذا ما كان يعنيه يسوع عندما قال: ربما تجده هيئة أدنى إخوانك. أعتقد أنني مثل لاهوتيي ستراسبورغ الذين تحدثت عنهم، لكنني لا أستطيع أن أفهم ما يعنيه ذلك".

ليس الجسد بالضرورة، لكن الجسد بشكل طبيعي في ظل الانحياز ذاته؛ بما أن الجسد هو الأدنى في الإنسان فهو بالطبع الأدنى بين الأخوة. هؤلاء اللاهوتيون في ستراسبورغ لم يفهموا ما كنت أقصده لأنه ما من مسيحي في هذه الأيام يفهم هذه النقطة؛ إننا جميعاً متشابكون مع عقولنا بسبب الثقافة.¹ قيل لنا فقط أن نحب جارنا، وإن من الخطأ أن نحب

¹ "علاج نفسي أم أكثيروس - Psycholtherapists or Clergy"، محاضرة تم تقديمها أمام المؤتمر الكهنوتي الألاسي في ستراسبورغ في أيار - مايو عام 1932. وتم نشرها ككتيب صغير في السنة ذاتها، وتم نشرها مرة أخرى في الأعمال الكاملة، المجلد الحادي عشر، صفحة 488 -

أنفسنا. أذكر لكن على سبيل المثال أن إحدى الحجج العادية للغاية ضد التحليل النفسي هي أنه يجعل البشر واعين لأنفسهم: لا يفكرون إلا بأنفسهم. وأنا أقول إن ذلك أفضل شيء يمكنك فعله إذا فعلته بطريقة منهجية. لقد فعلته بطريقة الهاوي، أي شككت أخيوالات عن الأمر وحسب، لكن من الآن فصاعداً اكتب هذه الأخيوالات، وبما أنها تميل إلى إثارة الاشمئزاز، فهي تلفت الانتباه فوراً إلى نفسها. ستعرف عندئذ أن الإنسان يستحق الدراسة، وأنه من الجيد أن يعيش مع الجسد. وإلا فما هو الشيء الموجود الذي يمكن أن تعيش معه على الأرض؟ ربما سوف تتبرخ؟ إذا كنت تؤد أن تختفي في قطار سريع إلى الجنة خلال الأسبوعين المقبلين، فليس لدي ما أقوله ضد ذلك، لكن لا يمكنك العيش على شكل روح غير متجسدة دخلت بمحض مصادفة في جسد امرأة وهي لم تدرك حتى يدبها.

سنكمل النص الآن. أنتم تتذكرون نهاية الجزء الرابع حيث قال: "انظروا، إنني المنبئ بقدم الصاعقة، والقطرة الثقيلة النازلة من السحابة: تلك الصاعقة اسمها *الإنسان الأعلى*". كانت هذه تقريباً الكلمات ذاتها كما في نهاية الفصل السابق، وهنا أيضاً لدينا انقطاع.

"وبعد أن أنهى زارادشت هذه الكلمات نظر إلى الحشد مجدداً وصمت."

كان ينتظر، من الواضح أنه يتوقع حدوث شيء ما.

538. هنا حدث التصريح الشهير: "من بين جميع مرضاي في النصف الثاني من الحياة – أي الذين تجاوزوا الخامسة والثلاثين من العمر – لم يكن منهم واحد إلا وكثت مشكلته في النهاية إبداع منقول ديني عن الحياة.... وهذا طبعاً لا علاقة له بعقيدة معينة أو عضوية كنيسة" (صفحة 509). ومن دون أدنى شك، لم يستطع الفلاسفة أن يفهموا كيف يمكن لأحدهم أن يعتبر المحلل النفسي بدلاً عن رجل الأكليريوس، وكيف يمكنه أن يماهي المشكلة الدينية مع الحاجة إلى معنى للحياة، أو كيف يمكنه أن يقول إن الكاثوليكية صحيحة لأحدهم، وطائفة مختلفة بالنسبة لشخص آخر، ولا شيء على الإطلاق بالنسبة إلى شخص ثالث.

"ما هم يقفون"، قال في قلبه، ها هم يضحكون: إنهم لا يفهموني؛ لست الفهم الذي يصلح لهذه الأذان.

هل ينبغي على المرء أن يسحق أذانهم أولاً كي يتعلموا الاستماع بأعينهم؟ هل على المرء أن يكون صاحباً بمثل دويّ الطبول وخطب الوعاظ؟ أم تراهم لا يصدّقون سوى المتلثمين؟

إنّ لديهم ما يفتخرون به. لكن ماذا يسمّون ذلك الشيء؟ يسمونه ثقافة، وهو ما يميزهم عن رعاة الماعز.

الكلمة الألمانية المقابلة لكلمة "ثقافة" هي "Bildung"، وهي تعني "التعليم" أكثر مما تعني ثقافة.

"لذلك ينفرون من عبارة "احتقار" تُنطق بحقهم. فلأخاطب كبرياءهم إذاً. سأحدثهم عن أحقر الكائنات، ألا وهو الإنسان الأخير"

كان زارادشت يتوقّع تأثيراً معيناً للصاعقة لكن شيئاً لم يحدث على ما يبدو، وهكذا افترض أنه لم يقل حتى الآن الكلمات المناسبة التي يمكن أن تصل إلى الحشد، الكلمة التي تنفذ إلى ذهنه، واعتقد أنه قد يصل إليهم إذا تحدث عن أكثر الكائنات حقارة. يُظهر شعوره بعدم إمكانية الوصول إلى مستمعيه أن الحالة مطابقة تماماً في الحدث الداخلي الموجود في ذهن الكاتب أثناء الكتابة. يبدو أنه نطق الكلمات وفي داخله شيء لا يجيب، شيء يُعيق ردّ فعله. ثم وبشكل طبيعي، كما يفعل الكاتب دوماً، يُسقط حقيقته الداخلية على كتاباته. والسؤال الآن: ما هو الشيء الذي لم يتفاعل بداخله؟ ما هو ذلك الشيء الخامل؟

السيدة فيرز: يتحدث هنا عن التعليم أو الثقافة، لكن هو نفسه "gebildet".¹

¹ كلمة "Bildung" تمت ترجمتها بمعنى "تعليم"، "ثقافة"، "حضارة"، وما إلى ذلك. وكما نفترض السيدة فيرز، كان نيتشه مثلاً آخر عن المثقف أو الشخص المتعظم.

الدكتور يونغ: يقول استنتاجه الواعي إنهم فخورون بثقافتهم وتعليمهم وبالتالي لن يتفاعلوا. لكن أودّ أن أعرف لماذا كان الأمر على هذا النحو عندما تحدث عن الصاعقة، إما أن راقص الحبل المشدود قد باشر يعرضه أو لم يحدث أي شيء أبداً، فالحضور لم يتفاعل في نهاية المطاف.

الدكتور بادورجي: لأنّ ذاته الداخلية لم تصل إلى مستوى توقعاته، ولم تتفاعل معه. كان يفكر بعقله، لكن الذات في داخله ليست العقل.

الدكتور يونغ: نعم، يمكن للمرء أن يصوغها بصورة مجردة بهذا الشكل. ويمكن للمرء أيضاً أن يقول إن الشيء الذي لم يتفاعل في أعماقه هو الإنسان الجمعي، لأن الإنسان الجمعي في رمزية اللاوعي يتمثل دوماً بمجموعة أو جمهور أو حشد. كان يقف أمام حشد في داخله، وهذا يعني أن الرجل الذي يمثل الحشد، ذلك الإنسان الجمعي العادي، لم يتفاعل: إنه خامل. لكن لهذا الرجل علاقة كبيرة بالذات؛ يكون هذا الرجل موجوداً في النفس المتكاملة. حتى إنه الحافة الخارجية للذات؛ الذات تشبه الحشد، فعندما يكون المرء ذاته، يكون كالحشد أيضاً. ويُعبّر عن الحالة الكلية. لا يمكن للمرء أن يكون فردانياً بعيداً عن البشر الآخرين. لا يمكن أن يكون فردانياً على قمة إفرست أو في كهف ما عندما لا يستطيع رؤية الناس مدة سبعين سنة: يمكنه أن يصبح فردانياً فقط مع أو ضدّ شيء ما أو شخص ما.¹ أن تكون فردانياً يعني دائماً أن تكون حلقة في سلسلة؛ هي ليست حالة انفصال تامة لوحدها فقط دون ارتباط بالخارج. أن يُقال لك إنك يجب ألا تحبّ نفسك هو نوع من التحامل المسيحي العُصابي في الفترات الأخيرة. ويُفترض حينها أن تكون أشبه بكرة تضيق في مكان ما في الكون دون أية إشارة إلى أي شيء، ودون علاقة بأي شخص. لكن إذا كان باستطاعتك في

¹ عزّف يونغ الفردانية بلها "عملية تفريق أو تمايز... هدفها هو تطوير الشخصية الفردانية" (الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 757).

الواقع أن تفكر بشيء من التركيز، ستدرك كم أنت مرتبط بالآخرين، وكم تضعف إمكانية أن تعيش من دون ارتباط، ومن دون مسؤوليات وواجبات وعلاقات الناس الآخرين بك. ويبقى ذلك كله في عتمة سحر المشاركة طالما أنك لا تفكر فيه.

لذلك إذا كنت أنانياً منغمساً في أخيوالاتك الخاصة كما يبدو، فأنت منغمس ببساطة في الأخيوالات المتمثلة في كونك منعزلاً ووحيداً مع نفسك. ويساعدك الرأي العام طبعاً في ذلك التطرف مفترضاً أن كل شخص منعزل بنفسه هو شخص أناني بالضرورة. أما عندما يكون الشخص متواضعاً جداً ولا يتحدث لأنه يظن أنه غير مؤهل، يقول الناس إنه مغرور؛ في حين أنه مهذب لا يريد إصدار الضجيج ذاته الذي يصدره الآخرون وهم يتحدثون عن أشياء لا يفهمونها فعلاً. لا يكون التفرد ممكناً إلا مع الناس، ومن خلال الناس. عليك أن تدرك أنك حلقة في سلسلة ولست إلكترونياً معلقاً في مكان ما من هذا الكون، أو منجرفاً في هذا الكون دون هدف. أنت جزء من بنية ذرية، وهذه البنية الذرية جزء من مركب يجتمع مع مركبات أخرى لبناء الجسد. الحياة عبارة عن استمرارية، وليس هناك ما هو منفصل عن الإنسان في هذه الاستمرارية الحية؛ المنفصل سيموت فوراً ويزول. وبقدر ما نعيش، نكون ضمن استمرارية الحياة. إذا كنت تعتقد أنك منفصل، فهذا الاعتقاد ناتج عن تصوّرات عُصابية، وهو نوع من الهوس طبعاً. لكن إذا كنت تفكر بنفسك فلا يعني ذلك أنك مهووس. يمكن لذلك أن يكون منهجياً. وهكذا فإذا شعر المرء كما شعر الكاتب في تلك الحالة، أي إنه يتحدث إلى حشد لا يفهم إطلاقاً، فهذا يعني أنه لا يلامس الرجل الجمعي القابع في داخله، أو أنه يستخفّ بشيء ما في ذاته أو يبالغ بتقديره. تلك هي نقطة فقدان التوازن في محاكمته.

لاحقاً، يفسّر نيتشه ذلك بأنه كان وحده لوقت طويل جداً، وكان يتحدث إلى الغابة والجداول والأشجار. صحيح تماماً أنه إذا بقي المرء وحده فترة طويلة جداً، فسي فقد التواصل مع الإنسان الجمعي في داخله، ويتحدث عن قضايا تتجاوز فهم الناس الآخرين؛ وهذا يسمى "الأوتوية - التمرکز حول الذات"، أي إنه يبقى لوقت طويل جداً في مجاله الشخصي بحيث لا يعود قادراً على فهم اللغة التي يتم التحدث بها في الحالة الجمعية. وعندما تكون لديه رسالة جديدة، تصبح المشكلة مضاعفة. لقد عاش نيتشه وحده مدة طويلة فعلاً. كان يتنقل بشكل طبيعي في فضاء وحدته؛ ثم اكتشف شيئاً جديداً لا يمكن للمرء اكتشافه إلا بحالة العزلة، وحاول نقل تلك الرسالة الجديدة بلغة تُعتبر جديدة بالمطلق، لغة جيزة للغاية. إذا كان لا يعرف اللغة الجمعية فسيختار أعلى أشكال اللغات تأثيراً، لغة مبجلة عبر العصور، لغة جميلة ملحمية أو لاهوتية. وبشكل غريزي يختار أشخاص من هذا النوع ما نسميه النمط الإنجيلي لترك انطباع مميز لدى الناس؛ فلهذه اللغة سلطة معينة؛ إنها تثير كل أنواع الذكريات عن الشباب المبكر، ومن المرجح أن تصيب الهدف.

على أية حال، حتى اللغة لا تساعد في هذه الحالة. هي ترتد عنهم كما كانت دوماً، ويبقى الناس على بلادتهم: لا يتفاعل الإنسان الجمعي. لكن ثمة رد فعل معين يحدث؛ حتى الإنسان الجمعي، بمناعته الشديدة للغة من هذا النوع، يمكن الوصول إليه من خلال اللاوعي. لذلك، بينما كان يتحدث عن الصاعقة أو الجنون، وصل إلى شيء ما في داخله: بدأت إثارة اللاوعي. ومن الممكن أيضاً أن تكون إثارة اللاوعي قد حدثت في الإنسان الجمعي الخارجي. هذا صحيح من الناحية التاريخية. لا يمكن أن نعتبر أن نيتشه فهم الأمر تماماً، حتى أولئك الذي أثاروا الضجيج حوله لم يفهموا ما كان يعنيه فعلاً. لكنه خلق إثارة معينة، ودغدغ شيئاً في اللاوعي؛ لأنه حاول أن

يَعْبَرُ للإنسان المعاصر ما يحدث فعلاً في اللاوعي الجمعي، وأن يعطي معنى لذلك الاضطراب. ولم يتوقع نيتشه طبعاً تفاعلاً لحظياً مع هذه الخطبة لأن من المفترض أن تدخل أولاً إلى اللاوعي، إلى معدة الحالة الجمعية، وسيظهر التفاعل جزئياً حيث لم يكن متوقعاً. سيحاول الآن إجراء تقنية أخرى، يحاول التكلّم معهم عن أكثر الأشياء حقارة في الإنسان الأخير.

"إنها اللحظة التي على الإنسان فيها أن يضع نصب عينيه هدفاً. إنها اللحظة التي على الإنسان فيها أن يغرس بذرة أمله الأعظم."

كيف تفهم هذا التصريح الآن؟ ما الذي يدور في ذهن نيتشه هنا؟ قيل ذلك كله من خلال مشاعر معينة.

السيدة بايتز: ألا يعني أنه يشعر أنها اللحظة الحاسمة بالنسبة إليه ولل البشرية؟

الدكتور يونغ: تماماً. يعبر هنا عن قناعاته ومشاعره العميقة تجاه حقيقة أن الوقت قد حان، والأمر عاجل جداً. تجد ذلك في الفصل الذي يذهب فيه زارادشت لزيارة الجزر السعيدة والازول في البركان: "Es ist Zeit, höchste Zeit".¹ اعتبر نيتشه في هذا الفصل أننا الآن عند نقطة تحوّل أساسية في التاريخ وفي تطوّر الإنسان. يطلق المرء على ذلك صفة "مزاج الألفية الجديدة".² وهي كلمة كنسيّة من سفر الرؤيا، وفكرة عودة ملكوت الله، فكرة الألفية. ليس نيتشه وحده من أدرك وجود لحظة تحوّل كبرى، إذ نذكر مثلاً أن الكتاب الذي ألفه شبنغلر بعنوان "Der Untergang des Abendlandes"، كان يتضمن المزاج ذاته.³ ترى القناعة

¹ "لقد حان الوقت، الفضل وقت".

² يقال في "سفر الرؤيا 20" إن القداة ستعود خلال فترة ألف سنة، حيث يحكم المسيح الأرض بينما يبقى التّين القديم، إبليس، مسجوناً.

³ أوسفالد شبنغلر (1880 - 1936)، مؤرّخ ألماني، معروف بنبؤاته الألفية المتشائمة في كتابه بعنوان "The Decline of the West - تراجع الغرب" الذي ترجمه إلى الإنكليزية "كي. إف. اتكنسون (نيويورك: 1926 - 1928)، مجلدين.

ذاتها بأن هناك ما سيحدث، وأن الأزمنة انتهت، وثمة ما هو آت. لذلك يقول نيتشه إن الوقت قد حان لكي يفكر الإنسان بنفسه أو ليحدد هدفه؛ حان الوقت للإنسان كي يزرع بذور هدفه الأعظم، بذور الإنسان الأعلى طبعاً. وهي فكرة أن على الإنسان أن يكون على أهبة الاستعداد للتخلص من مواقفه الخارجية السابقة، أو لتغييرها، بهدف ولادة كائن جديد. كما تحدث القديس بولس عن زوال آدم القديم، ليكسو الإنسان نفسه بالمسيح، وهي فكرة التغيير الكامل ذاتها مثلما تخلع فيها الأعلى جلدها لتفسح المجال للجلد الجديد؛ أو مثل طائر الفينيق الذي يحرق نفسه في عشه كي يُبعث من جديد من الرماد بهيئة أخرى أكثر شباباً.¹ كانت هذه كلها رموز نموذجية بدئية في زمن يتم فيه تدمير الأشياء القديمة لتمهيد الطريق للأشياء الجديدة. وقد لا يمكننا إثبات ما هو الصحيح أو الخاطئ فيها، لكننا متأكدون من أنه كان لدى نيتشه شعور هائل بأن وحيًا جديدًا عظيمًا سيحدث، وقد رأى ذلك في فكرة الإنسان الأعلى.

"لا تزال تربته غنية بما يكفي لهذا الغرس. لكن ستغدو هذه التربة فقيرة ومنهكة يوماً ما، ولن تستطيع شجرة باسقة أن تنمو فوقها.

الويل لنا! ستأتي لحظة لن يستطيع الإنسان فيها أن يطلق سهم رغبته في ما وراء الإنسان - ولن يعود وتر قوسه قادراً على إطلاق السهم! الحق أقول لكم: على المرء أن يبقى حاملاً لشيء من الفوضى كي يلد نجماً راقصاً. الحق أقول لكم، لا يزال لديكم فوضى في داخلكم."

يتحدث هنا بوضوح عن الإنسان الأخير بالمقارنة مع البشر في زمننا الذي لا يزال في الفوضى. لم يتم مزج اللاوعي بعد؛ أي إنه لا يزال في ما يشبه بوتقة انصهار يُعاد تشكيل العناصر فيها، حيث يمكن أن تنشأ عناصر

¹ "لأنه كما في آدم نوحث الجميع، هكذا في المسيح منوحي الجميع" (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 22). "هكذا مكتوب أيضاً: صائر آدم، الإنسان الأول، نفساً حياً، وأنتم الأجيال روحاً مخفيين" (رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 15: 45).

جديدة أو أنظمة جديدة. حاولت فلسفة الخيمياء القديمة أن تفعل ذلك. وكانت الحالة الأصلية للإنسان متمثلة بأجزاء قوضوا وجدت نفسها مجتمعة معاً بمصادفة بحتة ودون نظام؛ ومع عملية تعريضها للنار، انصهرت كلها معاً مؤدية إلى تطوّر روحي جديد كما كان مفترضاً. وكان ذلك بسبب فكرة أساسية في فلسفة الخيمياء تم التعبير عنها برموز الكيمياء. لم يكن بإمكانهم استخدام مصطلحات فلسفية أو حتى سيكولوجية لأن الكنيسة جعلت الكلام عن أشياء كهذه أمراً شديداً الخطورة.

لكن وجود الكيمياء كان يحد ذاته دليلاً على القوى التي كانت تتفكك فوراً مع بداية عصر النهضة. كان على تلك الحركة، المكافئة تماماً لعلم النفس المعاصر، أن تتحرّك بسرّية. وكان عليها أن تعبّر عن نفسها برموز معقدة جداً كما استخدمت المسيحية في بداياتها مصطلحات غامضة. فبدلاً من قول "المسيح"، استخدمت كلمة "بويمن" مثلاً. وفي كتاب "هرمس" كله، وهو مسيحي بالتأكيد - يُفترض على الأقل أنه أخو البابا الثاني - لم يُذكر اسم المسيح إطلاقاً؛ كان يُشار إليه فقط باسم "بويمن".¹ ولم يكن بالإمكان التلميح للمعمودية والطائفة إلا برموز معينة بسبب الخوف من التعرّض للاضطهاد. كان من الخطر جداً في العصور الوسطى أن يكون لديك طريقة معينة أو وجهات نظر راديكالية أو ليبرالية: يخاطر المرء بأن يُشوى على النار. لكن من المؤكد أن نيتشه لم يكن يعرف أي شيء عن الخيمياء. أنا واثق تماماً أنه لم يقرأ أي شيء عنها؛ لأن الاعتقاد الذي كان سائداً في زمنه هو أن هؤلاء الفلاسفة القروسطيين عبارة عن أغبياء لديهم أخيولات غبية. وهكذا فإن فكرة الفوضى الموجودة لدى

¹ "بويمن - Poimen": الراعي، المراقب، الحامي. يتكون كتاب "راعي هرمس - The Shepherd of Hermas" من دروس تنظيمية في العقيدة المسيحية وممارستها. وكان هرمس أخو البابا باپوس الأول.

الجميع كانت بالنسبة إليه مجازاً خطابياً، لكنها رمزية ملائمة لحالة اضطراب اللاوعي الذي لم ينصهر بعد.

يتم التعبير عن ذلك لدى كل شخص بنقص معين في التوجه، وبالغموض، وشعوره بأنه مثار شهية، وعدم وجود معنى للحياة. وفي مراحل معينة من التحليل، في البداية على وجه الخصوص، يدرك الناس بوضوح تام أن ثمة فوضى في أعماقهم، ويشعرون بالضيق بسببها. هم لا يعرفون إلى أين تؤدي هذه الحركة الفوضوية: في أغلب الأحيان لا يفهمون أبداً ما يفعلونه أو ما الذي يتحدث عنه المحلل. يبدو كل شيء عَرَضِيّاً وبلا هدف أبداً. لكن تقوم فكرة نيتشه الآن على أنه من خلال فقدان التوازن هذا لا بد أن يولد نجم جديد راقص. يعود رمز الرقص للظهور مجدداً. أين ظهر هذا الرمز سابقاً؟

الآنسة حنة: الناسك العجوز قال إن زارادشت يمضي في طريقه كراقص.

الدكتور يونغ: تماماً. إذاً يشير الراقص إلى زارادشت، لكن ستظهر موازنات أخرى لاحقاً. يكون النجم الراقص متألّفاً مثلاً، فإلى أي شيء يرمز النجم في هذه الحالة؟
السيد باومان: الفردانية.

الدكتور يونغ: نعم، يكون رمزاً للفردانية، رمزاً لتركيز شرارة المرء الحية، شرارة نار تسقط في الكون وفقاً للأسطورة الغنوصية.¹

السيد باومان: قال زارادشت إن على المرء أن يزرع بذار أمله الأعظم في الإنسان. هل يعني ذلك أن الشخص الفردي هو الأمل الأخير للإنسان؟

¹ ربما يكون الحافظ الأساسي للغنوصية هو ظهور الشرارة الإلهية في الإنسان (الروح - pneuma) والتي تمثل في الحال إزالة من الأجواء العليا، وإمكانية عودته إليها مجدداً. انظر "كورت ريدولف" كتاب "الغنوصية"، ترجمة آر. ويلسون (سان فرانسيسكو، 1983) صفحة 57.

الدكتور يونغ: بذرة الأمل الأعلى هي النجم. على الإنسان أن يزرع بذرة لتنمو كنبات، ثم يأتي النبات بزهرة تتحول إلى نجم. سيصبح ما نسميه نبات "اليوغا" وزهرة النجم. إنه لمجاز شعري قديم أن تصف مرجاً مليئاً بالزهار بالسماء التي تزدان بآلاف النجوم؛ أزهار لها أشكال نجوم، وهياكل متناظرة. وهكذا، إذا نجح الإنسان في غرس تلك البذرة، يبدو كما لو أنه يحبل بنجم متلألئ. وهذا يفسر أيضاً الحركة الراقصة، أما التلألؤ المتواصل لنجم معين فيرمز إلى نشاطه المنبعث الغريب. وهذه الفكرة أو الشعور أو الحدس – أياً كان ما تصفه به – يفسر أعداد الأيدي الكثيرة للآلهة الهندوسية. إنها تمثل النشاط المتلألئ الاستثنائي للجسد السماوي. تلك الأيدي كلها في حالة حركة. وترمز إلى النشاط الهائل المنبعث من الإله. شخصية شيفا الخالق المبدع، شيفا في تظاهره الرائع – ولا سيما في الطائفة اللامية – لديه ستة وثلاثون ذراعاً، أو اثنان وسبعون ذراعاً أحياناً. إنها تشكل هالة حوله مثل الأشعة المنبعثة من الشمس أو النجم.¹

وبناءً عليه، قال نيتشه لاحقاً مخاطباً الإنسان: "هل أنت طاقة جديدة وحقٌ جديد؟ حركة أولى؟ دولا ب يدفع بنفسه؟ سيكون بإمكانك إذا أن ترغم النجوم على الدوران حولك" هنا أيضاً لدينا الرمزية ذاتها؛ الدوران والنجم أيضاً. ثم يقول لاحقاً: "فضليح أن تكون على انفراد مع قاضي قانونك والمقتصر له. نجماً يُقذف به هكذا في فضاءٍ خلاء وفي الوهج الجليدي للوحدة". هذا أيضاً رمز للفردانية. والإشارة الأخرى إليها هي: "لكن يا أخي، إذا ما أردت أن تكون نجماً، فلا يمنعك ذلك من أن تضيء عليهم!" – يعني الإنسان الأعلى. ومرة أخرى يتحدث عن التفرد: "لتلتمع داخل حيكَن أشعة نجم! وليكن رجاؤكَن: "ليكن لي أن أصير الأمّ التي ستلد الإنسان الأعلى!".

¹ اللامية هي بوذية التبت، طائفة من فرع المهبوتا. يرمز تعدد أذرع الآلهة إلى القوة وتعظيم المظهر.

وبالإضافة إلى النجم والعجلة، هناك رمز للكرة الذهبية. ربما تعرف الحكاية الخيالية الألمانية عن الأميرة التي فقدت كرتها الذهبية في بئر عميق حيث كان الأمير الضفدع يراقبها. أرادت استعادتها، لكنه قال: "لا أعيدها لك إلا إذا سمحت لي بأن أشاركك الجلوس إلى الطاولة، وتناول الطعام من صحنك، وأشرب من كأسك، وأشاركك فراشك الصغير". وافقت وهي مكروهة للغاية، لكن عندما زحف إلى سريرها، ألقت به إلى الجدار، وحينها تحول إلى أمير جميل.¹ وهنا يقول نيتشه: "حقاً، لقد كان لزارادشت هدف، وهو قد رمى بكرته: والآن أنتم ورثة هدفي أيها الأصدقاء، وإليكم أقذف بالكرة الذهبية. وتعني: أنا، زارادشت، قد حققت الفردانية، وها أنا ذا ألقى الكرة الذهبية إليكم؛ هذه هي فكرة الإنسان الأعلى مجدداً.

تحدث نيتشه هنا عن الإنسان الأخير الذي لا يستطيع أن يصبح فردانياً، وليس في داخله فوضى، وبالتالي ليس لديه حافز لإنجاب نجم. ذلك هو الإنسان المستنزف الذي يشعر بكامل الرضا ولا يعرف شيئاً عن أي تطوّر آخر. ولهذا قال زارادشت:

"ما الحب؟ ما الخلق؟ ما التوق؟ ما النجم؟ هكذا يسأل الإنسان الأخير وهو يغمز بعينه.

الأرض قد غدت صغيرة، وفوقها يقفز الإنسان الأخير الذي يجعل كل شيء صغيراً. نوعه غير قابل للانقراض وكأنه من فصيلة البراغيث، الإنسان الأخير أطول عمراً.

"لقد اكتشفنا السعادة"، يقول البشر الآخرون، ويغمزون بأعينهم. هجروا الأماكن التي كانت الحياة فيها قاسية، لأنهم يحتاجون إلى الدفء. وما يزال المرء يحب جاره ويحتك به؛ فهو بحاجة إلى دفا.

¹ حكاية خيالية الممتبة بعنوان: الملك الضفدع".

أن يمرض المرء ويرتاب، هو أمر يعتبرونه خطيئة: إنهم يتقدمون بحذر.
أحمق من لا يزال يتعثر بحجر أو بشراً"

ما هذا؟ أي سلوك يشرحه لنا في الإنسان الأخير؟

السيدة بيلوارد: اللهو بهدف السلامة والأمان.

السيدة فيرز: في الكتاب الذي ألفه وليام جيمس عن التجارب الدينية،
ثمة فقرة جيدة يقول فيها إن علينا أن نكون مستعدين لكل شيء، نحن لا
نعرف ما إذا كان الله موجوداً أو لا، لذلك علينا أن نعدّ أنفسنا كما لو أنه
حيّ، وكذلك كما لو أنه ليس حيّاً؛ علينا أن نقول "نعم"، ومع ذلك علينا أن
نضع عوامل أمان ونقول "لا".¹

الدكتور يونغ: أمان في كل حالة. نعم، هو نوع من الانتهازية لأن ما
يشرحه هنا أشبه بموقف انتهازى. هو يصف البشر الجمعيين في أيامه،
ويأمل بالوصول إليهم من خلال توصيفه لهم؛ لقد رسم لوحة الإنسان
الأخير لهم، واعتقد الإنسان أن هذا الإنسان الأخير بعيد جداً، لكن ما
وصفه كان الإنسان المثالي، العقلاني المثالي أو الانتهازى المثالي. كان يأمل أن
يلامسهم بهذه الطريقة ويجعلهم يرون، أو ربما يفتحون أعينهم على الحالة
التي هم عليها. لكن كما تعلمون، ليس غياباً أبداً أن يبقى الناس مُحافظين
إلى حد معين، أو أن يكون للمرء ملذّاته الصغيرة للنهار، وملذّاته الصغيرة
لليل؛ لكن على المرء أن يظلّ حريصاً على العافية. نيتشه نفسه ليس لديه
أي شعور بالمتعة – ربما لديه قدر معين من المتعة خارج الحياة، لكنها كانت
صغيرة للغاية – وبالنسبة إلى صحته، فقد عاش على زجاجات الدواء.

¹ في الصفحات الختامية لكتابه "الاختلافات التجربة الدينية – The Varieties of Religious Experience" (نيويورك، 1902)، رسم وليام جيمس نمطاً لإيمانه "إيمانه المفرط" المتواضع
بإله أو بالهة ذات قدرة محدودة (نظراً لاستمرار الشر) ولم يقدّم أية ضمانات للخلاص أو الخلود.

يجافيه النوم دوماً ويتناول أكواماً من الأدوية المهدئة، لذلك إذا كان قد عرف القليل من السعادة فهذا جيد. لقد حَقَّرَ الإنسان الجمعي الذي يمكن أن يعيش فعلاً. وبالطبع، إذا كان المرء لا يفعل سوى ذلك، فالحياة ليست جديدة بالاهتمام؛ وهذا لا يعني أن المرء يجب أن يفعل ذلك ولا شيء سواه. لكنه يعني الإنسان الجمعي العادي الذي يؤمن بنزاهة هذه المبادئ لسوء الحظ، وخطؤه الوحيد أنه تفاوض عن حقيقة أن للعالم عمقاً معيناً، وأن هناك أشياء معينة خلف الشاشة، وأن مستقبل الإنسان قد ألقى ظلاله سلفاً. إن زارادشت نافذ الصبر مع ذلك الإنسان الجمعي البائس، وهذا طبعاً سبب عدم قدرته على الوصول إليه.

السيدة باومان: يبدو الأمر كما لو أنه يصف لنا علماء مسيحيين لاهوتيين. أو هل يُعتبر المرض خطيئة شخصية بالنسبة إليه؟

الدكتور يونغ: يتوافق توصيفه مع العلم المسيحي أو أية منظومة أو أيديولوجية أخرى لأنها تتوافق مع الإنسان الجمعي كما هو. ثم في نهاية الفصل يقول:

"والآن ينظرون إليّ ويضحكون: وبينما هم يضحكون يلقون عليّ كرههم أيضاً. ثمة صقيع في ضحكهم."

هنا يتضح موقفه. شعر بشرخ هائل بين نفسه والإنسان الجمعي. ولم يعد يتحدث عن الصاعقة. إذ أدرك أن هناك شرخاً كبيراً، وأنه كان يبدو لهم "هازناً ومربعاً في السخرية". لقد تعاملوا مع ما قاله كنوع من الفكاهة والسخرية الفظة. ثم ينهي الفصل باعتراف بوجود اختلاف لا سبيل إلى شفائه بينه وبين الإنسان الجمعي في عصره. يا لها من لحظة حرجة! يتخلى هنا عن أمله بالوصول إليهم من خلال الصاعقة، فالصاعقة قد تشعل النار فيهم. قال إنه يشعر أنهم باردون كالصقيع. ليس هناك دفاء ولا

تواصل ولا شيء يمكن أن يرأب ذلك الصدع. تلك هي الكلمة الأساسية لتوصيف الحالة، وفي تلك اللحظة يبدأ راقص الحبل المشدود؛ في هذه اللحظة يُثَبَّت راقص الحبل المشدود حبله فوق ذلك الصدع، ويذهب من جانب إلى آخر على الحبل النحيل الخطير. لقد توقَّفت الخطبة الآن وبدأ الأداء الرمزي. وسيُظهر لنا هذا الأداء ما يعنيه نيتشه بتأسيس ارتباط بين الإنسان الأعلى والإنسان الجمعي، أي ما تعنيه الفردانية.

المحاضرة السابعة

20 حزيران - يونيو 1934

الدكتور يونغ:

قرأت في المحاضرة السابقة جزءاً وصف فيه زارادشت الإنسان الأخير بأنه الأكثر حقارة، وأريد أن أعرف رأيكم به. هل أعجبكم؟ سمعت ردود أفعال مثيرة للاهتمام عنه في اليوم السابق.

السيدة باينز: أعتقد أنه كان حقيراً.

الآنسة حنة: كان جيداً جزئياً لكن ليس بالمطلق.

السيدة باومان: كان الجانب الممل للوجود العادي للإنسان.

الدكتور يونغ: حسناً، أخبرني أحد المتحمسين جداً لنييتشه أنه في النهاية لم يجد الإنسان الأخير حقيراً؛ يظن أنه شخص مقبول إلى حد ما، وأفكاره ليست بذلك السوء. على سبيل المثال: يقول زارادشت: "أن يمرض المرء ويرتاب، هو أمر يعتبرونه خطيئة: إنهم يتقدمون بحذر. أحقق من لا يزال يتعثر بحجر أو بشر!" وأنا لا أختلف معه في ذلك. "وما يزال المرء يحب جاره ويحتك به؛ فهو بحاجة إلى دفء". وهذه حقيقة ثابتة تماماً. أما عن الاهتمام بالصحة والعافية، فلا بد أن نحافظ على ما قاله زارادشت عن قيمة الجسد وتقديره له. لاحقاً هناك فصل يلعن فيه أولئك الذين

يحتقرون الجسد، وهؤلاء البشر الأخيرون لديهم بالتأكيد تقدير كبير للصحة والعافية، أي لوظائف الجسد. لذلك أجد هذا الإنسان الأخير شخصاً عادياً ومعقولاً للغاية، ولا يبالغ في أي شيء. ثم يقول: "من يقدم الإنسان فقيراً ولا غنى؛ إذ إن الأمرين كليهما مرهقان". وهذه نقطة معقولة أيضاً. إذا لم يتبع الناس هكذا مثاليات فسيغدو العالم جحيماً من الفوضى أكثر مما هو عليه اليوم. وإذا كان الناس أكثر منطقية، وقلَّ شغفهم ليكونوا فقراء جداً أو أغنياء جداً، فربما تصبح الأمور أفضل وأكثر هدوءاً بشكل عام. كما ترون، هو يلعن الإنسان العادي إلى حد ما، ولو قبل ذلك الإنسان في ذاته كجزء لا غنى عنه، لمصلحته على الأقل، فربما كان بحالة أفضل، ولم يُبالغ ولم يُؤذ نفسه. ثمة تصريح آخر مميز هو: "لا يزال المرء يعمل أيضاً، فالعمل تسليية في النهاية. لكن مع الحرص على ألا تكون التسليية مرهقة". لكن نيتشه من جهة أخرى كان يهدر طاقته بطريقة انفعالية ويؤدي دماغه من دون شك بشكل استثنائي عجيب. ونستطيع القول إنه لو لم تكن تلك الكثافة مميزة من ميزاته، لما كان لدينا كتاب من نوع هكذا تكلم زارادشت، ولا أي كتاب من كتبه. لكن من الواضح أن الأمرين صحيحان، وليس أحدهما فقط.

نعود الآن إلى النص. بينما كان زارادشت يلقي خطبته، أدرك أن كلماته لا تصل إلى أذان المستمعين، فبدأ الفصل الثاني كما يأتي:

ثم حدث ما كنتم الأصوات وأجفظ العيون كلها، ففي تلك اللحظة باشر راقص الحبل أداء عرضه....

كيف تفهم حقيقة أن راقص الحبل المشدود قد بدأ مهمته بينما كان زارادشت لا يزال يتحدث عما هو أكثر حقارة في البشر؟ لدينا هنا علاقة سيكولوجية نوعاً ما. علينا أن نفكر بالإجراء كله كعملية في شخص واحد.

الدكتور ريكستين: إذا اعتبرنا أن راقص الحبل المشدود هو الإنسان الأعلى، ستكون وجهة نظر مناقضة، وتباين مع هذا الإنسان الأخير المنغمس جداً في المادة، أو الأكثر مادية.

الدكتور يونغ: أنت تظن أن عملية تعويض قد بدأت للتو. نعم، بدأت الخطبة تضعف، يستطيع المرء أن يشعر بذلك. أولاً، هو لم يصل إلى مستمعيه؛ ثم كانت أقواله ضعيفة جداً لأنها جائرة. لقد لعن فعلاً الإنسان الذي يعيش هو بذاته على طريقته، أي الإنسان العادي. هو يعيش مثلاً وفقاً لحالته الصحية، ويفعل تماماً تلك الأشياء التي يعتبرها الأكثر حُسن في نفسه. فما يقوله يتناقض مع الحقائق؛ يقول شيئاً لم يعد له علاقة بالحقائق. وعندئذٍ سيبدو كل ما يقوله عادياً هزياً كما لو أنه تم إفراغه من "الليبدو"¹. ليس فيه أية قوة سوى قوة الإرادة، ذلك المقدار الصغير جداً من طاقة "الليبدو" القابلة للإزالة، والتي تشكّل ما يُسمى قوة إرادة الإنسان. يبدو الأمر كما لو أنه أفرغها بجهد مركّز من الإرادة لكنها غير مدعومة بالحقيقة الغريزية، وبالطبقات الأعمق من شخصيته. ثم بدأت تتقدّم تلقائياً وبشكل آلي؛ ظهرت في راقص الحبل المشدود، وبنيشاط لم يعد هو نشاط زارادشت ذاته. لكن راقص الحبل هو أيضاً زارادشت ذاته بطريقة ما. وهذا لا يعني زارادشت كما هو هنا في الكتاب، حيث انقسم كل شيء إلى شخصيات مختلفة، بل هو الدراما الداخلية للكاتب بحد ذاته. فبينما كان يتحدث بهيئة زارادشت، ظهرت شخصية أخرى وبدأت العمل بصفة راقص الحبل المشدود. والآن إذا نظرنا من هذا الجانب، فأني نوع من

¹ بعد أن قطع يونغ علاقته مع فرويد، استمرّ في توظيف مبدأ الليبدو، مع أن ذلك تناقص كثيراً في الأعمال الأخيرة. وعلى أية حال، يستخدم يونغ كلمة ليبيدو هنا للدلالة على الطاقة السيكولوجية بشكل عام، وليس الطاقة الجنسية فقط.

الشخصيات سيكون راقص الحبل المشدود في نيتشه؟ هل يمكننا أن نصنّفه في فئة معينة؟ لدينا هنا شخصية زارادشت، وشخصية العجوز الحكيم، ووصلنا الآن إلى فقرة ظهر فيها مهرج مرعب، بهلواني. لدينا عدة شخصيات.

السيد أليمان: إنه جانب نيتشه الذي يجتاز الشرخ أو الهوة ليصبح الإنسان الأعلى.

الدكتور يونغ: نعم، راقص الحبل المشدود هو محاولة نيتشه ليصبح الإنسان الأعلى. كان مصيرها أن تثمر؛ لقد أتلّف جسره بكلامه عن الإنسان الأخير، ووصف الناس بالحقراء لأنهم نسوا أن يصبحوا كالإنسان الأعلى. وبرغبة طبيعية، أرادوا حينها أن يروا الإنسان الأعلى. طلبوا راقص الحبل المشدود لأنهم لم يصدّقوا أن بإمكانه أن يعبر الهوة، وأن يسير على هذا الحبل الرفيع فوق هاوية تفصلهم عن الإنسان الأعلى. عليه أن يبيّن لهم كيف يمكن للمرء أن يصبح إنساناً أعلى: كانت قضية مستعجلة. يمكنهم أن يقولوا: "كل ما يُقال جيد، لكن علينا أن نزرع حديقتنا".¹ إنه الكلام الفارغ الذي يجري الآن في العالم، وأصبح موجوداً في كل صحيفة وكتاب. يقول الجميع، يجب على المرء...، على المرء أن يفعل...، لكن لا أحد يوضح كيف يمكن فعل ذلك. لدينا حتى أشخاص يقولون مثلاً إن من السهل جداً ضبط الأسعار؛ لدينا عشرة آلاف اقتراح جيد لكن ما من أحد يربط كيفية التنفيذ. يقولون: لو يفعل الناس كذا وكذا، لكن علينا أن نتعامل مع الإنسان كما هو إذ ليس بإمكاننا وضع نظام يقوم به الجميع بواجباتهم بالشكل المثالي. لن يتم تنفيذه أبداً. كما أن هناك بعض المتحمسين أو بعض الحمقى المباركين الذين يقومون بواجباتهم بالشكل المثالي؛ هم إما

¹ من رواية ككتيد، انظر اعلاه محاضرة الثالث عشر من حزيران – يونيو 1934.

حمقى عظام أو كائنات عجيبة تم وضع صورهم في كنائس صغيرة لتبجيلهم. لكن الناس بشكل عام لا يصلون أبداً إلى نتيجة أن عليهم القيام بواجبهم بالطريقة المثالية لأن ذلك قد تم سلفاً على يد أحدهم وهذا يكفي. احذر أن تقلده؛ هكذا كانت أخلاقياتهم. لكن عندما تحدث زارادشت عن الإنسان الأعلى، اهتم الناس براقص الحبل المشدود الذي يؤدي عملاً رائعاً بالفعل. هذا هو الاختبار الحقيقي. "كل ما يُقال جيد"، لكن دعنا الآن نرى كيف تسير الأمور. ووصل نيتشه إلى النهاية؛ هو لا يعرف لأنه الشخص الذي عاش مع الأفكار. والآن، هذا هو النموذج البدني للعجوز الحكيم المكوّن من منظومة أفكار جميلة. إنه مصوغ من نسيج من أكثر الأفكار التي يمكن تصوّرها روعة على الإطلاق، لكن لم يُحكّ في أي مكان عن كيفية القيام بذلك. لقد وُضِعَتْ أمامك في بعض الأحيان على شكل نظام أخلاقي وحسب؛ على المرء أن يفعل كذا وكذا. لكن ما إن تبدأ بتطبيقها، لا نرى سوى محاولة متشنّجة من قوة الإرادة. هذا يعني جهداً هائلاً، وأنت تشعر أن الأمر غير حقيقي. لذلك عندما بدت الخطبة هزيلة، لم يكن بالإمكان تجنّب أن هناك "ليبدو" يتجاوز الحدود باتجاه منظومة أخرى، منظومة توضح كيف يحدث ذلك، أو ربما كيف يفشل. سوف أقرأ النص:

"خرج من باب صغير وتقدّم فوق حبل كان مشدوداً بين قلعيتين، ومعلقاً فوق الحشد المنتظر في ساحة السوق. ومع بلوغه منتصف الطريق انتفح الباب الصغير مرة أخرى، واندفع منه فتى بهيئة مهرّج بكامل زينته، وراح يلاحقه بخطا سريعة. "تقدّم أيها الأعرج!" صاح بصوته الحاد، "تقدّم أيها المتطفّل الكسول، أيها المرائي ذو الوجه الشاحب! - كي لا أدغدغك بقدمي! ماذا تفعل هنا بين القلعيتين؟ أليس مكانك داخل القلعة وفيها سجنك؟ أنت تقطع الطريق أمام من هو أفضل منك!" ومع كل كلمة يقولها كان يقترب منه أكثر فأكثر."

ضمن أي ترتيب كان راقص الحبل المشدود في نيتشه؟
الآنسة حنة: إنه الظل. نيتشه لم يصنع ذلك بنفسه، الظل هو من قام
بالفعل.

الدكتور يونغ: هذا احتمال. يمكن لراقص الحبل المشدود أن يكون
الظل كما أسلفنا، لكن علينا إيجاد دليل على تشخيص كهذا. هل لديك أي
دليل؟

الآنسة حنة: يبدو لي أنه كان الظل لأن المحاولة فشلت؛ تظهر جميع
المحاولات التي يتركها المرء بهذا الشكل لأنها تكون مجرّاة للغاية.

الدكتور يونغ: يمكن اعتباره دليلاً. من الواضح أنها محاولة مُقدّر لها
الفشل، وإذا كان بإمكاننا القول إنها كانت محاولة ظلّية، فهي متروكة
للاوعي. لا وجود للإنسان كله فيها.

السيدة باومان: من المفترض أن يكون الإنسان الأخير بالشكل الذي هو
في نيتشه، لأنه هو الشيء الذي بقي مستبعداً في الخارج.

الدكتور يونغ: نعم، تعاملنا مع الإنسان الأخير منذ قليل، ومن المحتمل
جداً أن هذه الشخصية ستلعب دوراً هنا أيضاً. الجزء الأول هو ببساطة
رسمٌ مخطّط المهمة، ووضع برنامج، ومن ثم تظهر أسئلة حول كيف يمكن
تطبيق الأمر، وهنا بدأت الطريقة تظهر. ما يقصده نيتشه هنا بكل تأكيد
هو: انهض أيها الإنسان الأخير وحاول أن تعبر الجسر فوق الهوة؛ هؤلاء
الذين يُسمون البشر الآخرين، البشر العاديين الحقيرين، يحاولون الآن
عبور الهوة. وهم الآن ضلال بالتأكيد، هم ليسوا أبطالاً على الأقل؛ إنهم غير
واضحين تماماً، ويتميزون أساساً بالصفات السلبية. لقد تلاشت المحاولات
البطولية على ما يبدو؛ لا يمكنك أن تصف طبائعهم بالإيجابية. صحيح
بشكل عام أن وعينا في الأرض أساساً، ومحاولاتنا في أساسها واعية، أو أننا
على الأقل نحب أن نقول ذلك. لذلك نطلق على الشخص الموجود خلف

ظهورنا صفة الظل، ونفترض أيضاً أنه لن يقوم بأية محاولات بطولية خاصة. "الأنا" الواعية هي من يفعل ذلك. فشخصية الظل ليس لها جسد؛ هي غير فعّالة نسبياً، ونحن نفترض أن تلك الفعّالية والطاقة وقوة الإرادة وكل ما يتبع ذلك موجود في الوعي. وهكذا يوشك راقص الحبل المشدود، غير المؤهل إلى حد ما، أن يقوم بدور الظل أيضاً. لكن ماذا عن ذلك الرفيق الذي خرج خلفه؟

الآنسة وولف: ألا يوجد عقدة معينة في هذه الحالة؟ فظل نيتشه الحقيقي، أي الإنسان العادي الموجود فيه، غير متضمن في هذه المسألة إطلاقاً. لذلك أجد أن راقص الحبل أشبه بشخصية بديلة. وفي الوقت نفسه تبدو صورة راقص الحبل بالنسبة إلي وكأنها انعكاس وانتقاد للحالة كلها. والقصد من ذلك أن الطريقة التي أعلن عنها نيتشه لتحويل الإنسان العادي إلى إنسان أعلى غير حقيقية. إنها طريقة الخدع الهلوانية التي نراها في السيرك. والتي هي غير واقعية بشكل خطير، ولا بد أن تؤدي إلى كارثة.

الدكتور يونغ: فعلاً. سيكون إثباتاً رمزياً لحالة زارادشت السيكلوجية؛ تم أداؤها كرمز أمام الحشد. لو كانت الظروف عادية، كان بإمكان راقص الحبل أن يجتاز الهوة كما يفعل في كثير من الأحيان، لكن ظهور زارادشت في هذا المكان هو ما جعل الكارثة تحدث. إنه يتداخل مع راقص الحبل بحضوره هنا. تماماً.

السيدة يونغ: راودتني فكرة أن راقص الحبل المشدود كان عقل نيتشه أو ذكاه بقدر ما كان نيتشه يتماهي به، أما المهرج فهو الظل الذي يقفز فوقه. لأن انهيار عقل نيتشه هو المأساة كلها فعلاً. لا أستوعب أبداً كيف يمكن لراقص الحبل المشدود أن يكون الإنسان الأخير. فالعكس هو الصحيح بالنسبة إلي، وذلك لوصفه الإنسان الأخير بأنه عاجز عن القيام بأية مغامرات: هو لن يسقط. لكن نيتشه نفسه سقط فعلاً!

الدكتور يونغ: نعم، يمكن لهذا التفسير أن يكون صحيحاً أيضاً. فمن الصعب جداً في الواقع اتخاذ قرار من البداية على الطبيعة الحقيقية لراقص الحبل المشدود. علينا أن نضع التوقعات الآن. وسنرى لاحقاً أن راقص الحبل سيُقتل، وسيهتم زارادشت بجسده، لكنه يقول له قبل أن يموت: "إنَّ روحك سيسرُّ إليها الموت قبل جسدك، فلا تخشَ شيئاً إذاً". هذه عبارة تنبؤية تُخبر نيتشه بقدره. لقد ماتت روحه عام 1889 عندما بدأت حالة عجزه، لكنه بقي على قيد الحياة إحدى عشرة سنة أخرى. عاش جسده مع أن روحه فارقت الحياة. وهكذا فإن المصير الذي توقَّعه راقص الحبل المشدود هو القدر الذي تغلَّب على نيتشه: نيتشه نفسه هو راقص الحبل المشدود، وألَمَّ به المصير ذاته. يمكن القول إنه كان عقل نيتشه أو وعيه؛ أو أعتقد أن راقص الحبل المشدود يرمز إلى نيتشه نفسه، مع أنه إلى حد ما أقل من نيتشه بكثير، بقدر ما هو ظل وحسب. كما أن الحدث الذي وقع هنا كان أشبه بالدور الذي يلعبه الظلّ، أو الكتابة التي تُسقط على جدار وتتوقَّع المصير الذي سيصيب نيتشه الإنسان. وهكذا يمكننا القول إنه تحت تمويه راقص الحبل، ظهر نيتشه نفسه كإنسان حقيقي يحاول السير على الحبل. لكن من هو المهرج في هذه الحالة؟

الدكتور ريكستين: هو القوة الشيطانية التي اعتقد نيتشه أنها تمثل راقص الحبل المشدود الأول. أعتقد أن راقص الحبل المشدود الأول كان الجزء الواعي مما وعظ به نيتشه، والقوة الشيطانية الحقيقية التي رأيناها في الخطاب جاءت هنا على شكل مهرج.

الدكتور يونغ: من دون شكّ، هذه الشخصية التي ظهرت بعد راقص الحبل المشدود هي شخصية شيطانية؛ إنها موصوفة بهذا الشكل. لم نسمع أي شيء عنها هنا - وما إذا كان قد اجتاز الحبل المشدود فعلاً. يبدو في هذه اللحظة وكأنه تلاشى في الهواء، بينما يتم التركيز على الجسد، على الحادث.

لذلك يبدو من الواضح جداً أنه لم يكن الهدف من المهرج إظهار كيف يمكن للمرء أن يجتاز الهوة، بل تقوم مهمته على قتل راقص الحبل. ستعود هذه الشخصية لاحقاً على أية حال. لكن إذا كان راقص الحبل المشدود هو نيتشه نفسه، فمن هي الشخصية المعادية؟ السيدة باينز: ألا يمكن اعتبارها المشاعر السلبية التي شكلها نيتشه أثناء وجوده مع الحشد والتي جعلت الحشد يقرر إحباط جهوده؟ الدكتور يونغ: هذا صحيح بشكل غير مباشر، لكن أعتقد أن هذه الشخصية ظهرت فعلاً من نيتشه نفسه. يجب أن يكون الظل النشط، ظلاً تم الاستخفاف بقوته. يعود أصل هذا الظل إلى البشر الأخيرين الأبرياء للغاية. ومن هنا فقد تم التنبؤ بالكارثة كلها في التصريح الأخير في المحاضرة السابقة: "كثتهم يرونني بارداً هائزاً ومريعاً في السخيرة". إذ رأوا فيه سلفاً المهرج المرعب، والهلوان الذي سيقتل راقص الحبل المشدود في النهاية، لأنهم اعتبروا ما قاله عن الإنسان الأعلى مستحيلًا تقريباً، وسيموت كل من يحاول تنفيذه، وهو ما حدث بعد ذلك مباشرة. لذلك يمكن أن نطلق على المهرج اسم الظل النشط. الظل غير نشيط بالشكل العام، وهو مجرد خلفية أو مؤشر على أن شخصاً ما لديه جسد ثلاثي الأبعاد طالما أن الشيء الذي لا يكون ثلاثي الأبعاد لا يكون له ظل. فإذا كان المرء مكتملاً إلى حد ما، يكون ظله مرئياً؛ وإذا لم يكن كذلك، تشعر وكأنه مرسوم بشكل مسطح على جدار. لكن مع وجود بعض الظل، يكون هناك بعض النفي أو التناقض، ومن دون ذلك لا يكون أي شخص كاملاً. يتوافق الناس الذين لديهم بعدان فقط مع الشخصية القناع، أو القناع الذي يحملونه أمامهم وخلفهم حيث يختبئون. فالشخصية القناع بعد ذاتها لا تشكل أي ظل. وهي مثال شديد الوضوح عن شخصية لا يطالها الشك ولا الملامة، ولا تترك أثراً لها في أي مكان؛ لكن عندما تلاحظ اختفاء الظل، تعرف أنه قناع لشخص حقيقي خلف الستارة.

السيد باومان: ألا يعبر المشهد عن تلك المواصفات الضئيلة؟ هناك سوق ونافذتان وحبل مشدود، لكنه لا يقود إلى أي مكان بعينه. أعني، إذا كان هناك نهر أو هاوية على الإنسان أن يجتازها، فهي ستجعل هذا الأمر كله حقيقياً، لكن الحبل غير ممدود فوق أي شيء، إنه في الفراغ.

الدكتور يونغ: ذلك لأن الأمر كله عرض رمزي ببساطة. تظن بأنك اجتزت هاوية لكن تخطيت العتبة وحسب، لم تذهب إلى أي مكان. ربما تظن أنك اجتزت البحر الأحمر، لكنه مجرد أداء رمزي، أو دور على خشبة مسرح.

الآنسة وولف: كنت أعني أنه بقدر ما كان نيتشه متماهياً مع زارادشت، فهو راقص الحبل المشدود. كان زارادشت يعظ الناس بأن على الإنسان أن يتمو متجاوزاً ذاته ليصبح الإنسان الأعلى. لكن نيتشه لم ينم، لم يكون جذوراً باستيعابه لذاته. أصبح بدلاً من ذلك متماهياً مع رؤيته، فأصبح الأمر كله أشبه بخدعة، أصبح كلاماً بلا معنى. أما المهرج فهو الظل الذي تُرك في الخلف، "الإنسان الأخير"، الإنسان العادي، ولأنه ترك في الخلف، تخطى نيتشه في نهاية المطاف.

الدكتور يونغ: نعم، تلك كانت حالته السيكلوجية؛ هذا تماماً ما قصده.

الدكتور ريكستين: أليس راقص الحبل رمزاً غريباً وغير عادي في هذه الحالة؟ أظن أنه لا يمكن أن يكون بحد ذاته رمزاً لتجاوز صعوبات حقيقية هائلة.

الدكتور يونغ: السير على الحبل مخاطرة كبيرة، لذلك أرى أن راقص الحبل صورة رائعة.

السيدة كرولي: يمكنه أن يحافظ على التوازن أيضاً.

الدكتور ريكستين: أعتقد أنه لكي يتوافق مع الموقف الحقيقي، يجب أن يكون رمزاً مرتبطاً بالأرض أكثر مما هو مرتبط براقص الحبل.

الدكتور يونغ: بما أن المشكلة بالتحديد هي الشيء غير المرتبط بالواقع؛ فراقص الحبل مثال ممتاز، أو قد يكون سهماً فوق نهر. السيدة بايتز: هذا لأن عليه أن يجد الإنسان الأعلى بنفسه.

الدكتور يونغ: نعم، إن فكرة رَأْب الصدع هي الصفة المميزة لمسألة الإنسان الأعلى. ومن ثم ضرورة الحفاظ على التوازن بين الجانبين كما قالت السيدة كرولي.

السيدة بيلوارد: هل هو التوازن بين المتضادات؟

الدكتور يونغ: تماماً، إنه العبور من حالة إلى أخرى، وهو رمز للزواج المتضادات، والطريق التي يصل المرء من خلالها إلى الإنسان الأعلى. يتم ربط المتضادات بواسطة وظيفة فائقة؛ وهذا ما يتضح بشكل جميل من خلال شدّ الحبل بين برجين. بالطبع، كونه معلقاً في الهواء أمر جيد أيضاً. السيدة كرولي: أظن أن هناك مبرراً آخر للرمز. يشير نيتشه دوماً إلى الجسر من دون هدف، وهذا مجرد جسر: ليس هناك من هدف.

الدكتور يونغ: نعم، قال إن الإنسان جسر بين ضفتين. وبالتالي فالصورة تتعلّق جداً بالموضوع من كل جوانبه.

الدكتور ريكستين: ربما تعني بطريقة غائية أن تظهر لنيتشه أن ما يريده ليس جيداً له، وأنه ليس على الطريق الحقيقي؛ يعني الرمز أن الأمر كله فارغ، أو عرض يشبه عرض السيرك، وليس حقيقياً.

الدكتور يونغ: الصورة تشبه رمزية الحلم. عندما تكون صورة الحلم مستحيلة أو سخيّة، فهي تنقل فكرة أن ما يفعله المرء سخيّف، لكنها تظهر الطريق في الوقت نفسه. وإذا تعامل المرء معها بشكل ملموس كما هي في الرؤية، سيكون الأمر سخيّفاً، وتصبح الكارثة مفروضة. لكن لو استطاع نيتشه تجرّدها، وحلّها؛ لو استطاع أن يقول، الحبل ممدود بين برجين، أي بين زوج من المتضادات التي ينبغي الوصل بينهما، ثم مشى من جانب إلى

آخر، لكان على الطريق الصحيح. عندئذٍ يمكنه أن يقول: "أعاني من صراع داخلي، أعاني من معضلة، وعليّ أن أرأب ذلك الصدع"، ثم يكتشف مشكلة المتضادات.

هي نقطة هامة للغاية لأن نيتشه يكمل بطريقة ما النقاش الذي بدأه فريدريك شيلر، أول الفلاسفة الألمان. فأنا أعتبر شيلر فيلسوفاً. لم أهتم كثيراً بقصائده لكنني فكّرت كثيراً بفلسفته.¹ هو أول ألماني يدرك مشكلة المتضادات في طبيعة الإنسان؛ ربما اتضح أمامه هذا الشرح السيكولوجي بسبب تأثيرات الثورة الفرنسية التي شكّلت رعباً هائلاً للناس في ذلك الزمن. كانت المرة الأولى التي يُخلعُ فيها الإله المسيحي عن عرشه في التاريخ. تم تدمير كنيسة نوتردام، ووُضِعَت "إلهة المنطق" *la deesse Raison* على العرش وبدأت عبادتها بدلاً من الإله المسيحي.² حدثت مذابح بالجملة، وقطعت الرؤوس بالمقصلة، كان قتل الملك المُفرق في مسيحيته أمراً لم يُسمع به من قبل. ثم بدأت القيم تنهار مثل أي شيء آخر، كما هي اليوم، وكما كانت خلال الحرب العالمية الأولى. وصُدِمَ الناس ذوو الحساسية العالية بأحداث فرنسا، واكتشف كيلر قضية الثنائيات المتضادة تحت التأثير اللحظي لتلك الأحداث: الإنسان كان متحضراً نوعاً ما من جهة أولى، وكأن متوحش تماماً من جهة أخرى. وسعى إلى طريقة يتغلّب فيها على هذه الحالة، طريقة لا بدّ أن تؤدي إلى حالة منطقية؛ كان الدواء الوحيد الذي اكتشفه هو رؤية

¹ يوهان كريستوفر فريدريك فون شيلر (1757 – 1805)، معروف بقصائده الشعرية والدراما، لكن عمله بعنوان "رسائل في الثقافة الجمالية للإنسان – *Letters on the Aesthetical Education of Man*" كان هاماً جداً بالنسبة لبونج، ولا سيما في توقع تمييز بونج بين الانطوائي والانبساطي. انظر الأعمال الكاملة، المجلد السادس، الفصل الثاني. من غير الواضح لماذا أطلق عليه بونج صفة أول الفلاسفة الألمان، طالما أن كاتط الأكثر أهمية بالنسبة إلى بونج، كان قبله – بغض النظر عن ليبينز. كان نيتشه متأثراً بمقارنة شيلر بين الفن واللعب.

² انظر أعلاه محاضرة السادس من حزيران – يونيو عام 1934.

الجمال، فكرة أنك تستطيع أن تتحد مع نفسك من خلال التأمل في
الجمال. وبشكل يثير الاستغراب، اختار كميثال عن الجمال تمثال "جونو
لودوفيسي - *Juno Ludovisi*"، وهو تمثال قديم لرأس بشري ليس فيه ما
يثير الاهتمام. لو أنه قال أبولو أو رأس زيوس أو هوميروس، لكان الأمر
مفهوماً أكثر، لكن اختياره لـ "جونو لودوفيسي" كان محض غباء. أعتقد أنه
عرف هذا التمثال في مراحل الدراسة، وربما تأمل فيه كثيراً واعتقد أنه من
أكثر الوجوه روعة. لذلك إذا كان على أحدهم أن يفعل شيئاً من هذا النوع،
أي إذا استطاع رؤية الجمال، يستطيع أن يوفق بين الثنائيات المتضادة.

تبدو هذه المشكلة وكأنها سكنت أو نامت من جديد، لكن ما إن تلامسها
حتى ترى أنها لم تنم فعلاً؛ لا تزال تسبب أحلاماً مزعجة، وقد أظهرها
نيثشه مجدداً.

بعد شيلر مباشرة، اتجه المسار إلى شوبنهاور، لكنه كان متشائماً للغاية،
وكان على الحال ذاته بمسألة حلّها؛ هو أيضاً لم يرها في مثل هذا الضوء.
كان يعتقد العالم عبارة عن خطأ جسيم. ولم يشعر بأن هذا الشرخ شرخٌ
سيكولوجي وحسب؛ بل شرخ في العالم كله كما لو أن ثمة خطأ جسيماً في
موقع ما في حسابات العالم؛ توصّل إلى نتيجة مفادها أن الشيطان يتعذر
استئصاله. وشعر بأن العالم مجرد شيء عرضي تتخلله إرادة لاواعية في
مسار الأبدية، وسوف ينتهي في لحظة لا يمكن حسابها مطلقاً؛ أي إنه لم
يتطور تاريخياً بل جاء إلى الوجود كصورة حلم شكّلتها إرادة عمياء. لم يكن
هناك حكمة ولا نية بخلقه؛ بل حدث الأمر وحسب. كما تجاوز الغنوصيين
الذين افترضوا وجود خالق للكون هو "الديميرج"، وكان نصف واعٍ على
الأقل؛ لكن شوبنهاور كان متشائماً للغاية. لكن مع ذلك كان الشرخ بالنسبة
إليه موجوداً في العالم وليس في الإنسان، إنه الشيء ذاته إلى حد كبير؛ لقد
وحد أزواج المتضادات. كما قال إن الإنسان طور ذكاءً يمكنه أن يعكس

صورته. عليه أن يضع هذه المرأة أمام الذكاء ليرى انعكاس صورته ويقول: "لا مزيد من ذلك، سنوقف هذا العرض كله ونلغيه، ثم نعود إلى النيرفانا من خلال إنكار كامل للحياة كلها".¹

هذا ما تفعله عندما تدفع مشكلتك باتجاه علاقاتك أو أصدقاؤك، على سبيل المثال: تساعدكم على تدمير أحدهم الآخر، وممارسة كل أنواع الأذى، لكي تحل مشكلتك الخاصة. يمثل أحدهم جانباً من شخصيتك، ويمثل الآخر الجانب الآخر، وأنت تحاول التقرب بينهما إما بطريقة ودية أو بخلق صراع بينهما. فهذا يفسر الدسائس التي تحيط دوماً بالناس الغُصائبيين؛ إنهم منغمسون بنسيج المؤامرة. هم يعانون طبعاً من الإسقاطات المؤذية، لكنهم السبب فيها دوماً؛ وهم يحرضون عليها حتى. ويبدو الآخرون وكأنهم ممثلون على خشبة مسرحهم الخاص: أحدهم يبكي والآخر يضحك، ويروون هذه الحكاية أو تلك ليعيدوا أولئك الناس أحدهم ضد الآخر – وهناك يكون لهم الدور الذي يريدونه. وهم يدفعون النفقات طبعاً على المدى البعيد، لكن الآخرين يفعلون الشيء ذاته أيضاً إذا كانوا أغبياء بما يكفي ليقعوا في الشرك. أيضاً، في تاريخ المريض الذي لا يزال ضمن عائلته، سترى أنه ينجح عادة في جعل أفراد عائلته على شكل ثنائيات متضادة، ويلبسهم أدواراً مختلفة. كما قد تندفع الفتاة باتجاه الأم والأب

¹ تحدث يونغ في سيرته الذاتية عن حياته في الفترة بين السادسة عشر والتاسعة عشر من عمره، والتي كرسها لدراسة المؤلفات الفلسفية والدينية لمساعدته في مشاكله الروحية الشخصية، فقال إنه التجذب إلى فيثاغورس، وهيراقليطس، وإمبيدوكليس وأفلاطون، والسيد إكهارت. "لكن النتائج العظيمة الرائعة من أبحاثي كانت شوبنهاور" (كتاب "نكريت وأحلام والفكر، الصفحة 69/76). وقال نيتشه عن شوبنهاور: "كنت ثقتي به فورية... فهمته كما لو أنه كان يكتب إلي" (كتاب "شوبنهاور كمرتبّي - Schopenhauer as Educator" ترجمة جي. ديلوي هيلشم وإم. آر. سيمبسون "ساوث بيند، إنديانا، 1965). لاحقاً، كان لدى الرجلين كليهما تحفظات جدية على التشاؤم الكبير.

مثلاً، ويندفع الأبنان باتجاه الأبناء. وفي السياسة أيضاً يدفع السياسيون مشاكلهم باتجاه الأحزاب السياسية.

كانت الشخصية الأخرى التي عالجت موضوع المتضادات بعد شوبنهاور هي نيتشه، الذي كان فيلسوفاً مختصاً بالأخلاق أيضاً، وتمكّن من إحكام سيطرته على المشكلة كلها فعلياً في كتابه "هكذا تكلم زرادشت". كانت كتبه الأخرى ككتاب "إرادة القوة" و"جينالوجيا الأخلاق"،¹ عبارة عن نقد رئيس لحضارتنا، ودائماً مع نظرة للظل القاتم في الخلف طبعاً. ومن هنا فإن نيتشه سيكولوجي معاصر فعلاً. لو كان يحيا في أيامنا هذه لأصبح محلاً مشهوراً، لأنه يضيء الخلفية القائمة والدوافع السرية بشكل رائع؛ لقد توقّع الكثير عن فرويد وأدلر. لكن ذهنه لم يكن نقدياً فحسب، إذ كانت لديه أفكار نقدية كأولئك الفرنسيين المعروفين بأقوالهم الماثورة في القرن الثامن عشر، لكنه لم يستغرق بالنقد وحده، فقد تجاوز ذلك بكثير، وكان إيجابياً جداً حيث قام بمحاولة بطولية لإنهاء الصراع في كتابه "هكذا تكلم زرادشت". في هذا الكتاب تحديدأ قام بمواجهة الظل الذي ظهر بوضوح في أعماله الأخرى. كما حاول بناء موقف أو منهج يستطيع المرء من خلاله أن يتغلّب على ذلك الظل المرعب الذي يقوِّض كل شيء، وأن يتحقق من كل حركة، فكان من المثير للاهتمام مراقبة تطوّره. كان الحل بالنسبة إلى شيلر حلاً جمالياً ضعيفاً كما لو أنه لم يُدرك مدى تلك المشكلة وعمقها. أن تحاول حلّ المشكلة من خلال رؤية الجمال أشبه بمحاولة إطفاء نيران متقدة بزجاجة عصير. وقد تفوّق عليه شوبنهاور بمحاولته البطولية لكنه أباد العالم بأسره؛ ألغى الوجود كله بغية إخماد صراع الإنسان، وفي هذا

¹ كتاب "إرادة القوة" هو مجموعة من الأمثال والملاحظات (1901)، وتعود أصلاً إلى أخت نيتشه المعروفة الآن بأنها "bowdlerizer" - أي هي من تصدر كتبه بعد تنذيبها، وخاصة إذا أصبحت النتيجة بعد التنذيب أضعف وأقل فاعلية".

الكثير من المبالغة. يبدو الأمر كما لو أنك تقطع رأس شخص ما لأنه يشعر بصداع. كان اقتراب نيتشه من فهم سيكولوجيا الإنسان صحيحاً جداً، وبطريقة أكثر تحديداً؛ لذلك يُعتبر هذا العمل النقدي سيكولوجياً أساساً، لقد شعر بضرورة تجديد الإنسان وإعادة ضبطه.¹

أجرى نيتشه محاولته التي لم تكن مجرد نزوة شخصية من عُصابه الشخصي؛ كانت بالفعل محاولة علمانية من العقل البشري للتعامل مع تلك المشكلة. لقد سبق أن تم التعامل معها مرات عديدة خلال مراحل التاريخ. لكن حتى الفترة التي عاش فيها شيلر، تعاملت معها الكنيسة بطريقة كافية، لأن الكنيسة كانت هي التي تملأ مجال الوعي كله، والجزء الظلي للبشرية، وقد عبّرت عنه بالرموز؛ قامت الكنيسة بتمثيل الأمر كله بالطريقة التي استقرّ عليها مرة واحدة وإلى الأبد. إذا ظهر أي اضطراب، فهناك نعمة الكنيسة. لقد كانت، ولا تزال، النظام السحري الدقيق الذي يستطيع حلّ أية مشكلة. لكن عندما يفقد هذا النظام صلاحيته بسبب أحداث تاريخية كالثورة الفرنسية مثلاً، تظهر مشكلة في سيكولوجيا الإنسان. إن البشر الذين لا يزالون مؤمنين بالكنيسة الكاثوليكية فعلاً ليس لديهم لا وعي. ومثالنا على ذلك كتاب من تأليف كاتب كاثوليكي بعنوان "مملكة الله القائمة فينا"، ويقول فيه إنه ليس هناك دليل على وجود اللاوعي، أي ليس هناك وجود حقيقي لللاوعي، وهو مجرد تخيلات.² لا

¹ نظرية نيتشه عن "الضمير السيئ" في كتاب "مولد التراجيديا وجينالوجيا الأخلاق" مشابهة تماماً لمفهوم "الأنا العليا" لدى فرويد. كما استخدم نيتشه وفرويد مصطلح "das es" لتوصيف الجزء اللا شخصي من النفس. وامتنع الفريد أنذر أحياناً بالقول بنيتشه لكنه أصر على أن "سيكولوجيا الفرد قد تم إلصاقها بنيتشه عن طريق الخطأ". انظر كتاب "التفوق والاضطرابات الاجتماعية – Superiority and Social Unrest" (نيويورك، 1973)، صفحة 209.

² "Das Dunkle Reich in Uns": ألف هذا الكتاب "الكسندر سبينز" وظهر في السنة ذاتها. وبالإضافة إلى الظواهر العقلية المستبعدة أو التي لا تستطيع السيكولوجيا العلمية الأورثوكسية تفسيرها (كالتنويم المغناطيس والتخاطر وما إلى ذلك) كان سبينز مهتماً باللاهوت الكاثوليكي.

يستطيع أي شخص في أيامنا هذه، وبأحاسيسه العادية الطبيعية كما يُفترض أن تكون، أن يعلن تصريحاً كهذا؛ لكن الكاثوليكي يستطيع ذلك لأنه يفتقد وجود اللاوعي. إنه في الكنيسة.

لقد تحدثت في هذه المسألة مع أشخاص متقدي الذهن جداً في فرنسا، وفهم البروتستانتيون واليهود ما كنت أعنيه، لكن الكاثوليكي العادي الفرنسي لم يفهم أبداً لأن اللاوعي بالنسبة إليه غير موجود. وحتى إذا كان لا يؤمن بالكنيسة، فهو سيكون ملحداً، ويكون بالتالي كاثوليكياً جيداً. عالجت في إحدى المرات مريضة من النوع المحافظ للغاية، أي من الكاثوليكيات الأكثر فتامة – حتى إن لديها علاقة وثيقة مع الكاردينالات في روما – لكن بعد أن عرفتها لأكثر من عشر سنوات قالت لي: "أنا لا أؤمن بالله ولا أؤمن بالبابا، ولا بخلود الروح ولا بالمسيح ولا بغفران الخطايا. أنا لا أؤمن بذلك كله ومع ذلك سأموت في الكنيسة". يفتقد أشخاص كهؤلاء حالة اللاوعي، وهي حقيقة لافتة جداً يصعب علينا أن نفهمها. كما قال لي كاثوليكي مثقف وذكي للغاية، وممن التحقوا بدورات أكاديمية: "لا أستطيع أن أفهم فعلاً لماذا تواجه هذا النوع من المشاكل بالسيكولوجيا؟ إذا كانت لدي مشكلة ما، أسأل الأسقف فيخبرني كيف أفكر بالأمر؛ ويراسل روما إذا لم يعرف فيخبره مجمع التبشير هناك بما عليه فعله؛ إنهم هناك منذ ألفي عام، ويستطيعون الإجابة على الأسئلة كلها". لكن حتى إذا كان صحيحاً أن بإمكان مجمع التبشير¹ الإجابة على أسئلة معينة، فإذا لم أفهمها ولم أعتبر عن نفسي، فلن أستطيع أن أقبلها. لكن بإمكانهم قبولها لأنها لم تكن أبداً في داخلهم. تبدو كما لو أنها قضايا تتعلق ببعض تفاصيل حياة شعب

¹ المجمع التبشيري لنشر الإيمان هو مجمع اقترحه "رامون لول" في القرن الثالث عشر، وتم تلميسه أخيراً في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية باعتباره الذراع التبشيري لها. كتب "أصائل مختارة لرامون لول – Selected Works of Ramon Llull"، حرره وترجمه أي. بونر (برينغتون، 1985).

الأسكيمو. أنا لم أر شعب الأسكيمو أبداً، لكن أعرف أن هناك قبيلة من هذا النوع، وأعرف شخصاً يعرف عنهم؛ وبالتالي إذا أردت أن أعرف ما يأكله شعب الأسكيمو في وجبات الغداء، أكتب رسالة إلى ذلك الرجل فيخبرني أنهم يأكلون لحم حصان البحر، وأعتقد أنه يعرف فعلاً، وأقبل بذلك لأنني لم أذهب أبداً إلى تلك المنطقة. وبالشكل ذاته نجد أن هؤلاء الكاثوليكين لم يحفظوا أية تجربة تتعلق باللاوي؛ لم يهتموا به أبداً فيقبلون بسهولة كل ما يُقال عنه في روما. لكن مجمع التبشير موجود في الكنيسة، ومن المثير للضحك أنه لا يزال هناك. وحتى لو كانوا لا يؤمنون بعقيدة الكنيسة كلها، لكنهم مازالوا محافظين عليه هناك. كان أولئك الذين تحدثت معهم ملحدين مقتنعين. ولهذا اخترع جورج برنارد شو نكتة عن شخص مشكك للغاية، وإنهار أخيراً وقال: "أنا مندهش للغاية بإيماني بالإلحاد".¹

السيدة كايس: أليس موقفاً لا أخلاقياً للغاية أن تُترك كل تلك القضايا لأشخاص آخرين؟

الدكتور يونغ: أتفق معك في ذلك. لا بدّ من معاقبة أشخاص مثلهم. إنه تصرف وضيع جداً، ولا سيما مع أشخاص كانت نهايتهم وخيمة بسبب ذلك. لا نزال مهتمين بالهلوان، واستنتجنا أنه كان ظلاً نشيطاً فعلاً. الظل عادة ليس نشيطاً بل مجرد مُلحق سلبي أو خلفية، أو دليل على وجود جسد حقيقي ثلاثي الأبعاد. فالظل غير موجود بحد ذاته؛ هو يتبع الجسد عن قرب حيث يذهب، وهي حالة طبيعية بالتأكيد. لكن حالما يحدث شرخ، أي عندما يحدث خلاف مع الصفات السلبية للإنسان، يتخذ الظل شكلاً خاصاً ويبتعد كثيراً كما لو أنه يودّ أن يفصل نفسه عن الشخص. وقد

¹ يقول الأب في مسرحية جورج برنارد شو بعنوان "حقيقي لدرجة لا تُصدق - Too True to be Good" (1932): انظر الآن إلى وراقب التراجيديا الكبرى للملحد الذي فقد إيمانه. كان عنوان المسرحية "روائع سياسية - A Political Extravaganza".

يتضح الأمر في ذلك الفيلم الرائع بعنوان "طالب من براغ". إن كنتم تذكرون الفيلم، انفصل الجسد عن الظلّ الذي ارتكب عندئذ جريمة شنيعة. حافظ الرجل نفسه على وعده وكان شريفاً؛ لكن الظلّ خان الوعد مما أدى إلى تشابك وعقدة فظيعة في الفيلم.¹ إنه يوضح حالة نفسية معينة يكون فيها الوعي أشبه بشخصية قناع مرسومة على الجدار ببعدين فقط. ثم ينفصل الظلّ ويبدأ حياته الخاصة. تحدث هذه الحالة دوماً عندما لا يدرك المرء ما يفعله. وكما تعلمون، بعض الناس لا يفهمون أنفسهم، ولا يعرفون ما يفعلونه. وقد يعرف آخرون أنفسهم لكنهم لا يعرفون ما يحدث حولهم، وهذا تحديداً ينطبق على النموذجين. هذا هو اللاوعي الخاص بالظل.

لا غنى عن الظل لتشكيل الشخصية كلها إذ لا يوجد شخص كامل دون صفات سلبية. قد يبدو الكلام بهذا الشكل سهلاً جداً لكن إذا نظرنا إليه من وجهة نظر أخلاقية، نرى أن المشكلة كبيرة في الواقع. من الصعب جداً ألا يعرف المرء حلاً آخر سوى أن يغلق عينيه؛ فهو يستطيع العيش إذا لم ينظر إلى المشكلة. لكن في اللحظة التي يرى فيها المشكلة يصبح العيش مستحيلاً إذ ينشأ داخل المرء صراع هائل. وإذا تعامل المرء مع الصراع الأخلاقي بجدية، يصبح غير قابل للحل. لذلك يختار الناس طريق الكنيسة، أو ما يشبهها، للهروب من الشخصية المربعة. وهناك دخلت الكنيسة بوسائلها المباركة، أو بقناعة أن أحدهم عالج مشكلة خطايانا، أو أنه سيعالجها بحيث نرتاح من تلك المشكلة المربعة. لا يمكننا أن نحصي عدد

¹ فيلم ألماني بعنوان "The Student of Prague"، أخرجه ستيلر راي عام 1913، وكان أول الفلام الرعب. تمت الإشارة إليه في شهر كانون الأول - ديسمبر عام 1926 على أنه "فيلم شنيع" بمنع فيه الشيطان ثروة لطلاب جامعي "لكنه يأخذ في المقابل انعكاس صورته في المرأة". مزيج من مسرحية فلوست ومواضيع مزدوجة.

المحاولات التي قام بها الإنسان في ذلك الاتجاه. إذ قامت الغنوصية مثلاً بمحاولات مثيرة للاهتمام، لكنني لن أخوض في ذلك الآن لأن اهتمامنا منصّب هنا على مشكلة معاصرة جداً. إذا انفصل الظلّ عن الوعي، فسيصبح له جسد واقعي دوماً: إنها قوة تلقائية نشيطة. وبقدر ما يعيق انفصال الظلّ و"وعي الأنا" اتحاد الشخصية كلها - عدم الوصول إلى الفردانية - يحتوي الظلّ على الذات. تلوح الذات من خلف الظل، لكنها تلوح بشكل سلبي. ويكون للظل قوة تدميرية هائلة في تلك الحالة؛ ذلك هو أصل قوى الظل الشيطانية. لذلك من المهم جداً التعامل معه بطريقة صحيحة لأنه من دون الاندماج مع الظل، لن يتم الوصول إلى الفردانية، ولن يحدث تصالح بين الثنائيات المتضادة، لأن الظل هو الجانب العكسي. السيد باومان: في لوحة بامبرغر التي تحمل اسم *نهاية العالم* هناك صورة مثيرة للاهتمام عن رجل تواصل مع الشيطان: كان أحدهما يدير ظهره للآخر.¹

الدكتور يونغ: نعم، تلك مشكلة بالطبع. في سيكولوجيا العصور الوسطى، هي فكرة الشاب الضعيف البريء مع شيطان هائل خلفه. السيدة كايس: من شأنها أن تكون مشكلة تتعلّق بتحرير الإرادة، أليس كذلك؟

الدكتور يونغ: صحيح. طالما أنك لا تستطيعين دمج الظل، فطاقة الليبيدو المستثمر في الظل لا يمكن تصريفها. السيدة كايس: إذاً إن التفرد مرتبط جداً بحرية الإرادة؟ الدكتور يونغ: ومشكلة الإرادة مرتبطة به أيضاً، لكنها مسألة جانبية. إحدى معوقات عملية التفرد أنك كلما ازداد انقسامك، ضعفت إرادتك

¹ ربما كان المقصود هنا "فريتر بلمبرغر" (1814 - 1873)، رسام مناظر طبيعية ألماني.

الحرّة، وتلبّطت عملية التفرّد. عليك أولاً أن تكتسب قدراً معيناً من الحرية، وأنت لن تكسب ذلك القدر إلا عبر استيعاب الظل. وعليك أن تتعلّم كيف تتعامل مع الظل إلى حد معين على الأقل، ومن ثم تكتسب الإرادة الحرّة جزئياً. فالمرء لا يحظى بإرادة حرّة في حال وجود معضلة كاملة، أو في حالة التفكك والتفسّخ الكامل؛ هذا واضح. لهذا تعود القوة الشيطانية لهذا المهرج إلى حقيقة أنه، بوجوده مع الظلّ، يحظى بالنشاط بسبب القوة الاستثنائية الناشئة عن اكتمال الذات. فالذات هي المبدأ الذي يعبر عن كليّة الوعي واللاوعي، وبقدر ما يكون اللاوعي مبدأ غير محدود وغير قابل للتحديد وغير عقلاني، تكون الذات بالضرورة مبدأ عقلانياً جزئياً أيضاً؛ إنها تغطي شيئاً لا يمكن إحاطته بالكامل. يمكنك تحديد "الأنا" وتحديد مدى الوعي، لكن لا يمكنك تحديد اللاوعي لأنه غير قابل للتحديد. لا يمكنك وضع خطوط نهائية تفصل الوعي بوضوح عن أي شيء "ليس أنا"؛ لا يمكنك سوى أن تقول إن وعيك قد بلغ نهايته عند هذه النقطة، وهنا يبدأ اللاوعي. لكن لا أحد يمكنه أن يعرف إلى أي حد يمتدّ اللاوعي. إذا فالذات مبدأ غير قابل للتحديد لأنها تغطي الكل، الوعي واللاوعي؛ وبقدر ما يحتوي اللاوعي قوى استثنائية، تكون الذات تعبيراً عن هذه القوة. لذلك يمكن القول في هذه الحالة إنه: بقدر ما يكون الظل مشكلة كبيرة، أي بقدر ما يكون هذا المهرج المرعب مشكلة كبيرة، يكون ذا قوة هائلة. والسؤال الآن هو الآتي: هل يظهر الظلّ بهذا الشكل المرعب في ظل ظروف كهذه؟

السيدة فيرز: أليس مرتبطاً بظهور زارادشت؟ في شخصية مثل زارادشت لا يمكن أن ترى سوى جانبه الإيجابي، لهذا سيكون الظلّ غنياً بالجانب اللاوعي، أي شخصية زارادشت.

الدكتور يونغ: هذا يفسر لماذا ظهر بهذا الشكل المرعب، لكن لماذا يكون مدمراً إلى هذه الدرجة؟

السيدة فيرز: لأن الذات خطيرة جداً.

الدكتور يونغ: ولماذا هي خطيرة هكذا؟

السيدة كرولي: لأنه لم يدرك وجودها كما ينبغي. كان بعيداً عن الظل، وببشر بالإنسان الأعلى، ويبدو الأمر كما لو أن للصاعقة جانبين؛ جانباً بناءً وآخر تدميراً.

الدكتور يونغ: نعم، الوعي بعيد جداً؛ وكما أشارت السيدة فيرز، فقد تماهى مع شخصية زارادشت، شخصية العجوز الحكيم، والحقيقة الخيرة الشاملة، والجميل جداً وذو المعنى وما إلى ذلك. لا يوجد ظلّ للعجوز الحكيم على ما يبدو، وبالتالي هناك بطبيعة الحال مسافة كبيرة بين تلك الشخصية والظل. لكن لماذا يكون الظل تدميراً بهذه الطريقة القاسية؟

الآنسة حنة: يبدو لي وكأن له علاقة برغبة القلب التي تفوقنا قوة على الرغم من محاولات نزع السلاح كلها. وبالطريقة ذاتها، عندما يتحدث عن قوى تدميرية، لا يكون مدركاً بشكل كامل.

الدكتور يونغ: بالتأكيد، لأنها لن تكون سيئة جداً حينها؛ يمكن القول إن قوى الظل التدميرية تظهر بهذا الشكل الخطير فقط لأننا لا نلاحظها. هي مرعبة إلى هذه الدرجة لأننا بعيدون جداً ونسيء تقديرها. قد تبدو أنها مجرد مظهر خارجي وليست حقيقية، لكن تُثبت هذه الحالة أنها حقيقية لأنها توقعت مصير نيتشه. يبدو الأمر كما لو أن المشهد كله قد تم أدائه في حياة نيتشه. لكن إذا كان الظل قد قفز عليه وقتله، فلماذا فعل ذلك؟ هل لدينا دليل على حقيقة أن الجانب الآخر للذات خطير للغاية؟

السيدة بيلوارد: هل للأمر علاقة بالتضخم السابق الذي تحدثت عنه؟
الدكتور يونغ: حسناً، إذا كان المرء متماهياً مع شخصية معينة من جانب واحد، فهذا يؤدي إلى تضخم معين؛ هذا يفتر ببساطة المسافة البعيدة عن الظل.

السيدة باومان: أظنّ أنه بقدر ما هو جزء لا يمكنه أن يقبل به أو يتواصل معه، ينبثق هذا الجزء ويقول: "إذا لم تقبل بي فسوف أقتلك".
الدكتور يونغ: نعم، لكن هل تعتقدين أن من الضروري وضع السلاح على صدره؟ ألا يُقال ذلك بأسلوب حضاري؟

السيدة باومان: اعتبرتُ أن من المؤكد أنها قيلت مرات كثيرة سابقاً.
الدكتور يونغ: في الواقع، تُقال هذه الأشياء مرة واحدة وليس عدة مرات.
السيدة باينز: ألا يعود سبب الخطر الشديد إلى أن الظلّ يحمل جزءاً من قوى الله المرتبطة بالذات؟

الدكتور يونغ: بالضبط. القضية هنا على الشكل الآتي: طالما أنك لست زارادشت ولا شبيهة به، وبقدر ما أنت كائن عقلائي حسن النوايا، تكونين مقتنعة بأنك اخترت حياتك واتخذت طريقك بأسلوب منطقي إلى حد ما، وذلك بجهود فاضلة ونوايا جيدة، وتصنعين من ذلك كله شيئاً جميلاً. وغابت عنك حقيقة أنك طالما تفكرين بهذه الطريقة، فأنت تتجاهلين أنك في ظل قانون صارم أقوى من الإنسان بآلاف المرات.¹ لقد اخترنا ذلك كما نعرفين. نوقّع عقوداً فيما بيننا، وتعيش لفترة طويلة، ثم نجعلها أكثر وثوقية؛ إننا نزيد من مستوى أمان وجودنا حتى نستثني في النهاية كل أنواع التشوّش. وكلما تابعنا في هذا المسار ازداد أماننا؛ لكن تعاضمت في الوقت ذاته فرصة أنه في حال حدوث أي شيء، ستحدث فوضى هائلة. نحن نزيد حجم سفننا في المحيط، ونزيد عوامل أمانها وسرعتها وكل ما يتعلّق بها بحيث تصبح العواصف الاعتيادية عديمة التأثير طبعاً؛ لكن إذا حلّت الكارثة، وهي أمر لا يمكننا تجنبه، تكون أشدّ ترويعاً. كما أننا نحاول إيقاف

¹ نيتشه: "إن أيدي الضرورة الحديدية التي تهزّ حجر النرد تلعب لعبتها لفترة زمنية غير محددة؛ وهكذا يجب أن تكون هناك رميات تشبه تملأ الهلالية والعقلانية من كل درجة" (سلسلة اللجر، الكتاب الأول، صفحة 130).

الحروب وتتخذ كل احتياطات الأمان اللازمة لكننا نخلق في الوقت نفسه أفضل الفرص لاندلاع حرب. نكدّس الكثير من الأسلحة، وجباًلاً من الذخيرة لنمنع أي طرف من مهاجمتنا لكن الآخر يفعل الشيء ذاته لتعزيز دفاعاته، لكن الجميع في نهاية المطاف يعملون بهدف الدفاع عن أنفسهم مما يعني حروباً ومذابح بالجملة. ولن تكون الحروب السابقة سوى نزاعات بسيطة بالمقارنة مع ما فعله الآن بعوامل أماننا هذه. وهكذا تتعرّض نوابنا الطبية للخيانة من قِبَل قوى غير متوقّعة ولا يمكن تفسيرها يُسميها البشر "مصادفة" أو "خطأ" أو شيئاً من هذا القبيل. ونطلق على أي شخص صفة "المؤمن بالخرافات" إذا كان يخاف من الحظ ويفترض أنه لا بدّ من القيام بشيء ما للحماية منه؛ نحن غير مقتنعين بإمكانية فعل أي شيء حياله لأننا لا نراه. لكن الإنسان البدائي كان خائفاً دوماً من الحظ لأنه يُدرك تماماً أن كل ما يفعله قد يتعرّض لخيانة هذا الحظّ الخارق للطبيعة. كما يمكن للشيطان أن يتدخل، ولذلك يتخذ إجراءات أمان عالية واستثنائية جداً. فلا يجب فعل أي شيء يمكن أن يُسبب إلى الشياطين لأن انتقامها يكون رهيباً. لقد تم إلغاء هذا الوعي من ذواتنا لدرجة أننا لا نفكر فعلاً فيما إذا كان الله سيتدخل أم لا. لكنه يتدخل في الواقع، ونسمي ذلك حظاً، وهو ببساطة اسم آخر للشيء القديم ذاته.

السيد باومان: "جلالة الحظ".

الدكتور يونغ: نعم، ذلك نوع من الاعتراف بالقوى الخارقة. ونحن نحاول طبعاً أن نوقف تلك القوة بقولنا إنها قوة عمياء، وهي تحدث وحسب، لكن إذا قمنا بدراستها بعناية فستصل في النهاية إلى نتيجة مفادها أن الحظ شيء غريب جداً. يبدو كما لو أن الحظ حلّل تلك الحالة الغريبة ووضع كل شيء في مكانه المناسب، مثل أنثى الدبّور التي إذا أرادت وضع بيضها في المكان المناسب، تجعل البرقة عرجاء دون أن تقتلها وذلك بوضع سمّها في

الفقرة الظهريّة الثالثة، لأنها تعرف مركز الحركة تماماً أفضل من أي عالم في الحيوانات. على عالم الحيوان أن يعمل سنوات ليجد هذا المركز. ويمكن للمرء أن يقول إنها كانت مجرد مصادفة، لكن هذه الأشياء لا تحدث بطريق المصادفة. ثمة حالة غائبة هائلة تحدث بانتظام. والحالة ذاتها مع اللاوعي. ففي الكلمات التي تقولها بالمصادفة، تكون الحقيقة هي ما يتوحد به من دون تفكير. نحن نعتقد أولاً أن عامل التداخل له علاقة بالظل؛ ينزلق لساننا أو يحدث شيء آخر لنا، فنذكره ونقول: "حسناً، كان ذلك بسبب الظل، وبسبب هذا وذاك نشأ هذا التعقيد". ونظن أننا نستطيع كشفه والقضاء عليه، وأنه سيتوقف عن إزعاجنا مجدداً. لكن كلما تقدّمنا أكثر، ازداد فهمنا بأن خلف الظل قوة أعظم بكثير، ونعرف أخيراً أنه يجمع الوعي واللاوعي بالكامل. كما نعتقد أيضاً أننا وصلنا الآن إلى شيء محدد ملموس ضمن متناول العقل البشري. لكن الذات بعيدة المنال كاللاوعي تماماً؛ نحن لا نعرف إلى أي مدى هي بعيدة. نحن نصل إلى استمرارية هائلة مع الحياة بشكل عام، ليس الحياة في الوقت الحاضر وحسب؛ بل حياة الأسلاف من الماضي، وتلميحات لما سيحدث لاحقاً، أي كل ما يحصل البشرية. وهكذا نصل إلى مفهوم الذات الواسع الانتشار، إلى تكتل العقول الفردانية وتراكمها، وهذا ببساطة هو مفهوم الله.

عندئذٍ عندما تصل إلى نتيجة كهذه، تبدأ بشكل طبيعي بإدراك كل الأشياء التي اعتاد البشر الاعتقاد بها في العصور السابقة، بأن الإله خطير جداً وحساس للغاية، وأنه يتأثر للغاية بأي نوع من أنواع الإساءات. (أنا لا أتحدث عن الإله المسيحي الآن، بل عن الإله بشكل عام). عليك أن تسير بحذر شديد كي لا تزعج سلامه، ولا يمكن أن تخدعه؛ يجب أن تنفذ قوانينه، وتحضر شعائره الضرورية كلها، وتتسم بالكثير من الرسمية في حضرته لأنه قد ينتقم بشراسة. إنها لحقيقة سيكولوجية أن النفس التي

تُعتبر كَلِيَّة الإنسان هي فرضية خطيرة للغاية. يؤمن كل فرد بأهميته المطلقة على الرغم من ضعفه وبلادته وافتقاده للأهمية؛ نحن ننسى أن هذا الكائن الكوني يعمل من خلال كل كائن بشري، ويمكن أن يؤدي إلى أكثر النتائج رعباً. علينا أن نتعلّم الخوف مجدداً. لقد عانينا من أنواع الرُهاب كلها لكن السبب الذي يجعلهم يعانون هو أن خوفهم ليس في مكانه الصحيح. إن المبدأ الأول في العهد القديم هو الخوف من الله.¹ وتم التعويض عنه في العهد الجديد بفكرة أن الله محبّة، وليس على المرء أن يخاف منه. لكن الله هو الحالة الأولى والحالة الثانية. العهد الجديد مجرد تعويض عن حقيقة العهد القديم المرعبة التي تقول في البدء كان الخوف من الله. وإذا وصلت إلى فكرة أن الله هو الخير أيضاً تكون هذه تجربة ثانية. يعتمد الأمر بشكل طبيعي على موقفنا. يمكننا أن نفترض مثلاً أننا إذا حققنا متطلبات الإله المرعب؛ ليس علينا أن نخاف منه؛ بعدئذٍ سوف يمنحنا النعمة ويكون لطيفاً معنا. أو يمكننا أن نفترض أيضاً أن الله عبارة عن أب طيب شريطة أن نفي بما يطلبه منا بهيئته الرهيبة.

كان هذا الجانب كله مُفتقداً لدى زارادشت لأن إلهه قد مات. ثم ظهر في مكان يمكن للإنسان أن يتوقعه على الأقل، أي في الظل. الظل بالتعريف هو شيء يبدو ضعيفاً جداً، ينسحب خلف الإنسان، أو هو مُلحق به، ويعتمد على وجوده. إنه المكان الأسخف والأقل ملاءمة ليظهر به أي شيء، ولهذا نحن لا ندرك قوته الخارقة. ويمكن القول طبعاً إن الظل بحد ذاته ليس قوة بل عبارة عن تراكم أنواع الصفات السيئة جميعها في الإنسان؛ تستطيع دوماً أن تقلل من أهميته. لكن الشيء الغريب هو لو أن الله مات،

¹ في إحدى المرات عندما طُرح على مارتن بوبر (الذي اتهم بونغ بإضفاء طابع سيكولوجي على الله) سؤال يقول: لماذا كان ذلك الإصرار على الخوف في الإنجيل، كما في عبارة "بدء الحكمة مخالفة الله"، أجاب بأن الإصرار كان في "بدء الحكمة".

وظهر في الظل، فإن صفات الظل السلبية ستصبح درعاً لله الجديد المرعب. تلك هي التجربة التي لا تزال تنتظرنا. هذا تماماً هو الأمر الذي سنختبره؛ أن الله يظهر لنا من أماكن غير متوقعة وغير قابلة للتفسير. وهكذا فإن هذا المهرج الذي قفز فجأة من البرج خلف راقص الحبل المشدود، يمثل لنا شيئاً غير متوقع أبداً، وما من أحد كان بإمكانه أن يفكر أن شيئاً بهذا القدر من الرعب يمكن أن يخرج من الظل. إننا واثقون تماماً من هذا الافتراض لأن المهرج سيقول لاحقاً لزارادشت إنه في المرة القادمة سوف يقفز فوقه أيضاً، وهذا يُنْزَلُ زارادشت إلى دور راقص الحبل المشدود. هذا يُثبت تفسيرنا بأن راقص الحبل المشدود هو نيتشه نفسه بهيئته الطبيعية أو هيئته زارادشت؛ المهرج جزء من الظل ويحمل قوة سماوية تملو على الحياة والموت. وإذا اختار أن يقفز فوق زارادشت، فسيفعل ذلك وسيُقتل زارادشت على الفور، فقط ليبين لنيتشه نفسه أنه يتعامل هنا مع قوة تشبه قوة الله.

المحاضرة الثامنة

27 حزيران - يونيو 1934

الدكتور يونغ:

سوف نلاحظ أن سيكولوجيا هذه الشخصيات الثلاث – زارادشت وراقص الحبل المشدود والمهرج – متشابكة للغاية. من الصعب تفسير علاقة أحدهم بالآخرين، ولا موقعه في سيكولوجيا زارادشت ولا في سيكولوجيا نيتشه نفسه. تحدثت أحياناً عن راقص الحبل باعتباره ظلاً مثلاً، ثم عن المهرج باعتباره ظلاً، ويصبح المرء بطبيعة الحال مشوشاً لأن من الصعب أن نتذكر الاقتراحات الرئيسية. تعتمد كلها على وجهة النظر التي نتصور المشكلة من خلالها. كما حاولت أن أوضح وجهة النظر الفعلية هذه، لكن من السهل طبعاً أن تتوه عن الفرضية إذا لم تتابع المناقشة.

لذلك وضعت ما يُسمى "الاستنتاج المنطقي أو العقلاني - *soreites* syllogismos"; على الرغم من التعامل مع أوجه مراوغة، يمكننا تقديم نظام معين باستخدام هذا المصطلح. إن كلمة "*Soreites*" كلمة إغريقية تعني المنطق. (أنت تعرف أن المنطق هو علمٌ بحد ذاته). الكلمة اللاتينية التي تعطي هذا المعنى هي "*acervus*"، وتعني تلةٌ من شيء ما. والكلمة الألمانية هي "*Haufenschluss*"، وتعني تراكم الشيء، وتعني استنتاجاً. كلمة

"Syllogismos" تعني استنتاجاً. هناك دوماً اقتراح رئيس وعدة اقتراحات ثانوية، ومن ثم يأتي الاستنتاج. الاقتراح الرئيس هو الأكثر أهمية، يفترض المرء فيه شيئاً من اليقين. وإذا كان هناك عدة اقتراحات، نصل إلى هذا "soreites syllogismos"، أي الاستنتاج العقلاني الناتج عن حجج متراكمة. سأريكم الآن مناقشة من هذا النوع، وهي ضرورية جداً لتوضيح الاختلافات المعقدة المتعلقة بالمستويات والجوانب.

إن نيتشه الإنسان هو اليقين والحقيقة في هذه الحالة: نيتشه نفسه، نيتشه المواطن، نيتشه البشري بهيئته البيولوجية والتشريحية. وهو مساو لراقص الحبل المشدود الأول الذي سقط ميتاً، وتوقع بالتالي مصير نيتشه بعد ذاته؛ فهما متطابقان لأهما تطابقاً بقدرهما. إنه آمن تماماً؛ يقين. نصل الآن إلى الاقتراح الثاني، الشخصية الثانية من حيث الأهمية هي زارادشت المتطابق مع الإنسان الأعلى؛ إنه الإنسان الأعلى. والاقتراح الثالث، الهلوان، المهرج، هو مطابق لظل راقص الحبل المشدود لأنه تبعه ثم قفز فوقه وتغلب عليه بطريقة نمطية جعلت الظل يتغلب على الإنسان الواعي كما هو الحال عندما أقول مثلاً: "يمكنك أن تفترض وضعية زائفة إذا رغبت، لكن كن حذراً ألا يمسك بك ظلك من عنقك، أو يهاجمك من الخلف".

(I) نيتشه = راقص الحبل

- | | |
|------------------------------|----------------------------|
| (2) زارادشت = الإنسان الأعلى | (3) المهرج = ظل راقص الحبل |
| (أ) الإنسان الأعلى = الشيطان | (أ) راقص الحبل = نيتشه |
| (ب) المهرج = الشيطان | (ب) المهرج = ظل نيتشه |
| (ت) المهرج = الإنسان الأعلى | (ت) المهرج = ظل زارادشت |
| (ث) المهرج = زارادشت | (ث) نيتشه = زارادشت |
| (ج) المهرج = ظل زارادشت | |

نبدأ النقاش بالافتراض الثاني، بأن زارادشت هو الإنسان الأعلى، وتحت البند (أ) وضعت: الإنسان الأعلى مطابق للشيطان لأن الإنسان الأعلى إنسان شيطاني؛ هو أكثر من إنسان، وسيكون شيطانياً طبعاً بالمعنى القديم للكلمة. (ب) ثم لدينا شيطان آخر في المسرحية؛ يوصف المهرج بالشيطان، وبالتالي فالمهرج مطابق للشيطان. ومن هنا يأتي البند (ت) حيث يكون المهرج مطابقاً للإنسان الأعلى. ويمكننا القول مثلاً إن الشيطان هو المهرج، وهو الإنسان الأعلى أيضاً؛ لذلك فإن المهرج هو الإنسان الأعلى. فإذا كان البند (أ) مطابقاً للبند (ب) وكان البند (ب) مطابقاً للبند (ت)، وكان البند (أ) مطابقاً للبند (ت). فهذا ما يمكن تسميته الاستنتاج الحاسم أو القرار الحاسم.

السيد نوثال سميث: هل هو ذات الشيطان؟ هل كل الشياطين متطابقة؟

الدكتور يونغ: لا يمكنك القول إنها متطابقة كلها إذا تحدثت عن شياطين فردية مختلفة. وكما قلت سابقاً، استخدمتُ التعبير بالمعنى القديم للكلمة، أي "المانا"، الشيطاني، "الدايمون – daimon". ووفقاً لاستخدام سقراط للمصطلح، فالشيطان لم يكن ذكراً ولا أنثى، لم يكن "شيطانة أنثى – succubus" ولا "شيطاناً ذكراً – incubus"، بل كان على الحياد؛ يُطلق عليه اسم "دايمونيون – daimonion"، أي الشيء الحيادي. ونقول باللغة الألمانية: "der Dämonin, die Dämonin" أو "der Incubus, der Succubus" و"das Dämonische". لكن سقراط استخدمها ببساطة كمبدأ "المانا"، بمعنى الشيء المؤثر الغريب أو الخارق للطبيعة، هو أكثر من إنسان، ومتفوق عليه بطريقة ما، لذلك يتخذ صفة "to daimonion"، أي المستوحى من الشيطان. وهذا ينطبق على الإنسان الأعلى وكذلك على المهرج، ومن هنا جاء التطابق. ثم الاستنتاج الآخر (ث)

الذي يعتبر المهرج مطابقاً لزارادشت، لأن زارادشت مطابق للإنسان الأعلى. الإنسان الأعلى مطابق للشيطان والمهرج مطابق للشيطان؛ وهكذا فالمهرج مطابق للإنسان الأعلى، والإنسان الأعلى مطابق لزارادشت. وتلاحظون أن هذا التحليل منطقي كالرياضيات تماماً. وسنصل الآن إلى الاستنتاج الرئيس في نهاية هذه المحاضرة الغربية. لا يمكننا القول إن المهرج مطابق لزارادشت، لكنه مطابق له في جانبه الشيطاني، أو يمكن القول إنه ظل زارادشت وجانبه الشيطاني السلي. وهكذا فإن المهرج يتوافق مع ظل زارادشت في الاستنتاج (ج). بمعنى آخر، المهرج هو الجانب السلي للإنسان الأعلى. لذلك قال زارادشت: "لكنهم يرونني بارداً ومستهزئاً ذا هزار شنيع". شعر حينها بتماهيه مع المهرج؛ أي شعر بتماهيه مع ظلّه الخاص.

الافتراض الرئيس الآن هو أن المهرج مطابق لظل راقص الجبل المشدود، وهو ما يجعلنا نستنتج أن المهرج مطابق لظل زارادشت. وهكذا ازداد التشوش وأصبح الأمر بحاجة إلى تفسير: لا يمكن للمرء أن يفترض حالة التماهي تلك من النظرة الأولى لأن زارادشت هو الإنسان الأعلى، وراقص الجبل أيضاً هو الإنسان الأعلى. قد يبدو الأمر مستحيلاً لكننا سنتابع في طريقة المحاكمة هذه. الشخصية الموجودة في العلاقة (أ)، أي راقص الجبل، هو نيتشه ذاته. فإذا كان راقص الجبل مطابقاً لنيتشه ذاته، نفهم من ذلك أن نيتشه هو الشخصية التي قفز عليها المهرج وقتلها لأن المهرج كان يتبع راقص الجبل كما لو أنه ظلّه. وفي العلاقة (ب) كان الهلوان مطابقاً لظل نيتشه ذاته لأن نيتشه مطابق لراقص الجبل المشدود؛ وظل راقص الجبل المشدود مطابق للمهرج. لكن الهلوان مطابق لظل زارادشت، مما يجعلنا نصل إلى الاستنتاج (ت). إذا ما هي النتيجة النهائية لهذه العملية المنطقية كلها؟

السيدة باومان: زارادشت هو نيتشه، أو نيتشه هو زارادشت.

الدكتور يونغ: تماماً. نيتشه الإنسان مطابق لزارادشت. لاحظوا ذلك، إنه نوع من السحر الأسود. يمكننا أن نكتب في النهاية "q. e. d" مما يعني أنه تم إثبات القضية. فقد بدأ التعقيد كله من حقيقة أن نيتشه مطابق مع زارادشت، وما كان لهذا التعقيد أن يوجد لولا هذا التطابق. سيساعدنا ذلك على تذكر الصورة؛ يحتاج الأمر إلى محاكمة سحرية كهذه. إنه من أعلى أنواع التحليلات الرياضية إذ من غير الممكن التعبير عن علاقات رياضية معينة أو ارتباطات أو شروط ما لم تُجر حسابات صعبة: كانت ضرورة للربط بين الحجج. يدخل المرء في تعقيدات كهذه حالما يكون هناك تطابق من هذا النوع؛ إن جذر المسألة كلها هو أن نيتشه مطابق لزارادشت، وأن الشخصيتين متشابكتان. فمن هنا نشأت هذه المسألة التراجمية كلها. ولا يمكن تسليط الضوء على الجوانب المتداخلة الغربية لهذه الشخصيات إلا بطريقة من هذا النوع.

الدكتور ريكستين: هل تعني أنها حالة تماهٍ لا واعٍ بين نيتشه وزارادشت؟
الدكتور يونغ: نعم، أعني هوية في الواقع. هوية لم يكن واعياً لها، ولو كان واعياً لها لما كان لها وجود، أو ستكون جزئية وحسب، لكنها ستبقى هوية. إن وعي عملية الإسقاط بشكل كامل يؤدي دوماً إلى تدمير الهوية؛ عندما تكون مقتنعاً تماماً، وتفهم حقاً أن الأمر عبارة عن إسقاط، لن يعود بالإمكان اختباره كشيء خارج نفسك. كما أن الرمز يتم تدميره إذا تم فهمه: يصبح حينها عديم الفائدة. لن تكون بحاجة إلى التعبير عن نفسك من خلال الرمز إذا كنت تعرف ما يعنيه. لماذا لا تعطيه اسمه الصريح إذا كنت تعرف ما هو؟ لماذا الالتفاف؟ هذا تصرف طفولي. أنت لا تحتاج الرمز إلا لشيء لا يمكنك التعبير عنه بطريقة أخرى. وإلا فسوف يكون مجرد استعارة أو حكاية رمزية. وسيكون السؤال الذي يطرح عليك هو لماذا تتكلم

هذه الطريقة المتكلفة¹ لماذا لا تكون طبيعياً وتعتمد على الاستعارة عندما نتحدث عن الإسقاط؟

سؤال: إذاً عندما يكون المرء واعياً تماماً، لن تكون هناك شخصية من هذا النوع في اللاوعي؟

الدكتور يونغ: نعم، إذا كان المرء واعياً، وهذا مجرد افتراض طبعاً. وإذا كان الوعي الكامل أو الوعي السماوي ممكناً، لن يكون هناك إسقاط، أي إنه لن يكون هناك كون، لأن الكون هو وضوح الإسقاط السماوي. وبحسب الأسطورة الهندوسية، بقدر ما حلم الله، خلق العالم، وأنتج العناصر. لكن حالة من الوعي الكامل ستطمس العالم. إن تحقيق استنارة مثالية أو وعي مثالي في البوذية يعني الوصول إلى حالة النيرفانا أو اللاوجود الإيجابي. الوعي المثالي هو التماهي الكامل مع الألوهية. لقد عاد الإنسان إلى الإله، ورجع العالم إلى الله، ولا وجود لأي شيء لأنه لن يعود هناك وجود للمادة. لكننا لا نعرف طبعاً ما إذا كان الوعي المثالي ممكناً، لكننا نعرف أنه مع تقدم الوعي واتساعه، يتضاءل عدد الإسقاطات /المعروفة كثيراً، ونفترض أنه لو كان الوعي قادراً على الاتساع أكثر، لازدادت الإسقاطات في مجال رؤيتنا. وازداد تدميرنا لهذا العالم، إن جاز التعبير.

المسيد نوثال سميث: لم أقتنع بالمحاكمة التي تقول إن الاقتراح (أ) و(ب) متطابقان فعلاً، أي إن الإنسان الأعلى والمهرج متطابقان مع الشيطان. يبدو الشيطان بالنسبة إلي وكأنه من نوعية الإنسان الأعلى والمهرج لكن ليس هناك تطابق.

¹ اعتبر يونغ طريقته في تصوّر الرمز على أنها الاختلاف الرئيس بينه وبين فرويد. وهكذا، إذا كان ما يسمى "الرمز القضيبي" "لا يعني سوى القضيبي ولا شيء آخر، فمن الأفضل أن نسميه إشارة - أو في حالة السرد، "استعارة". هذا يبقّي الرمز طريقة تمثيل غير قابلة للترجمة. انظر الأعمال الكاملة، المجلد الثامن عشر، صفحات 481 - 483.

الدكتور يونغ: حسناً، يمكن أن يتفوق كلاهما على الشيطان بقدر ما يكونا من نوعية شيطانية؛ ولهذا أقول إن أفضل تعبير عن هذا الشيطان هو التعبير الذي استخدمه سقراط، وأعني مصطلح "ذو طبيعة شيطانية أو مستوحى من الشيطان - *to daimonion*"، وهو بالألمانية "*das Dämonische*"; الإنسان الأعلى هو الجزء الشيطاني في الإنسان.

السيد نوثال سميت: هل يمكن استبدال أحدهما بالآخر؟

الدكتور يونغ: يمكن القول إنهما "وجهان متناقضان للشيء ذاته". والدليل على ذلك أن زارادشت قال سابقاً: "لكنهم يرونني بارداً هائلاً ومربعاً في السخربة". كما ترى، ينطبق هذا الوصف على المهرج لكنه زارادشت في الوقت ذاته. وبالتالي فإن المهرج وجهٌ آخر لزارادشت، ولهما جذر مشترك "*daimonion*" مستوحى من الشيطان. وفي حالة سقراط ذاته، كان صوت العجوز الحكيم، أي الصوت "الشيطاني - *daimon*"، يسدي له نصائح ويخبره بما عليه فعله أو يحذّره من أمر ما. طلب منه أن يعزف الموسيقى مثلاً فاشترى سقراط "ناياً" يعزف عليه. وكان في إحدى المرات يتمنى مع أصدقائه في شوارع أثينا عندما همس شيطانه بأذنه قائلاً: "ابتعد عن هذا الطريق واسلك الطريق الثاني إلى اليمين. فأطاع سقراط الأمر مباشرة، فاندفع في الطريق الذي ابتعدوا عنه قطع من الخنازير ومرّغوا جميع العابرين بالوحل.¹ صورة جميلة عن حالات النظافة العامة في تلك الأيام! كان شيطانه حريصاً جداً على تحذيره. وكان هذا الصوت في اللاوعي هو

¹ يقول ديوجينيس ليرتيوس في كتابه "حياة الفلاسفة القدماء - *Lives of Ancient Philosophers*" إن سقراط تطمّ في عمر متقدم العزف على القيثارة (1.4.32). لكن في كتاب "جمهورية أفلاطون" اقترح سقراط إقصاء صانعي الناي والعازفين عليه عن دولته المثالية (كتب الجمهورية، صفحة 399). شيء عن شخصية سقراط جنب كماً هائلاً من الإشاعات والحكايات، الطويل منها والقصير.

الصوت النبوي للعراف الذي يتم ترميزه عادة بالعجوز الحكيم. وهكذا فإن الشيطان هو الإنسان الأعلى، هو الشيء الأعظم من الإنسان، ومع ذلك يبدو وكأنه في الإنسان. إذا كان لديك رؤية ما أو هاجس معين، يفرك أن تفترض أنك أنت نفسك قد تكون العجوز الحكيم، وعندئذٍ يمكننا أن نصف الحالة بالتضخم. كان نيتشه يعاني من التضخم حتماً. وهذا يفسر حالة جنون العظمة المرضية التي تعرض بسببها للنقد خلال حياته، لأن أسلوب كلامه كمصاب بجنون العظمة كان عقبة في طريقه؛ كان الجميع يعتقدون أنه كان يضع فرضيات هامة للغاية. لقد كانت حالة تضخم لا مفر منها أثناء ظهور تلك الشخصية وتماهيه بها.¹

السيدة باومان: إذا كان زارادشت مطابقاً للشيطان، فهل يكون نيتشه مطابقاً للشيطان أيضاً؟

الدكتور يونغ: بالتأكيد، كل ذلك متضمن في الشيطان لأن زارادشت هو الشيطان؛ إنه العجوز الحكيم. وأياً كان زارادشت، سيكون نيتشه مثله تماماً. نيتشه هو المهرج المربع، ولذلك هو الشيطان أيضاً، والذي هو زارادشت نفسه.

السيدة كرولي: لو كان نيتشه واعياً تماماً، ما الذي كان سيحدث لزارادشت؟ من الواضح أنه لن يكون في هيئته.

الدكتور يونغ: أعتقد أن طرحك هذا مشابه لأن تسألني ما الذي كان سيحدث لتاريخ العالم لو أن الرومان القدماء عرفوا الأسلحة النارية والبنادق. لا يمكنني أن أقول أي شيء سوى ما الذي سيحدث إذا واجه أحدهم مشكلة كهذه في حياته؟ وآمل حينها أن يكون قد تعلم ما يكفي

¹ نيتشه نفسه، في رسالة إلى "لو سالومي"، بول ري، تحدث عن "نوبات جنون العظمة التي تصيبني خذوا بعين الاعتبار أنتم الاثنان أن لدي مرضاً في الرأس، وأميل للجنون، وأنني مشغول تماماً بسبب العزلة الطويلة". (كتاب "نيتشه: صور ذاتية ملخوذة من رسائله، صفحة 68).

لتجنّب الوقوع في تمارٍ من هذا النوع. فكما ترون، لا يمكن إزالة "الشيطان – daimon" بشكل كامل بمجرد افتراض أنه نوع من التماهي مع أخيوّلة؛ بل على العكس، يمكن أن تفترض أنك أنشأت أخيوّلة معيّنة، وما كان لذلك التماهي أن يحدث لو لم تبن تلك الأخيوّلة. لكن إذا انفصلت عن الأخيوّلة، أي إذا انفصلت عن تلك القوة التي تعمل في داخلك، تصبح واعياً للحقيقة الاستثنائية الفارقة لذلك الشيء؛ عندما يتم الانفصال فقط، أي عندما تقوم بتلك التضحية، تعرف ما الأمر الذي يستحق. لكن طالما أنك تحت سيطرته، لن تعرف ما الذي يعنيه ولا كيف يعمل، ولذلك لا يمكن أن تتطور، ولا يمكن له أن يتطور. فعندما تراودني فكرة أن العجوز الحكيم قد وضع يديه في أمر ما أحاول العودة إلى ذاتي المتواضعة، وأتأكد من أنني غير متماٍ معه بأي حال من الأحوال. عندئذٍ يتحرر من وجودي المرهق، وأتحرر أنا من الفرضيات المربعة لتلك الشخصية، ولا أكون بحاجة إلى أسلوب الكلام المفخّم هذا، ولا لاختلاق لغة كهنوتية قاسية، من أجل إثبات حقيقة العالم وقانون الحياة، أو لأكون معصوماً عن الخطأ؛ أستطيع أن أكون إنساناً عادياً عرضةً للخطأ، وأحاول بشكل طبيعي أن أقدم أفضل ما لديّ حيناً، وأسوأ ما لديّ حيناً، لكنني لست بأي حال من الأحوال ذلك الكائن المدهش الذي يتحدث بشكل جميل جداً ككاهن عجوز يخطب في الساعة الثانية من بعد ظهر يوم أحد.

لطالما قلت إن من الأفضل ترك الإله وحده لترى ما يمكنه أن يفعله. يفترض معظم الناس ذوي العلاقة الجيدة مع الإله أنه مصدر فضيلتهم وقوتهم، لكن إذا حاولت أن تفصل الأمور تستطيع أن ترى كيف يعمل. ربما تفترض مثلاً أنه ليس عليك أن تتناول الملح في طعامك لأنك لا تفهم سبب حاجتك له. عليك عندئذٍ ألا تهتم بالملح وتتناول طعامك دونه، وستكتشف لاحقاً ما يفعله. بالله عليك، لا تصدق أي شيء كالعجوز

الحكيم واللاوعي الجمعي وما إلى ذلك. حاول أن تفعل ذلك وراقب ما يحدث من دونها. الأمر بسيط جداً؛ لا تقترب منها وسترى الأمر على حقيقته. لذلك لو كان نيتشه حياً يُرْزَق وطلب رأيي في أمر كهذا لأجبت: "كن ذاتك المتواضعة، قل إنك لا تعرف أي شيء، ليس لديك أية فكرة، وإذا شعرت أن هناك من يريد أن يتحدث، أعطه الفرصة، امسح دماغك واترك الأمر لفترة للعجوز الحكيم. ثم ضع ملاحظاتك عنه. وراقب ما يقول واكتبه. ستستطيع بعد ذلك أن تعرف ما إذا كانت أفكارك تتوافق معه أم لا. لكن لا تنمأ معه". قد لا يخطر بذهنه طبعاً أن يطلب نصيحتي أو نصيحة أي شخص آخر عن أمر كهذا.

كنت قد رأيت أشخاصاً متدينين يتماهون مع شخصية العجوز الحكيم، واتبعت مبدأ معيناً بالتعامل معهم. دخلت معهم في فرضياتهم، وتركهم يمشون في مبتغاهم إلى أن تعبوا في نهاية المطاف. هذا هو مبدأ هيراقليطس القديم الذي طلب أن ندعَ أهل "إفسس" يمتلكون الكثير من الذهب، وترى طرقهم الخبيثة النور؛ إذا لم يكن لديهم الذهب، ينبغي عليهم العمل، لكن إذا كان لديهم ما يكفي من الذهب فسيستطيعون العمل على تطوير رزائلهم ويصبحون واضحين.¹ وبالطريقة ذاتها، إذا وجب عليك التعامل مع أشخاص يعانون من جنون العظمة، فقم بمحابتهم حتى يتفجروا، إنها الطريقة المثلى! إذا كان أحدهم مقتنعاً بأنه شخص جيد جداً، دعه يزيد من قناعته إلى أقصى درجة، لأنك إن أخبرته أنه شرير، فسيقوم بجهد يائس ليكون جيداً ولن يتجاوز قناعته بما لديه من فضائل. أنا أتبع دائماً ذلك المبدأ مع المجانين أيضاً – الناس الذين يعانون من

¹ هيراقليطس، هو نفسه من أهل إفسس، كتب: "ربما تحصلون على الكثير من الثروة يا أهل إفسس، من أجل أن تعلقوا على طرقكم الشريرة". فليب ويلرايت في كتابه بعنوان "هيراقليطس" (برنغتون، 1959)، صفحة 96.

التضخّم هم مجانيّن معتدلون حيناً، وغير معتدلين أحياناً أخرى. فإذا قال أحدهم إنه إله عظيم أو إنه البابا أو يسوع، أقول له "لِمَ لا، يمكن لأي شخص أن يكون (يسوع)" لكن إن صادفت رجلاً آخر في الجناح ذاته وكان يدّعي أيضاً أنه يسوع؛ سيكون لدينا نسختان عن يسوع، فكيف لي أن أعرف من هو الحقيقي؟ قمت ببساطة بوضعهما معاً في الغرفة ذاتها لاكتشف المعضلة. ثم رجعت لأتنبّأت عليهما بعد نصف ساعة تقريباً فلم أسمع أي صوت، وعندما دخلت رأيت أحدهما يقف خلف الموقد والآخر ينظر من النافذة إلى الخارج. سألت أحدهما، "ماذا بشأن يسوع الآن؟ من منكما يسوع الحقيقي؟" فأشار إلى الآخر وقال: "ذلك القدر المجنون طبعاً". لقد رأى مباشرة أن الآخر كان مجنوناً لكنه لم يستطع أن يرى الجنون في ذاته. وبالتالي، ما الذي يمكنك فعله؟ لا يمكنك معالجتهم وشفائهم طبعاً. لكن المصابين بالتضخّم ليسوا مجانيّن بمعنى أن دماغهم يعاني شرخاً معيناً وقد تصلّب بهذا الشكل. تكون العملية في حالة التضخّم وظيفية؛ أي يكون الدماغ بحالة مرنة، ويعتمد العلاج على الموقف الذي يتخذونه، سواء أقاموا باتخاذ موقف تعويضي أم متناقض، أو ما إذا وافقوا وخضعوا لفخامة التضخّم. أحياناً يكون هناك فخامة في التضخّم ويكون شيئاً رائعاً. لكن لنعد الآن إلى النص:

"عندما غدا على مسافة خطوة واحدة منه حدث أمر فظيع أخرس الأفواه وأجحظ العيون: أطلق الفتى صرخة شيطانية، وقفز فوق من كان يسدّ عليه الطريق. وعندما رأى راقص الحبل المهرّج وهو ينتصر عليه هكذا، فقد عقله وتوازنه على الحبل في آن معاً، فرمى قضيب التوازن وهوى في الفراغ بأسرع منه كما لو أنه لولب من يدين وساقين يتدحرج. واضطرب الحشد في ساحة السوق مثلما البحر لحظة العاصفة: تفرّق الجميع في حالة من الفوضى، وأخلوا الموقع الذي أوشك الجسد أن يسقط فيه.

لكن زارادشت بقي مسكراً في مكانه، فسقط الجسد إلى جانبه مهشماً
محطماً، لكنه لا يزال على قيد الحياة."

إن عدم هروب زارادشت وبقاءه ثابتاً في مكانه يعني أن علاقته خاصة
بذلك الحدث؛ لديه ارتباط حميم براقص الجبل الذي سقط.

"بعد فترة قصيرة استعاد المهشم وعيه ورأى زارادشت جاثياً إلى جانبه،
ثم قال: "ماذا تفعل هنا؟ عرفت منذ زمن أن الشيطان سيوقع بي. ها هو
يجرني إلى الجحيم: أتريد أن تمنعه؟"

"وشر في يا صديقي أن لا وجود لأي شيء مما ذكرت: ليس هناك شيطان
ولا جحيم. ستموت روحك بأسرع مما يموت جسدك، فلا تخش شيئاً إذاً"،
أجاب زارادشت.

إنها الفقرة الكلاسيكية في كتاب هكندا تكلم زارادشت، فقرة النبوءة،
التوقع الجلي الواضح للكارثة النهائية، حالة جنونه، حيث مات عقله أو
روحه قبل فترة طويلة من موت جسده. كان في فترة جنونه ضائعاً تماماً، لم
يكن هناك إمكانية للاتصال معه إطلاقاً. كان لديه حالة اضطراب عقلي
عضوي نموذجي تؤدي إلى ضمور دماغي، وكان في حالة شديدة السوء؛ لا
يمكن التحدث إليه، ولا توجد إمكانية لأي تواصل منطقي معه. كان في
بعض الحالات يلجأ إلى الهرب. إذ هرب مرة من منزل أخته، ثم عثروا عليه
في إحدى حدائق فيمار. وثمة أوقات معينة استطاعت بها أن تأخذه في نزهة
لكنه لم يكن يُبدي أي رد فعل على كلامها؛ لم يُظهر سوى بعض التعليقات
المفهومة. على سبيل المثال، قال لأخته مرة: "ألسنا سعداء للغاية؟ - معقول
تماماً، ثم مضى في ضياعه وتشوشه. استنتج الناس من ذلك أن جنونه نوع
من الهوس السماوي، أو ما يسميه الإغريق "mania"، وتعني أن تكون
ممتلئاً بالله؛ عندما نقول إن لدى أحدهم حالة "entheos"، فهذا يعني أن

الله في داخله. وقد تم اقتباس هذه الملاحظة كدليل على أنه وصل إلى حالة تشبه النيرفانا.

يمكن أن نفترض أن خلف جنونه حالة تشبه النيرفانا. وهذا قد يقسّر السبب الذي يجعل بعض المصابين بحالات الجنون يتفوّهون بعبارات معقولة تماماً؛ عندما يكونون مرضى جسدياً، غالباً ما يصبحون منطقيين للغاية. أتذكر حالة امرأة كان مليئة بأكثر أفكار جنون العظمة غرابة إذ كانت تسمع أصواتاً معينة تخبرها بالحقيقة، وكانت الأصوات بالنسبة إليها أشبه باتصال هاتفي. أخبرتني مرة شيئاً غريباً للغاية، فكرة جنونية تم التعبير عنها بطريقة متكلفة. حاولت كثيراً دون جدوى أن أصل إلى أساس ما تعنيه، لكن صبرها نفذ فجأة فرفست بقدمها وقالت: "الهاتف يزعجني دوماً". "ما الذي يقوله الهاتف؟" لم ترغب بإخباري أبداً لكنني انتزعتُ إجابتها في النهاية. يقول الصوت: "أنت تسيطرين على الطبيب بشكل كامل؛ هذا كلام فارغ، مكانك الحقيقي في المصحّة العقلية". ومرة أخرى قلت لها عندما كانت في حالة هيجان: "انتهبي جيداً لما سأقوله: إذا تصرّفت بهذا الشكل، سيقتنع الجميع بأنك مجنونة. فهذا سبب وجودك في المصحّة؛ علينا أن نترك هؤلاء الناس في الحجز". وعندما احتجّت قاطعها الهاتف قائلاً: "الطبيب على حق؛ أنت مجنونة حقاً، ولا بدّ أن تبقي محتجزة في هذا المكان". كانت أصوات ذات بصيرة وطبيعية ممتازة.

الحالة الأخرى كانت لمرضى من أكثر الأشخاص صخباً في الجناح. عادة ما يبدأ صخبه بعد الخامسة صباحاً، ويكون متحمساً ويصعب اللحاق به. يشتم الجميع ويصبح عنيفاً أحياناً لدرجة تضطرننا أحياناً لأن نبقيه مقيداً. لكن في الساعة العاشرة فصاعداً يمكننا تركه في الجناح المفتوح أو في الحديقة، وعندما أصل في تلك الساعة يصرخ: "ها هو أحد الأطباء الكلاب والقرود الذين يلعبون دور المخلص، وبالعاجون المجانين؛ يا له من هراء!".

كان ذلك خطابه النمطي الدائم تقريباً. لكن عندما وصلت في إحدى المرات رأيته هادئاً تماماً. وأخبرتني المريضة بأنه كان هادئاً ولبقاً جداً، وتحدث معي بصوت عادي لطيف. ثم لاحظت أن يديه كانتا دافئتين، ووجدت أن حرارته بلغت تسعاً وثلاثين درجة. وضعوه في السرير وتبين أنه مُصاب بالحمى التيفية التي استمرّت ستة أسابيع. بقي خلال هذه الفترة كلها هادئاً ومطيعاً جداً ولا يُصدر أي ضجيج. وعندما أقترّب منه كان يقول: "شكراً يا دكتور، سعيد جداً بعنايتك بي". كان يشكر الممرضات دوماً؛ بدا شخصاً لطيفاً ساحراً فعلاً. ثم اعتدنا على التحوّل حتى انقلب في صباح أحد أيام الأحد وقال وهو لا يزال ضعيفاً جداً: "ها هو مرة أخرى أحد أولئك الأطباء الكلاب والقرود الذين يلعبون دور المخلص". قلت في نفسي: "ها أنت تصحو أيها العجوز"، واستطاع خلال أسبوع أن يُفسد القضية كلها فعرفت أنه كان يتمثل للشفاء. لقد شُفي من الحمى التيفية وعاد إلى حالته الطبيعية. كان ذلك المريض في المصحّة منذ اثنتي عشرة سنة تقريباً، ويُفترض في حالة كهذه أن الدماغ مضطرب إلى حد ما، لدرجة أن طبقات الخلايا كلها قد ضمرت، لكن مع إصابته بالحمى التيفية أصبح بحال جيدة؛ ثم انهار مجدداً بشكل مفاجئ. هذه حقيقة معروفة جداً. لذلك إذا كان بالإمكان معالجة حالة كهذه، فستكون عبر جعلهم مرضى بشكل مصطنع، وذلك باستخدام مراهم مسببة للمرض أو أي شيء يؤدي إلى الإصابة لأننا لاحظنا أنه أثناء المعاناة من الحمى الشديدة أو إصابة ما، يصبح المريض طبيعياً نسبياً.

لذلك تُعتبر فكرة وجود حالة طبيعية أو حالة فائقة خلف حالة وعي مريض فكرة منطقية بطريقة ما. ومن الممكن أيضاً أن يكون خلف حالة نيتشه ذات فائقة لم تُجد فرصة للنجاة. كان الوعي مريضاً لكن الذات كانت سليمة معافاة. وعلى سبيل المثال، كتبتُ للتو مقدّمة لإصدار جديد

لأعمال الدكتور كارل لودفيغ شليتش، الكاتب المعاصر لي والأكبر مني سناً. كانت لديه فكرة تقول إن روح الإنسان غير مرتبطة إطلاقاً بالدماغ بل بالجسد، أي بالجهاز العصبي الودي، بحيث إنه حتى لو اضطرب الدماغ لا تتأثر الشخصية بالضرورة.¹ وذلك لأنه لوحظ أثناء الحرب أن الخسارة الهائلة لمادة الدماغ لم تؤثر على الشخصية إطلاقاً؛ ظهرت اضطرابات طفيفة نسبية من نوع آخر.

طرحت عليّ السيدة كاسي السؤال الآتي: "قلت إنه لو كان هناك وعي كامل، لما كان العالم موجوداً. هل تعتبر أن واقعنا الخارجي ليس سوى إسقاطاً لوعينا؟"

لا يزال الوقت مبكراً جداً على تأكيد ذلك طبعاً! لا يمكنني القول إن لدي أية قناعة بقضايا من هذا النوع لكنني أقول أشياء كثيرة باستخدام أداة الشرط "إذا". فهذه ليست مواد قناعة وإيمان، ولا استنتاجات حتمية ولا حقائق علمية. إنها سيكولوجيا، والسيكولوجيا عبارة عن عالم من حقائق وأحداث لكل منها طبيعتها الخاصة. إذا صادفت فيلاً في أفريقيا، فهو لا يُثبت أي شيء عن وجود العالم؛ الأمر فقط هو أنك صادفت فيلاً في أفريقيا. الأمر الذي قد يعني نهايتك أو لا شيء على الإطلاق. إنه واقع وحسب. وبالطريقة ذاتها تصادف أفكاراً معينة في رأس الإنسان. هي موجودة هناك وحسب، ولا تعني أي شيء بالضرورة. علينا أن نحذر أنفسنا من هذه التحاملات غير العلمية التي تقول إن أفكارنا تعني شيئاً ما أو أنها تُنتج شيئاً ما؛ من النادر جداً أن تُنتج فكرة أي شيء. إن وجود غراب يطير فوق البحيرة في هذه اللحظة لا يُثبت أي شيء، ولا يعني أي شيء. هو مجرد

¹ مقالات كارل لودفيغ شليتش (1859 - 1911)، مكتشف علم التخدير، تم نشرها تحت عنوان "عجائب الروح - Die Wunder der Seele" عام 1934. ومقدمة يونغ موجودة في الأصل الكاملة، المجلد الثامن عشر، الصفحة 1115-1120.

طائر يطير وحسب. ويوجد فوق رؤوسنا بالطريقة ذاتها بعض الطيور التي لا تثبت أي شيء عن بنية العالم الحقيقية. لكن من المهم أن نعرف أن عالمنا حقيقة، سيكولوجية؛ وكل ما نناقشه عبارة عن حقيقة سيكولوجية. قد تقول مثلاً إن لوحة الإعلان هذه كانت حقيقية. لكن ما هو الحقيقي في شيء كهذا؟ الحقيقي هو ما تشعر به. أنت تراها هنا لكنك لا تشعر بها؛ أنت تشعر بها في دماغك ولا أحد يعرف ما الذي يمكن للدماغ أن يفعله بإدراكك الحسي. ثمة موجات معينة في الهواء تسميها أصواتاً، لكنك تسمي ذات الأمواج اهتزازات عندما تتحرك بتردد أضعف، لأنك تشعر بها كاهتزازات. ومع اهتزاز يبلغ عشر موجات في الثانية، تشعر بحركة الهواء؛ إذا وصلت إلى ست عشرة موجة في الثانية، يستطيع بعض الناس سماع صوت ضعيف. وهكذا فإن عالمنا نسبي بالنسبة إلى أنفسنا؛ لذلك ليس هاماً ما نقوله بشأن هذا العالم لأننا نقوله انطلاقاً من عالمنا الخاص. وربما لو كان هناك عالم آخر، لأصبح ما نقوله ضعيف القيمة، لن يكون أكثر من قملة في القطب الشمالي.

ثمة قناعة قديمة في الفلسفة الشرقية تقول إنه إذا وصلت إلى حالة الوعي الكامل أو المثالي تتلاشى العناصر؛ إذ يدخل العالم في الله ولا يعود موجوداً¹. وهذا يتضمن طبعاً فكرة أن عالمنا عبارة عن إسقاط. وبقدر ما نتعرض للأذى أمام إسقاطات كهذه، نفترض أنها حقيقية. وهكذا لا نستطيع القول إن العالم من إسقاطنا. إنه إسقاط الله؛ الكائن الفائق في الإنسان هو من صنع هذا الإسقاط. وبالتالي تُسمى المادة في الشرق "توضيح الفكرة الإلهية". يمكن أن تكون الفكرة الإلهية غامضة، أما المادة فليست كذلك، لكن إذا كانت الفكرة السماوية محددة، فهي مادة. وقد يكون الأمر

¹ هذا يعني أنه كما تتبلى الكائنات اللدنية من الله وتكون محكومة بقتالي بعجلة القدر، فإن الاستدارة تعني التغلب على الانفصال.

على هذا النحو إذ ليس لدينا على الإطلاق أية حجة نستخدمها ضدّ تصريح كهذا. أنت تستطيع على سبيل المثال أن تثبت علم اللاهوت كله من تصريحات الفيزياء الحديثة؛ لأن المادة غير موجودة أبداً بالطريقة التي فهمناها سابقاً. إنها غير ملموسة أبداً وغير مادية بالمطلق. هي تتشكّل وتتلاشى، والشئ الوحيد الموجود فعلاً هو نوع من الطاقة أو الإشعاع. وبالتالي فإن تصريح الفيلسوف الهندوسي بأن المادة هي "توضيح الفكرة الإلهية" تصريح شديد الذكاء. وتستطيع طبعاً أن تقول إنه طرحٌ بشري مأخوذ من التجربة التي تقول إن العالم يختفي على ما يبدو عندما نفقد الوعي أو ننام. لكن أنت تعرف أن بنية العالم كله توحى بأنها يمكن أن تختفي. ليس فيها مادة بحد ذاتها. يمكن أيضاً أن تكون في حالة اللاجود؛ يمكن للمادة أن تتحول إلى إشعاع، ولا يبقى أي شيء، ولا حتى كتلة؛ بل يختفي كل شيء.

السيدة كاسي: لكن أليس الإشعاع حقيقياً كالمادة بحد ذاتها؟

الدكتور يونغ: طبعاً، لكنه لا يعود مادة أبداً. عليك بطبيعة الحال أن تفترض وجود الشئ بقدر ما تفكر في هذا الشئ. لكن مع هذه الإشكالات كلها ينتهي بك الأمر بتناقضات وفئات بديهية. أنت بحاجة إلى تصنيف الحجج كي تصبحي قادرة على التفكير بأي شيء؛ وحالما تفكرين، تكونين قد أنتجت وجوداً سلفاً. وإذا افترضت وجود أي شيء، فهذا يعني أنك فكرت سلفاً¹ وهكذا فالفكرة التي تقول إن العالم يعود إلى حالة اللاجود من خلال الوعي التام هي فكرة فلسفية علينا الانتباه إليها، لكن لا يمكننا القول إن ذلك يشكّل عالماً أو يدمره. إنه يشكّل عالماً الخاص أو يدمره. حسناً، كل

¹ لا يوافق إيمانويل كانت على أن التفكير يخلق وجوداً، بل على أن فهم الإنسان – ليس العالم السابق للوجود بحد ذاته – هو أصل الفضاء والزمن والسببية وأشكال الإدراك والمفاهيم الأخرى التي لا يمكن فهم العالم من دونها.

هذا غير مُرضي، أنا لا أحبّ الكلام بقضايا فلسفية تهتم بحقيقة العناصر. إذ للفلسفة علاقة كبيرة بالموضوع، وكلّما فكرت بالأشياء أكثر، جعلتها تدخل إلى ذاتك أكثر، وطمستها أكثر. إنك تلغين الأشياء عبر التفكير فيها؛ تجعلها غير حقيقية لأنك أدخلتها إلى ذاتك فلم يعد لها وجود. لأن الأشياء هي عالمنا الخاص وليست العالم بشكله العام.

سنتابع النص الآن:

"نظر الرجل بعينه مشككاً ثم قال: "إن صدقت فيما قلت، فلن أخسر شيئاً بفقدان حياتي. أنا لمست أكثر من حيوان تعلّم الرقص بالعصا، وبأجر زهيد".

"مطلقاً"، خاطبه زارادشت، "لقد اتخذت المخاطر مهنة لك، وليس في الأمر ما يستحق الاحتقار. والآن تمضي في مهنتك إلى حتفك، لذلك أريد أن أدفئك بيدي".

بعد أن أنهى زارادشت كلامه، لم يضيف المحتضر أية كلمة، لكنه حرك يده كما لو أنه يريد أن يمسك يد زارادشت تعبيراً عن شكره له.

نرى هنا أن راقص الحبل المحتضر قريباً جداً من زارادشت، ونرى إلى أي مدى يستوعبه زارادشت. في أي جملة يصبح ذلك مرئياً؟ الأنسة حتّة: "بل إنك اتخذت من الخطر حرفتك".

الدكتور يونغ: تماماً. يُظهر ذلك إلى أي مدى كان زارادشت هو راقص الحبل.

الدكتور ريكستين: أتوقع أن في الأساطير القديمة والفلسفة الخيمائية يوجد دفن مواز لهذا الدفن، حيث ينبغي أن يُدفن الجزء الروحي في الأرض بغية إخراج شيء جديد.

الدكتور يونغ: نعم، كبذرة القمح التي تُدفن في الأرض كي تنمو. إذا صادفنا شخصية راقص الحبل مجدداً، يمكن الافتراض أنه دُفِن هنا بهدف

بعث جديد. هل تعرفون أية شخصية سابقة مطابقة أو مشابهة لشخصية راقص الحبل؟

الآنسة حنة: هل هي شخصية الرجل الأكثر قبلاً؟

الدكتور يونغ: من الممكن جداً أنه أعيد إحيائه في شخصية الرجل الأكثر قبلاً.

الآنسة حنة: لم أفهم عبارة: "روحك سيسرع إليها الموت قبل جسدك". أعرف أنها نبوءة مصير نيتشه، لكن يُحتمل أنه قصد شيئاً يقمعه في نفسه.

الدكتور يونغ: كيف يبدو الأمر هنا؟ بأي نبرة صوت تكلم؟

الآنسة حنة: تبدو وكأنها نفى المبدأ المسيحي.

الدكتور يونغ: أقصد بالإشارة إلى راقص الحبل.

الآنسة حنة: يبدو الأمر كما لو أنه يخلصه من الخوف من الموت.

الدكتور يونغ: عندما تتحدثين بهذه النوايا إلى شخص يحتضر، يمكن لهذه أن تكون مواساة. لكن طريقة المسيحيين بالمواساة هي: "لا تخش شيئاً، الجسد سيفنى والروح ستبقى". قال له إن الروح ستموت حتى قبل الجسد، "وهكذا لا تخش شيئاً بعد الآن". العكس تماماً! فكيف يمكن للحالة المعاكسة تماماً أن تكون عزاء؟ لا نية لي بالخوض في هذا الأمر لأنه فعلاً توقع لكامل مشكلة زارادشت التراجيدية التي سيتم الكشف عنها في السياق. إنها في المهد الآن، ويمكنك استنتاج التطورات اللاحقة منها، لكن من الصعب التوضيح الآن.

السيد نوثال سميث: لقد اختبر رعب الموت كله عندما ماتت روحه؛ فجسده لا يعني الشيء الكثير. وبالتالي، ليس هناك ما يخشاه.

الدكتور يونغ: هل يمكن لذلك أن يكون عزاء؟

الدكتور شليغل: قال راقص الحبل إنه إذا ظهر الشيطان، فسوف يأخذه إلى الجحيم.

الدكتور يونغ: كان راقص الجبل يخشى أن يجزّه الشيطان إلى الجحيم، لكن زارادشت أخبره أنه ليس هناك جحيم، أي إن "الروح ستموت حتى أسرع من الجسد"، وعندئذ لن يبقى للشيطان ما يأخذه منه. فهل تستعي ذلك عزاء؟ ذلك يشبه حالة شخص يعاني من ألم فظيع في الأسنان وقال له أحدهم: "لا تقلق، سوف أقتلك". يمكن للمرء أن يفهم الأمر بهذه الطريقة. لكنه عزاء غريب للغاية.

السيدة كرولي: أليس الأمر مرتبطاً بفكرة موت الإله؟

الدكتور يونغ: نعم، هذا مؤكد للغاية. هذا عزاء مناهض للطريقة المسيحية. يمكن أن يراه الجميع عزاء عندما تقول: "لا تخش شيئاً يا رجل، من الطبيعي أن تتخلص من الجسد، لكن روحك ستحيا. لقد آمن المصربون والآشوريون بذلك والمسيحيون أيضاً على مدى ألفي عام، وهكذا كانت الشعوب البدائية كلها". لكن الأمر هنا انقلب رأساً على عقب، ومع ذلك بدا وكأنه نوع من العزاء. هو أمر شديد الغرابة لكنني أعتقد أن فيه نوعاً من العزاء السري، عزاء لا يمكنه فهمه إلا من خلال الحالة الخاصة التي وجد نيتشه نفسه بها. وإلا لن يكون ذلك عزاء أبداً في أي نوع من أنواع السيكلوجيا.

السيد أليمان: فهم نيتشه أن الجسد أو الأرض هو كل شيء، وأن الروح ليست شيئاً، الروح هزيلة؛ لا فائدة من حفظ الروح وزوال الجسد. عندما يفنى الجسد يجب أن تفنى الروح أيضاً.

الدكتور يونغ: نعم، تعامل مع هذا المبدأ كعزاء يتضمن الحفاظ على الجسد وفناء الروح. بدا وكأن لديه انحيازاً نحو العصر المسيحي السابق الذي يعتبر أن روح الإنسان لا تعني شيئاً ولا تستحق البقاء. واعتبر أن الميزة الاستثنائية تكون بعدم الاحتفاظ بأي شيء ذي قيمة متدنية جداً. يحتاج الأمر مؤسسة ضخمة جداً لتحفظ بشيء عديم القيمة كهذا: لا يظهر من

الإنسان ما هو أبعد من ذلك. فالخير الذي لدينا مكشوف كله. ولا نستطيع أبداً إنتاج أي شيء خير من أنفسنا. لا نستطيع حتى اختيار طريقنا: كل شيء بفضل من الله. وكما تعرفون، يوجد في المذهب الكاثوليكي إمكانية للتقديس من خلال العمل بالحد الأدنى، لكن ليس في المذهب البروتستانتي سوى النعمة، وإذا لم نحظْ بالنعمة والبركة، نضجع إلى الأبد. لدينا في حضارتنا تقدير ضعيف جداً لما يُستَوى روحاً؛ ليس لدينا سوى الكلام. وعندما يصل الأمر إلى مواجهة حاسمة عملية، لا يكون هناك أي تقدير، لا يوجد صبر. إذا نصحت أحدهم بأن عليه إيجاد بعض الوقت للاهتمام بروحه فسيسخر من كلامك. هو لم يسمع كلاماً سخيلاً من هذا النوع أبداً؛ على المرء أن يؤمن وحسب، ما من شيء آخر. لم يسمع أبداً أن على المرء أن يفعل شيئاً من أجل ما يُستَوى الروح.

الدكتور ريكستين: أظن أن راقص الحبل قد ارتكب خطيئة بروميثية إلى حدٍ ما، لذلك ستُعاقب روحه إلى الأبد. لذلك يمكن اعتبار ما قيل بمثابة عزاء له إذا لم تكن روحه حقيقة واقعة.

الدكتور يونغ: يمكن القول إنه عزاء لنيتشه نفسه لأنه كان بروميثيوس بطريقة ما؛ وبقدر ما يكون بروميثيوس، هو راقص الحبل. وبالتالي يكون عزاء له إلى حد ما أن تخبره بأن قلقه سينتهي عما قريب. أنت قلق من أجل روحك، وإذا لم يكن لديك روح في الأساس، فلا داعي للقلق. لقد تزامن هذا العزاء مع تعاليم زارادشت العامة عن "الوحش الأشقر".¹ كن بطلاً، كن حيواناً منصفاً. عندئذٍ تكون بلا روح؛ فامتلاك الروح مجرد هراء. هذا يعني تعقيدات سيكولوجية حمقاء؛ لذلك كن بطلاً، كن متماهياً مع تلك الشخصية العظيمة في اللاوعي وتخلص من كل تلك

¹ تعود عبارة "الوحش الأشقر" التي تم اقتباسها كثيراً إلى نيتشه في كتابه "جينالوجيا الأخلاق" والتي يعني بها الإنسان كحيوان.

السيكولوجيا وتلك التمايزات التي لا تعني سوى القلق. تعني الديونيسية أن تشمل بشخصيات من اللاوعي؛ إذا قرأت أكثر، تعرف أن "عيد الحمار" نوع من العريضة الديونيسية. هذا ما يدعو إليه كوسيلة ضد التلميحات السيئة إلى أبشع رجل، أي المسيحي البائس بطريقة ما، ومحاولة تعويضه. الهدف الأساسي في العقيدة الديونيسية هو أن تكون ثملاً ولاوعياً، أن تتخلص من القلق السيكولوجي، وتنسى في عنائك مع الطبيعة كل ما يزججك وتعتبره أشياء تافهة.

في كتاب شيلر بعنوان "ترنيمة للفرح – *Hymn to Joy*" تجد فكرة التعويض عن معاناة الإنسان البسيطة من خلال عظمة حالة اللاوعي الكاملة الناتجة عن التعصب أو الحماس الديونيسي. في حالة الثمل هذه يدخل الله جسد الشخص "الممارس للطقس – *mystes*"، ويصبح الشخص هو الله بذاته. يصبح تيار الطبيعة العظيم، يصبح المجرى ذاته وينتهي شعوره بالقلق. تلك هي طريقة التعامل مع القلق عندما يصل الشخص إلى ذلك المستوى من العظمة. إنها الطريقة الهستيرية، ونستخدم هنا كلمة لطيفة جداً بهذا السياق؛ طريقة الشخص الكحولي الذي يسعى إلى اللاوعي من خلال الثمل. إنه يهرب من مشاكله الخاصة إلى الكون الكبير، كما يحاول الشخص الهستيري أن يحيي نفسه من عقده. أما الطريقة الأخرى فهي طريقة الوهن النفسي أو طريقة الانطواء، أي أن تغلق الباب على نفسك وتبقى مع عقدك، وتتجنب الآخرين وتتجنب الثمل كي تحدد في العقدة فقط دون أن تفعل أي شيء آخر. تلك هي الطريقة الأبولينية¹، وهي غير مفهومة من جهة *الأبولينية*، لكن يمكن فهمها من خلال التعريف أنها

¹ استخدم نيتشه هذا المصطلح في كتابه "ولادة التراجيديا" لوصف الميول المتناقضة في التراجيديا اليونانية. ووفقاً لنيتشه، فإن سمات "الأبولونية" هي المنطق والثقافة والولام وضبط النفس، وتتعارض تماماً مع السمات الديونيسية القائمة على الشطط واللاعقلانية وانعدام الانضباط وجموح العاطفة. المترجم

تعني التمييز، تمييز نفسك بتركيبة أو عقدة تختلف عن كل ما لدى الكائنات الأخرى. فقط لا تعانق الكون، ولا تمنح قبلة واحدة لأي كائن، وركز انتباهك كله على التحديق في العقدة، أن تكون مسخاً في دبر أو صومعة، وتستقر على حقيقة أنك استثناء. تلك طريقة أخرى، معنى آخر للفداء أو طريقة النعمة والبركة إذا أردت تسميتها بهذا الاسم.¹

إنه يدعم هنا الطريقة الديونيسية. انسن نفسك، كن ميتاً بالنسبة إلى نفسك؛ ستموت روحك قبل جسدك ولن ترى ما يحدث. لن تقلق بعد الآن، وربما تدخل في حلم، أو تدخل في حالة موت تشبه الانقراض التام حتى أثناء وجود الجسد. لقد رأيت البداية تحدث فعلاً في سياق هكذا تكلم زرادشت. حاول نيتشه، أو ربما تأهب لمحاولة أن يرتقي إلى حالة ديونيسية للغاية. ثم تفاقمت ترنيمة العريضة. وكلما تعمق القلق، تزداد عظمة التراجيديا، ويزداد فقده لذاته في حماسة الهوس السماوي. هذا ما تم الإعداد له هنا. فبالنسبة إلى شخص تجتاحه معاناة استثنائية مثل نيتشه يكون عزاء حقيقياً أن يقول لأحدهم: "ستنتهي كل هذه المشاكل الرهيبة التي تحرقك الآن بنار جهنم؛ سوف تنام الآن ولن تعرف ما الذي سيحدث لجسدك". لو اخترت يوماً في حياتك هذه الحالة من النسيان، وكان جسدك فقط على قيد الحياة، لكنت عرفت نعيم الوحي الديونيسي كله. كان لدى نيتشه ذلك الوحي. وستأتي لاحقاً قصائد جميلة تجعل الحالة واضحة تماماً. ففي لحظة معينة، خرج فعلاً من نفسه وحلّق على أجنحة الحماسة الاستثنائية منفصلاً تماماً عن قلق وعيه المتزايد. لقد عانى في

¹ كتاب شيلر (1759 - 1805) بعنوان "ترنيمة الفرح"، اكتسب مكانته الموسيقية في السمفونية التاسعة لبيتهوفن. في عمله الأول المهم بعنوان "The Birth of Tragedy - ولادة التراجيديا" ميّز نيتشه بين الصفات الأبولونية الهادئة المظلمة والقوى القاتمة العنيفة الديونيسية في التراجيديا. لكن الأبولونية أفسحت المجال تدريجياً للديونيسية في فلسفة نيتشه المتطورة حتى بدأ يولّع رسائله باسم "ديونيسوس" عندما أصابه الجنون.

الواقع من حالة الوعي المكثف التي تواجه المرء إذا كان في حالة عفا عليها الزمن، وعاش في فترة لا رغبة له بالعيش فيها لأنه لا يعثر فيها على معاصرين متفهمين.

كان أنجلوس سلسيوس رجلاً من هذا النوع؛ إذ عاش في زمن لم يجد فيه من يوازنه. نعم، لو كان قادراً على السفر إلى الهند لوجد أشخاصاً مكافئين. كانوا سيخبرونه بأن الحقيقة التي اكتشفها قديمة جداً، وهم يعرفونها منذ زمن طويل. لكن ما من أحد استطاع أن يفهمه في الغرب. وما الذي حدث له؟ كان الشخص الذي لم يدخل في الحماس الديونيسي لأنه، كما اتضح من مصيره، أغلق بابه على نفسه مع عقده. سجن نفسه حرفياً في صومعة ومات فيها. خسر قصائده الجميلة بشكل كامل وألف ستة وخمسين كتيباً فظيعاً ضد البروتستانتية. كان بروتستانتيًا ومات في أشد حالات الاضطراب النفسي تعاسة في صومعته. إنها الطريقة المعاكسة كما ترون: مات جسده قبل روحه، وأصبحت روحه شيطاناً رهيباً مسموماً أصدرت ذلك المقطع الشعري الصوفي اللطيف بعنوان "Der Cherubinische Wandersmann"، وبعده ستة وخمسين كتيباً ضد البروتستانتية!¹ يا له من شيء مرعب وشيطاني فعلاً. لكن هذا ما يحدث للانطوائي بشكل طبيعي، أو على الأقل عندما يفضل الشخص هذه الآلية. فالقضية قضية نوعية وحسب. أنا على قناعة كاملة أن بإمكان الانطوائي استخدام الطريقة الانبساطية إذا استخدم الوظيفة الانبساطية.

¹ أنجلوس سلسيوس (1624 - 1677)، واسمه المستعار على أعماله هو "جوهان شيلر". يبدأ عمله بعنوان "The Cherub Wayfarer": "أعرف أنه من دوني/ لا يمكن للإله أن يعيش لحظة واحدة/ فإن حدث ووافقت المنية/ لن يعود بمقتوره النجاة". وما يقوله "رينر ماريا ريلك" في قصيدته بعنوان: "ما الذي ستلطفه أيها الإله إذا وافقت المنية؟" مشابه تماماً لهذه الفكرة. انظر أيضاً أعمال يونغ الكاملة، المجلد الحادي عشر، صفحة 190.

حظي نيتشه بذهن انبساطي، واستخدم الطريقة الانبساطية، طريقة ديونيسوس. لكنك تستطيع أن ترى الطريقتين في حالة نيتشه. إذ كان البروفسور الأول في جامعة بازل، لكنه لم يكن مفهوماً بشكل جيد فسجن نفسه مع عقده وعاش حياة عزلة تامة. ثم انبثق اللاوعي بكل انبساطه، وحينها أبعد عقده عنه وذاب في حالة انبساط هائل داخل عزلته،¹ تماماً مثل أنجلوس سلسيوس العجوز، الذي اكتشف قبو معتزله وفيه ما يقارب ألف زجاجة نبيذ معتق. كان بالإمكان علاج عُصابه، لكنه مات بسبب تليّف الكبد.

¹ هذا يعني أن نيتشه، الانطوائي بشكل مفرط، كان في نظرية يونغ عن التعويض، انبساطياً في لواعيه. كان ذلك ما ظهر في أحيواته عن الاختلالات الديونيسية بالجسد.

خريف 1934

تشرين الأول - أكتوبر / كانون الأول - ديسمبر

المحاضرة الأولى

10 تشرين الثاني - أكتوبر 1934

الدكتور يونغ:

أيها السيدات والسادة، توقفنا سابقاً عند موت راقص الجبل، وسنتابع الآن الجزء السابع من كتاب هكذا تكلم زرادشت:

"حلّ المساء حينها، وغطّت العتمة ساحة السوق. ثم تفرّق الحشد لأن التعب يصيب حتى الذعر والفضول. لكن زرادشت ظلّ جالساً إلى جانب المتوفى غارقاً في التفكير: وهكذا نسي الزمن. إلا أن الليل أرى سدوله بشكل كامل، وهبتّ رياح باردة على ذلك الرجل الوحيد، عندئذٍ نهض زرادشت وقال في نفسه:

حقاً، صيداً موفقاً لهذا اليوم يا زرادشت! لم تصطد إنساناً بل جثة.
كثيرة هي حياة الإنسان، ومع ذلك لا معنى لها: يمكن لمهزّج أن يقضي عليها.

أريد أن أعلم البشر معنى وجودهم: ألا وهو الإنسان الأعلى، تلك المصاعقة النازلة من السحابة الداكنة.

لكّني لا أزال بعيداً عنهم، ولا يستطيع عقلي مخاطبة عقولهم. فأنا لا أزال بالنسبة لهم حالة وسطى بين غبي وجثة.

كئيب هو الليل، وقائمة طرق زارادشت. تعال إذاً أيها الرفيق البارد
المتصلّب! سأحملك إلى مكان أستطيع فيه أن أدفئك بيدي."

ما الجدير بالاهتمام في هذا المقطع بحسب رأيكم؟

السيدة كرولي: أعتقد أنه تكرار لمشهد الصاعقة والرجل الأعلى، فهو
يطرح النقطة ذاتها مجدداً. لكنني أشعر وكأنه مقدّمة للفصل الذي يليه، إذ
لا يمكن أن يكون منفصلاً، ولأنه يعود في الفصل الثامن إلى ما قاله في
الفصل الثاني. فلا يمكننا فهمه إلا من خلال مقارنته مع الفصل الثاني
حيث ينزل من الجبل.

السيدة بايتز: أرى أنه في هذا المقطع يقبل الجثة كرفيق له.

الدكتور يونغ: تماماً. نستطيع أن نتوقع تقريباً أن زارادشت سيبدو لا
مُبالياً إلى حد ما بعد أن رأى كارثة راقص الجبل، وتعود لا مبالته إلى أن
الحدث وقع فعلاً خارج نفسه. ربما "يفلسف" الأمر بطريقته لكن لن يقوم
ارتباط وثيق أو حميم بينه وبين راقص الجبل ما لم يكن الرابط الذي
أسّسناه في السيمنار السابق؛ بمعنى أن راقص الجبل هو الهيئة البشرية
لزارادشت، ولنيتشه نفسه كإنسان. وهذا بالتحديد ما يفسّر عدم قدرته
على ترك الجثمان؛ عليه أن يبقى معه ويجعله رفيقاً له. ولا بدّ من القول
إنه مشهد رائع جداً أن نيتشه الإنسان هو الجثة التي ترافق زارادشت،
الجثة التي حملها بنفسه. يمثّل هذا المشهد الجانب الكئيب لكتاب *هكذا
تكلم زارادشت*، فهذه السحابة المحيطة بالكتاب كلّها، والتي يجزّها نيتشه
معه من خلال شخصية زارادشت، قد رأت النور للمرة الأولى هنا. وعلينا
الانتباه للجملة الآتية: "*صيداً جميلاً حقاً اصطاد زارادشت هذا اليوم! لم
يصطدّ إنساناً، بل جثة*"، فهي بالغة الأهمية لأنّه سيدرك لاحقاً أنه بحاجة
إلى الناس الآخرين لأنه لم يستطع أن يصطاد إنساناً. سيدرك أنّه لا بدّ أن
يكون لديه أشخاص آخرون بدل تلك الجثة. إذا كانت الجثة جثته، فهو
ميّت فعلاً، وعليه أن يستبدل نفسه بآخرين يصطادهم - أو يمكن القول

إن عليه أن يستبدل نفسه بالجنث الأخرى. إذًا، بدلاً من أن يسلم نفسه، عليه أن يسلم الآخرين حياته البشرية التي كان ينبغي أن يعيشها ولذلك قال: رهيبٌ هو وجود الإنسان ولا معنى له.

كان المهرج الجانب السليبي من زارادشت، أي إنه عنصر اللاوعي، وهو مثل زارادشت (كنا قد تعاملنا مع جوانب مختلفة لهذه الشخصيات في السمينار السابق) يمكنه السيطرة على الإنسان إلى حدّ تدميره. وهو ما يفسّر لماذا أطلق على الإنسان الأعلى صفة "الصاعقة النازلة من السحابة الداكنة (الصاعقة مدمرة للغاية طبعاً)، ويفسّر أيضاً لماذا وضع نفسه في حالة وسطى بين مهرج وجثة. لأن عامة الناس لم يكونوا قادرين على رؤية من هو زارادشت حقيقة فاعتبروه إما مهرجاً أو جثة؛ سواء أكان نيتشه نفسه هو الجثة، أم كان مهرجاً خبيثاً – بمعنى آخر؛ مجنوناً. لن يرى الناس النموذج البدني الذي يمثله زارادشت، لن يروا النموذج البدني للعجوز الحكيم. ولأن هذا النموذج البدني لم يكن واضحاً أبداً بالنسبة إليهم، لم يظهر أمامهم إلا بهيئة مهرج أو جثة، أي ككائن يبدو في أعين الناس إما مجنوناً أو قتيلاً. لكن زارادشت لم يكن نموذجاً بدنياً فقط بل كان في الوقت نفسه يشمل الذات، وكان بالتالي شخصية فائقة للغاية. والآن، كيف ترون هذا التماهي بين النموذج البدني والذات؟ هل يمكن أن يكون بهذا الشكل؟

الآنسة حنة: لا أعتقد ذلك، لأن النموذج البدني هو الفكرة العامة، والذات هي الشيء الخاص الموجود هنا والآن.

الدكتور يونغ: نعم، النموذج البدني شيء جمعي؛ ويظهر من خلال تعريفه تحديداً أنه محتوى في اللاوعي الجمعي. هو العنصر الأبدي غير المحدود بالزمان والمكان، ويمكن أن نصادفه في أي مكان، بينما الذات ليست كذلك. يتضمّن تعريف الذات أنها من أكثر الأشياء فردية. فهي

التميز وجوهر الفردانية. ولا يمكننا أن نصادفها إلا في مكان واحد فقط.
فأين ذلك المكان برأيكم؟
إجابة: لدى شخص فرداني.

الدكتور يونغ: صحيح، في نفسك فقط. لا يمكنك أن تصادفها في أي شخص آخر سوى في داخلك. الذات هي إدراك اللحظي لتمييزك، ذلك التميز الذي يُعتبر بطريقة ما الأكثر شخصية وحميمية؛ إنها ما يميزك. وأتفق معكم تماماً على أن من الصعب للغاية أن نفهم شيئاً من هذا النوع بطريقة ذهنية لأنه يتضمن الكثير من التناقض. علينا أن نتذكر دائماً أن الذات في المقام الأول هي "الأتمان - Atman"¹ الشخصي وفقاً للمصطلح الهندي لهذا المفهوم. لكن تعريفهم يتضمن أن "الأتمان الشخصي الفائق"، أي الذات، موجود في كل شخص؛ هو شيء ضئيل جداً بحجم إبهام اليد موجود في قلب كل إنسان، لكنه على الرغم من ذلك أعظم شيء في العالم، وهو "الأتمان" الشخصي الفائق، و"الأتمان" الجمعي العام.² نحن نستطيع أن نقبل هذا التعريف. ويمكن حتى للعقل الغربي أن يفهمه ذهنياً لكنه لن يفهمه بالشكل المناسب أبداً لأن "الأتمان" الشخصي الفائق ليس بحجم الإبهام لدى كل شخص. إنه بحجم الإبهام في ذاتي، إذ لا يوجد هناك سوى الذات، وتلك هي ذاتي، لأن الأتمان الشخصي بالتعريف هو التميز.

¹ مبدأ الحياة الروحية للكون، ولا سيما عندما يتم اعتباره متصلاً في الذات الحقيقية للفرد؛ وهي تعني أيضاً طاقة الحياة لدى الإنسان. المترجم.

² في كتاب "أهينشاد مسلوتا مسفاترا - Svetasvatara Upanishad": الذات (اتمان) التي تصود كل شيء، كما تكون الزبدة في الكريما، / المتجذر في معرفة الذات وصرامتها - / ... هذا هو البراهمان... / يكون اللاشيء أصغر منه، واللاشيء أكبر منه... "، "الكتاب الأصل في الفلسفة الهندية - A Source Book in Indian Philosophy" تحرير رادكريشنا و "سي. جي. مور" (برينغتون، 1957).

لا يمكن أن أضمن أن الشرق فهم الأمر بهذه الطريقة، لكن نستطيع في كافة الأحوال أن نقبل بحقيقة أن في الشرق مندلات وصيفاً جاهزة يمكن أن نفترض من خلالها أن الناس فهموا هذا السرّ الغرب للذات. لناخذ على سبيل المثال تبجيل الماندلا، ولا أعني هنا تلك الشاكرا الموجودة على الجدار والممثلة للتطور، بل أعني ماندلا الإتمام، ماندلا "الشاكرا اللامية - *Lamaistic Chakra*" التي يوجد في مركزها إما صعقة برق، أو الرمز التجريدي للقوة السماوية المركزة "*vajra*"، أو "شيفا وشاكتي في حالة عناق".¹ عندما يدخل المريد التان تري² إلى مركز الماندلا عبر بوابات الوظائف الأربع،³ يصبح من المفهوم أنه اقترب من الله، مما يشير في فلسفة الأنيشاد إلى الوصول إلى حالة "الأتمان المطلق الشخصي الفائق". بمعنى آخر، يقوم المريد هنا بإعادة الأتمان الشخصي إلى منبعه السماوي، أي إلى الأتمان الشخصي الفائق. وفي النهاية، عندما يدخل المريد إلى البوابات الأربع، ويصل إلى المركز، تكون ذروة التأمل في التماهي الكامل للمريد مع الله، فإذا كان رجلاً يتماهي مع شيفا، وإذا كانت أنثى تتماهي مع شاكتي التي تُعتبر الجانب الأنثوي من الإله. ثم يندمج الجانبان في النهاية في واحد، في البراهمان الموجود وغير الموجود في آن معاً، في الوجود العالمي المحتمل. وفي هذه الحالة تصبح الذات الفردية ذاتاً كونية، وفي الوقت ذاته عندما تقارب

¹ كتب يونغ في مكان آخر "شيفا، بحسب العقيدة التانترية، هو وجود المرء، هو الأبدية في الحالة المثالية. يبدأ الخلق عند هذه اللحظة غير الممتدة - المعروفة باسم "شيفا بيندو - *Shiva bindu*" - ويظهر في الضائق الأبدى لجانبه الأنثوي، شاكتي" (الأعمال الكاملة، المجلد التاسع، الجزء الثاني، صفحة 631). "*vajra*" هو رمز القوة السماوية.

² الكلمة الإنكليزية هنا هي "مُريد - *initiant*" وتعني الشخص الذي قتم نفسه ليكون عضواً في مجموعة دينية أو اجتماعية أو أية مجموعة خاصة تتطلب طقوساً معينة للبدء بذلك، ويمكن اعتبار طقوس العادة مثلاً طقوس بدء يخضع لها الشخص ليصبح مسيحياً.

³ الوظائف الأربع هي (التفكير، الشعور، الإحساس، والحس)، تمثل كلها المنظور الفريد من نوعه. ولا يصل المرء إلى الفهم الكامل إلا عبر استخدام الوظائف الأربع كلها.

الذات الكونية من خلال الذات الشخصية، فأنت تحمل الوعي الفردي إلى الوعي الكوني. عندئذ يصبح الوعي الكوني مساوياً للوعي الشخصي؛ هناك، تصبح الذات بكل خصوصيتها وكيانها الشخصي الغرب كينونة كونية. وهذا يتضمن تناقضاً مشابهاً لتناقض الشاعر الصوفي الألماني القديم "أنجيلوس سيلسيوس" عندما أدهشه إدراك أنه هو الإله الشيء ذاته تماماً، وأنه ليس هناك من فرق بينهما.¹

كما ترون، علينا أن نتذكر دوماً أن سيكولوجيتنا الواعية تحتوي على هذه الأفكار المستمدة من المنهج التان تري في الهند أو الفلسفة اللامية أو من الأفكار الصوفية الغربية، وبالتالي علينا أن نتحدث عنها، فهذا ليس تصوراً بل سيكولوجياً. إنها المراعاة العلمية لهذه الحقائق التي يُعاد إنتاجها باستمرار في لواعينا بهذا الشكل أو ذاك. فهناك نجد هيئة كهينة زارادشت، لأن زارادشت هو من جهة أولى نموذج بدني واضح جداً عن العجوز الحكيم، ومن جهة أخرى ذاك المفهوم عن اللاوعي. ومن هنا نشأ هذا التداخل المعقد الذي تحدثنا عنه بين نيتشه نفسه وزارادشت. هذا التماهي وعدم التماهي الغريب مشابه تماماً للعلاقة ما بين الذات الشخصية والذات الشخصية الفائقة، أو بين "الأتمان" الشخصي، و"الأتمان" الشخصي الفائق. حتى عندما كان نيتشه مشابهاً لزارادشت، كان له تميزه الخاص وذاته الشخصية الخاصة إن جاز التعبير. لكن لا يجب أن يكون هذا الشيء نموذجاً بدنياً في اللحظة ذاتها؛ فالنموذج البدني يجب أن يتميز عن الذات أو أن يختلف عنها.

السيد باومان: ألا يمكننا القول إن النموذج البدني يرمز إلا اللاوعي فقط، بينما ترمز الذات إلى الوعي واللاوعي معاً؟

¹ للمعلومات عن أنجلوس سيلسيوس، انظر أعلاه محاضرة 27 حزيران - يونيو 1934.

الدكتور يونغ: تماماً. الذات دائماً هي المجموع الكلّي لعمليات الوعي واللاوعي. هي تشمل الوعي؛ والوعي محتوًى في الذات كدائرة صغيرة ضمن دائرة أكبر. والذات لا يمكن احتواؤها ضمن نموذج بدني؛ لأن النموذج البدني هو مجرد مضمون أو عنصر من اللاوعي الجمعي، ولا يمكنه احتواء شيء هو مُحتوًى فيه أصلاً. النموذج البدني محتوًى في اللاوعي، واللاوعي والوعي معاً يشكّلان الذات. "الذات" هي مفهوم الكلّيّة الذي يشمل النماذج البدنية جميعها والوعي الفردي في الوقت ذاته. كما يتم ترميز الكلّيّة دوماً بدائرة يقبع الوعي في مركزها، وتلتفّ حولها النماذج البدنية التي يكون من ضمنها النموذج البدني للعجوز الحكيم. وهذا لا يمكن أن يشمل الذات لأن الدائرة كلّها هي الذات، هي كلّيّة الوعي واللاوعي. ومن هنا لا يمكن أن تكون هذه الحالة التي نتحدث عنها سوى حالة عابرة ظهرت فيها فكرة الذات أو فكرة الكلّيّة وكأنها شيء محتوًى في النموذج البدني. إذاً كيف يمكنكم وصف حالة عابرة كهذه عندما تظهر في النموذج البدني للعجوز الحكيم؟ إذ إن هناك حالة محددة يكون فيها ذلك ممكناً.

السيد باومان: أعتقد أن الأمر ممكن عندما يشمل النموذج البدني شيئاً أبدياً، ولا يكون إشارة إلى الماضي فقط بل يشمل التطوّر كله. عادة ما يتضمن العجوز الحكيم عجوزاً له تجارب سابقة فقط، لكن ينبغي أن يتخذ إطاراً غير محدود زمنياً مع أنه ليس لديّ فكرة عن ذلك الإطار.

الدكتور يونغ: إذاً يمكن وصف العجوز الحكيم بشخصية المعلّم العظيم والمدرّس الخاص، والمعلّم المسؤول عن المُريد والمرشد الروحي. وعندئذٍ يمكن أن يتضمن فكرة الذات لفترة ما كنوع من الرؤيا أو الحدس. إنه يعرفها ويعلمها لأنه المرشد الروحي الذي يقود المُريد إلى حالة الإتمام. ولدينا في الواقع قاعدة في التحليل النفسي تقول إنه عندما يبدأ المريض بإدراك النموذج البدني للعجوز الحكيم، تظهر الذات أيضاً في الشخصية.

فهذا ما يخلق لدى الرجال ميلاً للتماهي الفوري مع العجوز الحكيم. لأن الذات تظهر حينها، يكون الشخص سلفاً في العجوز الحكيم إن جاز التعبير، ثم يمتصّه العجوز الحكيم، فيصبح "مانا"، أي شخصاً ذا قيمة. ثم يصبح الشخص متضخماً ويسير برأسه الثقيل، ويبدو بحسب توصيف "زيمر" البار: "les initiés imaginaires"¹. عندما يصبح الشخص متورماً بفكرة امتلاك شيء ما، ويتحوّل إلى شخص لا يُطاق، ويشعر بأنه حكيم للغاية، يعني ذلك شكلاً من أشكال التماهي. وفي التضخم الذي يتبعه، يصبح الإنسان في الجحيم. لأنه يستطيع العيش كعجوز حكيم على مدار الساعة؛ سيكون شيئاً يشبه حالة وسطى ما بين جنّة ومهزّج. وقد رآه الناس بهذا الشكل وكانوا على حق. فكما قلت سابقاً، رأى الآخرون نيتشه في الواقع كشخص أحمق، وكان يخشى دوماً أن يُصاب بالجنون بعد ذلك. كما عانى كثيراً من حالات صداع مرعبة، فلم يعش إلا من أجل رعاية صحته، وأصبح عبارة عن جنّة حيّة؛ ذلك هو المظهر الخارجي لشخص سيطرت عليه فكرة العجوز الحكيم. لكن يجب على العجوز الحكيم أن يطير، أن يكون لديه أجنحة، أن يكون بجعة وليس كائناً بشرياً. فلا يُفترض به أن يسير على قدمين، بل عليه أن يستخدم طائرته القابضة في ذاته. تفترض شعوب الشرق أن العجائز الحكماء المثاليين قادرون على الطيران. هذا هو المعيار الرئيس: إذا لم يستطع المرء الطيران فهو لم يبلغ ذروة الحكمة. لذلك دع الحكيم العجوز يصبح كائناً هوائياً، جسداً مُتقناً بأجنحة، ولا تتماهى معه.

¹ "بدء المخيلة - the imaginary initiates" هو تلاعب باسم مسرحية لموليير بعنوان "بطلان المخيلة - The Imaginary Invalid". وقد تمت ترجمة المسرحية إلى اللغة العربية بعنوان "المريض الوهمي".

هذه إحدى الأشياء التي تحدث غالباً مع المحلل؛ إنها إحدى أشكال عُصاب المحلل إذ إن للمحللين النفسيين عُصاباتهم الغربية لأنهم يتأثرون بجميع عمليات التحول التي يصادفونها لدى المرضى فتتشابك في رؤوسهم. يبدو وكأن العدوى تصيبهم فيصبحون شديدي الحساسية وعرضة للعطب، ويغدو من الصعب التعامل معهم. إنها عدوى هذه المهنة البغيضة: تصيبهم لعنة عجوزهم الحكيم. لذلك عليهم أن يعرفوا المزيد عنه. ومن هنا ينبغي على المحلل أن يعترف بأنه لا يعرف أكثر من ذلك، أو عليه أن يواجه ما هو أسوأ. عندئذٍ سيعطي فرصة للمريض. لكن هيبة الطبيب موجودة دوماً. يريد عامة الناس أن يصلوا إلى قناعة بأن الطبيب مشعوذ أو ساحر إذ إن الطبيب المعالج البدائي عاش على أساس تلك الهيبة. كان متطابقاً مع العجوز الحكيم، ولهذا كان يعيش في أغلب الأحيان إما مريضاً أو مجنوناً. وغالباً ما كان يخشى البدائيون أن يصبحوا أطباء معالجين لأنها ليست المهنة التي تُحسد عليها.

السيدة كرولي: ظننتُ أن الجثة تشير إلى ظله، وأنها كانت المرة الأولى التي يلتقي فيها بظله.

الدكتور يونغ: هل تذكرين عملية *الاستنتاج المنطقي* التي أجريناها سابقاً؟¹ كانت الشخصيات متداخلة جداً حينها. وبالتالي فإن الجثة هي راقص الحبل، وراقص الحبل هو الظل بكل تأكيد. لكن نيتشه كإنسان كان مرتبطاً بزارادشت كما كان راقص الحبل مرتبطاً بالمهرج. وهكذا فإن راقص الحبل هو الموقف السلبي لنييتشه نفسه ولزارادشت أيضاً؛ فهو من قفز على نيتشه المتردد. وفي الفصل التالي يعود المهرج، ثم في الفصل التاسع يقول زارادشت نفسه إنه سيقفز فوق كل المترددين والممتلكين.

¹ للمزيد عن عملية يونغ المنطقية، انظر محاضرة 27 حزيران - يونيو 1934

السيدة كرولي: لكنه تخلى عن تعاليمه الآن. أصبح لديه موقف جديد تماماً بعد أن دفن الجثة.

الدكتور يونغ: نعم، الموقف الجديد الذي سيظهر هو أنه يريد بشراً بدلاً عنه. السمة الأخرى لمن يصيبه التضخم بفكرة العجوز الحكيم هي هوس إعطاء التعاليم، هوس أن يكون مبشراً ويدعو الناس إلى الحقيقة ويثق بأن الكثير منهم سيدخلون مملكة السماء. غالباً ما تخلق هذه الحالة موقفاً تبشيراً وقناعة بأنه ليس هناك من طريقة أخرى.

السيد أليمان: بالحديث عن الوعي، هل يمكن للذات عندما تصبح واعية أن تتخطى حالة التماهي تلك بشكل مؤقت على الأقل؟

الدكتور يونغ: كقاعدة عامة، يمرّ الشخص بفترة يتماهى فيها مع العجوز الحكيم. إذ لا يستطيع أي شخص أن يفهم نموذجاً بدنياً دون أن يتماهى معه أولاً. وحتى لو لامست "القرين" أو "القرينة"، وهو النموذج البدني الأكثر شعبية على الإطلاق، فسوف تتماهى معه دون أن تدرك ذلك حتى تقع تحت سيطرته بشكل كامل. ولن تستطيع أية امرأة أن تدرك ما هو "القرين" دون أن تتماهى معه، ولن يستطيع أي رجل أن يدرك ما هي "القرينة" دون أن يمتلئ بها. وفي حديثي عن أشياء كهذه أقول "كما لو أن": يبدو الأمر كما لو أنّ كل نموذج بدني من هذه النماذج البدنية كان أقوى من "الأنا". فالنماذج البدنية تُحكم سيطرتها عليك بسهولة وتمتلكك كما لو أنها أسود أو دببة، كما لو أنها قوى بدائية تفوقك قوة بكل تأكيد. ويكون انحيازنا في أننا نترفع على قمة جبل مع وعينا وإرادتنا ونعتبر أنه ما من شيء يمكن أن يصل إلينا؛ وعندئذٍ يُمسك اللاوعي بنا من الأسفل. ويُطلق البشر على هذا الشيء الموجود في الأسفل اسم "نصف الوعي أو ما دون الوعي – subconscious" بدلاً من اسم "اللاوعي – unconscious"؛ ويبدو ذلك أفضل بكثير بالنسبة إليهم. "ما دون الوعي" هذا عبارة عن ملجأ أو قبو يقبع

تحت قدميك، وأنت أشبه بالقدّيس جورج الذي يقف فوق التنين. إنه الطموح القروسطي القائم على قتل التنين والوقوف فوقه. لكن إذا نزلت إلى ذلك العالم فستواجه شخصية أقوى بالتأكيد من تركيبة "أنك". ومن هنا تحدّث "ريدز هاغرد" بسداجة تامة عن مسألة "هي التي يجب أن تُطاع".¹ عليك بالطاعة لأنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً خلاف ذلك، فمن البديهي جداً أنها الجانب الأقوى، وتركيبية العجوز الحكيم شيء مخيف جداً. كما يمكن التغلّب على التنين أحياناً، لذلك يمكن أن نفترض أنه ليس قوياً دائماً. لكن ثمة الكثير من التنانين الضخمة التي تهاجم البطل وتقهره مؤكدة أن التنين أقوى بكثير، ويستمرّ ذلك حتى يشنّ البطل هجومه من الداخل. سنتابع الآن في الفصل الثامن:

بعد أن أنهى زارادشت مناجاته لنفسه حمل الجثة على كتفيه ومضى في طريقه. ولم يجتزئ مئة خطوة حتى اقترب أحدهم منه خلسته وهمس في أذنه – لم يكن ذلك الشخص سوى مهرج القلعة إذ قال: "ارحل عن هذه المدينة يا زارادشت، يشعر الكثيرون بالكراهية تجاهك، يكرهك الجيدون أيضاً ويعتبرونك عدوّهم ومحتقرهم؛ يكرهك المؤمنون بالعقيدة، ويعتبرونك خطراً على الناس. من حسن حظك أنك جعلتهم يضحكون عليك: كنت تتحدّث حقاً وكأنك مهرج. ومن حسن حظك أنك ارتبطت بذلك الكلب الميت؛ فبسبب إزالته لنفسك أنقذت حياتك. لذلك ارحل الآن عن هذه المدينة – أو سأقفز فوقك غداً؛ حيّ يقفز فوق ميت". ولمّا انتهى من كلامه اختفى مباشرة؛ وواصل زارادشت سيره عبر الدروب المظلمة.

¹ ابتهاج يونغ كثيراً بشخصية المشعوذة العجوز الغامضة التي لا تُقهر في رواية ريدر هاغرد بعنوان "هي: تاريخ المغامرة – She: A history of Adventure" (لندن، 1887). انظر الأعمال الكاملة، المجلد السابع، صفحة 303؛ الأعمال الكاملة، المجلد التاسع، صفحة 145، 356؛ الأعمال الكاملة، المجلد العاشر، صفحة 88.

اعترضه حفارو القبور على بوابة المدينة، رفعوا المشعل في وجهه وأدركوا أنه زارادشت، وراحوا يسخرون منه. ها هو زارادشت يأخذ الكلب الميت: جميل أن زارادشت أصبح حَقَّارَ قبور! فأيدينا أظهر من أن تَمسَّ هذا الشَّواء. هل يريد زارادشت أن يسرق لقمة من الشيطان؟ حسناً إذاً، خطأ طيباً مع هذه الوجبة! إذا كان الشيطان لصّاً أفضل من زارادشت فميسرقها معاً ويلتهمها معاً". ثم راحوا يضحكون بينما يقرب أحدهم رأسه من الآخر.

لم ينطق زارادشت بكلمة واحدة بل تابع طريقه. وخلال مسيرة ساعتين عبر الغابات والمستنقعات، سمع الكثير من عواء الذئاب الجائعة فتملكه الجوع هو أيضاً، لذا توقف أمام بيت معزول ينبعث منه ضوء.

"ينقضّ عليّ الجوع مثل لصّ، قال زارادشت. يداهمني في الغابات والمستنقعات، وفي عمق الليل.

غريبٌ هو جوعي. غالباً ما يأتيني بعد الأكل مباشرة، لكنني لم أشعر به طوال هذا اليوم، فأين كان في هذا الوقت كله؟"
بينما كان يحدث نفسه بذلك طرق باب البيت.

حمل زارادشت الجثة إلى الغابة. هل تذكرون شيئاً تاريخياً شبيهاً بحمل هذه الجثة؟ هناك رمزية مطابقة تماماً.
السيدة كرولي: حمل الصليب.

الدكتور يونغ: نعم، إنه رمز لما يُسمى "transitus"، وهو مصطلح قديم يعبر عن حمل الصليب في الطقوس المسيحية مثلاً، أو حمل الشجرة في طقوس ديانة "آتيس"، أو حمل الثور الميت الذي كان هو ذاته ميثرا، وحمله "ميثرا". كان ميثرا تمثيلاً للثور الأبيض المرتبط ببداية العالم، كان ثور

العالم، ثم حمل جثته بنفسه.¹ إن حمل الثور هذا مطابق تماماً لحمل زارادشت لجة راقص الجبل، المكافئ له على مستوى مختلف. ما هو الفرق الدقيق بين هذين الرمزين؟ ما الذي يعنيه أصلاً أن ميثرا ضحى بالثور؟ السيدة كرولي: ضحى بطبيعته الحيوانية.

الدكتور يونغ: نعم، إنه تمهؤ الإنسان البدائي وحماسه المفرط. لذلك كانت الميثرائية دين الجنود الرومان. يمكن العثور على بقايا المعابد الميثرائية بشكل أسامي قرب الحماميات الموجودة على طول الخطوط الألمانية مثلاً؛ وفي فترة متأخرة جداً، تم اكتشاف قبو كان يُستخدم للطقوس الميثرائية في الصحراء السورية، حيث أجرى الفرنسيون بعض الاستكشافات بالتعاون مع جامعة يال. كما طلبوا من "كومونت" الخبير بالديانة الميثرائية أن يساعدهم في الحفريات. كانت الميثرائية ديانة البيت الإمبراطوري الروماني، وديانة الجنود أيضاً لأنها تُعتبر دين الانضباط. ويظهر ذلك الانضباط في مشاهد مصارعة الثيران حيث يتصرف المصارع بأعلى درجات التحكم والسيطرة، ثم يقتل الثور في لحظة محددة دون إظهار أية ملامح تنم على الاضطراب أو الخوف. كان ميثرا مصارع ثيران مؤلهاً، وكان الإله يتمثل بهيئة مصارع الثيران القديم. هو لا يواجه الثور بالسيف، بل يقفز على ظهره كراعي البقر ثم يقتله بسيف قصير بطعنة قوية تستقر فوق عظم الكتف. كانوا يضعون حول صدر الثور حزاماً قصيراً لمساعدة مصارع الثيران في القفز فوق ظهره، وللتشبث بالثور في حال الضرورة. وعادة ما يتم تصوير مصارع الثيران بملاحح شعورية هستيرية شديدة الغرابة، مثل لوحة

¹ بما يخص الميثرائية، اتجه يونغ إلى كتاب "فرانز كومونت" بعنوان "نصوص وآثار - Textes et Monuments" (باريس، 1896-99)، مجلدين، وكتاب "أسرار ميثرا - The Mysteries of Mithra" ترجمة توماس ماكورماك (نيويورك، 1956).

"جويدو ريني.¹ ويوجد في المتحف البريطاني في لندن تمثال رأسي لميثرا يُظهر تلك التعابير الهستيرية، حيث يبدو كما لو أنه شخص ينبغي عليه فعل شيء ما لا يرغب بفعله، فيُصاب بما يُشبه الفُصام. هو غير متناغم مع ما يفعله، وهو ما يجعل الإله يدير رأسه دوماً عندما يغرس سكينه. إنها عملية سيكولوجية للغاية، كما لو أن التغلب على مشاعره مرّده إلى مشاركة كاملة منه كفرد، كما لو أن جزءاً منه يوافق على هذا الإجراء والجزء الآخر ضده. نحن لا نرغب بالتحكم بمشاعرنا لأننا نستمتع بها. وعندما نتحكم بها يكون نوعاً من الانتحار الجزئي. إننا نحزن على أنفسنا ونأسف لها؛ ويعبر الإله عن ذلك بوجهه الغريب.

تم نقل الثور بعد قتله إلى مكان ما، لكن هذا الجزء من الأسرار الميثرائية مجهول جداً لسوء الحظ. يقول كومنت إن هذا هو جزء "النقل – *transitus*" في الأسرار المقدسة، ومن خلاله تنتقل الأشياء من مكان إلى آخر، وقد شبه هذه العملية بحمل يسوع للصليب.² لكن في الدين المسيحي، لم تعد المسألة مرتبطة بقتل الثور، إذ تمت التضحية بالمسيح كَحَقْل، وقد نصف ذلك بالرمزي لكنها عبارة عن حكاية رمزية أو استعارة، وليست رمزاً بالمعنى الحقيقي.³ تقول الحكاية الرمزية إنه تمت التضحية

¹ شبه يونغ في مكان آخر التضحية الميثرية بالثور وتصوير الألام المبرح في وجه حامله بلوحة "الصلب – *Crucifixion*" التي رسمها جويدو ريني (1575 – 1642) ليسوع المسيح حاملاً صليبه. انظر الأعمال الكاملة، المجلد الحادي عشر، صفحة 342-343.

² أثناء القيام بالتضحيات، يحمل صاحب النذر حزمة من الأغصان المقدسة في يده. كان ميثرا مولوداً من صخرة ظللتها شجرة مقدسة. وكانت مآثرته الكبرى القبض على ثور بري ومسحه إلى الخلف عبر كثير من العقبات. كانت تلك "رحلته"، أو "صلية النقل التي قام بها – *transitus*".

³ الفرق بين "الحكاية الرمزية – *allegory*" والرمز "*symbol*" هو أن الحكاية الرمزية تروي قصة كاملة تتضمن شخصيات وأحداثاً تمثل فكرة معينة أو حدثاً ما. لكن الرمز عبارة عن عنصر يرمز إلى كائن آخر، ويعطيه معنى محدداً دون أن يروي أية حكاية. المترجم.

يسوع كنسان، أو يمكن القول إن الإله أصبح إنساناً كي يضحي بنفسه بهدف خلاص البشرية. وبالتالي يُعتبر الصليب الذي يحمله المسيحيون رمزاً للإنسان، وهو كذلك فعلاً لأن وقوف الإنسان بين ممدودتين على الصليب يدلّ على القبول التام. مما يعني أن لا شيء يمكن فعله حيال ذلك؛ افعل ما يحلو لك فليس هناك أي دفاع. هو تعبير عن استسلام الإنسان بشكل كامل. والرمز المسيحي المتمثل بالمسيح حاملاً صليبه يعني أنه يحمل جسده، يحمل جثته. فهنا يظهر لدينا نوع من الرمز المسيحي. لقد حمل زارادشت بشريته، حمل جسده البشري، حمل نيتشه باعتباره راقص الجبل القاتل، وهذا نوع من إعادة صياغة للتضحية المسيحية. فكما قلت سابقاً، كان نيتشه بطريقة سرية مسيحياً أكثر مما يمكن لأي شخص أن يتوقع.

السيد باومان: قيل إنه لم يكن هناك الكثير من الأبطال في المسيحية، لا يوجد سوى الشهداء: كان على الجميع أن يموتوا. الدكتور يونغ: الشهداء هم مجرد شهود. الكلمة الإغريقية المكافئة لكلمة شهيد هي "martyros"، وتعني الشاهد. يتغلب الشاهد على الخوف وما إلى ذلك، لكن لا علاقة له بـ "النقل - transitus" الذي يعني سرّ النقل الرمزي.

السيد باومان: البطل يقوم بعمله ويدخل بعد ذلك الجنة، لكن على الإنسان في الديانة المسيحية أن يعاني من أجل بلوغ الهدف. الدكتور يونغ: نعم، لكن مبدأ الكنيسة كان "محاكاة المسيح".¹ لقد تابعوا عملهم بالمشاهدة، وليس بكونهم أبطالاً. يكون البطل أصلياً دوماً. لم

¹ تاريخ كتاب "محاكاة المسيح - The Imitation of Christ" غير مؤكد، ويُنسب بشكل مشكوك فيه إلى الكاهن الأوغسطيني "توما الكمبيسي" (1380 - 1471). وهو تعبير قرومطي عما فكر به كثيرون - لكن ليس نيتشه ولا يونغ بالتأكيد - على أنه الفضل حياة للبشر.

يكمل المسيح أي شيء؛ إذا كان أصلياً ومبدعاً باعتباره شخصية رمزية. عندما يموت الشهيد في ساحة القتال، كأن يموت من أجل المسيح أو عقيدة المسيح وليس من أجل نفسه. ويكون ببساطة شاهداً أمام الرب. وهذا لا علاقة له بما حدث مع البطل.

السيد باومان: هذا ما قصده تماماً، ليس هناك الكثير من الأبطال في المسيحية.

الدكتور يونغ: نعم، هذا صحيح. يمكننا أن نطلق على الشهداء صفة أبطال الكنيسة طبعاً؛ لأنهم كانوا أبطالاً من أجل الكنيسة وليس من أجل أنفسهم. لكن المسيح كان بطلاً من أجل نفسه؛ لم يضح بنفسه من أجل مجد أية كنيسة؛ بل كان تصرفه تعبيراً طبيعياً عن حياته الخاصة وفردانيته. لدينا الآن رمزية "النقل – transitus" مجدداً. ما الفرق بين النقل الموجود لدينا هنا ونقل المسيح أو ميثرا مثلاً؟

الآنسة وولف: الثور الذي قتله ميثرا كان إلهاً، وهو إله من العالم الآخر على ما يبدو. وبعد أن ضحى به ميثرا، تم خلق العالم من أعضائه المختلفة. فالذرة والكرمة وجميع الحيوانات أيضاً انبثقت من أعضائه، وأصبحت روحه الراعي السماوي. والمسيح هو الإله، فقد جسّد الإله بالهيئة البشرية ومات كإله. أما في قضية نيتشه فنرى أن زارادشت هو شكل من أشكال الإله، لكن لم تحدث أية تضحية هنا، فهو قد حمل الجثة وحسب، حمل جثة شخص دوني للغاية. وبالتالي بقي الإله حياً هنا دون وجود أية تضحية. لم تتم التضحية إلا بجثة ظل نيتشه، أي الجانب البشري الجمعي الخاص به، وهي تتصف بالدونية بالضرورة لأن القيم كلها كانت مركزة من جهة الإنسان الفائق.

الدكتور يونغ: تماماً. الفرق هو أن المسيح حمل الصليب من أجل إعدامه. فالصليب هنا هو الأداة التي سيموت عليها. حدث القتل في حالة

المسيح على يد الإنسان وتمت التضحية بالإله، لكن زارادشت كان يحمل الجسد بهدف دفنه وحسب. يبدو النقل في عقيدة "الآتيس" تشبيهاً أفضل، حيث تم حمل شجرة التنوب إلى كهف، أي إلى الأرض، والكهف هو مكان الدفن أو مكان غامض، لذلك تبدو الحالتان متشابهتين بطريقة لا يمكن تمييزهما. وهكذا اتخذت العقيدة المسيحية الأولى موقعها في سراديب الموتى. ولم يكن ذلك هرباً من الاضطهاد إطلاقاً لأن الجميع يعرفون مداخل السراديب، فهي مناطق دفن عامة. وقد تم تبجيلهم في المدافن، ولا تزال الكنائس المسيحية الأولى مواقع دفن. يسير المرء على قبور ويبدو المكان كله مليئاً بالجثث كما لو أنه في بداية المسيحية. وهكذا فإن حمل العباء إلى الكهف أو الغار، أو ما يُسمى "*spelaeum*"، يعني حمله إلى المقبرة. وقد كانت مساكن الناس مواقع دفن في الأصل، ولا سيما في الشرق الأدنى. ففي بلاد الرافدين مثلاً، تم الكشف عن آثار بيوت دُفِنَ تحت أرضيتها جثث الأجداد. وكان ذلك للحفاظ على أرواح الأسلاف في البيت، أو ضمن العائلة، كما يحتفظ غالباً شعب الأسكيمو بالجثث في أكواخهم للحفاظ على أرواح الأسلاف معهم. فهم يرون أن مغادرة أشباح الأجداد للأرض إشارة إلى الحظ السيئ، لأن الحياة حينها لن تعود معززة بعالم الروح، وهو أمر خطير جداً بالنسبة للبدايين.

من المرجح أن هذا الجانب من "النقل"، أي حمل شيء إلى المقبرة، قد لعب دوراً في العقيدة الميثرائية أيضاً إلا أن علاقة عقيدة "الآتيس" بالمسيحية وثيقة جداً، وهي أقرب بكثير من علاقتها بالميثرائية. فعلى سبيل المثال، قال "هيبوليتوس"، وهو أب قديم من آباء الكنيسة، إن الكهف الذي وُلد فيه المسيح كان بحسب التقاليد السائدة مزاراً للآتيس.¹ كما أن

¹ هيبوليتوس (قراءة عام 230)، هو معاصر لأوريجين الأكثر شهرة منه، ألف كتاب "محض جميع البدع - A Refutation of All Heresies"، وتعرض للطرد بسبب جهوده.

دليلاً آخر قد رأى النور في مرحلة حديثة جداً: أظهرت الحفريات الأخيرة في كنيسة المهد في بيت لحم أن هناك مزاراً رومانياً، أي بقايا معبد "للآتيس" تحت الكنيسة المسيحية التي يعود تاريخها إلى مطلع القرن الرابع، وهو مزار بناه الإمبراطور الروماني هادريان قرابة عام 136 ميلادية؛ وقد تم بناء المعبد بهدف تدنيس مكان العبادة المسيحية.¹ هذا يثبت أن المسيحيين كانوا يعبدون الله في هذا المكان قبل وجود عقيدة "الآتيس". لا بد أن يكون هناك تقليد محلي قديم جداً يشير إلى أن المسيح وُلدَ فعلاً في ذلك "الكهف"، وكونه مسكناً أو كهفاً "للآتيس" يظهر من خلال حقيقة أن هادريان أنشأ مرة أخرى معبد "آتيس" بهدف تدنيس مكان ولادة المسيح. من الواضح أن هناك تشابهاً كبيراً في هذه التقاليد، وهناك آثار أخرى تؤكد العلاقة. ففي الموقع الذي ينتصب فيه الفاتيكان اليوم كان هناك معبد للآتيس، والقسّ الرئيس في عقيدة الآتيس كان يُسمى بالإغريقية "باباس – papas"، والقسّ الذي لا يزال الحاكم هناك في الموقع القديم كان اسمه "بابا – papa or Pope"، وهو البابا ذاته لأن الاسم لاتيني أساساً.

إذاً لدينا هنا عملية "نقل" يتخذ فيها زارادشت موقع الإله في الأسرار القديمة، أو موقع المسيح في الإله الإنسان، أو موقع ميثرا الإله البطل، أو موقع آتيس ابن الإله وابن عشتار. وهو يحمل جسد الإنسان، أو جثته، أو يحمل البشرية كلها كما يمكن للمرء أن يقول، بل هي التي تحمله حقيقة. لكنكم ترون أن هناك تشابكاً غريباً بين الحقائق. يكون للنموذج البدني حياته في عالم الوعي هذا لأنه يظهر في أجساد حيّة، فالجسد الحيّ يحمل النموذج البدني للعجوز الحكيم. لكن يظهر هنا وكأن النموذج البدني هو من كان يحمل الإنسان، ويكون حقيقياً طبعاً بقدر يتفوّق بالحجم على

¹ هادريان (76 – 138) بنى معبد آتيس، رمز الخريف والربيع، نظراً للموت والعودة من الموت، كما يلقي بلان سيويل، إلهة الحياة النبهة.

تركيبية "الأنا"، لدرجة أنه يمكن أن يبتلعه. ثم تختفي تركيبية "الأنا" في النموذج البدني ويكون الإنسان هو الضحية. مما يعني أنه القاتل الذي سُلِبَ حياته على يد النموذج البدني المتمثل بالعجز الحكيم. لكن إذا تعاملتم مع هذه الحالة باعتبارها رمزاً لعقيدة غامضة كعقائد الزمن القديم، فستعبر عن حقيقة أن الإنسان كان ضحية فكرة النموذج البدني، أو فكرة الروح النموذجية البدنية – وهذا صحيح – وتكون في الوقت نفسه تحذيراً لأتباع هذه العقيدة، وتحذيراً من عملية قتل الثور في العقيدة الميثرائية على سبيل المثال. وهذا يعني أنه يجب عليك أنت أن تغلب على ثورك الخاص كما تغلب ميثراً الإله على نفسه في جانبه الحيواني. أو كما تمت محاكاة المسيح في الأسرار المسيحية حيث مضى إلى تضحيته الخاصة حاملاً بشرته إلى جانب تلك التضحية السماوية. وهذا مثير جداً للاهتمام طبعاً، ومختلف تماماً عن فكرة ميثراً أو أتيس. هنا أيضاً يمكن القول إن هناك تحذيراً: دع الإنسان الأعلى يحمل الإنسان العادي كما لو أن الإنسان العادي مجرد جثة. وكما ترون، لا يوجد إطلاقاً أي شيء من الفكرة المسيحية التي تقول إن الله يتجه نحو التضحية الذاتية بنفسه. فزارادشت ليس ذاهباً للتضحية بنفسه أبداً إذ نراه يتابع حياته. وهو يريد فقط أن يدفن الرجل ظناً منه أنه قد تغلب بهذه الطريقة على الشيء المعارض الثقيل الأخرق والمحافظ للغاية وغير المرغوب فيه. من هنا كان تماهي زارادشت مع المهرج الذي قفز فوق راقص الحبل المتردد.

نستطيع القول الآن إن ذلك يرقى إلى مستوى تعاليم التضخم. ويعني أن عليك أن تتماهى مع النموذج البدني حتى لو ضحيت ببشرتك المتواضعة؛ عليك أن تضحي ببشرتك من أجل حياة النموذج البدني. هذا تماماً ما حدث في حياة نيتشه، والمسألة هنا تتعلق فيما إذا كان ينبغي أن يكون ذلك رمزاً عاماً. فإذا اتخذ صفة الرمز الجمعي، فستصبح فقرة من هذا النوع

أشبه بمبدأ عقائدي. ستصبح وكأنها تحتوي الأسرار؛ سترى زارادشت كشخصية مقدسة تحمل الإنسان إلى مرقده الأخير، ستره يدفن الإنسان مما سيمنحنا عاطفة خاصة. سوف يُلْهب شيئاً قينا مثلما فعلت الأسرار المسيحية سابقاً. أنا واثق أن المؤمنين في الديانة الميثرائية قد اتبعوا "*peripeteia*"¹ المتعلقة بالأسرار السماوية بعاطفة قوية، وربما بدموع وعويل، أو بصيحات الفرح. كان أشبه بعمل درامي يمثل عاطفة المسيح من العشاء الأخير إلى الصلب، لكنه لم ينجح. فهو لن يسيطر على الناس إذا لم يسيطر على عواطفهم، ويلامس ظروفهم النفسية. إذا كان الناس في حالة يمكن التعبير عنهم برمز كهذا، فسوف يُفتنون بها بعمق وعاطفة بالغة بالتأكيد، وستعمل مثل رمز "ناقل - *transitus*" في عقيدة غامضة. وتعرفون أن هذا الادعاء كان قائماً. ثمة أشخاص تعاملوا مع كتاب *هكذا تكلم زارادشت* وكأنه كشفٌ نبوي، وتعاليم حكمة راسخة، وأن له قيمة دينية. أتذكر الفترة التي كنت فيها طالباً في جامعة بازل، وأتذكر أن الكثير من الشباب في الجامعة، وحتى الأساتذة الذين كانوا من جيل الشباب، قد درسوا كتاب *زارادشت* وشكّلوا منه عقيدة. لكن بعيداً عن رمز "النقل - *transitus*" هذا، ما الذي لفت انتباهكم في هذا الفصل؟ ما هو أكثر ما يُثير الاهتمام؟

الأنسة حنة: جوعه.

الدكتور يونغ: الجوع نقطة هامة بالتأكيد لكن في فترة لاحقة. فبإقتراب نهاية زارادشت، يظهر هذا الجوع والعطش مجدداً، لكننا سنوجّل النقاش فيه لوقت آخر. هناك شيء آخر قبل ذلك.

السيدة ستوتز: الشيطان.

¹ التغيير المفاجئ في القدر أو الحظ

الدكتور يونغ: تقصدين أن زارادشت ذاهب ليسرق طعام الشيطان؟
صحيح، لكن ذلك متضمن في المهرج. فعلى المرء أن يراقب مسار الأحداث
هنا كما في الحلم، عليه أن يراقبه كما لو أنه تسلسل سبيي. هذا هو المبدأ
العلمي: ينظر العلم إلى أحداث العالم المتلاحقة بوصفها سلسلة سببية،
وبالتالي على المرء أن يحاول إثبات علاقة سببية. فمن أجل تفسير ما يحدث
هنا، على المرء أن يفترض وجود علاقة سببية¹. إذاً من خلال صورة حمل
الجثة على ظهره، جعل المهرج يظهر، وهذه علاقة سببية فعلاً. ليست مجرد
حادثة أو مصادفة لأن استدعاء المهرج تم من خلال إشارة زارادشت. لم
يكن قد تجاوز مئة خطوة في سيره حتى أتاه المهرج. لم يستطع الابتعاد كثيراً
مع ضحيته دون أن يجعل المهرج يظهر. والآن، ما هي علاقة المهرج
بزارادشت؟

السيدة كرولي: الظل.

الدكتور يونغ: نعم، نستطيع القول إنه الجانب السلبي النشط جداً
من زارادشت، فذلك المهرج كائن شيطاني. وكما يُفترض أن يكون زارادشت
هو العجوز الحكيم الفائق، يكون المهرج مدمراً وشريراً بالمقابل، وقد ظهر
الآن. وهذا يعني أنه عندما يتخذ الشخص موقفاً معيناً، ويفكر بشيء
أحادي الاتجاه ثم يصطدم بعقبة ما، يلجأ إلى استحضار النقيض من
اللاوعي، والنقيض هنا رمز بالمهرج - ومهرج تدميري عندئذٍ. وهو ما يعني
الجنون في حالة نيتشه. فإذا تصرف أي شخص مثل زارادشت - إذا سمح
أحدهم للنموذج البدني أن يبتلعه - فسيقوم اللاوعي بابتلاعه، أي
سيُصاب بالجنون، وقد يُصبح ذهانياً أو فُصامياً. فلم يكذ زارادشت يحمل

¹ لفرق يونغ بين السببية العلمية التي تُعتبر غالباً طريقة التفسير العقلي الوحيدة عن التزامنية
والترابط اللا سببي الذي يتضمن معنى وليس نتجاً عن المصادفة. انظر الأعمال الكاملة،
المجلد الثامن، الفصل السابع.

تلك الجثة حتى استحضِر الجنون في هيئة المهرج الذي قتل عقل الرجل قبل فترة طويلة من جسده. إذ كان المهرج هو من قفز على راقص الحبل وقتله مما جعل زارادشت يقول له: "إن روحك سيسرع إليها الموت قبل جسدك، فلا تخش شيئاً إذا". وذلك ما كان عليه نيتشه في الواقع إذ أصابه الجنون قبل أحد عشر عاماً من موته؛ لقد توقّع مصيره حرفياً. وهذا المهرج هو تجسيد الجنون. إننا نفهم النموذج البدني للعجز الحكيم بأنه مجموع الحكمة البشرية كلها، ونفهم الظل على أنه تجسيد الحماسة البشرية كلها بالضرورة. لذلك تكون الحكمة والحماسة البشرية قريبتين للغاية، فلا نستطيع في أغلب الأحيان أن نكون واثقين تماماً ما إذا كان الشخص حكيماً أم أنه أحمق كبير؛ وعلى المرء أن يدرك أن في الحماسة كماً كبيراً من الحكمة. يكون الأحمق أحياناً حكيماً جداً إذ نراه مثلاً في شخصية "تيل يولنשבغل" الفلكلورية الشعبية الألمانية، وفي شخصية الطبيب المعالج البدائي. وغالباً ما يُنظر إلى المجنون على أنه حكيم لأنه يتفوّه بكلام غير مفهوم.

السيد باومان: يمثل مهرج الملك هذه الحالة أيضاً.

الدكتور يونغ: نعم، مهرج الملك هو الذكي الوحيد. ويُعتبر الأحمق الوحيد المخوّل بقول أشياء لا يمكن لغيره أن يقولها في حضرة الملك. وعادة ما يكون الطبيب المعالج مخيفاً وغريب الأطوار. ولدى شعب "البوبيلو" قبيلة خاصة يتم تكليفها بعروض المهرجانات. فهي تتضمن عدداً من المهرجين المحترفين، ولها موقع هام جداً وتُلقَّب أعضاؤها بصانعي البهجة.¹

¹ ينتمي هنود البوبيلو إلى إحدى ثلاث مجموعات: "شعب الغذاء الجاف - Dry Food People"، الجماهير العلمية؛ "التواي - Towa-e"، وهم الإناريون القليلون؛ و"ماد بيل - Made People"، وهم مجموعة صغيرة من التخبّة، وهي التي تراقب الطقوس والشعائر. انظر كتاب ألفونسو أورتيز بقنوان "علم التواي: مكان وزمان وجود، وصيروتهم في مجتمع البوبيلو".

لقد ظهر الطبيب المعالج وصانع البهجة معاً في شخصية المهرج القروسطي، أي صانع المرح ومستشار الملك السري الذي يقدم له أفضل النصائح.¹ إذاً من الواضح جداً أن خروج المهرج هو الحقيقة التالية في السلسلة بعد أن أبعد زارادشت الإنسان كجثة.

البروفسور ريكستين: أليس للمهرج دور مفيد جداً هنا؟

الدكتور يونغ: لديه هذا الالتباس الغريب مع المهرج القروسطي. لقد أسدى نصيحة لزارادشت وطلب منه أن يغادر البلدة. كما أخبره أن من حسن حظه أن اعتقد الناس أنه يتحدث كمهرج، وأنهم لو فهموا ما يقوله كما ينبغي لما كانت الأمور ستسير على نحو جيد. وكان من حسن حظه أنه ابتعد مع الكلب الميت. لقد استفاد بشكل جيد من فرصة الاختفاء؛ وإلا لكان المهرج سيقفز على زارادشت بالطريقة ذاتها التي قفز فيها على الإنسان. هذا يعني أنه لو بقي زارادشت في البلدة، لجعل من نفسه أحق ومجنوناً.

لكن هل كانت تلك نصيحة جيدة؟ أعتقد أنه لو بقي زارادشت في البلدة، لبقى في الحالة الجمعية، وضمن المجتمع البشري. ربما كانوا سيغترون عليه ويقتلون، لكن ربما استطاع أيضاً أن يقنع الناس بحكمته، لكنه لم يستطع فعل أي شيء لأنه غادر البلدة. وعلى أية حال، إن بقاء زارادشت في البلدة كان سيجبره على أن يعي وجوده البشري العادي، لأن

The Tewa World: Space, Time, Being, and Becoming In a Pueblo -

"Society" (شيكاغو، 1969).

¹ سمع يونغ عن شعب البويبلو من أنطونيو ميرايل (Ochwiay Bianco = Mountain Lake) أساس احتفالات شعب "تاوس بويبلو - Taos Pueblo". انظر كتاب أوليف بقتلير بعنوان "صنعو البهجة - The Delight Makers" (نيويورك، 1918). تبادل يونغ وميرايل الرسائل على مدى سنتين سابقاً. انظر كتاب يونغ بعنوان "رسائل - Letters" المجلد الأول، صفح 101 - 102.

أولئك الناس الآخرين سيفهمونه من خلال إنسانيته، ومن خلال الجسد، الجثة. وسرعان ما سيصبح مدركاً إلى أنه لم يكن إنساناً، وأنه كان مجرد أخيلة أو صورة نموذجية بدئية وليس حقيقة. ثم سينظر إلى يديه ويقول: "يا إلهي، هذه ليست يديّ أبداً! مثل الأرواح عندما تصبح واعية لحقيقة أنها تمتلك جسداً غريباً". هناك حالات عن أشخاص تستحوذ الأرواح عليهم؛ وحتى يتحرر الشخص من هكذا استحواذ، عليه أن يستحضر ذلك الشبح بمساعدة وسيط، وعندئذٍ، مثل المعلمين في "كتاب الموتى التيبتي"، ينبغي على المرء أن يخبر الشبح أنه ميت، غير متجسد. الشبح لن يصدق ذلك، وسوف يصبر أنه لا يزال جسداً. وهنا يقول الشخص: "انظر هنا، أنت تقول إنك إنسان ولديك جسد إنسان، لكن انظر إلى يديك". (إنهما يدا الوسيط لأنه يتحدث بلسان امرأة وسيطة). ثم يقول: "هاتان يدا امرأة، يا له من شيء أخرق! - كيف دخلت في هذا الجسد الغريب؟" ويتم التأكيد أكثر عبر الطلب منه أن يدخل عبر جدار، لأنه طبعاً ما من إنسان أبداً شوهد وهو يفعل ذلك؛ وهكذا عندما يذهب مباشرة عبره، عليه أن يعترف على الأقل أنك على حق.¹ هناك طبيب في كاليفورنيا يعمل على شفاء عصابه أو عصاب مرضاه بتلك الطريقة. زوجته هي الوسيط، واستطاع ببساطة أن يدخل جميع الأرواح التي يُفترض أنها موجودة في المرضى، إلى زوجته. وعندئذٍ عندما يتكلم الشبح عبر جسد زوجته، يقول له: "انظر إلى جسدك، أنت رجل لكن هذا جسد امرأة". ثم يُصدم الشبح تماماً لدرجة أنه يقفز منها مباشرة. ومع ذلك ليس دائماً!

¹ في "كتاب الموتى التيبتي - The Tibetan Book of the Dead"، "نصح اللاما المسؤول (الجثة) بالمشاركة بحرية في الطعام المقدم، ويحذر من أنها ميتة، وإن على شبحها ألا يطارد المكان أو يزعم الأقارب الأحياء" (TibetanK pp, 14-15). يتضمن الكتاب "تطبيقات سيكولوجية" وضعها يونغ، وتمت طباعته مرة أخرى في الأعمال الكاملة، المجلد الحادي عشر.

المحاضرة الثانية

17 تشرين الثاني - أكتوبر 1934

الدكتور يونغ:

لدي اقتراح لكم قبل أن نبدأ اليوم. أودّ أن تقوم مجموعة من أعضاء السيمينار بتشكيل فريق يجري بحثاً حول موضوع النموذج البدني للعجوز الحكيم. لقد اعتدنا إجراء أبحاث من هذا النوع في سيمينارات سابقة، وربما تتذكرون مقالة "القمر" الرائعة التي قدّمتها الدكتورة هاردينغ وفريقها بأسلوب ناجح.¹ يمثل القمر نموذجاً بدنياً للأم الداخلية، والضوء الباهت للأرض المظلمة. وقد صادفنا عنصر الأم الأرض في تلك الرؤى أيضاً.² وبما أنه نموذج بدني مرتبط بلاوعي المرأة السائد المهيمن الذي يُظهر الجانب المسيطر الحاكم، فهو سمة مميزة لتطوّر لاحق للأخيولات؛ لذلك قمنا

¹ الدكتورة: إستر هاردينغ (1888 - 1971)، المولودة في بريطانيا لكنها مارست التحليل النفسي اليوناني في الولايات المتحدة، قمت محاضرة بعنوان "القمر: رمزية الهلال ومعانيه السيكولوجية Moon: The Symbolism of the Crescent and Its Psychological Meanings" في السيمينار السابق. انظر كتاب "تحليل الأحلام"، صفحات 367-381، وكتبتها بعنوان "أسرار المرأة، قديمها وحديثها" - Woman's Mysteries, Ancient and Modern (نيويورك، 1955).

² لمعلومات عن سيمينار الرؤى، انظر أعلاه محاضرة 2 أيار - مايو، 1934

بإجراء تحقيق خاص في ظاهرة النموذج البدني للجانب الأمومي للقمر. لكن ما يشغلنا الآن هو سيكولوجيا الرجل، وأريد تقريراً عن ظاهرة النموذج البدني للعجوز الحكيم. هو الشمس لكنه الشمس الداخلية، شمس الوعي والفهم، ويمثل ضوء "الغنوصية" التي تعني "المعرفة"؛ غالباً ما نجد في النصوص الغنوصية أن رمزية الضوء ترتبط بالعجوز الحكيم الذي يتخذ هيئة "المسيد أو المعلم"، وجالب الضوء، وهو "لوسيفير" الحقيقي بكل ما يتضمنه ذلك الاسم.¹

، أما عن طريقة العمل فلديكم عدة مصادر للبحث، لديكم أولاً تاريخ الأديان المقارن، وشخصيات مؤسسي الأديان؛ ثم لديكم الأسطورة على كافة مستوياتها والحكايات الشعبية التي تتضمن شخصية المشعوذ بأشكاله المتعددة الكبيرة والصغيرة؛ ولديكم الأعمال الأدبية بشكلها الصرف ولا سيما فن الشعر. وإلى جانب الديانات الرسمية العظيمة، والديانات الصغيرة البدائية والعادات القبلية، والتقاليد الهرطقية التي تحتوي الكثير من الحالات السيكلوجية. فغالباً ما نفت الأديان الرسمية المواضيع السيكلوجية باعتبارها غير ملائمة مما يجعلنا نجد فيها الكثير من مواد ذات طبيعة فلسفية للغاية. في عالمنا المسيحي مثلاً، لديكم التقاليد الغنوصية التاريخية التي تُعتبر تقاليد فلسفية هرطقية، وهذا ينطبق على الغنوصية الأولى والغنوصية القروسطية والأفلاطونيين الجدد، والفلسفة القروسطية اللاحقة التي كانت على شكل خيمياء، و"جماعة الصليب الوردی - Rosicrucians" وما إلى ذلك. وستجد في الأعمال الأدبية عنصري "القرنة والقرين"، أي "الأنيميا والأنيموس"، لكنك ستعاني كثيراً كي تجد الأمثلة المناسبة عن الشخصيات البعيدة. "القرنة والقرين" هما في تجربتنا اللحظية بينما هذه الشخصيات العظيمة غير موجودة في الواقع

¹ "لوسيفير - Lucifer" (لاتينية الأصل): يعني نجمة الصبح الحاملة للضوء.

بل هي مُسقطه من الماوراء، ولن يكون من السهل إدراكها، لكنها موجودة في الأعمال الأدبية. والأرض الأم رمز نادر للغاية لأنها من الرموز العالية جداً بينما العجوز الحكيم متكرر أكثر، فالأمثلة محدودة عن الأرض الأم لأن العجوز الحكيم أصبح شخصية مؤسساتية بينما الأرض الأم ليست كذلك طبعاً. لقد كانت دائماً في وضع غير ملائم؛ وهي لا تصلح في عالم الرجل المؤسساتي لأنها تزج المؤسسات باستمرار. وأظن أن بحثكم هذا سيكون مفيداً جداً لإدراك الجانب العام للنموذج البدني، وحتى لا نقع تحت سيطرة الانطباع السائد بأن نيتشه حالة خاصة جداً، وأنه لا يمكن إلا لشخصية مثل زارادشت أن تعيش في ذهن نيتشه. وسينتج عن هذا البحث أسئلة بعيدة المدى لها تمثيل جمعي فعلاً.

نعود الآن إلى النص. لقد وصلنا سابقاً إلى مشكلة الجوع حيث أدرك زارادشت فجأة أنه جائع وقال: "الجوع ينقض عليّ مثل لص". وتتذكرون أن هذه الفكرة ظهرت عندما التقى بحفاري القبور واستهزؤوا به: "هو ذا زارادشت يأخذ الكلب الميت؛ لطيف أن غدا زارادشت حَقَّار قبور! إذ إن أيدينا أنقى من أن تمسّ مثل هذا الغذاء. أيريد زارادشت أن يسرق من الشيطان لقمته؟ حظاً سعيداً إذا! ووقتاً ممتعاً مع هذه الوجبة! هذا إن لم يكن الشيطان طبعاً سارقاً أكثر شطارة من زارادشت؛ فيسرقهما معاً، ويفترسهما معاً!"

قد يقرأ المرء فقرة من هذا النوع دون أن يلاحظ مضمونها فعلاً؛ تبدو سيئة قليلاً، ولا يسعنا إلا أن نشعر بالدهشة ونسأل ما الذي يعنيه الشيطان هنا سواء أكان مجرد شخصية نتحدث، أم كان لها معنى أعمق. وأنا أشدد على هذه الفقرة لأنها تميّز الأسلوب العام الذي اتبعه نيتشه في كتاب هكذا تكلم زارادشت. إننا نلاحظ نوعاً من المزاح أو التهكم، ونستطيع القول بطريقة ما إن الطريقة التي سخر بها حفارو القبور من زارادشت

ذات تأثير كوميدى. لكن فيها ما يجعلك تشعر بالألم. فثمة جانب ليس خارقاً للطبيعة تماماً، لكنه غريب ومؤلم. وهذا الجانب المؤلم جانب مَرَضِيّ، إذ تختلف حالة "التهاذر"¹ بشكل ملحوظ عن النكات العادية في أنها لا تجعل الشخص يضحك من أعماق قلبه إذ ينتابه ألم شديد في مكان ما. وهذا يعود إلى حقيقة أن في هذه النكتة مساراً مقطوعاً، ونوعاً من الانقسام الناتج عن تداخل مَرَضِيّ؛ شيئاً ليس فيه مزاح إطلاقاً، شيئاً يشعاً مربعاً اختلط بها. تلك هي حالة كتاب *زارادشت* كله: ثمة محاولات عديدة ليبدو مرحاً لكنها ترافقت دوماً مع انقسام غريب واختلاط مؤلم، كما لو أن هناك شيئاً مربعاً خلفها.

سنحاول أن نفهم ما هو ذلك الشيء. من الواضح أن تلميذ حفاري القبور أول ما لامس زارادشت؛ ثم وصل إليه فعلاً بهيئة الجوع. إذ صرّح بشكل مباشر أن الجوع داهمه؛ لأنه كان قابضاً خلف وعيه ثم أطبق عليه فجأة فأدرك أنه جائع. ويكون الجوع متوقعاً أيضاً عندما يكون قابضاً في اللاوعي أثناء عواء الذئاب الجائعة. تشير الحيوانات دوماً إلى غريزة اللاوعي، ونحن لا نزال نُسقط الجوع على ذئاب الغابة كما لو أنه جوعها. كما يحدث مثلاً عندما يُصيبك ألم في الأسنان، وتحلم بأن شخصاً آخر في السرير ذاته وهو من يتألم. إذ يظهر في الحلم نوع من التفويض: أنت منقسم إلى نصفين، والنصف الآخر مُصاب بألم الأسنان. وهي حالة دفاعية لإبعاد الألم الذي يعيق نومك. ومن هنا فإن جوع زارادشت الذي ظهر في النهاية كان موجوداً طوال الوقت، كان جائعاً على مدى النهار كله ولو لم يكن

¹ "التهاذر - Pathological joking": حالة طبية نادرة تتمثل بظهور اعراض عصبية على المُصاب حيث يميل إلى إلقاء نكات غير مناسبة في أوقات غير مناسبة. ويؤدي هذا الاضطراب العصبي إلى إثارة المريض بقصص لا جدوى منها كما أنه يتكلم مع فرط نشاط جنسي، وتعليقات جنسية غير ملائمة، وتلاعب بالألفاظ حتى بعد رفض المحيطين به لهذا السلوك الشاذ. المترجم.

مدركاً لذلك. والسؤال الآن هو الآتي: تحت أي ظرف يمكن للمرء ألا ينتبه إلى أنه جائع؟

السيدة باومان: عندما لا يكون مدركاً لحقيقة أن لديه جسداً.

الدكتور يونغ: نعم، غالباً ما يحدث مع الأشخاص الحدميين، وهو يحدث معي أيضاً فأنا حدسي للغاية لكنني أعرف تماماً عندما أكون جائعاً - لم أخطئ أبداً في هذا الإدراك. لكن هناك أشخاص لا يعرفون ذلك ويظنون أن الجوع مشكلة سيكولوجية، ويمثل زارادشت هذا النوع من الأشخاص هنا. أين الدليل على ذلك؟

الآنسة حنة: لأنه يدفنه.

الدكتور يونغ: تماماً، الجسد هو الجثة؛ هو السيد نيتشه نفسه، وزارادشت في طريقه ليدفن نيتشه. فحتى الشبح نفسه يحتاج إلى جسد أو وسيط معين إذا أراد أن يترك أي أثر على هذه الأرض؛ وإلا فلن يتمكن من قرق الأجراس أو رفع منضدة أو أي شيء من الأشياء التي تفعلها الأشباح عادة. وبالتالي يحتاج زارادشت إلى نيتشه الإنسان. وإذا كان ذاهباً ليدفن جثة نيتشه، فلن يكون لديه جسد، أو يكون غير واعٍ للجسد؛ وعندها سيقفز فوق نيتشه كما هدده المهرج بالقفز فوقه: قرأنا تلك الفقرة التي هدد فيها المهرج زارادشت بالقفز فوقه كما قفز فوق راقص الحبل. إن المهرج خطير جداً كما تعرفون. لكن إذا قفز فوق زارادشت، فماذا ستكون النتيجة؟

السيدة باومان: قلت الأسبوع الماضي إن النتيجة هي الجنون.

الدكتور يونغ: نعم، إن زارادشت عبارة عن شبح كما تعلمون. لا يمكن للشبح أن يموت في الجسد؛ يمكنه فقط أن يسقط عن الحبل، أي أن يحدث انفصال في تركيبته العقلية؛ عندئذٍ سيُصاب بالذهان مما يعني

موت العقل وليس موت الجسد. لكن في أي ظرف قام المهرج بهديد زارادشت بشكل خاص؟

الآنسة حنة: إذا بقي في المدينة، ببقائه بين البشر.

الدكتور يونغ: نعم. إذا بقي زارادشت مع السيد فريدريك نيتشه، يستطيع فريدريك نيتشه أن يقول شيئاً له، ويمكن أن يدرك متى يكون جانحاً؛ سيشعر بجسده حينها ولن يكون الخطر كبيراً. وبصفته السيد نيتشه، لن يكون مثقلاً إلا بمشكلة العجز الحكيم الذي يُفترض أنه لا يتوافق مع حالته السيكلوجية. فلن يتبع اقتراحاته بالتأكيد، ولن يخضع بسهولة لهذا العجز الحكيم القادم من القرن التاسع قبل الميلاد. تلك كانت ميزة غير متوقعة في حياته. وبالتالي، إذا استطاع زارادشت أن يبقى في البلدة، فسوف يبقى مع نيتشه، وسيبقى نيتشه أيضاً. لكن تهديد نيتشه بالموت يعني أن زارادشت تغلب عليه، ويبقى وضعه جيداً باعتباره جثة. إنه ميت بصفته راقص الجبل؛ إذ لم يعد بإمكانه أن يلعب لعبته الآن. كما لم يعد له علاقة بالحياة بعد أن حمل زارادشت الجثة لأنه لم يعد لديه ساقان فعليتان، وأصبح عبارة عن حُجرة صغيرة، وبالتالي خسر الواقع. كما أنه خسر التواصل مع الواقع بصفته إنساناً، وكان مهدداً دوماً بالجنون. فليس هناك أي شيء يبرر عدم ضياعه لأن شخصاً مثله يضيع كقاعدة عامة. أنتم تلاحظون أن الجسد جانح بقدر ما هو حي. ونيتشه جانح لمادة فعلية، فهو يحتاجها للبقاء على قيد الحياة. لذلك يعلن الجسد عن حاجته للغذاء من أجل تشكيل نوع ما يشبه نقيض زارادشت، وثقل موازٍ للنبيضات الجنونية الحماسية التي يبتها. لكن زارادشت لم يدرك ذلك، أو أدرك بعضاً منه بسبب مطالب الجسد التي تصل بطريقة غير مباشرة، أي من تلميح حفاري القبور.

سنحاول الآن أن نفهم أبعاد ما اقترحه حفارو القبور، أي ما الذي كانوا يقصدونه فعلاً بذلك التهكم. ففي البداية قالوا إن الجنة التي يحملها أشد قذارة من أن تمسّها أيديهم، وهذه إهانة كبيرة للجسد. وقالوا إن هذه الجيفة ليست مناسبة سوى للجحيم فهي طعام الشيطان؛ وبما أن الشيطان يعبر عن مبدأ التدمير المطلق، فهذه اللقمة لا تصلح إلا للتدمير المطلق. وربما يسرق زارادشت هذه اللقمة من الشيطان، أي إنه سيلعب دور الشيطان في تناول هذه الجيفة. وتستمرّ هذه الفكرة بتسلسل منطقي إذ قالوا: "حظاً سعيداً إذاً! ووقتاً ممتعاً مع هذه الوجبة"، مما يعني أن الشيطان سيلتهم الجثة بعد سرقتها وهو يتضمن التدمير الكامل للجسد طبعاً. فإذا سرق زارادشت الجنة من الشيطان فهو يسرقها من أجل "وجبة لحم بشري" – *anthropophagous* أو كتمثيل "لتابوت حجري يلتهم ما فيه" – *sarcophagous*؛ لذلك هنؤه على هذه الوجبة. وكما ترون، تنبثق لدينا هنا فكرة أنثروبولوجية قديمة غريبة ثمة أسباب تاريخية لظهورها هنا، وأمل أن تكون واضحة. سأعيد الفكرة: سيُجلب الشيطان هذه الجيفة لأنها وجبته؛ فالشيطان يعني التدمير الكامل، وبالتالي فإن التدمير الكامل سيلتهم الوجبة. لكن يبدو أن زارادشت سيسرق الجثة من الشيطان، كما لو أنه شيطان آخر يريد التهام الجيفة وتدميرها أيضاً. ولأنهم افترضوا أن الأمر على هذا النحو قالوا: "وقتاً ممتعاً مع هذه الوجبة". قدموا له التهانى لأنه سرقها، لكنهم اعتقدوا أن من الخطير جداً خداع الشيطان وانتزاع الجنة من بين أسنانه؛ وكان الخطر عندئذٍ أن يقوم الشيطان بسرقة زارادشت والجثة والتهامهما معاً. لأن من الواضح تماماً أنه إذا نجح زارادشت بسرقة الجثة فسوف يلتهمها. وهذا ما أشرنا إليه سابقاً: لقد تغلب على الجسد. لكنه شكل من أشكال تناول اللحم البشري: أصبح أكل جيف، أي أصبح أشبه بـ "*sarcophagus*"، وهو مصطلح يصف القبر الحجري الذي

توضع فيه الجثة، أي هو أكل اللحم البشري. لقد أصبح أكل لحم السيد نيتشه. إنها مزحة مرعبة من حفاري القبور، تبدو أشبه بنزاع بين كلمات فارغة متألقة لكنها تختزن في عمقها تلميحا مربعا يتعلّق بنزعة زارادشت لالتهام اللحم البشري، أي نزعة العجوز الحكيم إلى أن يكون نسراً.

الأنسة حنة: هل ثمة فرصة ما بأن يستعيد زارادشت الجثة من خلال التهامها؟ أي بعد أن تمت عملية القتل؟

الدكتور يونغ: هذا غير ممكن أبداً لأنه لعب دور الشيطان ودمّر الجسد بشكل كامل. فهذه هي الصفة التدميرية المطلقة للروح إذا لم يقاومها الجسد بالشكل المناسب. لكن أين يمكن أن نجد مثلاً رائعاً على هذه الحقيقة؟

السيدة باينز: القديسون الذين انسحبوا إلى الصحراء.

الدكتور يونغ: صحيح، يمكن أن نرى في تاريخ القديسين ما يمكن للروح أن تفعله. ففي الشرق، تم تهجير مدن كاملة يصل عدد سكانها إلى بضعة آلاف حيث مضى سكانها إلى الصحراء لأن الروح التهمتهم. لنعد بالذاكرة إلى الشهداء الذين دخلوا ميادين الحروب طواعية. فحتى الكنيسة المسيحية المقدسة التي يفترض أنها تجسّد الحب السماوي قد أحرقت أكثر من مئة ألف من أبنائها أحياء. لنتذكّر المهرطقين الذين أُحرقوا في إسبانيا، ولنتذكّر إحراق الساحرات والرعب الذي جلبته الحروب الدينية على النوع البشري. إن جميع "الأيديولوجيات" في أيامنا هذه عبارة عن آكلات لحوم بشر، وهي ليست مجرد ثعالب بل هي أسودّ وقروش. فحياة الإنسان مهملة وقليلة الأهمية في سياساتنا الفعلية، وإحدى وسائل الإقناع الأساسية هي الرصاص أو الشنق. لقد وصلنا إلى حالة اجتماعية مشابهة لما كان سائداً في العصور الوسطى. لدينا طفاة وشرطة سرّية وإعدام من دون محاكمة، وهذا كلّ من فعل روح معينة، أو أيديولوجيا معينة، أو إدانة ما باسم

الحقيقة. يا لها من صورة جميلة. هكذا تكون الروح عندما يصيبها الانفصال. لقد كان زارادشت روحاً حكيمة جميلة بطريقة ما، ثم أصبح الشيطان نفسه؛ لذلك أسميته "لوسيفير" التي تعني الشيطان، وتعني نجمة الصبح الحاملة للضوء بكل ما تتضمنه الكلمة من معنى.

كان الفيلسوف الألماني "كلاجيس" العدو الكبير للروح: يهتم الروح بخنق الحياة، وبأنها تستنزف حياة الجسد وتقتله، وهذا صحيح إلى حد معين.¹ إذا سادت الروح على حساب الجسد فسيحدث التدمير؛ إذ لديها قوة قاتلة تقريباً. وغالباً ما لعب نيتشه بتلك الفكرة حيث يقول مثلاً في كتاب "تأملات قبل الألوان"، وهو أحد أعماله الأولى: إن هبوط شرارة واحدة من نار الأبدية في روح إنسان يبحث عن الحقيقة تكفي لالتهام حياته كلها.² فمن الواضح أنه يعبر في هذه الجملة عن الروح القدس: تلك شرارة ملتهبة من نيران الأبدية، وهذه الروح القدس قادرة على التهام حياة الإنسان كلها. إننا نراها جميلة لكن لا يمكننا أن ننكر أن كل هذا الجمال والعظمة قد يؤدي إلى أقصى حالات التدمير رعباً. يمكنك طبعاً أن تتخذ الموقف الذي يجب اتخاذه؛ فمن الواضح أن هذا لم يكن ليحدث لو لم يكن ضرورياً. لكن ليس لهذا الكلام أي معنى على الإطلاق لأنه لا يضع حداً للمعاناة. وإذا حدث معك، سرعان ما ستكتشف الجانب الآخر له. إن سيطرة الروح عليك والتهامها لك أمر سيئ يشبه تماماً أن يلتهمك حيوان بري؛ إنه سلوك تدميري. وهذا الجانب من الروح غريب جداً من وجهة النظر المسيحية لأنك إذا تحدثت عن الروح حصلت على اعتراف بأنك من الصالحين. فما من أحد يشك بأن الروح شيء جيد بشكل رائع. وهذا ليس صحيحاً إطلاقاً على

¹ لمعلومات عن "كلاجيس"، انظر اعلاء محاضرة 23 أيار - مايو 1934.

² "تأملات قبل الألوان - Untimely Meditations" (1873 - 1876)، مجموعة من أربعة مقالات. تقع هذه الفقرة في المحاضرة الثالثة بعنوان "شوبنهاور كمعلم" (الفصل الثالث).

الرغم من ذلك؛ إذ إن للروح وجهاً بشعاً يظهر في تلك النكتة الساخرة بشكل غير مباشر.

فعندما يقول زارادشت: "الجوع ينقضّ عليّ مثل لصّ"؛ يتضح لنا من اختيار هذه الكلمة أنه يشعر بشبهة إلى الجسد؛ إذ يبدو أنه أخذ شيئاً ما منه. فأى شيء لا يدخل إلى الروح، وأية حياة للجسد، تبدو ناقصة بالنسبة للروح. وإذا كان للروح أية مطالبية فعلية فسوف تكون مطالبية بحقوق الجسد كلها بغضّ النظر عن حقيقة أنه ما من أقدام بدون جسد. يقول زارادشت: "بين الغابات والمستنقعات، وفي عمق الليل يداهمني جوعي". هو لم ينتبه إلى حقيقة أن جسده يعاني من الألم، أو أنه لم يعد موجوداً إلا عندما كان وحيداً بين الغابات والمستنقعات، ويشعر بالحاجة إلى رفيق له في الليل. فهو سيحتاج هناك إلى علاقة جسدية وإلا سيكون كريحة في مهبط الريح. ويقول أيضاً: "غريب الأطوار هو جوعي. غالباً ما يأتيني مباشرة بعد الأكل، واليوم لم يأتي طوال النهار؛ ترى أين تأخّر إذاً طوال كلّ هذا الوقت؟" إن عدم الظهور المنتظم لحاجة الجسم هذه تبين لنا الحالة بالضبط. إذ يبدو أنها لا تظهر إلا كعَرَض، لا تظهر إلا عندما لا يتوقعها الشخص؛ أو يتم إدراكها بعد الانتهاء من تناول الطعام مما يدل طبعاً أنها حاجة نفسية أيضاً. فذلك النوع من الجوع يشبه أعراض الهستيريا.

السيدة كرولي: أودّ أن أفهم لماذا كان من الأفضل له أن يبقى في البلدة. الدكتور يونغ: لقد ذكرت كلمة "أفضل"؛ قلتُ إنه /ز/ بقي في البلدة، فسيبقى مع الجسد؛ وستكون لديه فرصة لإعادة إحياء الجسد. لكن هذه الحقائق الرمزية ليست نهائية؛ إذ يمكن أن تتغير في أي وقت. والجسد ليس ميتاً بشكل نهائي بل نسبياً فقط؛ لكن راقص الجبل هو الميت. السيدة كرولي: لكنه يلعب دور الإنسان الأعلى أثناء حديثه مع الناس في البلدة، لذلك لا أرى كيف يمكن لهذا الأمر أن يساعده.

الدكتور يونغ: هو لن يساعده مطلقاً. إذ سيجعل من نفسه مجرد أحق
 لن يفهمه أي شخص، وسوف يقولون: ها هو السيد نيتشه، يدافع عن
 أهدافه الخاصة! وطالما بقي الشخص بين البشر، فسوف يدافع عن
 أهداف الروح. ومن المنطقي جداً أنه استسلم ومضى لأنه لم يكن يريد أن
 يبدو أحق. وكان عليه أن يبقى معزلاً. إذ لم يكن بمقدوره البقاء في بلدة لا
 يكون لديه فيها موقع المواطن العادي. وسيعرف كل من يلحظه أين عاش،
 وكيف كان يحلق ذهنه، ومن أين ابتاع ملابسه، وأين هم معارفه؛ وهو ما
 سيزعج عن الروح سحرها وفتنتها. وما من أحد من البشر العاديين سيصدق
 أن الرجل الواقف أمامه هو نابغة أو شخصية روحية مميزة. فهل يمكن أن
 تصدّق أن جارك الذي يعيش بجوارك هو يسوع؟ تابع العيش معه لفترة
 وسوف تقتنع أنه عبارة عن إنسان عادي جداً. لذلك فإن بقاءه مدمر جداً،
 لكن بعض التدمير مفيد للإنسان؛ لأنه يصبح حينها قادراً على العيش
 والاستمرار بشكل طبيعي، ويمكن للروح أن تحي نفسها. لكن ذلك شائن
 طبعاً ووثني جداً من وجهة النظر المسيحية. سنتابع النص الآن:

بينما كان يحدث نفسه بذلك طرق باب البيت، وأطل عجوز بيده
 مصباح وقال: من القادم إلَيّ وإلى نومي القليق؟

"رجل حيّ وآخر ميت"، أجاب زارادشت. "امنحني طعاماً وشراباً فقد
 نسيته طوال اليوم، فمن يطعم جائعاً يُنعش روحه، هكذا تقول الحكمة".

واختفى العجوز لبرهة ثم عاد ليقدّم خبزاً ونبيداً لزارادشت. "هذا مكان
 سيئ لشخص جائع"، قال العجوز. "لذلك أقيم هنا؛ يزورني البشر والبهائم
 أنا الناسك. هلاً دعوت رفيقك ليأكل ويشرب أيضاً، يبدو متعباً أكثر منك".
 أجاب زارادشت: "رفيقي ميت؛ ليس من السهل أن أقنعه بتناول الطعام".
 فقال العجوز متجهماً: "هذا ليس من شأني، على من يطرق بابي أن يتناول
 ما أقدمه له. تناولوا طعامكما ولترافقكما السلامة!".

هكذا تابع زارادشت سيرة ساعتين ملتصقاً طريقه بضوء النجوم: فقد اعتاد السير ليلاً، وكان يحب النظر في وجه كل نائم. وعندما بزغ الفجر، ألقي زارادشت نفسه في غابة كثيفة، وما من طريق ظاهر أمامه. عندئذٍ وضع الجثة في جذع شجرة أجوف قرب رأسه - أراد حمايتها من الذئاب - واستلقى على الأرض العشبية. سرعان ما غط في النوم مرهقاً، لكن بقلب تغمره السكينة.

ما اللافت في هذه الفقرة؟

السيدة كرولي: الناسك؟ أعني لقاء العجوز الحكيم مرة أخرى؟

الدكتور يونغ: هل لديك دليل على أنه العجوز ذاته؟

السيدة كرولي: لقد تحوّل، لكن يبدو لي وكأنه الشخصية ذاتها وذلك لسبب واحد هو أنه عندما ظهر في المقطع الثاني استفسر قائلاً: لماذا يجزّ زارادشت جسده بهذه الطريقة؟ كما لو أنها نبوءة. وعندما قال زارادشت إنه ذاهب ليعظ البشر برسالة الإنسان الأعلى، ضحك العجوز من كلامه وقال إنهم ليسوا بحاجة إلى حكمته إطلاقاً؛ فمن الأفضل له أن يحمل عنهم جزءاً من أعبائهم. وفي هذا الجزء الأخير قدّم له الطعام والشراب.

الدكتور يونغ: صحيح. وهل تذكرين ما قلناه عن العجوز السابق؟

السيدة كرولي: قال زارادشت إن العجوز لا يعرف أن الإله قد مات، وفسّرنا الأمر بأنه كان يقصد الفكرة المسيحية القديمة. كان يتمم في الغابة، ويؤدي الترانيم وما إلى ذلك، لكن بدا في الوقت نفسه وكأن لديه شيئاً افتقده زارادشت، وكان ذلك هو جانب النفس. لقد كان زارادشت إلى جانب الروح. والآن يبدو وكأنه عاد إلى الطبيعة إلى جانب النفس وليس إلى جانب الروح.

الدكتور يونغ: تماماً. هو ذات العجوز الذي دخل إلى بيته الآن بالتأكيد. لكن هذه اللحظة تميّزت بالجوع أيضاً لأنه كان بحاجة إلى شيء ما. فقد

أدرك أنه ما من شيء على ما يرام، واقترب بالتالي من القناعات السابقة بشكل مفاجئ إن جاز التعبير؛ إذ يبدو الشك هنا نوعاً من النكوص، وهو ما يفسر سبب لقائه بالعجوز السابق. تتذكرون أن زارادشت قد اختبر حقيقة محزنة عندما ألقى خطبته في مكان عام، ولم يفهمه الناس أبداً. ومع أنه غادر حين لم يكن النجاح حليفه فقد أملت به كارثة فظيعة. هو الآن جائع وليس لديه ما يأكله. لقد اختبر هذا العالم الذي لا ينجح في التعامل معه، ووصل بطبيعة الحال إلى وجهة النظر السابقة كما لو أن شيئاً بداخله يقول: "حسناً، لا تظن أن ذلك كان منطقياً أكثر مما تحاول فعله الآن؟" وهكذا تسوّل الطعام من العجوز الذي أعطاه الخبز والنبيد.

فلأي شيء يشير ذلك؟

السيدة كرولي: القربان المقدّس.

الدكتور يونغ: نعم. بالعودة إلى العجوز نرى أنه يرجع بطبيعة الحال إلى السرّ المسيحي الأساسي في مرحلة متأخرة، وهو الشيء الوحيد الذي حافظ على رمزية حيّة معينة. وهو ما يعطينا الدليل على أن العجوز هو الروح المسيحية القديمة. فهو العجوز الحكيم بقدر ما يجسّد الروح الكنسية المسيحية. والسؤال الآن: ما الذي كان يسعى إليه فعلاً من اعتبار الطعام هو القربان المقدّس. لماذا القربان المقدّس فقط؟

السيدة كرولي: ألا يعني ذلك أنه عائد إلى نفسه، أليست تلك الحقيقة الداخلية والتجربة الداخلية؟ كان كل شيء يخضع للإسقاط في السابق، ويمكن القول الآن إنه كان يبدو وكأنه يقدم القربان المقدّس، كما لو أنه كاهن.

الدكتور يونغ: ثمّة شيء أكثر دقّة.

السيدة برونر: هل هو الشعور بالوحدة؟

الدكتور يونغ: نعم، لأنه فقد الجسد. يرى البدائيون أن الروح التي تكون بلا جسد تسعى باستمرار للدخول إلى جسد شخص ما، وحالما تلامس جسداً معيناً تدخل فيه وتعتبره جسدها. وتتوق الأرواح للغذاء لتبقى نشيطة في هذا العالم. إذ نرى في ملحمة هوميروس أن "عوليس" يقتل خروفاً ويسكب دمه للأشباح؛ وهو لا يسمح بشرب الدم إلا لأولئك الذين يريد التحدث معهم، بينما يصدّ الآخرين بقوة السيف. وحالما تشرب الأشباح الدم، تتمكن من التحدث بصوت مسموع. هي تشعر بالنشاط وتصبح مفهومة وملموسة ومرئية عندما تضيف جوهراً مادياً إلى وجودها الروحاني.¹ فالأرواح كلها تريد أن تتجسّد لأنها تكون بحالة من الجنون من دون جسد. وهذا ما أراده زارادشت: أراد جوهراً مادياً للتواصل مع الناس لأنه لا يستطيع أن ينقل ما يريد نقله إلهم لأنه من دون جسد؛ فهو غير مرئي عملياً. وهذا الجوهر المادي هو في الوقت ذاته قربان مقدّس. إن المعنى الحقيقي للقربان المقدّس هو اللحم أو الجسد، أي الدم. فلم يكن بدافع العيب أن دافع "لوثر" عن "تجسيد المسيح – *estin*" الحقيقي ضدّ المصلح السويسري "زوينغلي" الذي فسرّ القربان المقدّس بطريقة ملتقّة على أنه مجرد رمز.² كما دافع لوثر عن وجهة النظر البدائية التي اعتبرته جسداً ودماً حقيقيين لأنه من المهم للغاية أن تُشبع غريزة الإنسان البدائية، غريزة أكل لحوم البشر. لأنّ القربان المقدّس الحقيقي مع مميزات البشر الحقيقية، ولا سيما النفسية منها، لا يحدث إلا عندما تستطيع تناوله.

¹ الأوبسة 9، 35 – 50.

² على النقيض من العقيدة اللوثرية التي تؤمن بتحويل مادة العناصر الإفخارستية إلى جسد ودم المسيح عند تكريمه، ولم تبق سوى مظاهر الخبز والنبيذ، قال "الريتش زولنغلي" (1440 – 1531) إن الخبز والنبيذ كقداً ملهوامين من الناحية الرمزية. تم قتله في معركة بين الجيش الكاثوليكي والبروتستانت في مويسرا.

فعندما يريد الهندي الأحمر أن يتحلّى بالشجاعة، يأكل قلب عدوّه؛ وعندما يريد أن يحظى ببراعته، يتناول دماغه. تلك هي الطريقة التي فهموا فيها مسألة الاستيعاب، أي عن طريق الإسقاط. يفترض البدائي أن سحر عدوّه أقوى من سحره، كما يقتنع الإنسان عادة في أيامنا هذه أن الطبيب الموجود في الخارج أفضل من الطبيب الموجود في الوطن. وتقول الصحف الإنكليزية إن الجامعات الخارجية رائعة بينما جامعاتهم ليست ذات أهمية، وهي ليست سوى مؤسسات للحفاظ على الآراء المُسبقة القديمة. ويقول البدائيون إن القبيلة التي على الطرف الآخر من الجبل فيها سحرة رائعون وطبيب مميز وأسلحة أفضل بكثير لأن لديهم "مانا".

كانت تلك الأشياء كلها إسقاطات حاولوا استعادتها عبر التهام أعدائهم. كانوا يأكلون أقرباءهم من أعمام وعمات وأجداد بهدف الحفاظ على "مانا" العائلة. وعلى مستويات أعلى، كانت لديهم قناعة بأنه إذا كان للقبيلة الأخرى "مانا" أيضاً، يفوّضون مسألة أكل الميت إلى تلك القبيلة. ففي منطقة "بوغيشو" مثلاً، على المنحدر الغربي لجبل "إلفون" حيث تم التواصل مؤخراً جداً مع الرجل الأبيض، لم يكونوا أكلوا لحوم البشر إلا بشكل نسبي إذ إنهم لا يأكلون أعداءهم من أسرى الحرب. لقد كانوا شعباً متحضرأ ولطيفاً للغاية لكنهم أبقوا على عادة غريبة نوعاً ما تتعلق بأكل لحم الميت. فعندما يفقدون عزيزاً في العائلة كأحد الأعمام مثلاً، يرسلون رسالة إلى القرية المجاورة تقول: "إننا نكالي بعمنا العزيز"، أو "لقد سرّ الله أن يأخذ عمّنا، وسنضعه الليلة في الأجمة، هلا اعتنيتم به من فضلكم؟" عندئذٍ يعدّ أهل القرية المجاورة كل أنواع الهدايا من طعام وشراب ويضعونها في الأجمة، ثم يتبادلون الأحمال؛ يأخذ المشيّعون هداياهم، ويأخذ أهل القرية المجاورة الجسد ويقطعونه ويسلقونه مدة ثلاث ساعات تقريباً. ويتم تناوله في الصباح، بينما تقوم الضباع بتنظيف بقايا عظامه،

وهي الطريقة الوحيدة للتخلص من موتاهم. لقد صرّحوا في الواقع أنهم لم يعودوا يمارسون تلك العادة. إذ قال الزعيم الذي كان من المنطقة الجنوبية إنهم لم يعودوا يحلمون أبداً بفعل شيء من هذا القبيل؛ تلك هي طريقته في التخلص من الجثة. في الواقع، قالوا إنهم لم يعودوا يقومون بذلك. الزعيم، الذي كان من المنطقة الجنوبية، قال إننا لم نعد نحلم بممارسة هذه العادة؛ فلم نعد نعر على الموتى قط، ولست واثقاً أبداً من أن الأعمام والعمات لم يعودوا يؤكلون.

الآنسة حنة: لماذا لم يكونوا يأكلونهم بأنفسهم؟

الدكتور يونغ: ربما لأن ذلك ليس لطيفاً؛ حاولوا الهروب من ذلك وجعل الآخرين يفعلونه. فعندما يموت شخص من القرية المجاورة، ينبغي عليهم فعل الشيء ذاته على أية حال. لا أعتقد أنهم أحبوا ذلك كثيراً. لدي انطباع بأنه كان نوعاً من التهذيب – لأنني من أقربائك البعيدين، سوف أكل عتّك. يقول الناس إنهم متحمسون جداً لتناول اللحم البشري، لكنني أشك بذلك. وقد تحدثت أشياء مريبة طبعاً، ففي غرب أفريقيا مثلاً ظهرت حالة أقدم فيها البعض على سرقة الجثث من برّاد مستشفى والتمهوا الجثث كلها. كان أمراً لا يُصدّق، ولم يستطع أحد تفسير سبب القيام بذلك لأنهم يفضلون اللحم الطازج عادة، كأسير حرب سمين مثلاً كما كانوا يفعلون في جزر بحر الجنوب. يقولون إن شرائح لحم الإنسان أفضل من لحم الخنزير في لحظة معينة. لكن لا بدّ من وجود شيء معين خلف رغبتهم بتناول شيء نتن من هذا النوع؛ فالأمر كله عميق وغامض للغاية. هم يدركون تماماً أنه لحم نتن، وهم يحبّون اللحم الطازج، ولا سيما في المناطق المدارية، كما يقولون إن الضباع مريبة لأنها تقتات على الجيف. ثمة هدف غامض بالتأكيد. لكنها حالة حقيقية أعتقد أنها موثقة في كتاب "تالبوت" بعنوان "في ظل

الأجمة". كما اقتبس منه "السير والس بودج" في كتابه "أوزيريس والأديان المصرية"¹.

نستنتج أن رمز القربان المقدس هنا يعني أن زارادشت يحاول التصالح مع الجسد؛ أو يمكن القول إن حاجة زارادشت للجسد جعلته يحاول القيام بتلك المصالحة. ومن هنا كانت العودة للطرق القديمة التي تأخذ بشكل صامت إلحاح حاجات الجسد. ومن هذا الجانب نجد أن الدين القديم الذي يميل دوماً إلى تجاهل الجسد وإنكاره. فالبروستانتية أشدّ خطورة بكثير من الكاثوليكية الأقدم منها والتي تأخذ الجسد بعين الاعتبار. وفي هذا الأمر عتاب للجانب البروتستانتي لكن فيه شيء من الاحترام، فالكاثوليكية الميكرّة أفضل بكثير لأنها توافق بين الجسد والروح دون أن تسعى إلى ذلك. إذ إنها لا تضخم الروح، وتهتم بالجسد في الوقت ذاته. فهناك تسامح استثنائي مع الجسد في الكاثوليكية؛ وإذا دققت في أصل شعائر الكنيسة، ستري أن الكنيسة أخذت معظم شعائرها من الطوائف الوثنية، كالقدّاس وأردية الكهنة مثلاً. وتلك القبّة السوداء المرتعة المضحكة التي يرتدونها، المطوية من أربع زوايا وتعلوها كرة صوفية من الأعلى، هي القبّة الأصلية لجماعة "فلامين – *Flamines*"، كهنة معبد جوبيتر في روما. كما أن أجراس القدّاس والمضيف مع الصليب المرفوع في الأعلى تعود في أصلها إلى الطقوس الميثرائية، وعيد الميلاد أيضاً هو في أصله عيد ميلاد ميثرا. وأخذنا بطبيعة الحال الكثير من الأفكار القديمة إذ نرى أن مواقف الكنيسة من قضايا

¹ هذا ليس موجوداً في كتاب "بي أموري تالبوت" بعنوان "في ظل الأجمة – *The Shadow of the Bush*"، لكن انظر كتاب "إي. أي. والس بودج بودج" بعنوان "أوزيريس والأديان المصرية – *Osiris and the Egyptian Religions*" (لندن، 1911) المجلد الأول، الصفحات 167، 181، 184.

قانونية معينة، أو بما يخص الأخلاقيات الجنسية، تشبه إلى حد كبير الأفكار القديمة مع أنها أكثر صرامة منها، وليست أخلاقية بالطريقة التي نفهم بها الأخلاق. وهكذا فإن العلاقة بين حياة الروح وحياة الجسد حرجة للغاية لأن الاهتمام المبالغ فيه بالجسد يؤدي إلى موت الروح، والاهتمام المبالغ فيه بالروح يؤدي إلى موت الجسد. فثمة نوع من التوازن المتبادل بين العاملين، والكثير من أحدهما يؤدي إلى تدمير الآخر. وبالتالي فإذا عاد زارادشت إلى الطرق القديمة سيدخل في "هدنة" تضمن الحد الأدنى من وجود الجسد على الأقل؛ فهو لم يعد وحده بعد أن وصل إلى علاقة مع البشرية وغذى جسده من خلال القران المقدس. هو يستطيع أن يدعمه بالجوهر. لكن ذلك على حساب موقفه الروحاني الخاص.

نرى الآن أن الناسك لم يعد ينظر إلى الجنة كجنة بل باعتبارها رفيقاً لزارادشت إذ قال له إن عليه أن يجعل صديقه يأكل ويشرب. فأوضح زارادشت أن رفيقه ميت لا يستطيع تناول الطعام، واقتنع العجوز بذلك متذمراً، فلم يصبر على رأيه ولم يهتم بأمره. وهو لن يفعل ذلك بطبيعة الحال لأنه يمثل موقفاً تقليدياً ليس لديه نشاط بعد ذاته، فالنشاط كله في زارادشت. وهذا كله يعتمد عليه سواء أرغب بقبول الجسد في منظومته أم لا. ثم تابع طريقه وقيل عنه إنه كان معتاداً على السير ليلاً، وبحب النظر في وجه كل نائم. ما الذي يعني ذلك؟

السيدة كرولي: السير في الليل إشارة إلى اللاوعي.

الدكتور يونغ: صحيح. يمثل زارادشت جانب اللاوعي؛ وبما أن الروح لم تولد بعد، فهي النموذج البدني الذي يعيش في اللاوعي. ثم تولد الروح في الوعي وتتخذ هيئة جديدة. وهكذا اتخذت إعادة ولادة زارادشت في نيتشه شكل "هكذا تكلم زارادشت". فهذا الزارادشت لا علاقة له إطلاقاً بزارادشت العجوز، وليس هناك من شيء مشترك بينهما سوى الاسم،

وبطريقة ما يحمل هذا الزارادشت رسالة تخصّ أيامنا هذه. فعندما يظهر النموذج البدئي، يكون أول ما يحمله معه على ما يبدو رسالة من العصور القديمة، وهو أمر غريب جداً؛ ويقدر ما يُصغي الوعي لتلك الرسالة ويستوعبها، يمنحها شكلاً حديثاً، أي سيمنتها ولادة جديدة. وهذه الرسالة تظهر دوماً في لحظة تكون الحاجة إليها ماسة. فعندما يصبح نظام قديم عن التمثيل الجمعي متأخراً، وينحسر تأثيره بحيث لا تعود فيه أية حياة، يسطح النموذج البدئي ويخرج رسالته من الظلمة. لكنه كان حتى ذلك الحين معتاداً على السير ليلاً، أو كان "صوتاً صارخاً في البرية" كما يقول النبي، بمعنى أنه يصرخ دون أن يسمعه أحد. وطالما أن النموذج البدئي غير واعٍ، فسيكون انشغاله الوحيد هو المشي ليلاً، في حالة من اللاوعي، والتحديث في كل ما هو نائم؛ وهكذا كان معتاداً على البقاء في الظلمة. وأخيراً، وجد نفسه في عمق الغابة، ولا طريق يلوح في الأفق. أين يكون ذلك؟ ما الذي تعنيه الغابة؟

السيدة سيغ: ربما كان عالم الأرض الأم، لأنه دفن الميت في الشجرة، والشجرة هي الأم. كان ذلك يهدف الولادة الجديدة.

الدكتور يونغ: نعم، إنها أعماق اللاوعي. الغابة من هذه الناحية هي رمز آخر كالبحر تماماً؛ إنها الظلمة. ويستطيع المرء في الغابة أن يخفي نفسه كما لو أنه في أعماق المياه. وللغابة أيضاً سمة الغموض ذاتها التي لدى الماء، وهي مليئة بالكائنات الحية التي تظهر وتختفي فجأة، ولا سيما الغابات البدائية الغربية للغاية: ليس فيها ممرات، وتتضمن كل الاحتمالات، ولا سيما بالنسبة لذلك الشخص الذي فقد كل أحماله. إنها من أكثر الأشياء رعباً لدرجة أنها تستدعي اللاوعي الجمعي فوراً، وتجعل المرء يرتد إلى الحيوان. لكن لدينا الآن زارادشت متنقلاً في اللاوعي كي يدفن الجثة فيه. فما هي النتيجة، أو ما الهدف من دفن زارادشت للجثة في اللاوعي؟

تعليق: لكي ينساها.

الدكتور يونغ: نعم، يخبئها هناك فيستطيع التحرك بسهولة فلا يكون عليه أن يتذكرها على مدار الوقت، إذ لم يعد مُثَقلاً بما كان يشغله. لقد تخلص من آخر أثر للثقل وأصبح خفيفاً، أصبح راقصاً. لطالما أطلق زارادشت على نفسه تلك الصفة: لقد أصرّ على خفة خطوته، أصرّ على خطوة الراقص كما لو أنه يعيش بلا وزن؛ وحاول التخلص من ثقل الجسد لأنه لا يستطيع عيش حياة الروح بوجود الجسد.

السيدة باومان: ألا يوجد تناقض مع الجملة التالية التي تقول إنه أراد حمايتها من الذئاب؟

الدكتور يونغ: الذئاب هي الجوع، وأولئك هم اللصوص، واللصّ يعيش في داخله بحيث لم يعد يستطيع أن يأكل الجسد. كان زارادشت خائفاً تقريباً من شعوره بالتوق إلى الجسد. فبالنسبة لعقلية البدائي، تُعتبر الأشباح كائنات جائعة جداً تتجول ليلاً وتصرخ: "أين جسدي؟ أنا أبحث عن جسدي". ويفترض البدائيون أن الأرواح النائمة شديدة الحماس إلى الأجساد لأنها فقدت أجسادها، وعندما يكون شخص ما مريضاً أو مستلقياً في "منطقة الأكواخ" ولا يكون واعياً أو قادراً على الدفاع عن نفسه، تراه الروح وتدخل في جسده: هكذا يفهمون الأمر. لكن هل أخبركم عن بيوت الأشباح الصغيرة التي بنوها لإبعاد الأرواح عن "منطقة الأكواخ"؟ حسناً، تكون جميع الآثار الأصلية التي تتجه من الأدغال إلى "منطقة الأكواخ" متماوجة كأفعى، وفيها العديد من الانحناءات والالتفافات القصيرة، سأرسم لكم شكلاً مبسطاً لواحدة منها.



إنها تتماوج، كما ترون، من غابة البامبو في الأعلى حيث يفترض أن تعيش الأشباح إلى "منطقة الأكواخ" في الأسفل حيث يقيم البشر. ولدى وجود زاوية حادة أو بقعة فيها الكثير من الأشجار، يقوم سكان الأكواخ الذين يفترضون أنهم مُطاردون بفتح ممر آخر بانحناء أقل، وهو يشبه الفخّ إلى حد ما. ثم يتم تعبيد هذا المسار وإظهاره بوضع حجارة على الجانبين، كالطريق الذي يؤدي إلى المقبرة، أو في حالة سمعت عنها، إلى بيت الزعيم حيث يشير عدد الحجارة إلى عدد الناس الذين قتلهم. (لا يزال بالإمكان رؤية دروب حجرية من هذا النوع في منطقة "كورنوال"، وهي تؤدي إلى حفر أرضية كانت مسكونة في العصر الحجري الحديث). يتفرّع هذا الطريق الصغير عن الطريق الرئيس ويؤدي إلى منطقة مفتوحة أشبه بمنطقة أكواخ حقيقية، ويبنون في هذا المكان بيت الشبح الذي يكون أشبه بكوخ لا يصل ارتفاعه إلى مستوى الخصر، ويضعون داخله سريراً مصنوعاً من عدة حصائر، وعليه تمثال لهيئة بشرية من الغضار. ويضعون في الكوخ طعاماً مكوناً من الذرة والبطاطا الحلوة، وفي الخارج جرة مليئة بالماء. والتمثال المصنوع من الطين هو طعم طبعاً. وفي عتمة الليل، تتمايل الروح وتأرجح في الطريق المؤدية إلى الشرك وهي تقول: "يا له من كون جميل ورائع

أستطيع أن أقيم فيه. سوف أدخل في هذا الجسد؛ أنا في بيتي الآن ولدي الكثير من الماء". ثم تسطع الشمس فجأة، فتخرج الروح من الجسد وتعود إلى غابة البامبو.

يسرد البدائيون هذه القصة بطريقة حيوية تمنحنا شعوراً بأنها حقيقية بالنسبة إليهم. ويعتبرون أنهم يحمون الجسد بتلك الأشرار، وقد تشعر عندما تسير على دروب البدائيين بالثقة الكاملة بأنك ستصادف أحد هذه الأشرار. فهم لا يسمونها شركاً بل بيت الروح، ولا يسير الزوج في طرقات من هذا النوع طبعاً لأنهم يعتبرونها سيئة للغاية. يقولون مثلاً: لدينا قرب مخيمنا حالة لشابة يافعة أصابها مرض ما، واشتم "الغاندو"، أي المشعوذ صاحب السلطة، رائحة شبح. فسار حول منطقة الأكواخ في حلقة دائرية عدة مرات يتتبع بأنفه أثر رائحة معينة مثل كلب، حتى وجد بقعة معينة وقال: "كانوا في هذا المكان، هذا هو المسار الذي اتبعته الأشباح في الليل". ثم يبنون الشرك هناك. فتلك الشابة أصبحت يتيمة منذ صغرها إذ توفي أبواها وهما في سن الشباب، وكانا يشعران بالحزن والغضب لخسارتهما المبرّكة لجسديهما فحاولا بكافة الطرق الشيطانية أن يصلوا إلى المخيم الذي تقيم فيه ابنتهما الصغيرة لرغبتها الشديدة باصطحابها معها.

كما نجد هذه السيكلوجيا ذاتها في أعمال "هوميروس": حيث يشعر أشخاص الظل في "هاديس - الجحيم" بالحزن البالغ، ويتجولون دون هدف لأنهم مجرد ظلال غير متجسدة؛ فهذا عالم مظلّم باهت، وحالماً يظهر الدم في أي مكان، يمضون كالنسور ليشربوه بغية الحصول على المادة الفعلية، أي الحصول على الجسد مرة أخرى.¹ فالشعوب البدائية كلها كانت ستقتنع بصحة ذلك عملياً لو تسنى لها تطوير نظام روحاني في يوم ما. ومن هنا نستطيع أن نفهم هذا الجوع الذني لدى زارادشت، وكيف

¹ الأنيمية 9. صفحة 2.

تم تمثيله من خلال الذئب. فالذئب تعوي بشكل غريب جداً، وتكون الضباع مثل الأشباح لأنها تأكل عظام الرأس، ويُفترض أن بطونها مليئة بأرواح الأسلاف. لذلك ينبغي على المرء أي يتعامل معها بعناية فائقة؛ وإذا قتل أحدهم ضبعاً، يعني أن هناك مشكلة. فأنا لم أسمع عن أي شيء شيطاني مثل قطع من الضباع؛ إذ إنها وهبت نفسها لتلك الخرافة. فهي تبذل قصارى جهدها لتمثيل الأرواح غير المتجسدة. وعندما يدركها الجوع، يصبح أنيتها وعواؤها مرعبين. ويبدو من الطبيعي أن يحيلها البدائيون إلى أشباح. فإذا سُمِعت تلك الأصوات في مكان لا يُفترض أن تكون فيه ضباع، أو إذا بدا هناك أي شيء غير طبيعي من هذا الجانب، فربما يكون ذلك شبحاً. فالضباع غير مخيفة بحد ذاتها، أما إذا كان الصوت ناتجاً عن شبح، فذلك أمر آخر. ولا يُفترض بالأشباح أن تقلّد صوت الضباع وحسب، بل يمكن أن تقلّد صوت أية حيوانات أخرى؛ ويتم التعرف عليها من خلال سلوكها غير الطبيعي. يطلق الهنود الحمر على حيوانات معينة اسم "الحيوان الطبيب" عندما تتصرف بما لا تتوافق مع القواعد العامة.

وهكذا كانت فكرة زارادشت أن يدفن الجسد في الغابة بهدف نسيانه من جهة، ومنحه دفناً لائقاً من جهة أخرى مما يعني سجنه في مكان لا يستطيع الخروج منه. فنحن نضع شاهدة على قبور أسلافنا بنوع من الورع، لكن ذلك يعود في أصله إلى إبقاء الميت في الحفرة. إذ كانت هناك عادات تقوم على تثبيت الجسد بالأرض باستخدام وتد أو مسمار في المعدة كي لا يخرج مجدداً؛ أو يضعون حجارة على الجسد لمنعهم من الهروب. وفي سويسرا مثلاً، وفي منطقة "كانتون أرجاو" في القرن التاسع عشر كما أظن، كانت العادة أنه عندما يموت أحدهم، يقوم شخص ما بفتح النوافذ قائلاً لروح الميت "*Fahre hin und fladere*"، مما يعني وداعها وتملقها كي لا تعود مرة أخرى. ويوجد في إحدى قرى بحر الجنوب طقوس تعتمد على

إغراء روح الميت وجعلها تغادر الجسد بطريقة يثقون فيها بأنها لن تعود: يرسو القارب ويأتي الطبيب المعالج ويمسك الجثة من اليد ويقود الروح بأسلوب مهذب للغاية ويضعها على متن القارب فتبحر مبتعدة. لكن الأجساد توضع في أشجار مجوفة لحمايتها من الذئاب أو الثعالب، وكذلك لاعتقاد معين بإعادة إحياء الجسد، وليسبب آخر يقوم على الخوف من الإساءة للميت إذا لم يكن الدفن لائقاً، وهذا هو السبب الأكثر شيوعاً.

وفي مجتمعات معينة في روما في القرن الأول قبل الميلاد كان هناك شركات تشبه شركات التأمين، وتضمن دفناً لائقاً؛ كانت تسمى "thiasotai"، وكان بعضها لضمان وجبة يومية للأعضاء أيضاً.¹ كان الازدحام هائلاً في روما القديمة. وكانت الطرقات ضيقة جداً حيث لا يوجد لا حافلات ولا سيارات ولا أداة نقل سوى عربات بطينة تجرّها أحصنة يحتاجها الجميع في نقل الطعام، إذ اقترب عدد سكانها من المليونين في تلك الأثناء. وكان يدخل المدينة عدد كبير من الناس بهدف العمل، ولا وقت لديهم للعودة إلى المنزل ظهراً لتناول الغداء. فلا قطارات توصلهم إلى الضواحي، وكان عليهم أن يتناولوا وجباتهم في المدينة كما نفع نحن. لذلك أسسوا جماعات، واتخذت كل مجموعة غرفة أو ملجأ يقوم فيها طاهٍ بطبخ وجباتهم، وكان العرف السائد أن يُطلق على كل جماعة اسم قديس راعٍ كمجتمع "ثيسوس" أو مجتمع "هيراقليس" مثلاً. يكون الطاهي الذي أعد الوجبة قد تناول طعامه عندما تصل المجموعة؛ وبينما هم يتناولون طعامهم، يقرأ لهم من الإنجيل الذي لم يكن يُعتبر حينها حقيقة ملهمة بل كان مجرد كتاب جيد. أو كان يقصّ عليهم الحكايات، أو يقرأ رسائل الرسل الآتية من الخارج إلى مجتمع معين. فإلى هنا يعود أصل فكرة القدّاس، بينما

¹ Thiasotai: يُشار إلى اسم هذه المجتمعات الرومانية أو الإغريقية أصلاً إلى مجموعة المحتفلين بـ "بلخوس".

المذبح هو موقد الطبخ، أي المكان الذي يتم فيه تحضير الطعام الروحاني أو السحري، والكاهن هو الطاهي الذي يطعم الناس. إنها العادات ذاتها في الأديرة حيث يقرأ الكاهن بعض النصوص المقدسة أو أحد الكتب المفيدة الأخرى بينما يتناول الآخرون الطعام. ولديهم شركات للدفن اللائق لأنهم إن لم يفعلوا ذلك فستقوم الروح بأعمال تخريبية وإشكالات لا حد لها. وحتى يومنا هذا نرى الإيطاليين حريصين جداً على عادات الدفن اللائق. وهم يذهبون إلى أبعد مدى ممكن للحصول على الأثر؛ فمقبرة جنوة مثلاً مليئة بالأثار السيئة في ذوقها لكنها شديدة التأثير في بساطتها. وبالنسبة للبدائيين، وكذلك للناس غير الواعين، يعني الميت الشيء الكثير. وهكذا بينما تنتقل هنا على أطراف اللاوعي الجمعي مع شخصية زارادشت، ليس غربياً إطلاقاً أن يلتزم بتقاليد بدائية ويدفن الجثة بطريقة لا يدع فيها أي مجال للعودة. فمن غير المناسب لزارادشت أن تعود تلك الروح ذات الثقل بعد أن أصبحت عبئاً ثقيلاً مضافاً إلى تفاهة الحياة البشرية العادية.

المحاضرة الثالثة

24 تشرين الأول - أكتوبر 1934

الدكتور يونغ:

تحدثنا في المحاضرة السابقة عن العجوز الذي عاش في الغابة وقدّم الخبز والنبيد لزارادشت، وفسّرنا وجوده بأنه العجوز الذي التقينا به في الفصل الثاني. لكنني نسيت أن أشير إلى نقطة أخرى يمكن اعتبارها دليلاً على هذا التفسير. هل تذكرون النص الذي يقول: "طرق زارادشت باب البيت، وإذا شيخ بيده ضوء يطلّ ويسأل: من القادم عليّ وعلى نومي القلق؟" تقول الترجمة الإنكليزية إنه: *يحمل ضوءاً*، لكن النص الألماني يقول: *يحمل الضوء*، وهذا يشكّل فرقاً كبيراً بالتأكيد؛ فهو ليس أي ضوء بل ضوء محدد بالتأكيد، إذ لا يوجد أي شيء حيادي هنا: إنه حامل الضوء فعلاً. والآن، لدى زارادشت ضوء أيضاً، لكنه ليس *الضوء* الذي يشير إلى ضوء كاشف محدد طبعاً. وهكذا يبدو أن العجوز يمثّل روح الماضي التي كانت هي الضوء. وهذا يتوافق بشكل جميل مع سمات العجوز في هذه الفقرة، وتقديمه للخبز والنبيد الذي يشير إلى الطعام الحقيقي الفائق الروحاني.

ثم أشرنا إلى رمزية القربان المقدس، لكن أعتقد أنني لم أتكلم عن الحقيقة المثيرة للاهتمام المرتبطة بالنصوص المعدلة الجديدة للإصدارات الإغريقية اللاتينية للعهد الجديد. تعلمون أن هناك إصداراً لاتينياً قديماً من العهد الجديد مع "الفولغاتا"¹ وهي النص الأساسي في الكنيسة الكاثوليكية. ويوجد الآن نص جديد بعنوان " *Novum Testamentum Graeci et Latine* "، الذي تم تعديل النسختين فيه وفقاً لأفضل المصادر المتاحة. ويتضمن الإطار المتاح للصلاة للرب في إنجيل متى عبارة شهيرة تقول: "خُبْزَنَا كَفَّافَنَا أَعْطِنَا الْيَوْمَ". لكن في هذا النص المنقح بعناية نجد: "*Panem nostrum supersubstantialem da nobis hodie*" والتي تعني: "أعطنا الخبز الأساسي الفائق اليوم". يقول النص الإغريقي: "*ton arton ton equousion*" وتعني "الحقيقي الفائق". وفي الألمانية، بنمط "مستر إيكهارت": "*das uberwesentliche Brot* - الخبز الأساسي". كلمة "*Ousia*" هي الوجود، وجود العالم الذي هو "*das Sein der Welt*"; وكلمة "*epiousion*" تعني الذي ما وراء العالم. وهذا يتوافق تماماً مع مفهوم العالم الميتافيزيقي لكن الترجمة الألمانية المطواعة المناسبة هي "*das uberwesentliche Brot*"، وتعني الخبز الأساسي. إذاً سيكون من الرائع أن نقول في صلاتنا للرب: "*gebe uns Heute das uberwesentliche Brot*" - أعطنا الخبز الأساسي الفائق اليوم". هذا هو المعنى الصحيح كما ترون.²

¹ "فولغاتا - vulgate" وتعني باللاتينية "شائع"، وهي النسخة اللاتينية من الكتاب المقدس، والتي تعود إلى القرن الخامس الميلادي، حيث قام بترجمتها القديس جيروم (347 - 420) بعد أن كلفه البابا داماسوس الأول عام (382) بمراجعة الترجمات اللاتينية القديمة اليونانية والعبرية ونقلها إلى اللاتينية المترجم.

² "*super-substantial*": هي المعنى الميتافيزيقي لكلمة "*Epiusios*" التي تمت ترجمتها في نسخة القديس جيمس على أنها "يومنا"، "خبزنا كفاف يومنا". وفي اللغتين الإنكليزية والألمانية، "أعطنا خبزنا كفاف يومنا" هي عبارة جميلة جداً.

لكن بالنسبة إلى الذهن الفظّ بطبيعته، يكون امتلاك المرء لطعامه كل يوم أمراً مقنعاً للغاية. لكن لم يكن ذلك هو المقصد الدقيق ليمسوع لسوء الحظ. فقد حدثت أشياء كثيرة في نص العهد الجديد؛ لكن علينا الآن أن نعود إلى خدعة صغيرة تم العمل بها أثناء الصياغة.

في نهاية الفصل السابق، دفنَ زارادشت الجثة في شجرة مجوفة، وقلنا إن الهدف كان حمايتها من الثعالب. هل تتذكرون ما الذي قلناه حينها؟ الأنسة حنة: وضعها هناك لينساها بشكل كامل.

الدكتور يونغ: صحيح، لأن الثعالب تمثّل الجوع، أن يكون الشخص جائعاً كالثعلب. وهكذا فإن حماية الجثة من الثعالب تعني حمايتها من شهية الأكل الكامنة في نفسه، والتي يحاول نسيانها. وسأكرر ما قاله عن جوعه سابقاً: "اليوم لم يأتي طوال النهار؛ ترى أين تأخّر إذا كلّ هذا الوقت؟" هذا يعني أنه لم يدرك جوع جسده لأنه نسي جسده بالكامل. وهكذا فالجسد ميت، وقد تغلّب عليه. لكن الجوع يريد إقناعه بأن عليه أن يلتهم جسده؛ ثم يعود إلى حالته البشرية. ويصبح إنساناً عادياً. وبالتالي إذا أردت أن تصبح إنساناً فائقاً فلا تأكل: من يتناول الطعام يكون شخصاً عادياً سوقياً. ولهذا يعتمد الكثير من الناس إلى عدم تناول الطعام أمام الآخرين.

كانت هذه الفكرة خاصة بتلاميذ يوحنا المعمدان، المندائين أو الصابئة، وأظن أنه لا يزال هناك ثلاثة آلاف أو أربعة من أتباع هذه الطائفة في منطقة "كوت العمارة" و"البصرة" في بلاد ما بين النهرين. ويعتبرهم العرب هناك "من أهل الكتاب"، أي ممن نزل عليهم الوحي. كما يُعرفون بهذا الاسم لأن الوحي نزل عليهم من كتاب مقدس (فاليهود والمسيحيون والمسلمون جميعاً من أهل الكتاب)، ويقول القرآن إن من الواجب حمايتهم؛ فهم ليسوا وثنيين ولا يجب قتلهم. إذ يُفترض أنهم مسيحيون من منزلة دنيا،

لكنهم في الواقع بقايا طائفة غنوصية كانت موجودة قبل المسيحية، وهم أنباع يوحنا المعمدان الذي عمّد المسيح وفقاً للعهد الجديد. ولا يزال للصابئة كتبهم المقدّسة لكنهم لم يعودوا يقيمونها بسبب فقدانهم المعرفة بلغتهم، حيث كانوا يستخدمون اللغة الآرامية البابلية الجنوبية، ومؤخراً، نجح الباحث الألماني "ليندزبارسكي" في ترجمة نصوص معينة تبين أنها بقايا تلك الكتب المندائية.¹ (كلمة "ماندا" تعني "غنوصي"). وهي مستقلة تماماً عن الكتب المقدّسة لليهود والمسيحيين لكنها تحاكيها إلى حدّ كبير في بعض الجوانب؛ فهي تسجيلات عن تعاليم يوحنا وخطبه، وهي شكل من أشكال الوحي فعلاً، ويعتبر يوحنا شخصية نصف سماوية، وراعياً حقيقياً للناس. فقد لعب دوراً مشابهاً للدور الذي لعبه يسوع في العهد الجديد. كما تصف التقاليد هذه الكتب بأنها "ما بعد مسيحية" لأن فيها فصلين يشاران إلى يسوع، لكنه كان يُسمّى دوماً "يسوع بن مريم"، أو "الخائن" لأنه خان الأسرار التي تُعتبر تقاليد التلمود، وهو كتاب الأسرار اليهودي. إنها تعاليم غامضة على ما يبدو، وقيل إن المسيح اعتقد أنه سيفعل خيراً للبشرية في تعليم غير المتعلّمين الضوء الذي وصله من طقوس العمادة في تعاليم يوحنا. لكن يوحنا كان ضدّ ذلك لأنه أوضح أن الناس غير قادرين على فهم هذا، وسوف تستخدمه لغايات شريرة. ثم أشار المسيح إلى المعجزات التي كان يقوم بها، وإلى الخير الذي جاء منها. كان نقاشاً طويلاً ولا نهاية له. فلم يتوصّلاً إلى أي تفاهم؛ وترك المجال مفتوحاً حول ما إذا كان المسيح أم يوحنا على حق. ويبدو كما لو أن كليهما كانا على حق لأن الله قال لكل فريق: "حسناً، أرى أنكم تقولون الحق". وأظن من جهتي أن من المحزن للغاية ألا

¹ جمع مارك ليندزبارسكي وترجم كتاب "Das Johannesbuch des Mandaer" - كتاب يوحنا عن المندائية" (جسين، 1915). وكانت "الصنّة" التي ينحدر منها الصابئة، مدينة بابلية قديمة. انظر كتاب "حطيل الأحلام" صفحة 240.

يصل هذا الصراع بين دين غامض ودين شعبي إلى نهاية واضحة تجعلنا نرى ما هي الحقيقة النهائية في هذا الأمر. حيث إننا سنبقى نشكّ دوماً فيما إذا كانت المسيحية جيدة للعالم أم كانت خيانة سيئة للأسرار المقدسة.

يؤمن الصابئة أن من غير اللائق أن نتناول الطعام أحياناً أمام الآخر، لذلك يديرون ظهورهم أثناء تناول الطعام أو يجدون مكاناً مناسباً لا يراهم أحد فيه؛ لأن هذه الوظيفة، بالنسبة إليهم، غير لائقة كالوظائف المعاكسة لها. كما يُعتبر تناول الطعام للعديد من الناس أمراً محظوراً لأن فيه "مانا" يمكن أن تتحول بسهولة إلى نقيضها. وفيما يتعلّق بموضوعنا، يحيي زارادشت جسده من الذئاب لأنه يحاول التأكيد على أن حرمة أو تفوقه لن تكون عرضة للأذى بسبب هذا الفعل السوقي الذي يمكن أن يدنو به إلى مستوى البشر العاديين. فعملية ملء نفسه بمادة فيزيائية، يعني أن يُثقل نفسه فلا يعود قادراً على الرقص مجدداً، ولن يتمكن من الطيران بل سيبقى مكبلاً بالأرض. ومن هنا نجد أنه في الأديان التي تعتمد الزهد، يتمتع الناس عن تناول الطعام بهدف الروحية؛ وفي فصول معينة من السنة، أو في يوم معين من الأسبوع، يمتنعون عن ملء معدتهم بالطعام بهدف الاستمتاع بالخفة إذ يفترضون أن تناولهم الطعام يجعلهم يستهلكون قذارة الأرض، ويصبحون مكبّلين بها بسبب ثقل المعدة. وهكذا أصبح تناول الطعام رمزاً مشابهاً لتناول خبز القربان المقدس مثلاً، وقيل مثلاً إن القديس الصغير "ثيريس" من كونيرسبروس قد عاش على خبز القربان المقدس لوقت طويل¹ والناس الذين كانوا في موقع يخولهم معرفة ذلك، ووثّقوا الأمر باعتباره حقيقة، كانوا مقتنعين تماماً بالأمر. وأنا لا أستطيع أن أفهم ذلك مع أنني لا أنكره لأن من الممكن لأشياء كهذه أن تحدث، فقد

¹ يحتمل أنه القديس ثيريسا ليسيويس (1873 - 1897) الذي كان يُسمى غالباً "الصغير" (القاصر أو الأني أهمية) مقارنة بالقديس ثيريسا أليلا (1515 - 1582).

حدثت أشياء أخرى تضاهيها غرابية. ولا يمكننا اعتبار أي شيء مستحيلاً سوى التناقض المنطقي، وليس لدينا تناقض منطقي هنا. فمن المهم جداً، كما تعلمون، أن يكون القديس المثالي قادراً على الطيران وأداء المعجزات المتعلقة بالتحليق؛ وقد شوهد العديد من القديسين العظماء في الهواء أمام المذبح، كما تم حمل إيليا في مركبة من نار إلى السماء، وصعد المسيح إلى السماء في تجليته.

السيد باومان: وكانت من علامات الألوهية في مصر أن يرتدي الملك ملابس من ريش.

الدكتور يونغ: نعم، أن يتحوّل إلى طائر مثلما يُفترض بالروح أن تتحول إلى طائر بعد الموت، أن يصبح لديه أجنحة ذهبية. لا يزال الكثير من الناس في العالم يشعرون ببدء نمو أجنحة صغيرة على ظهورهم، ويجعلونك تعرف ذلك في الوقت المناسب! ويمكن أن نقرأ في ملحمة جلجامش عن الأماكن البائسة الأشبه بالجحيم حيث تسكن أرواح الموتى، وترتدي ريش الطيور وتتناول قذارتها؛ كانت أشبه بطيور شيطانية من أكالات الجيف أو البراز.¹ ويشير هذا كله إلى خفة "الجسد الدقيق"² الذي يتنفّس ويزيد من ثقله إذا امتلأ بطعام حقيقي. وبالتالي يجب أن يكون طعامه من طبيعية "كفاف اليوم" بحيث يستطيع أن يرفع نفسه. ويُعتبر الرجل الحكيم المثالي في الهند أنه قادر على الطيران، فهذا هو معيار قوة الحكمة. وسنرى لاحقاً أن زارادشت، مع نزوله للعالم السفلي، تمكّن من الطيران أيضاً؛ وهذا نوع من

¹ ملحمة جلجامش. تحرير "آر كامبل ثومسون" (لندن، 1928)، اللوح السابع. هذه النسخة، مقارنة بجميع النسخ، تحتوي مادة من مخطوطات مختلفة.

² يشير مصطلح "الجسد الدقيق - subtle body" إلى طبقات الجسد الدقيقة وطبقات الطاقة النابضة التي تجعل الإنسان بهيئة تتجاوز الطبيعة المادية الواضحة. وتتضمن هذه الطبقات الجسد الأثيري، والجسد العاطفي، والجسد العقلي السفلي، والجسد العقلي العلوي، والجسد السبهي، والجسد المرتبط بطاقة الحياة، وأخيراً الجسد الروحي المتكامل. المترجم.

"الانتقال إلى الجهة المعاكسة". ثم حقق حالة "hamsa"، أي البجعة، وهي مصطلح لحالة المجتَحين في الهند؛ لذلك يُمنح كل حكيم هذه الصفة للتشريف.¹ والبجعة رمز أو عنصر من عناصر أسطورة الكأس المقدسة التي تكون بحد ذاتها في حالة من التعليق بين طرفين إذ يحملها ملاكان معلّقان بين السماء والأرض. فالتعليق أيضاً جانب من جوانب الصلب، وهو الجانب اللاواعي للتجلي، وحالة من الانتقال، لكنه يعبر عن مصير الجسد بينما يعبر التجلي عن مصير "الجسد الدقيق". وهكذا يظهر الجسد الدقيق هنا في حالة من الصلب والتعذيب؛ وهي تعبر هنا عن حالة التعليق التي تسبق الولادة أو الخلق. ويمكننا رؤية هذا الرمز بشكل جميل جداً في نصّ "Edda"² الشعري، في فصل اسمه "Rumenkunde"، حيث يحكي لنا كيف اخترع "أودين" "الرونة – runes"، أي الأحرف السريّة الأبجدية الجرمانية المنسوبة إلى الرومانية، بينما كان معلّقاً على الشجرة.

أعرف أنني معلّق على شجرة

تجتاحتها الرياح تسع ليالٍ،

جريح برمح مكّرس لأودين

أنا نفسي ولنفسي.³

¹ تم تشبيه متساوين براهميين معنيين بالبجعة، hamsa، إذ ليس لهم منزل ثابت "في الوطن" لكنهم متساوون بالماء أو الهواء أو الأرض.

² Edda: نص شعري يصف مخطوطتين من آيسلندا تم نسخهما وتجميعهما في القرن الثالث عشر الميلادي. وهما المصدر الرئيس للأساطير والشعر الإسكتلندي الذي يربط بين الديانة الكونية الاسكتلندية والقبائل الجرمانية وتاريخها. و"أودين" هو إله الحكمة في الأساطير الإسكتلندية.

المترجم

³ نقرأ في كتاب "Edda" الأيسلندي عن الإله أودين، الذي اخترع "الرونة – الأبجدية الجرمانية" بينما كان معلّقاً على شجرة العالم، تلك الحكمة السريّة الساحرة الحميدة المنقوشة بخط مميز (هنري أنمز بيلوز، كتاب "نص إيدا الشعري – The Poetic Edda") (نيويورك، 1923)، انظر أعمال يونغ الكاملة، المجلد الخامس، صفحة 399.

إن حالة التعذيب بالتعليق إشارة إلى الجسد الدقيق. ويُفترض أن تلاميذ المسيح وبعض الناس الآخرين قد شاهدوا المسيح بعد صلبه؛ إذ ظهر جسده الدقيق في حالة التعليق تلك. والنتيجة هي إما أن يموت الشخص في حالة التعليق تلك ويظهر الجسد الدقيق عبر الموت، أو يخترع معرفة فائقة مشابهة لتلك "الرونة - runes".

كانت الأحرف أو فن الكتابة بمثابة اكتشاف رائع جداً بالنسبة إلى العقل البدائي. ولو تسقى لهم يوماً رؤية الكتابة، لأدهشهم للغاية. وأتذكر أنه عندما كان يُحضر لي أحد الزنوج رسالة أو نصّاً مكتوباً، كان الجميع يحيطون بي أثناء فتحها، وينظرون إليها من الأعلى والأسفل، وينصتوني إلى بانتباه لأنهم يعتبرون أن الورقة تتحدث مع السيد الأبيض؛ ويفترضون من وجهة نظرهم إما أنني أرى شيئاً فيها، أو أن شيئاً ما بداخلها يتحدث معي. لم يستطيعوا التخلص أبداً من فكرة أنه ما من رسالة موجودة سوى الرسالة المنطوقة شفهاً؛ فاكتشاف الأحرف، وتلك الانحناءات والدوائر، والعلامات السوداء التي تتحدث، كانت بالنسبة إلى الرجل الأسود أشبه بسحر خالص. وكان بإمكانهم طبعاً أن يفهموا الأمر عندما تُلتقط صورة لشيء ما لأن بإمكانهم أن يروها، لكن أن تكون تلك الانحناءات قادرة على نقل الصوت فهو أمر يتجاوز أفقهم. فلا يمكن لغير الإله أن يخترع شيئاً كهذا وهو في حالة تعذيب سماوي.¹

السيدة كرولي: أليس هذا هو المعنى الكامن خلف الفكرة السائدة في الشرق حول عدم الأكل؟ أليس ذلك بالنسبة للقديسين والناسكين بهدف تحقيق الحالة التي يستطيعون من خلالها استلام رسالة؟ ألا ترتبط بالفكرة العامة التي تقول إنهم غير قادرين على استلامها إلا بعد الصيام؟

¹ هنا أيضاً يشير يونغ إلى الوقت الذي أمضاه في كينيا عام 1925.

الدكتور يونغ: نعم، هذا هو الفهم الإيجابي للفكرة، لكن كثيراً من الناس لا يأكلون لأن الأكل يتصف بالشعبية أو العامة، أو يصومون أو يتناولون أطعمة خاصة لأن لديهم مقاومة للطعام العادي؛ إذ يوجد خلف ذلك فكرة تعتبر أنهم سيحققون شيئاً ما من خلال الصيام.

يشبه الأمر الاستخدام السحري للرموز المقدسة. إذ هناك استخدام صحيح وآخر خاطئ طبعاً. فأول اكتشاف للمندلات كان على يد عجوز حكيم عاش في كهف أو غابة لأنه شعر بالضجر الشديد من كثرة الأغبياء في المدينة، واكتشف هناك أشياء أهم بكثير من الأحاديث العامة البسيطة في القرى. فاستقرّ في مكان بعيد وتفحص المعجزات في ذهنه، وراودته أحلام مضحكة أيضاً لكنه توصّل إلى فكرة تقوم على أن الأشياء كلها يجب أن تكون محتواة بطريقة ما في دائرة تشبه الأفق المحيط به. فرسم دائرة كانت الشيء الأول؛ ثم وضع داخلها نقطة فاقترّب أكثر من الحقيقة، وتابع ملء الدائرة بصور عن العالم. ثم رسم أربع نقاط تشير إلى الشمال والجنوب والشرق والغرب، وقال في نفسه: "الآن تم ترتيب كل شيء بشكل جميل". لكن أعاقه عندئذ أشخاص عاديون فضوليون لديهم شهية روحانية إذ قالوا: "ما الذي يعنيه هذا؟ وما الذي يعنيه ذاك؟" وكان هو يفكر بالدوائر فأجاب: "لا يأخذكم الحماس بهذه الأشياء، دعوا الأمور تأخذ مجراها بشكل طبيعي". فاعتقدوا في تلك اللحظة أن الدوائر تتضمن حكمة عظيمة مما جعلهم يطلقون عليه صفة الحكيم. وبعد ذلك، راودت البعض فكرة تقول: "هل يمكننا الوصول إلى حكمة كهذه؟ نريد أن نكون حكماء مثله". ثم سأله عن حكمته فأجاب: "أنتم ترون العالم على هذا الشكل"، وبدأ يفسّر الأمر مستخدماً الدوائر والمربعات والمثلثات فقالوا في أنفسهم: "شيء رائع! علينا فقط أن نرسم هكذا مربعات ومثلثات، وهذا سيفي بالغرض". ثم باثروا برسم المندلات والتحديث والتأمل بها، ووضعوا أنفسهم بداخلها: نعم، هذا صحيح، لقد ملأهم العجوز بالحقيقة. وهذا مقنع جداً طبعاً لأن

المرء يؤمن بأنه إذا وضع نفسه ضمن الماندلا، فقد وضع نفسه ضمن الحقيقة. لكنهم لم يدركوا أنهم ابتعدوا عن الحقيقة. وهنا ممكن الرب: فعندما يفكر المرء بشيء معين ويعتبر أنه الحقيقة الأكثر إقناعاً، ويدخل نفسه في هذا الشيء، يكون قد ابتعد عنه في الواقع. لقد حذفوا أمراً واحداً وهو القسم الأعظم من العملية الكيميائية: بمعنى أنهم هم الحقيقة وليس الدائرة هي الحقيقة. فالحجوز قد رسم الدائرة خارجه وكان هو الحقيقة. وهم ظنّوا أنها الدائرة فابتعدوا عن الحقيقة. فالحجوز لم يدخل إلى الدائرة أبداً: لقد شكّلها بنفسه، وكان هو الدائرة. وهذا يشبه إلى حد ما السرّ في رثاء نيتشه للإله الميت في قصيدته بعنوان: "رثاء أريان". حيث ذابت "أريان" من الألم والحزن عندما اكتشفت اختفاء حبيبها ومنقذها "ثيسوس" في عتمة الليل، وتركها وحيدة على جزيرة ناكسوس. ثم ظهر الإله ديونيسوس، وشدها من أذنها وقال:

Ariadne, Du hast klieine Ohren,

Du hast meine Ohren,

Steck ein kluges Wort hinein,

Ich bin dein Labyrinth.

وتعني: "لديك أذنان صغيرتان، /هما أذناي؛ /ضعي فيهما كلمة متبصرة، /إنني متاهك". والآن هذا زارادشت.¹

كما قلنا سابقاً، إن حماية الجنة في شجرة مجوفة عبارة عن دفن بدائي؛ فغالباً ما يتم دفن الجثث في الأشجار أو فوقها لحمايتها من هجوم

¹ كان اسم أريان الذي أطلقه نيتشه على كوزيما فاخر، حبة الصرّي. "رثاء أريان" قصيدة شعرية من يضع مئات من الأبيات، تنتهي بظهور ديونيسوس في ضربة ببهاء الزمردة قللاً: يا أريان، كوني بقلّة!... لديك أذنان صغيرتان، لديك إنناي: ضعِي فيهما كلمة متبصرة – أليس على المرء أن يكره نفسه أولاً إذا أراد أن يحب نفسه؟... يا أريان! إنني متاهك!... يا أريان! كوني بقلّة" (النقطة هنا وضعها نيتشه نفسه، وليس إشارة إلى إخفاء أي شيء).

الحيوانات البرية. ولم تكن هذه العادات تحدث إلا في القبائل التي يسود فيها إيمان بالجسد وبوجوب حمايته والحفاظ على هيئته الواقعية، وهو نوع من الإيمان المصري الجيني بأهمية المادة الفيزيائية للجسد. فالمصريون كانوا قلقين جداً بهذا الخصوص، وقد وضعوا تماثيل كبيرة للملك في المعابد وفي قبره وفي كل مكان متاح بهدف التذكير بهيئة الميت. وأظن أنه كان هناك صلاة محددة للهدف ذاته بحيث لا يُسمح بنسيان ملامح الميت. كما كانوا ينقشون على التابوت سمات الميت للتأكد من عدم نسيان محتواه. لكن الدفن في شجرة مجوفة له معنى آخر. إن تصنيع التابوت على هيئة المومياء وعليها وجه الميت يعني أنه يهدف إلى ولادة جديدة؛ فلن يكون لهذا الشكل أية أهمية إذا لم يكن تحضيراً لإعادة ولادة الجسد. لذلك علينا الافتراض بأن الأشكال الأخرى التي كانت تمارس للحفاظ على الجسد تتضمن رمزية إعادة الولادة أيضاً. ولدنا ما يوازي ذلك في الميثولوجيا الجرمانية. فبينما كان نيتشه يكتب ضمن مساره الخاص في اللاوعي، استخدم بشكل طبيعي مادة نموذجية بدئية جرمانية، وفي الميثولوجيا الجرمانية تلعب الشجرة دوراً كبيراً. هل تعرفون أمثلة على ذلك؟

السيدة جايفر: "شجرة الدردار - Yggdrasil".

الدكتور يونغ: نعم، إنها شجرة العالم. يُفترض أن أول إنسان وُلدَ من شجرة الدردار، وآخر إنسان قبل دمار العالم يدخل الشجرة مجدداً ويتحول إلى شجرة دردار. فالشجرة أول من وهب الحياة للإنسان، وهي تابوته أيضاً وأكلة لحمه، مثل الأرض الأم التي وهبت الحياة في فجر البشرية، وتصبح في النهاية تابوت البشرية أو أكلة لحمها: إنها تأكل الميت.¹

¹ تجري الآلهة محاكمات يومية عند قاعدة الشجرة: "شجرة الدردار - Yggdrasil"، أضخم شجرة الفل شجرة، تنتشر أغصانها فوق العالم كله". جوزيف كامبل، كتاب "أقمة الله: أساطير غربية - The Masks of God: Occidental Mythology" (نيويورك، 1964)، صفحة 458.

السيد باومان: أعتقد أن هناك أسطورة مشابهة في الدين الفارسي.

الدكتور يونغ: في الكتاب المقدس الفارسي المعروف باسم "البندهشن - Bundahishn"، تم تمثيل الأيوين الأولين "ميشيا" و"ميشيان" بشجرتين أيضاً. وهي فكرة "هندو - آرية" كانت قليلة الأهمية بشكل عام، لكنها الأكثر إحصاءً في الأسطورة الجرمانية بإعادة الدخول إلى الشجرة التي ترمز إلى الأم. كما أن "mater sarcophaga" هي فكرة رمزية جميلة من منطقة "أتوريا" جنوب إيطاليا، وقد أشرت إلى هذا الرمز في كتاب "سيكولوجيا اللاوعي".¹ وهناك تمثال "déesse do Mort" في فلورنسا، والذي يُسمى "الإلهة ماتوتا" بلغة منطقة "أتوريا"، المجوّف المصنوع من الغضار رماد الميت في داخله، أي في معدته، مما يدل على دفن الميت مجدداً داخل الأم. فهذه شخصية بشرية بدلاً من الشجرة. ومن هنا نرى أن للدفن في الشجرة معنى إيجابياً يتعلق بالحفاظ على الجسد من أجل إعادة ولادة لاحقة. وبالتالي يمكن أن نستنتج من هذه الرمزية أنه قد يأتي يوم يُبعث فيه الجسد حياً من الشجرة من جديد. فتلك الشجرة في الغابة، ومنها سينبتق الجسد لاحقاً. كما يمكننا القول إن هذا الجسد كان في موقع العجوز الحكيم حامل الضوء، وكان نائماً في الغابة ينتظر يوم إعادة بعثه. ومن هنا يمكن أن نتوقع الجزء الثاني من هكذا تكلم زارادشت.

السيدة باومان: كنت أقرأ كتاباً مثيراً عن قبيلة في وسط أفريقيا يطلقون على أنفسهم اسم "رجال الشجرة" لأنهم اكتسبوا معرفتهم وشعائرتهم

¹ رويت هذه الحكاية عن أول إنسان قتله إله الظلام "أهريمان"، لكن من نطف الإنسان تم تشكيل نبتة مزروجة بجذر واحد. سيقان النبتة هذه كانت المرأة والرجل البدائيين. "البندهشن - Bundahishn" في النصوص البهلوية، كتب الشرق المقدسة، المجلد الأول، ترجمة: إي ديلوي ويست (أكسفورد، 1880 - 1897). لمعلومات عن كتاب "سيكولوجيا اللاوعي" انظر الأصل الكاملة، المجلد السابع.

السحرية من الأشجار التي يفترضون أنها قديمة جداً وتعرف كل شيء عن الوجود. ويعرفون أن الحياة عبارة عن دائرة تكرر نفسها.

الدكتور يونغ: هذا مثير للاهتمام. يمكن قراءة المثلث نفسه في كتاب "تالپوت" بعنوان "ظل الأجمة".

الآنسة وولف: تحدثنا منذ أسبوعين عن "النقل" الذي يختلف بشكل كبير في هكندا/ تكلم زارادشت عما هو عليه في الأساطير المسيحية أو الميثرائية. حيث رفع زارادشت الجثة ووضعها في الشجرة، ثم استلقى على العشب؛ لكن ثمة تشابه طفيف هنا مع المسيح على الصليب.

الدكتور يونغ: ربما تكون حالة من التعليق.

الآنسة وولف: نعم، والصليب هو شجرة، أي رمز للموت وإعادة الولادة.

الدكتور يونغ: وهناك التقاليد القديمة التي تقول إن الصليب مصنوع من خشب شجرة الجنة، أي من شجرة الحياة والمعرفة، ومن هنا يتم تمثيله معلقاً على شجرة الحياة التي تعبّر عن الشيء ذاته بطبيعة الحال.

السيد باومان: أودّ أن أطرح سؤالاً آخر حول نيتشه. لقد لعبت فكرة إعادة الولادة دوراً كبيراً منذ عشرين سنة مضت، إذ ساهمت في شهرة كتابه حيث بات الجميع يتحدثون عن فكرة "العود الأبدي". والسؤال هو لماذا تركت فكرة العود الأبدي انطباعاً من هذا النوع في تلك الأيام؟

الدكتور يونغ: تعود فكرة العود الأبدي إلى القرن التاسع عشر، عندما نشرها "هورنير" من أرشيف نيتشه بعد إصابته النهائية بالجنون. حيث جمع "هورنير" جميع المخطوطات ووضعها في ملف يضمّ فكرة نيتشه عن عودة الأشياء. وكان لدى نيتشه حدس بعودة الأشياء الخارجية؛ صدمته فكرة أن العالم يجب يكون محدوداً، مما يحدّ عدد الاحتمالات بالضرورة، ولا بدّ أن تعيد الأشياء نفسها. وبعد قفزات معينة للزمن، أي بعد وقت لا

يمكن حسابه طبعاً، لا بد أن تعود التركيبة كلها، وعندئذ يمكن للمرء أن يقول: "نعم، أريد مرة أخرى أشياء أبدية". تلك هي فكرة العود الأبدي الرئيسية، وهي طريقة غريبة للتعبير عن إعادة الولادة.¹ كما أنها ترجع طبعاً إلى "قول نعم للحياة" والاعتراف بها بشكل إيجابي، بالإشارة إلى الحياة التي لعبت دوراً كبيراً في الجزء الثاني من كتاب *هكذا تكلم زرادشت*. فهي تعود إلى المرحلة الديونيسية من طقوس تلقينه؛ كما أنها عبارة عن مشاعر إعادة الولادة التي رافقت الوحي الديونيسي.

السيد باومان: لماذا حازت على هذا الاهتمام الكبير؟

الدكتور يونغ: لأنها كانت قضية ذلك الوقت، تلك الحقبة الفيكتورية التي أصبح كل شيء فيها قاسياً، وكان لدى الجميع أمل بفورة نارية كبيرة أو حركة حماسية أو ما شابه ذلك. ثم جاءت الحرب، تلك المأدبة العظيمة للموت، حيث يمكن للناس أن يزيتوا أنفسهم بالورود. كما هو حال النمل الأبيض عندما تأتي لحظة تليده العظيم بالحياة: عندما يفسس النمل الأبيض كله، وتنتفح التلة ويخرج منها النمل الأبيض جماعات فتلتهمه الطيور والحيوانات. هنا يضيع كل شيء؛ فهي تضحية كبيرة جداً، وتقدمة عظيمة للآلهة. يا له من رمز عظيم! والقوارض في النرويج تفعل الشيء ذاته؛ فعندما تمتلك الشجاعة الكافية بسبب كثرة أعدادها، تلتهم المدينة كلها، ثم تتلوى بمسارها مبتعدة نحو الغرب بحماسة عظيمة متجهة نحو البحر لتموت. يا له من أمر محزن! (ثم قرأ يونغ الفصل التاسع، بعنوان "عن دعاة الموت):

¹ أشار نيتشه إلى أن فكرة "العود الأبدي للشيء ذاته" هي "الفكرة الأساسية لـ"صلي"، وأنها قد خطرت بذهنه في شهر آب/أغسطس عام 1881 بينما كان يتجول في غابة على ضفة بحيرة "سيلفيلاتنا". انظر كتاب "العظم المرح" وكتاب "هكذا تكلم زرادشت"، الفصل الأول.

هناك من يعظون بالموت: الأرض مليئة بأولئك الذين ينبغي وعظهم بالإعراض عن الحياة.

الأرض مليئة بالفائضين عن الزنوم؛ وفسدت الحياة بسبب الفائض من الفائضين. عسى أن يتخدعوا بالحياة الأبدية فيرحلوا عن هذه الحياة! يصف الناس الوعظين بالموت "بالصفر أو السود". لكنني سأظهرهم لكم بألوان أخرى.

إنهم المرعبون الذين يحملون في أعماقهم حيوانات مفترسة، ولا خيار لديهم سوى الشهوة أو تمزيق الذات وتعذيبها. لكن حتى شهوتهم تعذيب للذات أيضاً.

لم يبلغ أولئك المرعبون منزلة الإنسان بعد: فليعضوا بالإعراض عن الحياة، وليرحلوا عنها!

نوو الأرواح المسلوطة هم هؤلاء: لا يكاد أحدهم يولد حتى يبدأ بالموت، والتوق إلى تعاليم الزهد والتراخي والتنازل.

يرغبون بالموت، وعلينا أن نقبل برغبتهم! لنحترس من إيقاظ أولئك الأموات، ولنحترس من تحطيم تلك النعوش المتحركة!

إذا ما التقوا بمريض أو عاجز أو جثة، يقولون في الحال: "باطلة هي الحياة!"

لكنهم هم الباطلون وكذلك أعينهم التي لا ترى من الوجود إلا جانباً واحداً.

تلقهم كآبة ثقيلة، ويتوقون إلى مصادفات صغيرة تجلب الموت؛ هكذا ينتظرون ويصرون بأسمانهم.

أو ينقضون على قطع الحلوى، ويسخرون في الوقت نفسه من طفوليتهم: يتعلقون بقشة حياتهم، ويسخرون من تعلقهم بتلك القشة.

تقول حكمتهم: أحقق من يظنّ على قيد الحياة، لكننا حمقى للغاية!
وهذا هو الأكثر حمقاً في الحياة!

"الحياة مجرد معاناة"، هكذا يقول آخرون، وهم لا يكذبون. ولا شيء سوى عذاب هذه الحياة – هكذا يقول آخرون، وهم لا يكذبون: فلماذا لا يضعون حداً لهذه الحياة! لماذا لا يضعون حداً لحياتهم إذا لم تكن سوى معاناة!

هكذا تقضي تعاليمهم: "عليك أن تقتل نفسك بنفسك! عليك أن تنجو بنفسك من نفسك!"

"اللذة خطيئة" – هكذا يقول بعض الواعظين بالموت – "لفتنّحْ جانباً ولا نتجنب ولداً!"

"إنجاب الأولاد مرهق"، هكذا يقول آخرون، "لماذا الإنجاب إذاً طالماً أن المرء لا يُنجب سوى التعساء!" هم أيضاً يعطون بالموت.

"الشفقة أمر ضروري"، يقول آخرون، "فلتأخذوا ما لدي! ولتأخذوا ما أنا عليه! وبذلك يتضاءل ما يربطني بالحياة!"

وإذا ما تغلّغت الشفة في صميم ذاتهم فسينذلون جهدهم لدفع سواهم إلى كره الحياة. سيكونون شرّيرين – وسيكون ذلك هو خيرهم الحقيقي.

لكنهم يريدون التملّص من الحياة؛ لا يضبرهم أن يقيدوا الآخرين بقيودهم وهباتهم.

وانتم أيضاً أيّها الذين ليس في حياتكم إلا الجهد والكَد والقلق: ألم تتعبوا من الحياة؟ ألم تنضج نفوسكم لكي تعظ بالموت؟

أنتم جميعاً يا من تفضلون العمل الشاق، وكل سريع وكل جديد وغريب – أنتم لا تحتملون أنفسكم، وما اجتهدك سوى هروب من الحياة، ومحاولة للفرار من الذات.

لو كنتم تؤمنون أكثر بالحياة لقلّ تكريس أنفسكم للحظة الحالية. لكن ليس لديكم في أعماقكم ما يكفي من المحتوى للانتظار – ولا حتى للكسل! يصدح صوت الواعظين بالموت في كل مكان؛ وتكتظ الأرض بأولئك الذين ينبغي وعظهم بالموت؛ أو "بالحياة الخالدة": فلا فرق عندي بينهما – لكن شريطة أن يسرعوا فقط بالرحيل! هكذا تكلم زارادشت.

تعاملنا للتو مع أوجه مختلفة للدفن، لكن ثمة نقطة واحدة ترتبط بعنصر التعليق لم تكن واضحة في ذلك الفصل، وأعني هنا الجانب الإبداعي للتعليق، والجانب الإبداعي للجوع والصيام أيضاً. فالمرء لا يمارس التضحية والدفن والصيام وما إلى ذلك بهدف تجنّب شيء معين أو لغاية غامضة بل هي أعراض أو متممات ضرورية لحالة إبداعية. سوف يتماهى المبدع بالضرورة مع ما سيبدعه. وسيتماهى مع حالة محتويات اللاوعي التي تكون في حالة ولادة. تكون محتويات اللاوعي معلقة، تكون في حالة مغاض، ويتماهى الوعي المبدع مع تلك الحالة. لذلك يضع المبدع نفسه في حالة التعليق، أو حالة التعذيب، بغية تجسيد محتويات اللاوعي. فهذه فكرة هامة جداً علينا أن نكون واضحين فيها لكي نفهم ما هو آت. كانت حالة الدفن التي مرّ بها زردشت حالة تضحية معلقة، وهي في الوقت نفسه فترة حضانة لولادة قادمة. لقد كان رأسه إلى جانب الشجرة عندما غطّ في النوم، وهي وضعية رمزية تشير إلى أن الشجرة والجثة الموجودة فيها محتواة في رأس زارادشت، أو قابضة على رأسه. ومن الممكن أن نتخيّله منتصباً تماماً بينما الشجرة وما تحتويه من جثة لا مرئية، قابضة فوق رأسه، ممثلة المحتويات التي ستولد من جديد. لقد تم دفن الجثة بوجود فكرة إعادة البعث، وهي عقلية بدائية بالطبع. إذ يتم تخصيب الأم عبر وضع الجثة فيها، وهي ستعمل على تحوّلها ومنحها ولادة جديدة في الوقت المناسب. يبدو

الأمر كما لو أن أحدهم وضع بذرة نبات في الأرض، وهي الرمزية القديمة الموجودة في كل التراتيل الكنسية التي تقول: تلاشت البذرة في الأرض وانبتقت نبتة جديدة؛ سيظهر قمح أخضر بدلاً من البذرة المدفونة. فالدفن في الوقت ذاته عبارة عن تضحية تمهيدية تغري الأم أو اللاوي بالولادة. ويبدو الأمر كما لو أننا نطعم الأرض الأم آكلة لحوم البشر لحماً بشرياً لتمارس عملية الخلق، أو لتمنح الجسد احتمالات اللاوي المعلقة.

ربما تكون محتويات لاوعينا إمكانيات محتملة لكنها ليست كذلك حتى الآن، وذلك لأنها لا تمتلك الوضوح والدقة؛ فهي لا تظهر إلا عندما تصبح واضحة ودقيقة. وما من شيء محدد بدقة في اللاوي: طالما أن الشيء موجود في اللاوي، فلا يمكننا قول أي شيء عنه لأن الوضوح لا يظهر إلا مع ظهور المادة. ووفقاً للفلسفة التانترية، تُعتبر المادة وضوح الفكرة السماوية، أي فكرة الخالق. وهذا مجرد إسقاط سيكولوجي لأنه إذا لم تستطع فكرة الشخص أن تكتسب جسداً، تبقى فكرة غير واضحة. ويعني اكتساب الفكرة للجسد أن ينطقها الشخص ويرسمها ويظهرها ويجعلها واضحة أمام أعين الجميع. فعندما يتحدث الإنسان، يترجم أفكاره إلى نبضات أو الهواء الصوتية، مما يعني تحريك الهواء؛ أي أن يهزّ هذا الإنسان جزيئات الهواء بالأمواج الصوتية. وبالتالي تنتقل الفكرة بهذه الطريقة وتظهر بكلمات منطوقة. فعندما يرسم الفنان لوحة، يستخدم مواد مختلفة تسمى ألواناً، ويمزجها بالماء أو الزيت ثم يرسم شكلاً يعبر عن الفكرة؛ أو يمكن القول إن الفكرة تستوعب المادة أو تجذبها لتجعلها تظهر. وهكذا عندما يصبح أمر ما واضحاً في رأسي، أفترض أنها العملية ذاتها؛ أي أفترض أن الفكرة التي كانت تتسم بالغموض بدأت تجذب عناصر يمكن إدراكها، وأشياء قابلة للفهم، وتجمعها بروابط يمكن رؤيتها أو روابط يمكن رؤيتها وسماعها ولمسها والإحساس برائحتها. فتصبح الفكرة مرئية كأية صورة

مرئية أو لوحة؛ أو يكون لبعض الناس روابط صوتية تجعل الفكرة مسموعة بالنسبة إليهم. كما تكون للبعض حركية: يمكن التعبير عن الفكرة بحركات معينة كالرقص مثلاً. ولللبعض الآخر روابط مختلفة مجتمعة معاً. لذلك فإن أفكار البدائيين في أصلها عبارة عن أشياء ملموسة تقريباً.

ثمة كثير من الأمثلة عن ذلك. ففي الكيمياء مثلاً لديك رؤى "كيكول" عن الثنائيات الراقصة التي أدّت لاكتشاف حلقة البنزول الشهيرة.¹ إذ يمكن للمرء أن يعرف بنفسه أنه متى اكتشف المرء فكرة معينة، تكون نوعاً من إضفاء طابع مرئي، أو انعكاس آخر، أي أنها جسد. ويمكن حتى لأمراض معينة للجسد أن تصوّر طبيعة الفكرة؛ فهي قد تكون تمثيلاً لا يمكن ابتلاعه ببساطة. فالشيء الذي لا يمكن قبوله يتمثل بتشجّع في الحلق مثلاً، وقد يبلغ مرحلة لا يستطيع المرء فيها أن يتناول طعامه. وقد عالجت يوماً حالة كهذه لرجل تحوّل إلى ما يشبه هيكل عظمي؛ إذ لم يكن بمقدوره تناول أكثر من كوب حليب يومياً، وقد يحتاج ساعتين لإنهاء كل كوب لأنه عندما يرتشف كمية كبيرة من الحليب يرفضها الجسد، ولهذا يرتشف الحليب ببطء. ثم أنهكه التعب وغدا خائفاً من الموت. ومع عدم وجود من يستطيع التعامل مع حالته، وصل هذا الرقيق المسكين أخيراً إلى ساحر. فكما ترون، لا يتم اللجوء إليّ إلا كمالأخيراً عند الوصول إلى حافة الموت. فأنا شخص غير علمي بالمطلق لدرجة أنه لا يمكنني علاج سوى حالات كهذه. وبالتالي عندما أصبح هذا المريض بين يدي استفسرت عن أحلامه، وعرفت طبعاً أنه لا يستطيع ابتلاع أي شيء، وأن لديه مقاومة كبيرة لابتلاع

¹ فريدريك أوغست كيكول فون سترانويتز (1829 - 1896)، كيميائي عضوي ألماني، كان يستحضر في الحلم حلقة جزيئة البنزين. انظر الأعمال الكاملة، المجلد الثالث عشر، الصفحة 143، والمجلد السادس عشر، صفحة 353.

شيء ما؛ لكن أحلامه قادني إلى ذلك الشيء. كانت تراوده أحلام تظهر فيها خطيبته أمامه كعاهرة، فطلبت منه أن يعود إلى بيته ويسأل أحد أصدقائه عن رأيه بتلك الفتاة. وكانت إجابة أول شخص طرح عليه السؤال: "هي عاهرة طبعاً، والجميع يعرف ذلك؛ إنها فتاة وقحة وسهلة المنال". كان لها علاقات جنسية مع رجلين آخرين بينما كانت مرتبطة به. فهذا ما لم يرغب بمعرفته؛ إذ كان مقتنعاً بأنها من أنقى العذارى، ومن أفضل العائلات. وبعد غياب دام أسبوعاً كاملاً وصلتني منه رسالة مليئة بالمرارة تقول: "أستطيع تناول الطعام الآن! كنت على حق تماماً. عليّ الانسحاب من هذه العلاقة. أعتقد أنني شفيت، لك فائق احترامي". هكذا يستطيع المرء أن يرى مشاعره: هو لا يحب هذه الفكرة، لكنها الثمن الذي ينبغي دفعه من أجل الشفاء. وهكذا فإن الأفكار المعلقة تعبر عن نفسها بسهولة في الجسد عبر اضطرابات جلدية معينة مثلاً، أو اضطرابات عصبية تتمثل ربما بفقدان الإحساس؛ وتظهر أيضاً في اضطرابات شائعة جداً في المعدة والأمعاء ونوبات الإسهال والإمساك. فالشخص الذي لا يريد الاستغناء عن شيء ما يُصاب بحالة إمساك شديد. ثمّة شيء طريف جداً كهذا الأمر، وكوميدي للغاية، وواضح جداً لدرجة لا يمكن للمرء أن يصدقه. ولأننا لا نميل أبداً إلى تصديق الأشياء الواضحة؛ نعتقد دوماً أنه لا بدّ للحقيقة أن تكون معقدة جداً ومتقنة. وإذا قال أحدهم عن شيء ما إنه بسيط، يعتقد الجميع بأنه ليس حقيقياً. كان فنّ بسمارك الرائع يقوم على قول الحقيقة البسيطة السهلة التي لا يصدقها أي شخص، وبالتالي لم يصدّقه أحد.

لدى حالة التعليق هذه أثرها على محتويات اللاوعي التي يمكنها أن تستوعب المادة بالشكل الذي تكون عليه؛ فهي تلتهم الجسد المضجى به لتتمكن من تجسيده أو جعله يتخذ هيئة شخصية معينة. وهكذا نرى أن الشخص المبدع يهمل جسده أو ينساه تماماً، ويكرّس كامل جسده لصالح

المحتويات المعلقة. كما سيكتب عملياً كل شيء كما يقول فرويد. كما تتلاشى اضطراباته وانشغالاته كلها كما لو أنها لم تكن موجودة أساماً، وتبقى الفكرة وحسب. ومثالنا على ذلك الفنان الفرنسي "بالييمي" الذي اخترع طلاء الفخار.¹ لقد حاول على مدى سنوات وكان الفشل حليفه، وأنفق كل ما لديه على هذه العملية. ثم فكّر بطريقة مختلفة كانت تحتاج إلى حرارة معينة. لكن لم يتبق لديه الحطب اللازم. لذلك أشعل أثاث منزله، وكل ما هو مصنوع من الخشب فيه، وعندما أحرق آخر ساق خشبية لآخر كرسي في الموقد، أصبح الطلاء جاهزاً. هذا مثال عن طريقة عمل دماغ المبدع؛ حيث يدفع آخر ساق خشبية من آخر كرسي في القرن قبل الوصول إلى النهاية المرجوة. لكن على الإنسان أن يضحي بالكثير طبعاً؛ وربما عليه أن يضحي بسعادته في الحياة. فإذا تفحصنا حياة معظم الذين نجحوا في حياتهم، وأعني هنا حياتهم الواقعية وليس ما هو مكتوب في سيرهم الذاتية المزعومة الكاذبة عادة، نرى أنهم خسروا الكثير من سعادتهم ثمناً لنجاحهم.² وعلى النقيض من ذلك، يعيش الفاشلون حياة جميلة جداً؛ ويمكن أن يكونوا سعداء. فعادة ما يُدفع ثمن ما هو خارج عن المألوف. ولن تكون مخطئاً إذا لم تحسد الناجحين أياً كانوا لأن النجاح يكلف الكثير. وإذا كنت تظن عكس ذلك، فأنت لا تعرف؛ أحدهم دفع الثمن.

وهكذا فالأفكار المعلقة التي يجب أن تخرج إلى العلن وترى النور لا يمكن أن تظهر إلا عندما ينفصل الشخص عن الجانب الآخر، أي جانب الجسد، بحيث يمكن للفكرة أن تخلق جسداً تظهر من خلاله. إن الفكرة أشبه بكائن مستقل بذاته، كائن يريد الجسد بإلحاح لدرجة أنه ينبعث في

¹ فنان فرنسي وصانع فخار (1515 – 1589).

² غالباً ما يكون لدى المرء انطباع بأن الشخصية المبدعة تكبر على حساب الإنسان.... يمكن للقوى الإبداعية أن تتحول بسهولة إلى قوى تدميرية" (الأعمال الكاملة، المجلد السابع عشر، الصفحة 244).

الجسد؛ حيث يبدأ الشخص بأداء الفكرة، ويعتبره الناس مجنوناً تماماً. فالفكرة تستحوذ على الشخص لدرجة يبدو فيها وكأنه فقد عقله. وهكذا يأتي بعد حالة من هذا النوع إنتاج معين بالتأكيد. ولو كان ممكناً إجبار الناس على إهمال الجسد، أي دفنه بمعنى آخر، فسيخلقون على الأرجح جسداً في أذهانهم، وأفكاراً لها قيمة العناصر الملموسة فعلاً؛ لأن من الممكن للمرء طبعاً أن يضيفي على الأفكار طابعاً ملموساً. هناك وسائل سحرية في جميع طقوس البدء الدينية القديمة. ويُعتبر الصيام جزءاً من أي إجراء طقسي، وكذلك الجلد وأنواع التعذيب الأخرى التي تزداد فيها خصوصية خيال البدائيين. فعندما يُخضع البدائيون الشباب لطقوس البدء، يجعلونهم يعانون ألماً مبرّحة، وذلك لمحاصرة الجسد ودفعه إلى حالة من اليأس بحيث ترسخ الأفكار التي يتعلمونها في الوقت نفسه على الجسد والوجود، وبما أنها مترافقة مع معاناة الجسد وتعذيبه، لن يعود بالإمكان نسيانها إطلاقاً.

إذا ضربك المعلم في المدرسة بشدة أثناء تعليمك موضوعاً معيناً فسوف تحتفظ بهذا الموضوع في الذاكرة دوماً. إذ كان ذلك جزءاً من النظام التعليمي القديم. لقد ترعرعت في الريف، وكان لمعلمي في المدرسة طريقة رائعة بتعليم الأحرف الأبجدية. كنّا ثمانية طلاب في كل مقعد، ولدى المعلم سوط مصنوع من جديلة ثلاثية من أغصان شجر الصفصاف. وقد اعتاد المعلم أن يكتب حرفاً على السبورة كالحرف "آي - A" مثلاً، ثم يلفظ الحرف ويهوي بالسوط على ظهور الأولاد الثمانية. ونحن نعرف تماماً أن التعليم الابتدائي في العصور الوسطى كان يقوم على الضرب. وكان الوضع أسوأ بكثير مع البدائيين؛ إذا كانوا يلحقون الأذى بالأولاد أثناء الدروس. لا بدّ أن يكون تعليم البدائيين صارماً كي لا ينسوا ما تعلموه، فهم ينسون بسهولة. وهذا الإجراء، تصبح الفكرة مرتبطة بالجسد. إنها تتجسّد وتصبح

واقعا مثلما انبثقت فكرة "الرونة" لدى "أودين" عندما كان معلقاً على الشجرة. لقد سقط مع الفكرة كما التفاحة عن الشجرة بعد نضجها. كانت الأفكار كالتفاحات التي نضجت على الشجرة، وكان هو التفاحة. كان الكلمة، أو الفكرة، بالطريقة التي أطلقَ فيها على المسيح اسم "اللوغوس"؛ لقد كان متماهياً مع "الكلمة"، كلمة الله. وهكذا مع الفصول التسعة كلها يظهر مجدداً تحوّل الإنسان إلى فكرة، وتحوّل نيتشه إلى زارادشت، ودفن نيتشه الإنسان. سيكون هو آدم الأزلّي والقيامة مع المسيح وفقاً للصيغة المسيحية، لكنه أصبح هنا كائناً شبحياً أو روحياً. فعندما يأخذ البدائيون شباهم اليافعين إلى منزل الرجال في الأجمة، يخبرونهم بأنهم يُقتلون في ذلك المكان؛ يُخبرونهم بأنهم يموتون في هذه الليلة ولم يعودوا كائنات بشرية عادية بل نوعاً من الكائنات الروحية أو الشبحية، ثم يعطونهم أسماء روحية أو شبحية جديدة، أي أسماء طقسية سرّية. ثم وبطريقة غريبة تتغيّر طبيعة علاقاتهم مع عائلاتهم بعد العودة فلا يُسمح للأُم أن تنظر إلى ابنها ولا يُسمح له أن يرى أمه. وهذا يشبه إلى حد ما موقف المسيح من أمه وأمهات تلاميذه: "دع الموتى يدفنون موتاهم"، وما إلى ذلك. لم يعد ابن إنسان بل ابن الله. فالفكرة الأساسية في الطقوس السريّة كلها هي أن يولد المرء من جديد بهيئة روحية أو شبحية.

هكذا اكتسب زارادشت هيئة شبح عبر دفنه الإنسان؛ فقد سار في عالم جديد أدهشه، وكان أشبه بالبحار الذي يكتشف أرضاً جديدة. أما الضوء الساطع الذي ظهر فهو الفكرة التي تعتبر أن المرء يستطيع أن يستبدل جسده بالرفاق أو الأصدقاء أو من يودّون المساعدة بحيث لا يعود معزولاً بل يتخذ آخرين رفاقاً له. فإذا لم يمتلك الناس سوى الأجساد، لن يتم التواصل إلا من خلال الجسد؛ لكن إذا وُلدوا من جديد بهيئة أشباح أو أرواح، سيصبحون واعين لإمكانية التواصل عبر الهواء. ففي المجتمعات

السرية البدائية يتم استحضار الرجل الشبح. وفي فترة لاحقة، ظهرت كنيسة أو جماعة دينية معينة تأسست على استحضار شبح معين. وما أطلقنا عليه اسم حركة دينية، كان أساسه من سيكولوجيا المجتمعات السرية البدائية المبكرة. فزارادشت هنا لا يعي فقط الحاجة لاستبدال خسارة الجسد بجماعة روحانية أو تواصل روحي، بل يعي أيضاً إمكانية حدوث ذلك. وهذه فكرة مسيحية مميزة للغاية طبعاً تقوم على إحراق آدم القديم، أي الجنة، ثم تأسيس عائلة جديدة، وعلاقة شبحية جديدة، أي علاقة بالروح. ثم قال زارادشت إنه لا يحتاج إلى رفاق موتى، ولا جنث ترتبط به، بل يحتاج أحياء يتبعون أنفسهم. وهذا ما أرادهم أن يفعلوه. لكن ما أهمية هذه العبارة الآن؟

السيدة فيرتز: كان على المسيحيين أن يتبعوا المسيح، وهنا عليهم أن يتبعوا أنفسهم.

الدكتور يونغ: نعم. وتقول السيدة كيرش إن على كل شخص أن يحمل صليبه الخاص وليس صليب شخص آخر. والحقيقة هي أن على المرء دوماً أن يفرق بين الآثار الباهتة التي لا تزال موجودة من المسيحية الأولى بأفكارها المختلفة، والمسيحية التاريخية التي تمثل الحقيقة السيكلوجية الفعلية التي نواجهها. وبسألني الناس غالباً لماذا أرسم تلك اللوحة غير المرغوبة عن المسيحية لأنهم يعتبرونها غير صحيحة. وعندما أرسم لوحة حقيقية تمثل حالتنا الاقتصادية الفعلية، يسألون لماذا أصورها بتلك الفظاعة. إن فكرتهم عن الحالة الاقتصادية الحقيقية هي الازدهار طبعاً. وما أفهمه أنا من الازدهار هو حالة مفضلة يكون فيها الجيب مليئاً، وهناك حساب جيد في البنك، لكن ليس هذا ما نفعله في هذه الأيام. فهذه الصيغة هامة للغاية لأنها توضح دفعة واحدة معنى *مكنك* / *تكلم زارادشت* كله: تقول إن على كل شخص أن يتبع نفسه، فهذه هي الطريقة الوحيدة التي يتبعونها

فيها. نستطيع أن نقارن هذه الصبغة مع نقيضتها في المسيحية الكاثوليكية التي تقوم على "التشبه بالمسيح"، والواردة في ذلك الكتاب الصغير الشهير الذي ألفه "توما الكمبيسي" ويقول فيه "اتبع المسيح ولا تتبع نفسك".¹ ويمكن أن نجد الصبغة ذاتها في الكنيسة البروتستانتية؛ حيث يسلم المرء ذاته بشكل كامل. فهذا ما يُسَمَّى التضحية بالذات، أي التضحية بوجهة نظر "أناك"، والتضحية بحياتك وعيش حياة المسيح. لكن هذا يعني في الواقع أن تلحق به وتتخلى عن مهامك واهتماماتك ومشاغلك، وهو أمر سهل نسبياً طبعاً. وبأي حال من الأحوال، هو أمر محترم ويستحق التقدير: هو أمر جميل، والكل يفعل ذلك، أو يقولون إنهم يفعلونه على الأقل.

لكن إذا حاولت محاكاة حياة المسيح، ستجد أن الأمر مستحيل. حاول وسترى. ثمة أشخاص حاولوا فعلاً لدرجة أن تظهر على أجسادهم الجروح والندب التي كانت ظاهرة على جسد المسيح. كما حاول القديسون أثناء حياتهم أن يتشبهوا بالمسيح. لكن إذا فعلنا ذلك، فإلى أين سنصل؟ علينا العمل طوال اليوم لنتشبه بالمسيح دون أن نترك أي لحظة لفعل شيء آخر؛ كما أننا لن نتكاثر، وستصل البشرية إلى النهاية السعيدة بعد جيل واحد، وينالون الخلاص. من غير الممكن طبعاً التفكير في شيء كهذا لكنهم مستمرّون بوعظ الناس بذلك: لا تعيش حياتك ولا تحمل صليبك، بل احمل صليب المسيح وافعل ما فعله وليس ما تريد أن تفعله. لكن زارادشت يناقض ذلك ويقول: "لا أريد رفاقاً من البشر يفعلون ما أفعله. أنا أتبع نفسي وأمل أن يفعلوا الشيء ذاته. وبذلك يفعلون ما أريد أن يفعلوه". ربما تعتقد أنها فكرة جديدة لكنها ليست كذلك، فهي من تعاليم المسيح لكنهم لم يفهموها. ومن فهمها منهم اهتموه بالهرطقة، ولو كان بإمكانهم أن يحرقوه حينها لفعلوا. وقد فعلوا ذلك لاحقاً عندما أصبحوا أصحاب سلطة،

¹ انظر اعلاه محاضرة 10 تشرين الأول - أكتوبر عام 1934.

فأحرقوا المهرطقين وسلخوهم أحياء. يقول "هيوكراتس"، لا يمكن نيل الخلاص من خطيئة لم ترتكبا.¹

ينبغي قراءة العهد الجديد بموضوعية. فعندما تحدث يسوع عما يجب أن تفعله لأخيك في خطبة الجبل، كان يعني فعلاً ما يجب أن تفعله لنفسك. وعندما قال إن ملكوت السماء في داخلك، كان يعني ذلك حقاً. هو لم يقل إن ملكوت السماء بينكم، كما يحاول لاهوتيو هذه الأيام أن يقتنعونا.² وقد صادف أن تحدثت مع لاهوتي معروف كان يصبر على أن ملكوت السماء شيء بيننا، أو أشبه بوسط نمسح فيه. وأشارت إلى النص الإغريقي الذي ترد فيه كلمة "entheos" والتي تعني "داخل الشخص"، حيث يؤكد جميع الأدباء الإغريق صحة هذه الترجمة. لكنه أجاب أن علينا ترجمتها في هذه الحالة الخاصة بمعنى "بيننا". هكذا يحدث التزوير؛ وهذا ما فعلوه بالعهد الجديد بشكل عام إذ يفصلون أشياء ويدمجون أخرى حتى تتخذ معنى مختلفاً تماماً. لكن كلمة "entheos" تعني "داخل"، وهذا ما قاله المسيح "مملكة السماء في داخلك، ولا فائدة من السعي إليها في الخارج.

لذلك على كل شخص أن يحمل صليبه، أن يحمل مشاكله وقضاياه ومعاناته الفردية بنفسه. ولو كان باستطاعتي أن أحمل معاناة شخص آخر، فسيكون ذلك سهلاً نسبياً. يعاني الناس أحياناً من مشاكل تافهة تتعلق بكيفية ضمان وظيفة معينة، أو كيفية التعرف على أشخاص

¹ يعتقد "الانتينوميسمت - Antinomists" - الذين يؤمنون بأن الخلاص ليس مرتبطاً باتباع الشريعة الأخلاقية الواردة في الوصايا العشر - أنه طالما لا يوجد خلاص من دون خطيئة، فلا حاجة بالإنسان إلى الزهد. لكن "الإنكراتيتس - Enkratites" - طائفة زاهدة من القرن الثاني، كانت تعرض على الزواج، وتمتنع عن تناول اللحم - من الجهة الأخرى، كفوا زاهدين بتطرف. انظر الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 25. ما تحته خط يعود للمترجم.

² "الإنجيل الاجتماعي - باعتباره دعوة للإصلاح الاجتماعي"، فسر عبارة "في داخلكم" على أنها تعني ضمن مجموعة، بين أفراد جماعة، وليس ضمن الشخص بمفرده.

معينين أو كيفية تأليف كتاب مثلاً، فإذا تبيّنت تلك القضايا وحملتها عنهم فلن تشكّل فرقاً بالنسبة إلي. كن محبّاً لذلك وسينتهي الأمر، فهذه أمور سهلة جداً وليس فيها أية مشكلة. إلا أنها تستهلك حياتهم دون أن يصلوا إليها. لكن هناك بالتأكيد أشياء لا يمكنني تحقيقها؛ فأنا مجرد مسكين غبي مثلهم. لكن لو أخذت عنهم مشكلتهم، لن تبقى أية مشكلة. لا تكون هناك مشكلة حقيقية إلا عندما تأتي المشكلة إليك، عندما تتحمّل مسؤولية حياتك الخاصة. فالمسيح كان يعني فعلاً أن على كل شخص أن يحمل صليبه، ويعيش حياته إلى نهايتها. إنها أشبه بطقوس بدء. وهي ليست طريقة للوصول إلى حالة مثالية، ولسنا طموحين إلى هذه الدرجة، بل هي طريقة لإتمام الحياة على الأقل. وهذا ما كان يعنيه زارادشت: إنها نواة تعاليمه. وبغض النظر عن المضاعفات المُرَضِّية كلها، فهي الرسالة الهامة لزمنا هذا. وأودّ هنا أن أذكركم أن هذه الرسالة الهامة ليست جديدة؛ فقد كانت هي الحقيقة دوماً متى لامستها، ومن هنا يمكن القول إنها الحقيقة الأكثر قدماً. وهي في واقع الأمر أقدم من الإنسان لأن كل حلزون أو حشرة أو نبات يعيش هذه الحقيقة؛ فكل كائن حي يعيش حياته. وإذا لم يكن على هذا النحو فلن تكون نبتة جيدة ولا حشرة جيدة ولا نمور ولا أسماك جيدة: ستكون في طريقها إلى الجحيم لأنها أفسدت ما خلقه الله.

المحاضرة الرابعة

31 تشرين الأول - أكتوبر 1934

الدكتور يونغ:

لدي سؤال من السيدة باومان: "في الفصل الرابع، وعظ زارادشت بقيمة الجسد. لكن بعد أن دفن جسده الآن لصالح الروح الحرة، هل نفهم بأنه لم يكن يدرك ما قاله سابقاً، أم هي عودة إلى الخلف ببساطة؟ تبدو القضية معقدة هنا. إذ لم يدرك نيتشه أنه كتب عن نفسه، ولم يكن زارادشت قادراً على التشديد على الجسد أكثر."

القضية ليست معقدة إلى هذه الدرجة. كان في رسالة زارادشت جزء يعظ بأهمية الجسد فعلاً، وإلا فلن يكون لها أساس؛ ولهذا كانت الفردانية التي وعظ بها في ذلك الفصل تتضمن الجسد. فلا يمكن الوصول إلى الفردانية إذا كنت روحاً؛ والأهم من ذلك أنك لا تعرفين حتى كيف تشعر الروح، لأنك تعيشين في الجسد. وبالتالي، إذا تحدثت عن الفردانية يوماً، فالمقصود بها بالضرورة فردانية الكائنات التي تعيش في الجسد، أي في الجسد الحي. ومن المفترض لها طبعاً أن تصبح حقيقة، وإلا فستبقى فكرة جيدة في الذهن، ويصبح المرء فردانياً لأن لديه فكرة كهذه في ذهنه. يظن الناس عادة أن الفكرة الجيدة يجب أن تنتشر في كل مكان، ولا يدركون أنها

أشبه بضجيج بسيط في غرفة صغيرة من منزل تحافظ بقية غرفه على هدوئها التام إن جاز التعبير. فالدماغ جزء صغير من الجسد. وتكون واهماً تماماً إن ظننت أن الفكرة الصحيحة في رأسك تعني الحقيقة؛ تكون حقيقة إلى المدى الذي تصل إليه حقيقة الفكرة؛ فالفكرة بحد ذاتها حقيقية، لكنها لا تصبح حقيقة في المكان. ولم يتم التعبير عنها بكيانك كله. وهكذا كانت فكرة زارادشت صحيحة من دون شك: لقد أدخل الجسد في عملية التفرد، وأصبرَ عليها لأنه من دون الجسد لن يبقى لديه سوى روح غير متجسدة. لكن بقدر ما كان زارادشت نفسه عبارة عن فكرة، وهو فعلاً روح نموذجية بدنية تمتلك فكرة صحيحة، فهو لا يمثل نيتشه الإنسان. كما أن نيتشه ليس الإنسان الأعلى لكنه تماهى بسذاجة مع زارادشت لأن النموذج البدني ابتلعه بشكل كامل من اللاوعي الجمعي. لقد شعر به بالحدس لأنه شخصية جذابة للغاية؛ ثم امتصَ حياته كلها وبات بإمكانه التخلي عن الجسد. واختفى الجسد الذي يمثل نيتشه الإنسان بكل بساطة خلف تلك الشخصية. وبالتالي لم يبقَ هناك من يستلم رسالة زارادشت. فهو يلقي رسالته الخاصة مستخدماً جسد نيتشه لتحقيق ذلك، بينما لم يعد لنيتشه الإنسان أي وجود. لم يستطع الوقوف أمام زارادشت لأنه ذاب بشكل كامل.

لو أنه اتخذ موقفاً معارضاً لزارادشت لحدث شيء آخر بالطبع وأصبح قادراً على فهم الرسالة. وما كان سيتحدث حينها كما لو أن زارادشت أو الإنسان الأعلى يتحدث بل كان سيقول: "لقد تحدثت الروح إلي". فالنبي الحقيقي لا يتماهى مع "يهوه" بل يدافع عن كلماته وحسب. النبي الحقيقي يتلقى الكلمة ويقول: إن يهوه قال كذا، وليس أنا. لم يفكر نيتشه لحظة واحدة بأن زارادشت عبارة عن روح بكل كرامتها وصحتها، فكان يتداخل معها دوماً. هو تلك الروح بطريقة ما، والرسالة الرائعة التي بلغها زارادشت

لم تصل إلى نيتشه الإنسان لأن لا علاقة له بتلك التعاليم لأنه لم يكن فرداً من الحشد الذي كان يصغي إليه. ولا يمكن أن تجد في كتاب *هكذا تكلم زرادشت* كله موقعاً واحداً ظهر فيه نيتشه فعلاً لأنه لم يكن في أي موقع بين الجمهور؛ كان هو المعلم لكنه لم يكن يصغي. فمن المفترض أن يظهر نيتشه الإنسان بين أصدقاء زرادشت أو مرديه. ولو صادفنا رسالة يقول فيها: "التقيت زرادشت، ورأيت"، أو "تحدث إلي"، لوصلنا إلى يقين بأنه مَيَّز نفسه عن زرادشت، وأصبح بإمكانه أن يفهم تعاليمه. كان سينظر إلى جسده ويسأل نفسه كيف يمكنه أن يترجم تعاليم زرادشت في حياته الشخصية. كانت الأمور مستخذ مساراً مختلفاً تماماً، وكنا سنشهد عرضاً مختلفاً عن المصير المأساوي الناتج عن حالة التماهي تلك. وبصرف النظر عن طبيعة تعاليم الروح التي يمكن أن تطرح أي نوع من التعاليم فالسؤال المهم دوماً هو ما إذا وصلت هذه التعاليم إلى الواعظ نفسه أم لا، وما إذا كان بإمكان أي شخص أن يجعلها حقيقية. هنا تكمن المشكلة طبعاً، فزادشت لم يستطع أن يجعلها حقيقة؛ وكان لا بدّ من البحث عن استطيع ذلك. من الصعب تنفيذ هذه التعاليم بشكل حقيقي لأنها تصلك في حياتك الشخصية للغاية، ولا يعود بإمكانك بلوغ مستويات عالية عندما تكون مهتماً بمشكلة كهذه.

السيد باومان: هناك أمثلة معينة أذكر منها دانتي الذي اختبر كل شيء مع "فيرجيليوس"¹. وكانا اثنين في تلك الحالة.

الدكتور يونغ: إنه مثال جيد. لقد مَيَّز نفسه عن "النشاط الديناميكي العقلي" فلم يكن متماهياً مع المرشدين الروحانيين. وكان فرجيليوس هو هذا النموذج البدني ذاته طبعاً، لكن التعاليم من نوع مختلف. فتلك رسالة

¹ هي "الكوميديا الإلهية - The Divine Comedy" (1318)، فرجيليوس أو (فيرجيل) هو مرشد دانتي - حتى الوصول إلى الفردوس، حيث لا يمكن لوثني أن يدخل؛ ثم بياتريس.

القرون الوسطى. لكن الفكرة المستقبلية تظهر عندما وصل دانتي إلى الفردوس، فعلى قمة الفردوس تحديداً توجد "الوردة الروحانية"¹، التي تشير إلى التفرد. تلك هي نهاية الماندلا المسيحية، والإدراك الأعلى للزمن، والوردة الروحانية التي تمثل المستقبل. وكان نيتشه، أو زارادشت، هو من تابع أو تبنّى ذلك الخيط الأبدي وطوره، وأتى بفكرة الوردة الروحانية إلى كينونة الإنسان. وبالطبع، سادت في تلك الفترة تعابير أخرى عن هذا الأمر: الفلسفة الخيمائية القروسطية، ومستر إيكهارت، وفاوست، والعديد من الأعمدة الأساسية الأخرى التي أدت إلى تحول العقل البشري أو السيكلوجيا البشرية.

لدينا سؤال من الأنسة حنة: "قال زارادشت في الفقرة الأخيرة من الفصل التاسع: "سأقفز فوق كلّ المترددين والمتلكنين"، ألم يكن يتماها حينها مع المهرج ويستغني مجدداً عن المعنى الإيجابي لهذا الفصل؟" كان يتماها بالتأكيد مع المهرج في هذا الفصل؛ فقد كان زارادشت بقدر ما هو المهرج. وتذكرون أننا تحققنا من ذلك في جدول العلاقات الذي أنشأناه حينها. إنه المهرج، وهو مدمر أيضاً طاملاً أنه يريد أن يقفز فوق نيتشه الإنسان، لأن ذلك "المتلكئ" هو الجسد الذي دفنه. الإنسان العادي القابع في الجسد هو شخص خامل: إنه متلكئ متردد، ولا يستطيع أن يتبع البدهيات الفائقة. لذلك سيقفز زارادشت فوق نيتشه الإنسان كما قفز المهرج فوق راقص الجبل. وتتابع الأنسة حنة: "بالإضافة إلى التصوّر الإيجابي للغاية الذي يقول: "اتبع نفسك"، يبدو لي أن ذلك الفصل يتضمن توصيفاً جيداً لمشكلة عدم قدرة أي إنسان أن يرقى إلى منزلة صديقي نيتشه، بما في ذلك هو نفسه".

¹ "الوردة الروحانية – mystical rose" هو أحد الألقاب الشعرية التي يُشار به إلى السيدة مريم العذراء في الديانة المسيحية. المترجم.

طالباً أن نيتشه متماوٍ مع زارادشت، فلا يمكن لأي شخص أن يكون صديقاً شخصياً له؛ إذ لا يمكن لأي شخص أن يتعامل مع حالة تماوٍ من هذا النوع لأنه يعني التضخّم. لا يمكن إقامة علاقة شخصية مع شخص يعاني التضخّم؛ فأَي شخص متضخّم هو شخص عُصابي، ومن المستحيل إقامة علاقة شخصية مع شخص عُصابي لأنّ من المستحيل لنا أن نعرف من هو الذي نتعامل معه. يكون العُصابي متردداً دوماً. يظن المرء أنه محقّ تماماً في افتراضه أمراً ما ثم يكتشف شيئاً آخر، لذلك تكون العلاقات كلها مزعجة على المدى البعيد. ويمكن للإنسان طبعاً أن يخدع نفسه لفترة معينة، ويعيش وهم أن لديه علاقة فقط مع الجانب الإيجابي للعُصابي، لكنه سرعان ما سيواجه الجانب السلبي أيضاً ويرى الخطأ. وهكذا فإن نيتشه المتضخّم بالنموذج البدني لزارادشت لم يكن إنساناً؛ فالشخص الذي يتلعه نموذج بدني من هذا النوع هو بالضرورة ليس إنساناً. إنه إنسان أعلى، لكن كيف لك أن تقيم علاقة مع إنسان أعلى؟ هذا مستحيل تماماً. من غير الممكن التعامل معه إلا بتجيله ككائن فائق، فلا يمكن أن أحتمي معه شراباً، ولا أن أتناول معه طعاماً على مائدة واحدة؛ من غير الممكن للمرء أن يتعامل معه إلا باعتباره هو السيد. هل أجبت على سؤالك يا أنسة حنة؟

الأنسة حنة: نعم، إلى حد كبير. لكن ما قصده هو: ألم يكن نفاذ صبره هو ما دَمّر فعلاً علاقاته وحياته؟ - نفاذ صبره من الحسد؟

الدكتور يونغ: يظهر نفاذ الصبر بقوة في شخصية زارادشت. إنه مستعجل وليس لديه وقت؛ يريد إيصال رسالته ولا يطيق الانتظار. وقد أشرت إلى فصل لاحق يظهر فيه وهو يهبط إلى الجحيم من فوهة بركان، ثم يسمع صوتاً يقول: "حان الوقت! لقد آن الأوان". فهذا يُظهر نفاذ صبره لتبليغ رسالته، كما لو أنه شعر باقتراب الموت وانهيار الدماغ الذي سرعان

ما بدأ. ويمكن رؤية آثار ذلك مباشرة في كتاب *"العلم والمرح"*، حيث ظهر أول عرضي من أعراض مرضه بعد أربع سنوات أو خمس فقط.¹ حدث ذلك مباشرة قبيل إغلاق الباب على موضوع قدرة زارادشت على إيصال رسالته. الدكتور هاولز: أنت لم ترجع ذلك إلى طبيعته الخاصة بل إلى الموت الذي كان ينتظره؟

الدكتور يونغ: أودّ القول إنه كان أيضاً حدساً بالموت. إننا مجبرون تقريباً على هذه الفرضية بسبب الإشارة الواضحة للكارثة في موت راقص الحبل؛ حينها تنبأ نيتشه بمصيره.

الآنسة حنة: ألم يكن بإمكانه أن يتفادى الموت لو أنه كبح نفاذ صبره؟ - لو كان أكثر مراعاة للحيوان البشري؟

الدكتور يونغ: كانت القضية ستختلف تماماً حينها؛ لكن لا يمكننا أن نعرف كيف كانت الأمور ستجري لو امتلك الرومان القدماء البنادق والبارود.

السيدة باينز: أظن أنك قلت في بداية السيمينار في الربيع الماضي إن القضية تكمن فيما إذا كانت الأحداث ستتحقق في اللاوعي الجمعي الصرف أم في الوعي الجمعي. فلو انفصل عن جسده كإنسان، هل نفترض أن ما تبقى من كتابه تحقق في اللاوعي الجمعي؟

الدكتور يونغ: نستطيع قولها بهذه الطريقة لكنه يحدث فعلاً في الوعي الجمعي. وبما أن كتاب *هكذا تكلم زارادشت* أصبح شيئاً يُكتب ويُقرأ، فهو جزء من الوعي. وطالما أنه يمثل اللاوعي الجمعي، يبدو كما لو أنه محتوى في الشخص أو الفرد؛ لكن بقدر ما أصبح يُروى ويظهر، فهو في الوعي الجمعي.

¹ يبدو يونغ هنا وكأنه لم يكن منتبهاً لتاريخ الأعمال بشكل مباشر. لقد أنهى القسم الأخير من كتاب *هكذا تكلم زارادشت* عام 1885. وبعد أن نشر عدة كتب، اكتمل العمل الأخير *"العلم والمرح - Ecce Homo"* قبيل انهيار نيتشه عام 1889.

لذلك فإن ما يحدث الآن يحدث في الوعي الجمعي لأنه حياة فكرة متجسدة. وهو لم يعد في اللاوعي الجمعي لأنه لو كان هناك لما عرفنا أي شيء عنه. السيدة بايتز: ظننت أنه كان أشبه بمضغّم صوت من اللاوعي الجمعي. الدكتور يونغ: هذا صحيح طبعاً لكنه أصبح وعياً جمعياً من خلال "الكلام". هذا الانتقال من اللاوعي الجمعي إلى الوعي الجمعي هو ما نسميه الوحي، وأي وحي يأتي فعلاً من اللاوعي الجمعي يشبه مكبر صوت لأنه يكون رسالة تَبْلَغ لكثيرين؛ فهو يصل لعدد كبير لأنه يعبر عن فكرة جمعية. لذلك نعتبر أن زارادشت أصبح جزءاً من الوعي الجمعي لأنه يعبر عن فكرة جمعية.

السيد باومان: هل يعني ذلك بالضرورة أنه لن يصل إلى وعيه الفردي؟ الدكتور يونغ: قد يكون بعيداً تماماً عن الفردانية. يبدو غالباً كما لو أن نيتشه لم يكن موجوداً، أو أنه لا يعرف ما الذي يقوله. فقد وصل الوحي لكثير من الناس لكنهم كانوا غير واعين أبداً، بل كانوا يتحدثون وكأنهم في حالة نشوة. ومن ضمن فرضيات البدائيين أيضاً أن الوحي يصل إلى جسد لاواعٍ يعيش حالة نشوة. حيث تستحوذ الروح بشكل مفاجئ على الشخص فيصبح غير واعٍ أو يدخل في حالة نشوة وينطق ما أوحى به الوحي. يلفظ الكلام الآتي من السماء ولا يعود قادراً أن يتذكر بعد ذلك أي شيء منه. كما أن معيار الوحي القادم من اللاوعي الجمعي أن يكون الشخص متوتراً للغاية أثناء وقوع الحدث؛ فغالباً ما يتصرف الطبيب المعالج المثالي بهذه الطريقة.

تحدثنا سابقاً عن طبيعة الرسالة واستمرارية الفكرة المسيحية. هي قانون مطلق لتطوّر الفكر الديني الذي يبدو وكأنه يتطور من تلقاء نفسه. فعند سوية وعي معينة يتم التعبير عن الفكر الديني بعدة آلهة أو شياطين أو صور يكون لكل منها سيرته الذاتية الخاصة حيث تم تشكيلها بهذه الطريقة أو تلك؛ وولدت في هذه العائلة أو تلك، وفعلت هذا أو ذاك، وكانت

لهذه الغاية أو تلك. ويُفترض بكل ذلك أن يتخذ هيئة أحداث فعلية سواء أوقعت فعلاً أم لم تقع؛ يقال مثلاً إن الآلهة تعيش في جبال الأولمب، أو تعيش في أشجار معينة أو في أي شيء من هذا القبيل. ويتضمن هذا الظهور الملموس للآلهة الخطوة التالية، أي الشكل الديني التالي، بطريقة رمزية. إن ما تفعله الآلهة، أو ما يحدث معها، يمثل في الوقت نفسه رمزاً للمرحلة التالية؛ وبالتالي يمكننا القول إن المرحلة اللاحقة من الفكرة الدينية هي دائماً تفسير للمرحلة الشخصية. هي أشبه بحلم يظهر فيه أداء ملموس لأشخاص ملموسين، لكن الأمر كله على الرغم من ذلك يمثل فكرة. وإذا قمت بتحليل الحلم ودمج صورته، وفهمت أن أولئك السيدات والسادة الذين ظهروا في الحلم ليسوا سوى جوانب لمسيكولوجيتك الخاصة، يصبح من الواضح أنك أخذت دوراً في حلم لأداء فكرة لم تكن فكرتك، بل فكرة خطرت بذهنك وينبغي فهمها. لذلك فإن نهاية تفسير الحلم هو فهم كل أنواع الأداء على أنها إضفاء طابع ملموس على فكرة كانت موجودة مسبقاً، وهي السبب في الحلم؛ وأثناء العرض على مسرح وعي الحلم، يتم نقل هذه الفكرة الخاصة إلى وعيك الصافي. كما يرى المرء الشيء ذاته في الوعي المستمر للفكرة الدينية المشابهة لحلم لاوعي جمعي بالشكل العام، ومشاهد مختلفة تظهر على المسرح بأوقات مختلفة. في الحقبة ما بين عامي (2000 – 100 قبل الميلاد) مثلاً، تم تمثيل الأحلام أو ما يُسمى الفكرة الإلهية، بهذه الطريقة. إذ تجد في الميثولوجيا والأديان التي كانت سائدة في تلك المرحلة حلماً واضحاً تم التعامل معه كشيء حقيقي. ثم أتى عصر آخر اضمحلّت فيه تلك الآلهة ولم تعد حقيقية، وأصبح لدينا أسس جديدة؛ حيث تم تأسيس المسرح الجديد، والبدء بأداء مسرحية جديدة. وتتضمن هذه المسرحية تفسير المسرحية السابقة بأداء مختلف تماماً على ما يبدو، لكنها تفسير للمسرحية السابقة على الرغم من ذلك.

كانت مصر مثلاً هي القوة الثقافية الأولى في الشرق الأدنى. ودامت أكثر من بابل التي دمرها الفرس بينما بقيت مصر تحرس التقاليد القديمة. وهي تعتبر المسؤولة الأساسية عن دراما اللاوعي الجمعي بين عامي (4000 – 100 قبل الميلاد). أما الفكر الديني الرئيس الذي تم توارثه عبر العصور فكان ألوهية فرعون، الملك؛ والإنسان الإله، المخلص؛ وأوزيريس، صورة الروح. كان أوزيريس إله مصر الأصلي، وعلى الرغم من أنه قديم كالإله "رع" إله الشمس إلا أنه كان مختلفاً دوماً عنه. إذ كان الإنسان الإله البطل الذي يموت ويُبعث من جديد. وفي البداية كان مفهوماً بصفته الإله، من ثم أصبح روح فرعون، أو "أوزيريس فرعون". وكما كان الملك بطريقة ما هو "رع"، كان أيضاً "أوزيريس" البطل الذي يموت ويُبعث من جديد. هكذا أصبح أوزيريس وسيطاً بين الآلهة والبشر، فأصبحنا نرى سطوح جدران المعابد مغطاة من الخارج بلوحات تستحضر المآثر الدنيوية للملك، ومغطاة من الداخل بصور الملك الإله وهو يتواصل مع الآلهة. خارج المعبد، هو الشخصية العظيمة في الأرض، وبطل سياسي تحيط به ثلة من المحاربين، وبعض الجنود المستعدين لنذبح أعدائه؛ وداخل المعبد، هو الإنسان الإله الذي يتواصل مع الآلهة، ويتلقى البركة أو رمز "مفتاح الحياة – ankh" من يدها، أو يقدم مفتاح الحياة إليها. وتنال الآلهة الحياة منه من خلال العطايا الملكية.

إن شخصية أوزيريس هذه هي توقّع شديد الوضوح ليسوع أو لفكرة المسيح، ومن الواضح جداً أنه حتى الكنيسة الكاثوليكية، المترددة جداً في قضايا من هذا النوع، تسمح بالنظرية التي تعتبر "إيزيس" و"الطفل حورس" عبارة عن توقّع لمريم العذراء ويسوع الطفل، وأن "أوزيريس" توقّع للرب يسوع. لقد تأثرت الأفكار المسيحية بشكل أساس بالأفكار الباطنية لمصر؛ وكان هناك أفكار تشبهها في الثقافة البابلية، لكنني أميل إلى أن أصل

المسيحية يعود إلى مصر. وهكذا فإن شخصية المسيح، التي تُعتبر بالنسبة إلينا شخصية رمزية تماماً، هي ترجمة لأسطورة أوزيريس المصرية القديمة. لكنها لم تكن شخصية رمزية بالنسبة للعصور القديمة ومطلع القرون الوسطى بل كانت حقيقة فعلية مثلما كانت الأم مريم العذراء طبعاً. لقد حدثت هذه الأشياء كلها في الواقع، ولا تزال مجبراً في الكنيسة الكاثوليكية على الإيمان بالحقيقة المطلقة لولادة العذراء. ولا يمكننا طبعاً أن نمنع أنفسنا عن رؤية أنها يجب أن تكون رمزية. وحتى لو كان وجود يسوع المسيح وجوداً حقيقياً أساساً فلن تكون قصة حياته قصة تاريخية بل قصة ميثولوجية تماماً كمثيولوجية أتيس أو أدونيس أو ميثرا؛ حيث تم تجميعها كلها بشكل تزامني في شخصية المسيح. فنحن لم نتشرب تماماً مفاهيم الصلب وولادة العذراء وقصة الإغواء على أنها أشياء رمزية، لذلك نعرف أشياء لم نعرفها العصور السابقة.

لكن مشكلتنا الأساسية الآن هي: ما الذي يعنيه كل ذلك؟ وما هو تفسيرنا؟ فكتاب *هكذا تكلم زرادشت* هو إلى حد ما تفسير لفكرتنا المسيحية. والفردانية هي الآن ميثولوجيتنا. إذاً ما هي الفردانية؟ إنها لغز عظيم، ومبدأ محدود لكنه مفتوح على تفسيرات مختلفة وخاضعة للتفكير: لا نعرف ما هو.¹ قد نسميه "تفرد مزيج مركب أو معين" لكن لا يمكننا قول أي شيء يتجاوز ذلك. إنه حقيقة بالنسبة إلينا لكنه حقيقة ضمن حدود الفهم البشري فقط، وربما يقال بعد ألفي عام إن فكرة التفرد كلها لم تكن سوى فكرة رمزية. لكن سيكون لديهم عندئذٍ فكرة جديدة تستحوذ على تفكيرهم: ربما سيكون لديهم *زاردشت* آخر، أو محاولة أخرى. سيحدث

¹ "المفهوم المحدود – a boundary or borderline concept" مفهوم ليس له تعريف دقيق، ليس لأنه مفهوم لا معنى له بل لأنه يتضمن الكثير من المعاني. قال نيتشه: "الشيء الذي يمكن تعريفه هو فقط الشيء الذي لا تاريخ له" (كتاب *جينالوجيا الأخلاق*، صفحة 13).

وحي جديد فجأة يسلط ضوءاً مختلفاً تماماً على النظرية السائدة حتى الآن. فلو ظهر زارادشت قبل ألفي عام، ولو كان هو بوذا في القرن الأول مثلاً عندما بدأت البوذية تنتشر في التبت وجنوب الصين، لكان أحد أعظم معلمي "المهايانا" بقبعته الحمراء أو الصفراء. نحن أكثر انغلاقاً من أن تكون لنا أية علاقة به أو بأي منظور تاريخي، لكن ربما يرى الناس لاحقاً، مع افتراض أنهم سيستمرون بالحالة التي هم عليها الآن، أن زارادشت معلّم عظيم، المعلّم ذو القبعة الحمراء أو شيء من هذا القبيل. وربما سيخترعون له اسماً.

الآنسة وولف: تصفحت كتاباً لـ "هيردر" يعرض فيه أساطير البشر جميعاً.¹ وفي كلامه عن زارادشت الأصلي الفارسي، قال إن فكرته العظيمة تقوم على أن الإنسان هو مثالية الخلق. من الجدير بالملاحظة أن تُرى هذه الفكرة من هيردر الذي لم يعرف طبعاً سوى القليل عن الدين الفارسي. أعتقد أن نيتشه قرأ ذلك الكتاب وتأثر به بطريقة ما.

الدكتور يونغ: اعتبر نيتشه أن اختيار الاسم ذو أهمية تاريخية كبيرة، لأنه اعتقد أن زارادشت الفارسي كان فعلاً مبتكر الصراع الأخلاقي بين الخير والشرّ، وهي حقيقة لا يمكن إنكارها. وبما أنه عاش حوالي القرن الثامن قبل الميلاد، فربما كان له الأولوية في تلك الفكرة. لذلك يقول نيتشه إن على زارادشت الفارسي أن يعود من أجل العودة إلى الحالة السابقة. وهكذا كان طموحه بأن يصبح ما وراء الخير والشرّ. وهي طبعاً فكرة التحرر من الثنائيات المتضادة التي لا غنى عنها لتوحيد الفرد. فالفردانية مستحيلة طالما أن الإنسان منقسم إلى ثنائيات متضادة. ويجب التغلب عليها مهما كانت القضية كبيرة، لكن يجب القيام بذلك من وجهة نظر تتجاوز الخير

¹ نشر جوان غوتفريد فون هيردر كتابه بعنوان: "أساطير جميع البشر – The Myths of All People" عام 1774 – 1776.

والشرّ. لقد شعر نيتشه نفسه بذلك رمزياً عندما ألف جزءاً كبيراً من *هكذا تكلم زرادشت* في "سيلز ماريا"، حيث كان على ارتفاع ستة آلاف قدم وراء الخير والشرّ. وشعر بارتقائه مصافي الآلهة، وتجاوزته لكل صراعات السهول المنخفضة التي يعيش فيها القطيع. فكان قادراً من تلك الارتفاعات على توحيد الثنائيات المتضادة والتحرر من الشكّ وخلق موقف يعاكس موقف صراع زرادشت الأخلاقي. وهكذا فمن المؤكد تماماً أن نيتشه كان يعرف عن زرادشت الفارسي وكان متأثراً للغاية بحقيقة أنه أول من جعل الإنسان واعياً لنفسه. لأنه لا أحد يصبح واعياً لنفسه دون صراع: نحن بحاجة إلى الصراع. وبما أننا لا نعيش وفقاً لخياراتنا الخاصة، فلا يمكننا أن نعرف أنفسنا. علينا أن نكون قادرين على الاختيار بأنفسنا.

الآنسة وولف: لعبت الآلهة دوراً هاماً في المثلولوجيات الأخرى، لكن الإنسان كان هو الأهم بالنسبة لزرادشت الفارسي. هو يجعل الخلق مثالاً. الدكتور يونغ: صحيح تماماً. يتوافق ذلك مع فكرة اندماج الصراع الأخلاقي، لأنه في الصراع الأخلاقي يأخذ الإنسان دوراً يشبه الدور الإلهي. لا يترك لله وحده أمر محاربة الشيطان، أو من وجهة نظر الديانة الفارسية، لا يترك للنور وحده مسألة محاربة الظلام بل يدخل الإنسان في المعركة: يمكننا القول إنه يدخل كإله حيّ، كظهور للإله في الجسد. ومع أن هذه الأفكار كلها قديمة للغاية، إلا أنها عبّرت عن نفسها سابقاً بأشكال ملموسة غريبة. وتم طرح تفسير جيد في كل مستوى من مستويات الحضارة، وكان هناك شيء من التقدم حيث دخلت الأمور أكثر في مرحلة التفسير الذاتي. يبدو الأمر كما لو أننا كنا مهتمين بحلم له ظاهر مثير للغاية وصورة مقنعة وفيه عواطف قوية تجعل من الصعب علينا الخروج من تأثيره. لكننا نصبح قادرين بعد فترة على اكتشاف الفكرة الكامنة خلف كل شيء، ومن ثم دمج شخصيات الحلم. فقد تحلم مثلاً بشخص ما يبدو أدنى من مستواك

بكثير، شخص حقير تافه لا يُطاق، ومختلف تماماً عن ذوقك، ولا تستطيع أن تتخيل كيف يمكن أن تكون ذلك الشخص. لكن إذا تأملت طويلاً في الحلم، تكتشف الأبواب السرية المؤدية إلى ذاتك، حيث تستطيع أن ترى بقعة تكون فيها مطابقاً له. ثم يمكنك دمج تلك الشخصية لتصل إلى المرحلة الذاتية لتفسيرك. لقد كان الشيطان في الخارج سابقاً، وإذا فعل أحدهم شيئاً غير لائق فذلك لأن الشيطان أغواه، أو لأن روحاً شيطانية أغوته وأجبرته على ذلك، فلا تقع المسؤولية على أي شخص: ليس هناك مسؤولية أخلاقية. لكن لا يمكن لأحد استخدام هذا المبرر الآن. عليه الآن أن يقول: أنا الشيطان، أنا أتم.

السيد باومان: أعتقد أن العملية التي تُصبح فيها شخصية الله رمزية تشبه فكرة عودة الله إلى السماء أو النجوم أو إلى أي مكان بعيد؛ فهذا يحدث في كل دين إلى حد ما. ونجد مثلاً أن الآلهة الإغريقية عاشت على الأرض في جبل الأولب، ثم ظهرت فكرة "البانثيون - مجمع الآلهة" في عصر الإمبراطورية الرومانية، وتم نقلها إلى السماء.

الدكتور يونغ: هذا صحيح. ظهرت محاولات في العصور القديمة لتحويل آلهة الأولب الملموسة كلها إلى كائنات أكثر عقلانية. ومن ثم أصبحت مجرد أفكار حيث نرى مثلاً أن جوبيتر قد تحول إلى مفهوم فلسفي. وفي الوقت ذاته انحدرت هذه الآلهة البدائية كلياً بشكلها الملموس، حيث أصبحت سخيفة مهمة، ثم اضمحلّت وتلاشت بعد أن حلّت محلّها الأديان الشرقية التي وصلت من فلسطين وآسيا الصغرى ومصر وغيرها من البلدان. وهو ما حدث في كل مكان في ذلك الوقت. إذ أصبح الكهنوت المصري فلسفياً للغاية بحيث لم يعد إله القرن الخامس أو الرابع قبل الميلاد إلهاً ملموساً بل أصبح فكرة فلسفية. لكن بشكل طبيعي، لا تزال الآلهة ملموسة بالنسبة للناس العاديين كما هو الحال في الهند

اليوم. فقد أخبرني البروفيسور "فون غلاسناپ" الألماني المتخصص باللغة السنسكريتية عن لقائه بـ "براهمان" في معبد يذهب الناس إليه لتبجيل صورة فيشنو البربرية المنحوتة الرائعة.¹ كان الرجلان يسيران في الرف، ويتحدثان عن الأبنيشاد، وسأل فون غلاسناپ الكاهن لماذا يسمح لهؤلاء الناس بتبجيل صورة كهذه إذا كان يؤمن بذلك فلسفياً. وكانت إجابته: "لكن هل يستطيعون فهم الأبنيشاد؟ دعهم يبجلون الصورة، لأن فلسفة الأبنيشاد كلها يتم التعبير عنها في هذه الصورة". يا لها من وجهة نظر استثنائية، وأنا واثق من أنه كان للكهنة المصريين الفلسفة ذاتها أيضاً لكنها كانت محروسة بشكل جيد يتعذر فيه إقضاء أسرارها. وأنا أرى أن عالم الأفكار اللاحق، والانفجار المفاجئ للفلسفة الخيالية الهائلة التي تُدعى "الغنوصية"، يعود على ما يبدو إلى أفكار الكهنوت المصري. فهي لم تعد مطوّقة بشكل كافٍ ضمن دوائر المعابد؛ ورشح بعضها من الجدران. لكن كتلة أفكارهم الرئيسة تلاشت بسبب عدم وجود إمكانية لإقضاء أسرارها. ولا تزال معرفتنا عنها ضيئلة للغاية.

لذلك أقول إنني مقتنع تماماً بأن المسيحية الأولى تشكّلت في تعاليم سرّية تمت تصفيتها بطريقة ما عندما أصبحت المعابد عتيقة وبدأت الأشكال الدينية المصرية بالتراجع. وحقيقة أنه كان هناك تطور هائل لكل فكر مختلف في الفترة التي سبقت ظهور يسوع مباشرة هو أمر لا يمكن تفسيره بطريقة أخرى. نحن نعرف أن "بلوتارخ"، الذي خضع لطقوس البدء المصرية، قد عرض في كتابه عن إيزيس وأوزيريس تفسيراً فلسفياً لألغازهم. وكان "هيرودوت" الذي سبقه بقرون، قد خضع مثله لطقوس البدء

¹ البروفيسور هيلموت فون غلاسناپ، مؤلف كتاب "البوذية - ليس ديناً توحيدياً / Buddhism - Non Theistic Religion"، وقد ظهر باللغة الإنكليزية عام 1966.

المصرية، لكن لم يُسمح له بالتحدث عنها.¹ ربما كانت طقوس البدء مكونة من تعاليم فلسفية تُفسّر معاني الصور والإشارات المقدسة والأسماء. فلدينا مثلاً العديد من الإشارات الواضحة عن آثار ميثرا التي لا يدّ أنها شُيّحت للمريدين الخاضعين لطقوس البدء. إذ كانت الشعائر سرّية دوماً لأن المعاني السريّة تُقال بالكلام أو يوحى بها لهم. وكان للمسيحيين الأوائل ألغازهم أيضاً. فالعمادة والمشاركة في طقوس القدّاس تعود إلى تلك الأسرار: كانت العمادة أشبه بطقوس بدء.

السيد باومان: هل يمكن القول إن المسيح تحوّل إلى فكرة فلسفية؟

الدكتور يونغ: حالما نقول عن شيء ما إنه رمزي، فإننا نعتبره فكرة فلسفية سواء أتمت صياغة هذه الفكرة أم لا. وقد أصبحت فكرة المسيح فكرة فلسفية منذ فترة قصيرة وحسب، لأن هناك من لا يزال يعتقد أنه شخصية حقيقية وإنسان عادي وحضور حقيقي، وقد كبروا على الخوف الكامل عندما يقول أحدهم ما يناقض ذلك. كان الرب بوذا إنساناً كالْمسيح تماماً؛ كان حقيقياً، لكنه أصبح رمزاً. حتى إنه لم يُدعَ باسمه الحقيقي؛ بل كان ذلك اسماً طقسياً. أو كان يُدعى "تائاغاتا" وتعني "الشخص المثالي، الشخص المكتمل". إنه رمز، وهو فكرة الكمال. والمسيح أيضاً بالنسبة إلينا هو فكرة فردانية الإنسان الذي بلغ حالة الكمال.

البروفيسور فيرتز: كان اسمه يسوع، وكان يُدعى المسيح.

¹ ملحق كل من هيرودوتس وبلوتارخ إلى مصر وكتبها عنها، الأول في كتابه الثاني بعنوان "التاريخ"، وبلوتارخ، بعده بخمسة عشر عاماً، في كتابه بعنوان "إيزيس وأوزيريس". بلوتارخ المعروف بأنه معيد دلفي، كتب بطريقة مستحسنة عن تقديره لسلطة البعيد بما يخص احترام الأسرار الدينية، واقتبس عنه بشكل متكرر بالطريقة التالية: "من ناحية الشعائر المرتبطة بالأسرار، دعوني أقلل فمي، كما يقول هيرودوتس بورع وتقي...."، "تقدم الوحي - Obsolescence of Oracles" في كتاب بلوتارخ بعنوان "الأخلاق - Moralia" ترجمة "إف. سي. باتيت (لندن وكلمبريدج، 1963).

الدكتور يونغ: لقد قمنا بإعلانه رمزاً عبر منحه اسماً طقسياً. فكلمة "chrisma" تعني الممسوح، واسم المسيح يعني الممسوح بالزيت، أي الذي خضع للعمادة؛ وهو يرمز للشخص الذي خضع لطقوس البدء. وقد كان اسمه الأسامي عادياً جداً، فاسم يسوع مثل اسم مولر أو سميث.

السيدة كرولي: ألم تقل في الأساس إنه كلما أصبحت الآلهة أكثر فلسفية ازداد اعتبارها أفكاراً تجريدية، وقلّت أهميتها كآلهة؟ أي تبدو وكأنها فقدت دمجها وحياتها. لكن صورة صوفيا المعروفة لا يمكن مقارنتها أبداً بصورة إيزيس.

الدكتور يونغ: نعم، لقد تبخرت تماماً لكن الفكرة أخذت بعد ذلك شكلاً جديداً هاماً للغاية. فقد تبخرت فكرة أوزيريس القديمة التي تقول إنه الإله الأوحّد الكامل وجاءت فكرة أوزيريس الملك. ثم جاءت فكرة أوزيريس رئيس الوزراء ورئيس الكهنة وأمين الصندوق وما إلى ذلك؛ وأخيراً أصبحت هي الجميع. ولدى كل من سميث وجون وشخص آخر أوزيريس الخاص به. فأوزيريس السيد سميث كان جيداً للغاية، لكن الفكرة كلها أصبحت مبتذلة معه. أصبح أوزيريس العبقرية الخالدة لكل شخص ولم يعد له أية قيمة خاصة. وهكذا تلاشى ذلك الرمز واستُبدِلَ بفكرة جديدة هي فكرة الإنسان الجديد. وفجأة أصبحت الفكرة الجديدة هامة للغاية لأنه كان رجلاً وملكاً في الوقت نفسه؛ وكان العظيم في الأمر أنه كان ملكاً على الرغم من كونه من الطبقة الدنيا. لكن فكرة التفرد، بالطريقة التي يصورها رمز المسيح الإنسان السماوي، هي مجرد طيف دخاني هزيل لأنها تجريدية؛ بينما بالنسبة إلى السيد سميث، ولكي يستطيع اكتشاف أنه فرد، فقد كنت فكرة قوية للغاية. هل تعرف ما تعنيه الطبقة الدنيا للجميع، هل تعرف ما يعني للبلغايا وجامعي الضرائب والأبناء غير الشرعيين، والأمهات غير

الشرعيات أن يعرفوا أنه أصبح من بينهم إنسان إله؛ هكذا يمكن أن تبارك ما يعنيه اكتشاف السيد سميت أنه فرداني.

بالعودة إلى زارادشت نرى أنه أراد حقاً أن يجد رفاقه؛ وليس هذا سلوكاً خاطئاً إلا إذا كان يبحث عن رفاقه بدلاً من نفسه، وبدلاً من إنسانيته أو جسده. ولو كان زارادشت إنساناً حقيقياً، وأتمّ الإنسان الأعلى في نفسه، فسيكون من الطبيعي جداً أن يأتي الرفاق إليه دون أن يسعى إليهم. هل سمعت يوماً أن الذهب يبحث عن البشر؟ الذهب مدفون في جوف الأرض، منتظر وحسب؛ فهو الذهب الذي يتم السعي إليه دوماً. إذا كان هناك ما هو حقيقي، فسيسعى الإنسان إليه دوماً؛ ذلك ما يميّز الشيء الجيد. الجبل يأتي إلى النبي، والنبي لا يذهب إلى الجبل. فإذا رأيت نبياً ذاهباً إلى الجبل ربما تعرف أنه ارتكب خطأ ما لأن من الأفضل له أن يجلس في بيته ويترك الجبل وشأنه. لذلك فإن الكلام التبشيري السائد هنا عبارة عن حالة جوع. فإذا أراد أي شخص أن "يبشّر" العالم ويخبر الناس بما هو جيد لهم، فهذا دليل على أنه جائع يريد أن يملأ معدته بجثث الآخرين. تكون أفكاره جائعة، وروحه جائعة؛ حيث يقوم الآخرون بتغذية أفكاره وشهيته لأنه لا يستطيع تغذيتها بنفسه.

إذا اكتشفت يوماً ما تسميه حقيقة، عليك أن تتذوّقها، أن تحاول تناولها. فإذا غذّتك تكون فكرة جيدة، لكن إذا لم تستطع العيش معها، وافترضت أن عليك أن تطعمها للآخرين تكون فكرة سيئة. فالنكهة الحقيقية هي أن حقيقتك يجب أن تكون جيدة بالنسبة إليك لأنه ما من كلب سيأتي ويشتمها إذا لم تكن مفيدة بالنسبة لك. وإن لم تكن مشبعاً بها، ولم تستمتع بها لعشرين أو خمسين سنة أو على مدى حياتك كلها فهي غير جيدة. إذا كنت جائعاً وتظن أن عليك العمل من أجل خلاص رفاقك، وأنهم يجب أن يكونوا ممتنين لك قبل كل شيء، فاعلم أنك مخطئ، وأن الفكرة

غير جيدة. لذلك لا تلعب دور الميسّر، ولا تحاول أن تتناول طعام الآخرين بل دع الآخرين ينتمون لأنفسهم ويبحثون عن تقدمهم: دعهم يأكلون أنفسهم. إذا كنت مشبعاً فعلاً، فلن يزعجك أي شخص. وإذا لم يكونوا مشبعين بما يملكونه، فربما يسعون إلى شيء أفضل؛ وإذا كنت أنت الشخص الذي لديك الشيء الأفضل، سيأتون إليك بالتاكيد. وبناءً عليه بالغ زارادشت عندما أراد أن يجذب الآخرين للخروج من القطيع. وكان الراعي محقاً تماماً عندما أطلق عليه صفة اللص. فالخراف بحاجة للبقاء مع الراعي كي لا تأكلها الذئاب. وهو لا يرغب بأن يكون كلب الراعي الذي يحرس القطيع، ولهذا كان عليه أن يتركها مع الراعي؛ فهي ستكون مع الراعي الحقيقي بحال أفضل مما ستكون عليه برفقة الذئب الجائع زارادشت. وإذا أراد أن يكون له رفاق، فليذهب مع الذئاب؛ يستطيع حينها أن يصطاد ضمن المجموعة. تكون الحالة أسهل بكثير مع الخراف.

هذا هو الموقف الذي علينا اتخاذه بالإشارة إلى مشكلة الفردانية: فلا التبشير ولا الوعظ ولا جذب الصغار من مربياتهم ولا أخذ الخراف من الراعي بذئ جدوى. دع الخراف مع الراعي فذلك أفضل بكثير. يهمني الناس بموقفي غير الواضح من المعتقدات الدينية لأنني أقول إذا أراد أحدهم أن يبقى في حظيرة الكنيسة الكاثوليكية فليبق فيها. أو ليبقى بروتستانتيًا إذا وجد طريقه وحياته فيها. إنهم يرون في الأمر تناقضاً لكنهم مخطئون. قد يحتاج البعض عشرين درجة بينما يحتاج آخرون إلى اثنين وعشرين ليحصلوا على ما يرغبون به، فما المانع؟ وقد لا يحبّ البعض تناول اللحم بينما يعيش آخرون عليه. ليفعل كلّ منهم ما يريد، فهذا ليس من شأني. أن تكون كاثوليكيًا يعني ببساطة أنك كاثوليكي، وأن تكون بروتستانتيًا يعني أيضاً أنك بروتستاني. أو إذا كنت تؤمن بالدين الإسلامي، فهذا يعني أنك من المؤمنين بالإسلام. من غير المحتمل أن تؤمن بالإسلام هنا لأنه غير ملائم

لجؤنا على الأقل، لكن هناك على حدود البحر الأحمر وجواره، تفهم لماذا يؤمن هؤلاء الناس بالإسلام، ولماذا هو أفضل بكثير من المسيحية الضعيفة جداً هناك. فعندما رأيت المساجد وقارنتها مع الكنيسة الأرثوذكسية الإغريقية، فهمت الأمر؛ كنت سأذهب مع الإسلام بكل الوسائل حتى لو لم يكن سوى لإزالة "منزل الضوء".¹ فالكنائس المسيحية في الشرق مليئة بالكلام الفارغ، ورجال الدين القذرون مرعبون لدرجة تأمل أن يكون لديهم أحواض استحمام ليغسلوا أنفسهم. ويجعلك النفاق والتبجيل الهمجي المنحط للصورة تشعر بشعور المسيح عندما طرد الصيارفة من المعبد. فالإسلام دين لائق مقارنة به. ولم يصلنا سوى الجانب الخاطئ منه لأن اللاهوتيين فقط هم المهتمون بالأديان، وهم طبعاً ضد الأديان الأخرى أكثر مما هم ضد أديانهم، ولهذا يعمدون إلى التشويه. لقد أدهشتني رؤية إسلام أكثر روحانية بكثير من المسيحية الشرقية التي ليست سوى بقايا منحلّة للفنوصية المسيحية.

إن بلداناً وطبيعة معينة تجعلك تفضّل بشكل طبيعي طريقة معينة للتعامل مع الأسرار العظيمة. فإذا عشت في الهند مثلاً دون أن تتأثر بالروح الهندية، فلن تكون سوى شخص حزين. والمبشر الذي يعيش في الشرق ويريد هداية الهنود إلى المسيحية، وليس لديه الحساسية الكافية ليتأثر بالروح الخاصة بذلك البلد، يُعتبر مشهداً كئيماً جداً. لقد كان أشخاص مثل "ريتشارد فيلهيلم" أو "هاور" من المنفتحين جداً على ذلك لأن تلك

¹ "Lampisterie – منزل الضوء". من الممكن أن يكون هذا تلميح لرواية "مايرينك" بعنوان "The Golem" ترجمة "مادج بيمبرتون (لندن، 1928)، الرواية المفضلة لدى بونغ. اثنان من الرواة يعيشان في "منزل المصباح الأخير"، قلعة متألقة لكنها في العالم الآخر. انظر الأعمال الكاملة، المجلد السابع، صفحة 205؛ وانظر أيضاً الأعمال الكاملة، المجلد السابع، صفحة 153؛ والأعمال الكاملة، المجلد السابع عشر، صفحة 289.

الروح كانت أعظم وأفضل من وجهات نظرنا من جوانب معينة.¹ من الغباء طبعاً أن تسعى إلى التكنولوجيا في شتغهاي أو في الهند، ومن الغباء أيضاً أن نقدّم لهم أية أفكار دينية. نستطيع أن نقدّم لهم قدراً معيناً من المشاعر، لكن تطوّرهم الداخلي أكبر مما لدينا بكثير. وهو لا يعبر عن نفسه ظاهراً طبعاً، لكن هل تعبر مسيحيّتنا عن نفسها ظاهراً؟ هل يمكن أن نرى أي شيء يثبت وجود تأثير معين لمسيحيّتنا على السياسات مثلاً؟ ليس هناك أي أثر.

السيد باومان: أظن أن الهند والصين قد عبّرتا عن نفسيهما بطريقة ما منذ عدة قرون.

الدكتور يونغ: بتواضع فقط. لكن من الأفضل لنا ألا نحاول إثبات التطوّر الداخلي من خلال المظاهر الخارجية. كانت الأمور صعبة دوماً بعض الشيء، لذلك لا أحاول التشديد عليها. إذا كنت تعرف كيف كان يتصرف المسيحيون في بدايات المسيحية – ويفترض أنهم كانوا أشخاصاً رائعين – تصبح متواضعاً. فمن الأفضل بالتأكيد ألا نشدد على الإنجازات الأخلاقية. وقد يكون المعيار أنها لم تظهر. فالأشياء التي لا تظهر تكون عادة أفضل من الأشياء التي تظهر؛ والأشخاص الذين يظهرون هم دائماً مدعاة للريبة. هم لا يفعلون أي شيء، لكنهم يُظهرون ذلك وحسب.

فكرة أن تكون فعالاً وتعتدي على الآخرين تظهر أيضاً في فكرة زارادشت عن الوصايا العشر، أو ألواح القيم، حيث يقول: "انظر هؤلاء الصالحين والعادلين! على من يحققون أكثر من أيّ كان؟ على ذلك الذي يكسر ألواح

¹ ريتشارد فيلهلم (1873 – 1930)، ألماني مختص بالحضارة الصينية، كان صديق يونغ ومستشاراً في الثانوية. معروف بترجمته لكتاب "كتاب التغيرات - I Ching". البروفيسور "جيم. ديليو. هاورد" ألقى محاضرة في مؤتمر أيراثوس عام 1934 حول "رموز اختبار الذات في الأسرار الباطنية الهندو آرية - The Symbols of Experience of the Self in Indo-Aryan Mysticism" انظر أعلاه محاضرة 6 حزيران – يونيو 1934.

قيمهم القديمة؛ المخرب، المجرم - لكنّ ذلك هو المبدع". لكن ذلك هو المخرب! إذ ليس من الجيد تخريب ألواح القيم فهي ضعيفة سلفاً؛ بل من الأفضل جمعها معاً. وهي لن تحتاج إلى الوحشية لتحطيمها لأنها ستتحطم كلها تلقائياً؛ فنحن نعرف من التاريخ أن القيم تبدأ بالتفكك قبل فترة طويلة من اتخاذ القيم الجديدة مكانها. لذلك ندخل دوماً في فترات من التدمير يفقد فيها الناس التوجّه والقوانين. كما أن التعاسة العظمى وحدها هي من تجبر الناس على إبداع قوانين جديدة وقيم جديدة. وإذا لم يكن زارادشت صبوراً إلى هذه الدرجة، فقد يتبعه نيتشه. فهو يستطيع أن يمنح زارادشت الإيقاع الصحيح، ويمنعه من أن يكون نافذ الصبر لهذه الدرجة. وعندئذٍ لن يتحدث عن تحطيم ألواح القيم بل يحافظ عليها فترة أطول لأنها ضعيفة جداً وستتحطم دون تدخلنا. فليس من الضروري تدمير الكنائس، وما من أحد يهاجم الإسلام لأن المساجد فارغة؛ وما من أحد يهاجم البروتستانتية، لكن الكثير من البشر لا يذهبون إلى الكنيسة يوم الأحد. إن تحطيم الأشياء ليس سوى نفاد صبر ناتج عن التضخم.

لكنه يقول في نهاية هذا القسم شيئاً جديراً بالملاحظة: "لناس الوحيدين سأعطي نشيدي وللناس الأزواج أيضاً؛ ومن له أذنان بعد لكل خارق عجيب أريد أن أثقل قلبه بسعادتي". هذه ليست ترجمة جيدة في النص الإنكليزي، لكن يمكن أن تفهمها من النص الألماني. كلمة "Eisiedler" تعني إنساناً وحيداً، المقيم لوحده، بشكل حرفي؛ وكلمة "Zweisiedler" تعني الثنائي، زوجاً من الأشخاص. لكن ليست هذه الكلمة الصحيحة، ثمة ما هو مضحك في أسلوبه؛ هذا يشير دوماً إلى فكرة غامضة خلفها، وهي لا تخرج بالشكل المناسب. هي تشبه الأشياء الغريبة في الأحلام؛ غرابة الصورة أو اضطرابها يفضح وجود فكرة سرّية خلفها. كما ترون، كان كافياً أن يقول: "أنا أقدم موعظتي إلى الناس الوحيدين. سيكونون هم

رفقائي، لأن الوحيدين يستطيعون أن يقدِّروا تعاليجي. ليسوا مشبعين ويسعون إلى الإنسان الأعلى معي؛ هم وحيدون، وأنا وحيد، وأشياء من هذا القبيل." كان ذلك سيبدو خاتمة جميلة جداً لهذا الفصل. لكن لا، لا بد أن الكلمة الصحيحة هي: "Zwei-siedler"؛ هناك ثنائي على ما يبدو، شخصان وحيدان معاً. يمكننا طبعاً أن نحظى بفكرة رومانسية عن ذلك - هو وهي - لكن ليس هذا بالتأكيد ما كان يفكر فيه نيتشه. يجب أن يكونا اثنين وحيدين معاً. والآن لماذا الواحد والاثنان؟

السيد باومان: مثل نيتشه وزارادشت، المنفصل عن الشخص ذاته؟

الدكتور يونغ: لا، ثمة مشكلة كبيرة خلف هذه الفكرة. شخص وحيد سيكون كافياً لزارادشت، الشخص الوحيد، الناسك؛ الاثنان هما مجتمع سلفاً، علاقة. عندما أكون واحداً، أكون هذا الإنسان؛ عندما أكون اثنين، فأنا إنسان آخر. وحالما تكون مع شخص آخر تكون مختلفاً، أي تصبح إنساناً جمعياً. وبالتالي فهو يقوم هنا بمحاولة لوعظ الإنسان الجمعي، الأمر الذي كان يرفض القيام به. قال إنه لن يتحدث مع القطيع مجدداً. لكن هنا دخل اثنان من القطيع؛ فهو لا يستطيع التخلص منه. تلك مشكلة كبيرة، وثمة دليل تاريخي عليها. تقول النظرية إن الأناجيل مستمدة أساساً مما يُعرف بالمجموعة الآرامية لأقوال يسوع. لكن في الحفريات التي تمت في "أوكتسبيرينخوس"¹ تم العثور على شذرات من ورق البردي التي تحتوي عبارات وحكايات عن يسوع، ويبدو وكأنهم منعوا إشاعتها بين العامة؛ وهي جميعها موازية للأقوال في العهد الجديد. يبدو أنها كُتبت دون معرفة بالأناجيل الأربعة، وهي بالتالي أقدم منها - تماماً كما لم يكن القديس بولس يعرف الأناجيل عندما كتب - إذ يعود تاريخها إلى السنوات الأولى

¹ مدينة "البهنسا" في صعيد مصر. المترجم

للمسيحية. والآن، في العهد الجديد نص يقول: **أَنَّهُ حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ بِاسْمِي قَهْنًاكَ أَكُونُ فِي وَسْطِهِمْ**، لكن وفقاً للنص الموجود في ورق البردي "يقول يسوع: **"حيثما اجتمع اثنان لا يكونان من دون الله، وحيثما كان إنسان وحده أكون أنا معه؛ ارفع الحجر فتجدني هناك، اشطر حطبة، فأكون هناك"**. هل ترون ما الذي حدث؟ كانت تعاليمه في الحقيقة: "حيثما يكون إنسان لوحده، أكون معه بالتأكيد. أنا معك في كل ما تفعله؛ ارفع حجراً فتجدني هناك؛ في نشاطك، فيما تفعله، في أية مهنة تعمل بها أنا موجود، أنا حاضر بها". هذه هي فكرة التفرد بكل وضوح؛ وأنت تعبر عن نفسك من خلال طريقة ممارستك للعمل بغض النظر عن تواضع هذا العمل. فيسوع حاضر في هذا العمل، وموجود فيه: "اشطر حطبة فأكون هناك". "لكن حيثما يكون هناك اثنان، لا يكونان من دون الله".¹ نعم، صحيح أن الإنسان الجمعي لا يكون من دون الله، لكن عندما تكون وحدك يكون المسيح معك. وبالتالي فإن التعاليم الأصلية عبارة عن علاقة فردية تماماً.

يمكن إثبات ذلك بشذرة أخرى تتعلق بالحيوانات. يقول يسوع: "تسألون من أولئك الذين يرفعوننا إلى الملكوت إذا كان الملكوت في السماء؟" - هذا يعني بوضوح: من يستطيع رفعنا إلى الأعلى بأجسادنا الثقيلة، كيف يمكننا بلوغ الملكوت في الأعلى؟ فأجاب يسوع: "الطيور في السماء وجميع الوحوش في الأرض أو عليها، والأسماك في البحر، أولئك من سيرفعونكم؛ وملكوت السماء في داخلكم؛ وكل من أراد معرفة نفسه فسوف يجدها. اسع لمعرفة نفسك وستعرف أنك في مملكة الله، وأنت مملكة الله".² ربما ترون أن الأمر

¹ برنارد غرينفيلد وآرثر هانت، "أوراق البردي في أوكسيرينخوس - Oxyrhynchus Papyrus I".

² انظر إنجيل ابوكريفا، صفحة 28.

واضح كضوء النهار، فهذه هي فكرة التفرد. وقد حاربت المسيحية المعاصرة وجهة النظر هذه طبعاً. إذ تقوم وجهة نظرها على أنه حيثما يجتمع اثنان أو ثلاثة معاً باسم المسيح، يكون معهم، لكن عندما يكون الشخص وحده يكون الشيطان رفيقه. فهم يؤمنون بأن وجود الشخص وحده سيئ دوماً. لقد بلغنا مرحلة التخفيض الكامل لروح الإنسان: من غير المجدي أن تسعى إلى روحك. كن خروفاً في القطيع لأنك عندما تكون وحدك، سيكون الشيطان معك. لذلك فإن تعاليم زارادشت مناهضة لتعاليم الوحي الأصلي.

المحاضرة الخامسة

7 تشرين الثاني - نوفمبر 1934

الدكتور يونغ:

في الأسبوع الماضي، طرحت السيدة باينز سؤالاً يبدو أنني لم أفهمه، وقد أعادت صياغته الآن: "سألتُ إذا كان بالإمكان من الآن فصاعداً - بعد أن نام زارادشت عند جذع الشجرة - أن ترشح الأحداث إلى اللاوعي الجمعي. بينما ظننت أنني أقول: "إذا لم ترشح الأحداث إلى الوعي الجمعي، وأجبت بأن ذلك صحيح وفسرت السبب". عندما يقرأ المرء كتاباً، يصبح في منطقة الوعي، وما من شيء منه ضمن منطقة اللاوعي. وقد برهنتُ بنفسك في الواقع هذه النقطة التي أشرتُ إليها هنا: "تقولين إن حجتي كانت كالأتي: اختفى نيتشه الإنسان من اللوحة عندما دفن الجسد، وهذا ما جعلنا نبقى مع زارادشت، الروح غير المتجسدة. مضى لينام عند جذع الشجرة وصحا في عالم اللاوعي الجمعي. تكون الشمس عندئذٍ شمس منتصف الليل، ويتوقف النسر والأفعى عن تمثيل الغرائز، ليصبحا رمزي الأرض والسماء، أو الطبيعة والروح، أو الين واليانغ. ويصبح ما تبقى من الكتاب سجلاً لرحلة ليلية تحت البحر. أستطيع الآن أن أرى أن هذه وجهة نظر غير

صحيحة لأن زارادشت يحاول استحضار قيم جديدة للبشرية، ولن تعالج رحلة البحر موضوع *القيم* بل ستكون تجربة العالم الداخلي".

تلك هي الحالة تماماً. هكذا *تكلم زارادشت* ليس سلسلة تجارب للعالم الداخلي، ولا يوجد سوى القليل منها. لكن الكتاب في الأساس يتضمن أفكاراً وقيماً تطوّر نيتشه من خلالها، أما التجارب بحد ذاتها فقد بقيت في الظلام إلى حد كبير. ونحن لا نعرف تماماً ما الذي اختبره، لأنه ترجم تجربته بشكل مباشر على شكل أفكار وقيم. لكن لو كان الكتاب رحلة بحر ليلية، أي لو كان زارادشت روحاً غير متجسدة فعلاً، لرأينا كتاباً أثير مختلفاً تماماً. ولو قُدِّر لهذا الكتاب أن يرى النور، لكان سيحتوي على تلك التجارب تحت البحر. لكن الوضع لم يكن كذلك في الواقع، ولم يكن كتاب زارادشت رحلة بحر ليلية، ولم يكن زارادشت روحاً غير متجسدة. لقد كتبه نيتشه الإنسان، ولو كانت الحالة غير ذلك، لكان نيتشه قابل زارادشت في موقع ما، إلا أنه متماء معه طبعاً مما أدى إلى المشكلة كلها. تحدث نيتشه، ومع ذلك تحدث زارادشت من خلال الوسيط نيتشه لأنهما غير منفصلين بشكل واضح. ربما قرأت كتابي بعنوان "العلاقة بين الأنا واللاوعي" مثلاً، ورأيت فيه أن علينا التمييز بين "الأنا" الواعية وشخصيات اللاوعي الجمعي.¹ وإذا ظهر النموذج البدئي للعجوز الحكيم، يعني أنه سيطر على "الأنا" بشكل طبيعي، حيث تسيطر محتويات اللاوعي دوماً على الشخص. ثم تجد نفسك في عزلة غريبة؛ إذ ترى أشياء وتسمعها وتشعر بها كما لم يحدث معك من قبل. إنه نوع من الاختبار الجديد للذات حيث ترى نفسك في ضوء مختلف، وربما يتفاعل الناس مع هذه الحالة ويعلقون على أنك تبدو مضحكاً أو تقول أشياء مضحكة: "ما الذي كان يحدث معك البارحة؟" ثم تلفت تجربة كهذه انتباهك إلى أن شيئاً جديداً حدث لك، هذا إذا كنت من النوع الذي يراقب.

¹ الأعمال الكاملة، المجلد السابع.

ثم تبدأ التفكير بحالتك، وبكل ما تقوله، وتواجه نفسك بأسئلة: "لماذا قلت شيئاً كهذا؟" و"من أية حالة نفسية قلتَه وفعلته؟" ثم تستنتج أنه لم يكن صادراً عنك تماماً: أنت لا تقول شيئاً كهذا.

يمكن فعل الشيء ذاته مع محتويات اللاوعي كلها. سأعطيك الآن مثلاً لافتاً للغاية عن "القرين" الذي يعتبر عنصراً نموذجياً بدنياً طبعاً. إذ يمكن اعتبار هذا المثال حالة عامة تنطبق على جميع حالات النماذج البدنية. التقيت مرة بسيدة في نادٍ اجتماعي. كانت هي صاحبة الدعوة، وتحدثت معي ما يقارب ساعة ونصف الساعة دون توقف، ولم تتح لي أية فرصة لأحشر كلمة واحدة أثناء حديثها. ثم توقف دفق كلامها فجأة وقالت: "قل لي الآن ما هي ملاحظاتك؟ ما رأيك بي؟" "أعتقد أنك متوترة قليلاً". "نعم، أعرف ذلك، هذا ليس بجديد بالنسبة إلي". وهنا قلت لها: "إذا كنت تصرّين على معرفة رأيي بك، فلا بد أن أقول إنك لا تفكرين". ولم أكد أنتهي من قولي هذا حتى انفجرت غيظاً لأنها كانت تتحدث عن مشاكل فلسفية معقدة؛ فكاد دماغي ينفجر، ووجدت صعوبة في متابعتها. كان كلامها ينمّ على ذكائها البالغ لدرجة تجعل المستمع يقول: "يا إلهي، يا لها من شخصية مرعبة!" لذلك كان من الطبيعي أن يزعجها وصفي لها بأنها لا تفكر فقالت: "لكن عليك أن تفسّر ما يعنيه ذلك! لقد ناقشنا أشياء بالغة الصعوبة". ناقشنا، هل لاحظت ذلك! هذا ما تسميه النساء نقاشاً. لم يكن ذلك سوى إسقاط كامل للأنيموس فأجبتها: "نعم، أستطيع تفسير ذلك. لقد ناقشنا منذ خمس دقائق هذا وذاك، وصَبَّغْتَ عبارات رائعة عن هذه القضية المعقدة، لكنني أستطيع أن أقرأ ما قلتَه في أي كتاب أو قاموس فلسفي بهذه الطريقة تماماً". أجابت: "لكن هذه هي الطريقة التي يعمل بها ذهني. أنا أثبتته على بقعة معينة، فتقفز الفكرة إلى ذهني جاهزة". قلتُ: "لا بأس بذلك، لكن إذا كنت تتحدثين إلي، وإذا كنت مهتماً أساساً، أريد فعلاً أن أعرف بماذا

تفكرين، وليس بما تقوله الكتب". عندئذ قالت: "إذا أردت أن تعرف ذلك، عليّ أن أفكر به أولاً" منتهى السذاجة! صحيح تماماً أن ذلك كله كان جاهزاً كما قالت؛ إذ يقفز إلى ذهنها بطريقة عجيبة ثم تقوم هي بإفشائه. كان كلامها يتدفق كالنهر لكن الأفكار لم تكن أفكارها بل كانت أفكاراً تنتشر في المكتبات والأعمال الفلسفية وقاعات الجامعات؛ ولم يكن ما يجب أن تقوله هذه المرأة تحديداً عن هكذا مشكلة. فهي لم تفرّق أبداً بين نفسها وبين الأنيموس بل كانت متماهية تماماً مع نهر الأفكار الذي يتدفق منه. وهذا تماماً ما فعله نيتشه؛ حيث كان متماهياً مع العجوز زارادشت. والدفق الذي صدر عنه كان دفق زارادشت نفسه.

وأود التذكير بأنه بينما تعترف بأنك متطابق مع النموذج البدئي المشبع بمحتوياته بوضوح، عليك أن تتذكر أنك في هذا الوجود أيضاً؛ أي إنك تخترق تلك الروح بنفسك وتلقّحها. فأنت لا تزال موجوداً ولم تختف. وعندما تحلل التدفق المنبثق منك، لن تكتشف ما قاله النموذج البدئي فقط بل ما قلته أنت أيضاً. فتلك المرأة كانت أيضاً في حالة اضطراب، إلا أنها حالة غير مرئية لذاتها قط. ومع أنها تحدثت هي بنفسها لكن عبر وسيط النموذج البدئي. ومن هنا كان كلاهما على خطأ؛ كان النموذج البدئي مخطئاً، وكانت هي مخطئة أيضاً لأن أحدهما كان يدحض الآخر ويشوّهه. لذلك أقول للرجل دوماً إن عليك التمييز بين ذاتك و"الأنيميا - القرينة"، عليك أن تميّز بين ذاتك وكل ما تحتويه أو تفكر به من خلال تأثير القرينة وعاطفتها. وأقول للمرأة: عليك التمييز بين نفسك ودفق الأفكار الذي يخترق ذهنك؛ لا تفترض أن الأشياء على هذا النحو فعلاً فقط لأن تفكرين بذلك؛ ولا تفترض أن الآخرين يفكرون بهذه الطريقة لأن تلك الفكرة موجودة في رأسك. انتقدي الفكرة وراقبي ما إذا كانت فكرتك الخاصة. وعندما يطرح "الأنيموس - القرين" رأياً مميزاً أقول للمرأة: "ها

أنت ذا! هل هذا أنت؟ هل تدعمين تلك الفكرة؟ هل أنت مقتنعة أن الأمر على هذا النحو؟" عندما أفكر بذلك تكون الإجابة، لا! "لكن لماذا تتحدثين بهذه الطريقة؟ وفكرة من كانت هذه؟" ربما تكتشف عندئذٍ أن تلك الفكرة تعود لوالدها أو لأية سلطة أخرى، أو ربما قرأتها في صحيفة. وهكذا وعظ نيتشه بالجسد كثيراً، لكن إذا سألنا نيتشه الإنسان عن رأيه بالجسد فسوف يروي قصة أخرى. عندما يعظ الناس بأشياء لا يفعلونها في حياتهم تكون الحالة حالة استحواذ. فهم يهربون بروح غير متجسدة تحدث أشياء رائعة للغاية، لكن لا تتم مواجهتهم بها خلال حياتهم، فلا تحدث أية مشكلة. هم حتى لا يفكرون بتطبيقها بل يقبلون بها كحقيقة ويتصرفون بطريقة مختلفة تماماً. وأنا أؤذّر لأنهم يقولون شيئاً بطريقة ما ويتصرفون بشكل آخر، بينما يشعر الناس بالفخر أحياناً لأنهم يستطيعون التفكير بشكل مختلف عما يشعرون به. لا يرون أن هذا شرح يخترق الحالة كلها، وأنها حالة مرضية رهيبة تدلّ على فقدان التكامل والاندماج.

صحيح جداً أنه لو كان زارادشت روحاً غير متجسدة، لكان النسر والحية مبدئين عالميين وفقاً لما قالته السيدة بايز. ولكانا في الإنسان غريزتين متصارعتين. لكن المشكلة أن نيتشه متداخل مع زارادشت بطريقة يستحيل الفصل بينهما. فهما متشابكان ومتطابقان جداً، ويؤثر أحدهما على الآخر في كل لحظة. يخبره العجوز شيئاً عن العالم الداخلي؛ يخبره أنه سيكون مرشد الأرواح إلى أماكن الموتى، والمعلّم العظيم الذي سيوجه نيتشه لكي يفهم، أو يرى على الأقل، أموراً "غيبية"، الأشياء التي تكون أدنى من مستوى وعينا.¹ وربما قام نيتشه بتوثيق ما اختبره، وسيقوم بتقديمه

¹ استمد يونغ كلمة "pleroma" أو "pleromic" من الغنوصيين، وهي تعني بالنسبة لهم "الذي استمدنا منه الخلق كله". هي ليست شيئاً مقارنة بالعالم المخلوق، ومع ذلك هي الامتلاء الذي يحوي إمكانيات يمكن أن تتحقق. إن تشابهها مع اللاوعي مؤكد. تبرز هذه الأفكار بشكل خاص في عمل يونغ بعنوان "الخطب السبع عن الموت"، والملحقة بكتاب "تكريات وأحلام والفكر".

للعالم. لكن سيكون ما يقدمه عندئذٍ حكاية مسافر في بحور مجهولة، وليس كتاب قيم جديدة وأفكار فلسفية. وإذا ألف كتاب أفكار فلسفية، فلن يكون زارادشت هو المتحدث. يجب أن يقول: "أستميحكم عذراً، اسمي فريدريك نيتشه، ولدي آراء بهذا وذاك. ناقشت بعض الأمور بهذه الطريقة وتلك." وسوف يتحمل مسؤولية ما قاله. لكن الأمن لم يكن على هذا النحو بأي حال من الأحوال، بل قال إن زارادشت يتحدث، وهنا حدث التدخل. هذا مزعج للغاية طبعاً. فلو وصلتني حالة فيها تمام من هذا النوع، لاعتبرت أن من واجبي القول: "انظر إلى هذا، انظر إلى ما تفعله. من الأفضل فعلاً لك ولعملك أن تنظر إليه بطريقة نقدية". وهكذا ربما كنت منعت نيتشه من تأليف هكذا تكلم زارادشت، ولكان ألف شيئاً آخر بالتأكيد، شيئاً مختلفاً تماماً. لربما ألف كتاباً وضع فيه أفكاره الخاصة في فصل واحد، وترك باقي الفصول لتجاربه مع اللاوعي.

السيد باومان: هل يوجد كتاب مثالي؟

الدكتور يونغ: لا يوجد كتاب مثالي، لكن لدينا سجلات عن تجارب في اللاوعي مثل "كتاب الراعي هرمس للأباء الرسوليين"، و"سفر الرؤيا" كإشارة إلى الأعمال القديمة.

البروفيسور ريكستين: هل يمكن مقارنة قصص إغواء الشيطان بتجارب من هذا النوع؟

الدكتور يونغ: تجارب القديسين؟ يوجد في تلك الحالات دوماً نوع من الإعداد المتأثر بالكنيسة، لأنه لن يتم تسجيلها ما لم تترجم إلى لغة الكنيسة. فلو لم تسيطر الكنيسة على القديس فرنسيس ولم يعمل بطريقتهما، لكان قضي عليه؛ فقد اختفى الكثير من القديسين في النار أو الزنازين، وأصبحوا طي النسيان لأنهم إما لم يرغبوا بترجمة تجاربهم إلى لغة الكنيسة أو لم يكونوا قادرين على ذلك. فإذا لم توافق الكنيسة على

أعمالهم، ستقضي عليهم بتهمة الهرطقة. ويمكن لمجموعة الاعترافات الروحانية التي نشرها "بوبر" أن تكون مثلاً على تجارب اللاوي.¹ وقد اقتبست حالة من كتاب "سر الزهرة الذهبية". كما يصف "إدوارد مايتلاند"، الروحاني وكاتب سيرة "حنّة كينغفورد"، تجارب من هذا النوع. حيث تجد فيها اعترافاً حقيقياً يمكنك التأكد منه لأنه لا يتوافق مع الأفكار العقائدية المرتبطة بطبيعة الله.² كما راجعتُ كتاباً صغيراً بعنوان "رؤى نيكولاس فون دير فلو"، وهو كاتب سويسري روحاني، وكان فيه عدد من الرؤى النقية تماماً.³ لكن كان من الشائع أن تُترجم هذه التجارب إلى اللغة التقليدية العقائدية لذلك الزمن.

الدكتور شليغل: ألا تنطبق الحالة بنسبة معينة على *فاوست*؟ من ناحية تجربة اللاوي، ووجهات النظر الواعية؟

الدكتور يونغ: نعم، لكن لدينا هنا أيضاً نوع من الإمعان في التفاصيل. فقد عمل غوته طوال حياته على مسرحية *فاوست* لتتخذ هذا الشكل. ونحن لسنا متأكدين تماماً من مقدار التجربة اللحظية، وما وضعه في هذا

¹ مارتن بوبر، كتاب "حكايات عن الحاسيديم – Tales of the Hasidim"، ترجمة: أولفا ماركس (نيويورك، 1947).

² في مقدمته لترجمة وتفسير ريتشارد فيلهلم لكتاب "سر الزهرة الذهبية – The Secret of the Golde Flower" (لندن، 1931)، استشهد يونغ بالصفحة 104-106 من كتاب إدوارد مايتلاند بعنوان "حنّة كينغفورد، حياتها ورسائلها ومذكراتها وعملها – Anna Kigford, Her Life, Letters, Diary and Work" (لندن، 1896). له علاقة بموضوع كيف يمكن للأفكار أن تصبح مرئية من خلال التفكير. لمعلومات عن كتاب "راعي هرماس – Shepherd of Hermas" انظر أعلاه محاضرة 31 حزيران – يونيو عام 1934.

³ "نيكولاس فون دير فلو – Nicholas von der Flue"، أو الأخ كلاوس (1487-1417)، نكس صوفي بسيط أمي تم تطويره عام (1949). مراجعة الدكتور يونغ عام (1932) لكتاب "ألبان ستوك – Alban Stoeck" بعنوان "رؤى الأخ كلاوس المباركة – Visions of the Blessed Brother Klaus"، تمت إعادة طباعتها في الأعمال الكاملة، المجلد الحادي عشر، صفحة 474-478.

العمل بصفته شاعراً. سيبقى هذا الأمر مجهولاً إلى الأبد. لكن لدينا مؤشرات واضحة من غوته نفسه بأنه وضع فيها الكثير من الأشياء عمداً. لن نستطيع معرفة حجم التجربة الأصلية دون إجراء محاولة تحليل دقيقة لما يمكن أن يستخلصه من معرفته بالأدب الصوفي، وما الذي اختبره هو وحده. هناك تجارب بدائية مؤكدة تماماً في مسرحية *فاوست*، لكن التجارب الأخرى مستمدة من قراءاته الروحانية الواسعة النطاق.

الدكتور شليف: هل نحن متأكدون من أنه ليس هناك تفصيل لدى نيتشه؟

الدكتور يونغ: لا دليل على عدم وجود لذلك؛ لكن لدينا مؤشرات على حالات قليلة نسبياً حيث كنا متأكدين من مواجهة تجارب لحظية. فذلك الهاجس بموته القريب هو تجربة بدائية؛ وهي تجربة من اللاوعي وليس تفصيلاً. لكن كتاب *هكذا تكلم زرادشت* تفصيلي كله تقريباً؛ ليس مجرد سجل لتجارب بدائية.

السيدة سيغ: ألم يكن عمل "سبيتلر" في كثير من الأحيان تجارب لحظية؟

الدكتور يونغ: حسناً، كان هناك أيضاً كم كبير من التفصيل. كانت التجربة البدائية هي المحرّض على العمل، إذ دخل بكل هذه الإشكالات من أجل إنتاجه، لكن من الصعب إثبات ما بعد ذلك. لقد قمت بتحليل عمله بعنوان "*Prometheus and Epimetheus – البروميثيوس والإبيميثيوس*"، لكنني لم أقرب من ملحمته بعنوان "*ربيع الأولمب – Olympishc – frühling*"; لكن من خلال تحليله كما نحلل *هكذا تكلم زرادشت*، يمكننا أن نبرهن أنهما تجربة بدائية، وأهما تفصيلية.¹

¹ كارل سبيتلر (1842-1919)، معاصر لنيتشه، وحاصل على جائزة نوبل في الأدب. عالج يونغ كتابه "*بروميثيوس وإبيميثيوس*" في أماكن مختلفة – في كتاب "*الأنماط السيكولوجية* –

الدكتور يونغ: نعم، سؤال هام! يوجد في "جويس" من دون شك أجزاء صميمية، ويوجد بالإضافة إلى ذلك تدفق هائل للروابط المستمدة من تجربة الوعي. فلا يمكن لأي شخص أن يقول إنها صميمية بالمطلق. هناك استثناء للتفكير والمحاكمة: هناك الإحساس أساساً بالإضافة إلى شيء من الذكاء والحدس، في ظل غياب كامل للمادة المنطقية. فمن المؤكد أن تدفق الوعي هو الكتلة الأساسية للكتاب، كما تتدفق فيه نسبة معينة من اللاوعي. ولإجراء مقارنة توضيحية نتحدث عن وادي الراين الذي يتدفق فيه نهر الراين. ومع ذلك فهي ظاهرة مزدوجة حقاً. إن وادي الراين الذي يتدفق فيه نهر الراين هو ظاهرة مرئية واضحة جداً؛ لكن يوجد أسفله بستان أو تسعين متراً وإد أكثر قدماً، ويعود إلى عصر جليدي سابق، وهو لا يزال يتدفق فيه نهر آخر، لكنه غير مرئي أبداً، ومنفصل تماماً عن النهر الموجود فوقه. هذه هي الحالة التي لدينا: وعينا أشبه بنهر يتدفق أسفله نهر آخر أقدم بكثير، إذ يعود تاريخه إلى أزمنة سحيقة؛ ويوجد بينهما فاصل يُسمى عتبة الوعي. ويلتقي هذان النهران أحياناً ثم ينفصلان من جديد. ومن هذا التشبيه نجد أن "جويس" هو نهر الوعي، وقد تصل أحياناً إلى فكرة أن أسفله نهراً آخر لا يرتبط بالنهر الموجود على السطح. وهكذا يتضمّن "جويس" القليل من الرمزية بسبب عدم وجود محاولة لجمع المتناقضات، وإذا كان للرمز أي معنى، فهو الجمع بين المتناقضات. لذلك فهو يمثل التدفق؛ إنه يتدفق معه فينبثق أحياناً شيء من الحدس من الأعماق؛ لكنه

لا يظهر في العمل كله، ولم تحدث أية مواجهة ضمن العمل كله. لذلك ظهرت في كتابه تلك الأشياء الغريبة كالعلاقة مع أعضاء الجسد مثلاً؛ فهذه الأشياء لا تظهر إلا مع المجانين، وبدون قصد منهم، ثم تخلق روابط شديدة الغرابة. لكن ذلك لا يحدث إلا حيث يكون هناك مواجهة مع العمل الأدبي، ولا فرق بين المؤلف وعمله. هو الحدث وحسب، وهو متطابق تماماً مع الحدث. يظهر "جويس" هنا والآن، و"جيمس جويس" هو التدفق؛ ويظهر "عوليس" هنا والآن، و"عوليس" هو التدفق.¹

البروفسور فيرز: وفي كتابه الآخر، وأقصد سيرته الذاتية التي تحمل عنوان "صورة الفنان في شبابه – *Portrait of The Artist as a Young Man*", لا تظهر أية شخصية.

الدكتور يونغ: نعم، شيء مضحك. كل شيء يدور حوله دون أن تظهر أية شخصية. إنه حالة مختلفة طبعاً ولا تشبه أبداً حالة *هكذا تكلم زرادشت* حيث لدينا شخصيات محددة. بين جويس ونيتشه مئة عام تقرباً، فهو من جيل ما بعد الحرب، بينما نيتشه من جيل ما قبل الحرب. وهذا يشكل فرقاً كبيراً. وستكون مسألة مثيرة للاهتمام بالنسبة للذهن التأملية أن يكتشف لماذا كان هناك عدد معين من الشخصيات قبل الحرب على الرغم من وجود القليل من المواجهة؛ بينما بعد الحرب لا توجد أية

¹ كان يونغ في البداية سلبياً إلى حد كبير في نقاشه لرواية "جيمس جويس" التي تحمل عنوان "عوليس – *Ulysses*"، لكن اعتبر مؤلفها نبياً حقيقياً – "الناطق غير المتصد بالأسرار النفسية لزمته.... بمقارنتها بكتاب *هكذا تكلم زرادشت*، أو الجزء الثاني من مسرحية *هامليت*، نجد أنها تعرض حدثاً أقوى من حيث الهندسية والشعور بفتوحه" (الأعمال الكاملة، المجلد الخامس عشر، الصفحات 184 – 185). كلمات البداية لكتاب جيمس جويس بعنوان "لحظة لينينغان – *Finnegans Wake*" كانت "جريان نهر".

مواجهة من أي نوع كان. وإذا اعتبرنا الفنانين أنبياء ذلك الزمن فعلاً، فهي نبوءة غريبة. ثمة انخفاض مستمر بمستوى المواجهة مما يدل على انخفاض مستمر بالتفكير والبعد، ووجود تماء مستمر مع التدفق؛ مما يعني أننا أشبه بالنمل الذي يحاول عبور نهر دون أن يكون قادراً على مواجهة قوة الماء المتدفق. وبالتالي فهو في طريقه إلى الغرق، أو ربما يحطّ في مكان ما، لا أعرف. لكن سيكون الجميع طافين منجرفين كقطع الحطب في النهر حتى فترة معينة. ولا بدّ أن أقول إن التطوّر السياسي يبدو بالشكل نفسه تقريباً. فلا أحد يفهم الوضع؛ ويعاني الجميع من ضعف بالغ في التوجّه. إذ تحدث الأشياء بطرق لا تخضع للسيطرة إطلاقاً. فالدول كلها تسلّح، وتريد كلها إيقاف الحرب، لكن ذلك كله كلام بكلام، والأمور تأخذ مسارها.

سنتابع الآن في الفصل العاشر:

"ذلك ما كان زارادشت يناجي به نفسه عندما توسّطت الشمس قبة السماء. عندئذٍ تطلّع مستفسراً - لأنه سمع صوتاً حاداً لطائر فوق رأسه. ها هو نسر يحلّق في الفضاء راسماً حلقات واسعة، وهناك حيّة تتدلى منه، ليس كفريسة بل كصديقة: لأنها كانت ملتفة حول عنق النسر.

"ها هما حيواناي!" قال زارادشت وفرح من كلّ قلبه."

يحدث أمر ما هنا. لا تحدث الكثير من الأشياء في كتاب هكذا تكلم زارادشت، لكن يحدث شيء معين في بعض الأحيان. كنا قد عرفنا أن الشمس الآن في أوجها. لماذا أوضح زارادشت هذه الحقيقة؟ هل الشمس دائماً في أوجها بالنسبة لزارادشت طالما أنه العجوز الحكيم؟

الآنسة وولف: لا، هي ليست كذلك بالنسبة إليه، فهو شخصية أبدية، بل هي كذلك بالنسبة إلى نيتشه.

الدكتور يونغ: تماماً، ولدينا هنا مثال عن كيفية جريان الأحداث. إن زارادشت يتجاوز الزمن عادة باعتباره نموذجاً بدنياً، وحكمته تتجاوز الزمن أيضاً. أولاً: حكمته قديمة قدم العالم، وثانياً: تبدو دائماً وكأنها تتجاوز اللحظة الحالية. فأتثناء مغيب الشمس يرى منتصف الليل، وفي الظهيرة يرى شروقها لأن هذا ما يميز حكمته. وهنا نتذكر كيف ضحك "تيل أيونشبيغل"¹ كالمجنون أثناء الصعود، وبكى أثناء النزول، ولم يستطع الناس أن يفهموا لأن الحكمة ليست للناس العاديين، إلا أن الأمر كان مضحكاً بالنسبة إليه. لقد فكّر أثناء صعوده بالهبوط، وهذا ما جعله يضحك. وابتهج لفكرة أنه سرعان ما سيكون قادراً على النزول. لكن عندما بدأ نزوله، تَوَقَّع أنه سرعان ما سيفكّر بالتسلق مجدداً، لذلك بكى. وكانت تلك طبيعة زارادشت. وهكذا كان نيتشه الإنسان هو من اكتشف أنه في "أوج" حياته. حيث وُلِدَ عام 1844، ولم يكن قد بلغ عامه التاسع والثلاثين عندما بدأ يكتب هكذا تكلم زارادشت، وكانت تلك نقطة الأوج، وبداية الأصيل. وفي هذه الحالة، كان من المهم للغاية طبعاً أن يرى ذلك لأنه لم يتبق لديه سوى ست سنوات ليُصاب بالضمور العقلي الذي بدأ عام 1889.²

¹ "Tell Eulenspiegel" بطل كتاب الحكايات الفلكلورية الألمانية المنشور عام 1515. المترجم.
² في 20 كانون الأول - ديسمبر عام 1887، وقبل سنة من انهياره، كتب نيتشه رسالة إلى كارل فون غيرسمورف يقول فيها: "لقد وصلت حيايتي إلى أوجها: باب يُطلق وآخر يُفتح" (كتاب: رسائل نيتشه). وبالنسبة إلى يونغ، ترمز فترة الظهيرة إلى "النصف الثاني من الحياة"، وهي فترة التفكير في معاني الحياة.

اكتشف الآن وجود حيوانيه اللذين اعتبرناهما سابقاً رمزين للغريزة. وبما أن النسر يعيش في الهواء، فهو يحمل صفات الروح التي تُعتبر كأنناً مجنحاً أو ملاكاً، كأنناً محلقاً خفيفاً عائماً، أو كهينة الشبح الرقيقة. كما تعيش الطيور على قمم الجبال حيث لا يمكن لأحد أن يصل إليها، أو تسافر في السماء، وهذا ما تتسم به الروح دوماً؛ فلكي يكون الشخص روحانياً عليه أن ينبثق من أعماق جسده بسرعة ويفقد وزنه. أما الحية فترمز إلى ثقل الأرض. إذا تفتقد إلى الأرجل، ولا تستطيع القفز ولا الطيران، بل تزحف على معدتها على تراب الأرض. وغالباً ما تعيش في الجحور وبين الصخور، وبعضها حيوانات ليلية. كما أنها تشير إلى أماكن خفية وتلتقي بها حيث لا تتوقع وجودها. وهكذا فالحيّة رمز الأرض، ورمز أي شيء من العالم الآخر. أما من الناحية السيكلوجية فالنسر يشبه الأفكار، وبشبه رسول الإله الأعلى؛ ويمكن فهم الفكرة أيضاً بوصفها كأنناً مجنحاً ومنتجاً من منتجات الدماغ الذي يعلو الإنسان، ويعلو العالم. إنها جبل "ميرو" حيث تقبع مدينة الضوء، ضوء الوعي.¹ بينما تتكون الحيّة من عمود فقري، وبذلك تجسّد المحرك الأدنى لمراكز الجسد، أي مركز الحبل الشوكي ومراكز استجابة الدماغ. وكتجسيد للغرائز الفيزيولوجية، ترتبط أيضاً بالحياة الجنسية أو بالجاذبية الغريزية المتدنية للدماغ البشري البدائي أو الحيواني.

يرى زارادشت هذين الحيوانين معاً كممثلين لقطبين متناقضين لأنه يُفترض بالروح دوماً أن تكون الخصم العنيد للعالم السفلي، الخصم الذي يقاتل دوماً ضد الأرض وفقاً للفكرة العقائدية وفكرة الفلسفات القديمة

¹ جبل هلال في مركز الأرض، يبلغ ارتفاعه 86000 فرسخاً، ويقام فيه فيشنو.

بشكل عام. فإذا قارنت الأفكار الفلسفية الفائقة لفترة معينة، ولنقل منذ ألفي سنة، ستجد أينما ذهبت في العالم أن الناس يصلون إلى النتيجة ذاتها في كل مكان: أي إن المادة دنيئة وسيئة، والروح جميلة وسامية؛ وأنه يُفترض أن تخضع المادة للروح وليس العكس. ثم تكتشف من هذا الموقف أننا مضينا في حالة تطوّر غريبة في أوروبا نتيجة للفكرة التي ابتدعناها، وأعني هنا أن الروح كانت عقلاً، وأن العقل كان يعتمد على الدماغ ووظائفه. لقد بنينا علماً مادياً قامت فلسفته على أولوية المادة وهيمنة المبدأ المادي. وهذا يتناقض مع الأغلبية الساحقة للفلسفات والأفكار الدينية في العالم كله، لكن لا يمكننا أن ننتقد هذه الأفكار لأننا ننتمي للفترة الزمنية ذاتها. وهذا يفسّر حقيقة أن تطور الفن أو العلم أو الفلسفة، بقدر ما كان معاصراً، كان على مسارات متشابهة في العالم كله. فحضارة المايا والأزتك، بقدر ما يمكننا إثباته، تطوّرتا بشكل مواز للتطور في أي مكان آخر في العالم. وكانت فترة الفن الكلاسيكي في الحقبة ذاتها تقريباً؛ حيث كان الفن القوطي في الصين معاصراً لفننا القوطي؛ وظهر عصر الباروك والروكوكو في فترة التطوّر ذاتها في الصين. ويظهر من هذه الحقيقة أن هناك ميلاً لتزامن عام في الأحداث. لذلك لا يمكن القول إلا أن البشرية اجتازت في الألفيتين الماضيتين عصرًا كان فيه المبدأ الروحاني مهيمناً على المبدأ المادي، أو كان النسر مهيمناً على الحية. لكن بالعودة للرموز التي لدينا، ربما تأثرتم بحقيقة أن الحية التفتت على عنق النسر، فما الذي تمثله هذه الرمزية؟

السيدة سيغ: أن النسر يمسك الأفعى بمخالبه.

الدكتور يونغ: نعم، مبيناً أن الروح تغلبت على المادة، أو أن النسر تغلب على قوى الظلام أو الشرّ بتجسيده للضوء. تذكرون مثلاً أنكم رأيتم في

الكنائس ما يستقى مناخد القراءة التي يوضع عليها الإنجيل مسنوداً بنسر. فالنسر هو رمز للقديس يوحنا، كاتب إنجيل يوحنا، الذي تقوم فلسفته على فكرة اللوغوس، الكلمة، أو الضوء الذي يأتي من الله وينير ظلمة الإنسان. كما تنسب الأخيولات القديمة النسر إلى يوحنا لأن النسر كان رسول "زبوس" إله السماء، الرسول الذي وصل من السماء ويجسد الضوء. لذلك فإن الرمز الموجود على منصبة القراءة هو أن كلمة الله كما أعطيت لنا في الإنجيل قد نزلت إلى الأرض مدعومة بأجنحة نسر. إن النسر متفوق هنا بطريقة ما، وهو يحمل الحية لكنه لا يحملها بمخالبه بل هي تلتف حول عنقه. كيف ترون هذه الصورة؟

السيدة كرولي: في كتاب المندائيين للقديس يوحنا¹، ثمة صورة مختلفة جداً للنسر وهو يهبط كرسول من عند الله، ويقدم الاحترام لإلهة التدمير والرغبة "مايرا": لقد أصبح رسولها، ولذلك يظهر هنا كرسول الأرض فعلاً. الدكتور يونغ: تلك فكرة غنوصية، لكن الفكرة التي لدينا تشكل تطوراً أبعد بكثير من الرمزية الغنوصية. لن ندخل إلى هذه الفكرة الآن، ولا في رمزية النسر في الخيمياء. إذ لم يكن لدى نيتشه أية معرفة بالغنوصية ولا بالفلسفة القروسطية. كان عالماً بفقہ اللغة الكلاسيكية، ولديه ازدياء عميق لأي شيء أتى بعد السنة الأولى؛ كان فردوسه بين عامي 600 – 100 قبل الميلاد.

¹ القوصيون المندائيون (ماتدا: هي المعرفة) كانوا من بلاد ما بين النهرين. المخلص بذاته هو من حرض آدم وحواء على تجاوز أوامر الخالق حيث قال: "ظهرت أمامهما بهيئة نمر فوق شجرة المعرفة بغية تعليمهما....."، كتاب جين دورسي بعنوان "الكتب السرية للغنوصيين المصريين – The Secret Book of the Egyptian Gnostics" ترجمة فيليب مايريت (نيويورك، 1960). انظر كتاب "كتاب القديس يوحنا السري – The Secret Book of John"، صفحة 207.

السيدة يونغ: هل ترمز الحية للجانب الغريزي من زارادشت بصفته النموذج البدني أيضاً؟ وهل تنتهي فقط إلى نيتشه الإنسان؟

الدكتور يونغ: هذه مشكلة. بحسب معرفتي، ليس هناك دليل على أن النسر والحية لعبا دوراً خاصاً لدى زارادشت نفسه، لكن زارادشت كان فيلسوفاً أو معلماً هدفه ترسيخ هيمنة الروح. ونجد في القرون التي سبقت المسيح آثاراً في كل مكان على الجهد المبذول لجعل الروح تتفوق على المادة. وهكذا يمكننا القول إن زارادشت كان نسرأً يتفوق على مبدأ الأرض. لكن السؤال هو ما إذا كان النسر والحية يرمزان إلى غرائز نيتشه. وكيف ترون هذه الرمزية، وأين تظهر الحية وهي تلتفّ على عنق النسر؟ فهي صورة غير اعتيادية، وليست كلاسيكية أبداً؛ لأنها غالباً ما تتلوّى، بحسب معرفتي، بين مغالب النسر وتخضع له.

السيدة باومان: رأينا صورة نيتشه الإنسان وهو يخضع بالكامل لشخصية زارادشت، لكن تبدو لي هذه الصورة وكأنها تُظهر العكس تقريباً؛ يبدو كما لو أن الحية ماضية طوعاً مع النسر، أو أن نيتشه كان في طريقه طوعاً مع زارادشت.

السيدة مهليك: أعتقد أن الأمر فيه تناقض. فالنسر هو سيد الموقف، وهو يرفع الحية. لكن من جهة أخرى ربما يكون خاضعاً.

الدكتور يونغ: تعتقدين أن من الخطر على النسر أن يضع فلاة كهذه؟ حقاً خطير. أنا لن أرغب بذلك.

السيدة برونر: خطير بالنسبة للحية أيضاً: ربما تسقط.

الدكتور يونغ: حسناً، إذا تعلّقت بعنق النسر فلن تسقط، لكنها ليست حالة ممتعة. لا أعتقد أن الحية ترغب بطائرة من هذا النوع.

السيدة سترونغ: هل هو من جديد رمز التعليق قبل إعادة الولادة؟

الدكتور يونغ: هناك بالتأكيد دافع للتعليق.

الآنسة وولف: هي صورة مثيرة للاشمئزاز بالنسبة إلي. ويقول نيتشه إن الحية معلقة بالنسر "ليس كطريدة بل كصديق". تلك مشاعر فظيعة لأن هذين الحيوانين لا يسيران معاً؛ ولا يشكّان اتحاداً. فالحالة متناقضة تماماً لما نفعله في الواقع، وهذا ما يجب أن نأخذه بعين الاعتبار في الصورة. إنها حالة متناقضة جداً.

السيدة سيغ: بما أن نيتشه كان ابن قسّ بروتستانتي، فهو يعرف بالتأكيد أنه ما من حيوان آخر في الكتاب المقدس كان ملعوناً مثلها؛ نالت الحية لعنة روحانية من الخالق: "مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ بَيْنَ جَمِيعِ الْهَائِمِ وَبَيْنَ جَمِيعِ وَخُوشِ الْبَرِّيَّةِ، عَلَى بَطْنِكَ تَسْعَيْنَ". كان نيتشه دوماً ميالاً للتصدي لأشياء كهذه ويقول عكسها، ربما لذلك ظهر اعتراضه هنا أيضاً.

الدكتور يونغ: نقطة هامة جداً. بالطبع، الأكثر إثارة للإعجاب في هذه الصورة هو أنه تم رفع الحية من مسكنها المعتاد إلى وسط تعتمد فيه بالكامل على إرادة النسر الطيبة. وهي حالة غير مريحة أبداً. لأن النسر سيجوع بعد فترة قصيرة ويأكل الحية. نعرفون أن "صقر الجديان – *secretary bird*" – الذي يبدو كالنسر تماماً لكن ساقيه أطول بقليل – هو المفترس الكلاسيكي للحية. وثمة الكثير من الطيور المشابهة للنسر في الواقع، وهي العدو الأساسي للحية. لذلك فإن الحية في وضع غريب جداً، والسيدة باومان على حق تماماً عندما أشارت إلى أنها صورة تعبر عن مأزق نيتشه الخاص. لقد تم رفعه عن الأرض باعتباره رجلاً عادياً، رجلاً من الأرض، وبات في قبضة طائر هائل. فالنسر هو النموذج البدني كما

تعرفون؛ والمعجوز الحكيم هو طائر الحكمة المعجوز. لقد رفعه طائر الهامسا؛ البجع، إلى الأعلى. وهناك موازٍ كلاسيكي يجب ألا يغيب عن أذهاننا، لأن نيتشه عالم فقه لغوي كلاسيكي، فما هو؟

الأنسة وولف: البطل المراهق الأسطوري "جانيميد – Genymede".

الدكتور يونغ: نعم، ذلك الطفل الجميل الذي وُلِدَ من نسر زيوس ليخدم على طاولة الآلهة – الفترة الفاصلة للمثلية الجنسية، إحدى القضايح الصغيرة في جبل الأولمب. وهكذا فإن نيتشه الرجل كان مؤطراً بهذه الصورة، ونلاحظ دائماً التأثير الشخصي في الرمزية عندما لا يتوافق شيء ما مع القواعد كما ينبغي. ففي هذه الحالة، ليس صحيحاً أن الحيّة تلتفّ حول عنق النسر. ربما تتخيّل الحيّة شيئاً وتضغط عنقه بحيث لا يستطيع التنفس، الأمر الذي سيكون سيئاً لكليهما؛ الأمر خطر للغاية، وقد يؤذيها معاً. هذا ما تؤكدته تصريحات زارادشت المتتالية، بمعنى: "أكثر خطراً وجدتُ الحياة بين آدميين، وخطيرة هي الطرق التي يسلك زارادشت. فليقدي حيواناي إذاً!". وجد احتمال التعرّض للخطر في المكان الخاطئ لأنه خائف من المخاطر بين البشر. هناك خطر نسبي بين البشر طبعاً؛ فالخطر القابع بين الوحوش، ولا سيما وحوش الإنسان نفسه، أعظم بكثير. لكنه يشعر بتوتر رهيب يتجلى بهذه الرمزية الغربية.

وكما أشارت السيدة باومان، ظهرت الحيّة هنا كصديقة للنسر، وهذا ما يمكن تفسيره من الجانب الشخصي كإثبات لحقيقة أن العلاقة بين نيتشه وزارادشت علاقة وديّة. هو لا يشعر بأنه ضحية زارادشت بل يشعر بمخالب النسر وكأنها إيماءات حب، لذلك يمكن القول إن الحيّة التفتّ بإرادتها الحرة على النسر أو عانقته. وهذا يشير إلى أن الوضع ليس عدائياً

مطلقاً بل اتحاد ومصالحة على ما يبدو. لكن تبقى حقيقة أن الحيّة محلقة في الهواء بعيدة عن مكانها الاعتيادي، مما يعبر عن أن نيتشه وقع تماماً تحت سيطرة "الهامسا"، الطائر النموذجي البدني دون أن يُبدي أية مقاومة، بل يقدم نفسه طوعاً لهذه الرحلة. وكما أشرنا بداية، هي محاولة لرحلة في الجو وليس تحت البحر؛ لأن كل ما يطير في الهواء مرئي. إنه رحلة في النطاق المفتوح تماماً، بينما تتم الرحلة الليلية في الظلام ولا تكون مرئية. وهكذا بطريقة ما، إذا نظرنا إلى الرحلة من وجهة نظر نيتشه الشخصية، فإن رؤيته لزارادشت هي حقيقة ما يمكن أن يراه نيتشه نفسه. وقد يسأل نفسه بعد مواجهته للحقائق: "لماذا رأى زارادشت تلك الصورة؟ وماذا يجب أن تنتقل إلى زارادشت نيتشه؟"

تظهر الغرائز دوماً من اللاوعي وتلمح لنا بشيء ما، وربما تظهر لنا في حلم. وذلك لأنني إذا كنت متماهياً مع نموذج بدني، فلن أستطيع معرفته، وهو لن يخبرني بالتأكيد لأنني واقع تحت سيطرته. وإذا كان هو العجوز الحكيم، فسوف يسعى فقط للتعبير عنه نفسه، والأداة البشرية التي يستخدمها فعلاً في عام 1883، لا تُحسب على الإطلاق. ربما يستخدم أي عصر أو أي شخص أو أية أداة. ويبدو الأمر تماماً كما لو أنني أستخدم مطرقة معينة، ثم أرميها دون أن أعيرها أي اهتمام. فهي ليست مطرقة شخصية. هكذا يستخدم النموذج البدني الإنسان كأداة مؤقتة. إننا نثير الصخب في حياتنا، لكن الطبيعة لا تُصدر ضجيجاً من أي نوع كان؛ إذا أرادت الطبيعة أن تمحو سبعة ملايين إنسان فسوف تفعل ذلك بكل هدوء. نحن نقتل الملايين من أفضل الرجال في الحرب، وهذا طبيعي تماماً، إنها الحرب. ونستطيع أن نفعل ذلك لأن ثمة نموذجاً بدنياً يسيطر علينا:

يمتلك الناس أحدهم الآخر ويمحوه عن وجه الأرض. وهو ما تفعله الطبيعة. ومن هنا فإن نيتشه الإنسان لا يهتم كثيراً بهذا النموذج البدني، فهو ليس أكثر من أداة. لكن الإنسان في وضع سيئ طبعاً، وهو خاضع للسيطرة ولا يستطيع الدفاع عن نفسه لأنه لا يدرك أنه خاضع للسيطرة، وهذه فرصة رائعة لللاوعي. وبما أن لكل شخص غرائزه، فالنموذج البدني للعجز ليس هو اللاوعي كله. بل هو أحد قاطنيه وحسب، وهناك أرواح أو قوى أخرى ستظهر. فإذا خضع الإنسان للسيطرة ولم يعرف بذلك، فستراوده أحلام تخبره بشيء ما، أو سيظهر شيء أمامه ليوضح له الحالة.

بالنسبة لشخص مثل نيتشه مثلاً، سيظهر حلم يتضمن هذه الصورة للنسر والحية. وإذا حدثت حالة كهذه في الواقع، سأفسّر الأمر على الشكل الآتي: لقد أطبقت عليك كلمة السماء وضوء الجنة والنسر؛ كيف تستطيع أن تقاوم ذلك؟ تسلّم نفسك لها. لكن عليك أن تعرف أنه أمر خطير لأننا لا نعرف كيف سيكون التحوّل في المستقبل. فلا بد من القول إنها كانت حالة تحذيرية للحية - وربما أقل بالنسبة للنسر، لأن الحية هي بشكل رئيس تحت وهم علاقة صداقة. ولو كان النسر خاضعاً لهذا الوهم، لكانت الحية أقنعتة بالبقاء على الأرض والقفز على الأرض بينما تزحف هي وتجلس على عنقه. كان عليه أن يبقى قافزاً على الأرض حاملاً الحية، أو التفكير بأي ترتيب آخر. لكن من الواضح أن الحية هي التابع. فهي تمثّل نيتشه الذي يتبع تلميحات وإيحاءات النموذج البدني، وتم حمله في الجو. هذه هي *النشوة*، المعجزة المثالية للارتفاع والتحليق. تحدث أشياء كهذه في حكايات القديسين، حيث يرفعون بشكل مفاجئ خلال القداس، وبينما هم يصلّون أمام المذبح: إنها نشوة حقيقية.

السيد باومان: رأينا لدى البروفسور "رومال" رمزاً كهذه؛ فليديه سلسلة كاملة من الماندالات التيبية الصغيرة يظهر في إحداها حية بأجنحة هائلة تحلق في السماء. وفي اللوحة التالية اختفت الحية ولم يبق سوى أجنحة تطير إلى الشمس.¹ تلك هي لوحة *للشوة*.

الدكتور يونغ: وصل النقاش الآن إلى فكرة الحية المجنحة، أي "كوبتزالكوتل"، الرمز المكسيكي لما يسمى الإله المخلص. الحية المجنحة أو الحية ذات الريش هي اتحاد الطائر مع الحية، لكنه اتحاد عضوي: حية تطير وتزحف في آن معاً، ويمكننا أن نطلق عليها اسم تنين، فالفكرة الصينية عن التنين تشبهها كثيراً. إنه حيوان يرتبط للغاية بالحياة المائية والعالم الآخر، ومن ثم يحلق في الجو ويصبح نارياً. ولدينا أساطير عن تنانين طائفة، أو ثعابين مجنحة.

السيدة كرولي: وهناك فكرة هندوسية عن ثعبان تشكله الغيوم، ويخصب الأرض.

الدكتور يونغ: تتمثل هذه الفكرة أيضاً بأجنحة عادة، وهي طبعاً محاولة للتوفيق بين الثنائيات المتضادة، كما كان حال هذه الرؤية أيضاً، وكما سيكون هذا الرمز إذا حدث في الحلم. لكن الحية هنا إلى جانب النسر بشكل مُبالغ فيه للغاية، فهي تطير في السماء. ولا بد لي بكافة

¹ ألقى إروين روسال من فرانكفورت محاضرات في مؤتمر إرانوس عام 1933، 1934، 1935، حول الأساطير التاوية والصينية. ألقى إندرا ضربة البرق القاتلة على الغيمة المتخذة شكل الحية وهكذا أطلق "الميثان من الحياة". زيمر/ أساطير، صفحة 3. محاضرة روسال عام 1933 بعنوان "الدليل الروحي إلى التاوية المعاصرة - Spiritual Guidance in Cotemporary Taoism" تم نشرها في كتاب "تدريبات روحانية - Spiritual Disciplines"، المجلد الرابع من مجموعة بعنوان "محاضرات من حوليات إرانوس - Papers from the Eraos (برينغتون، 1960، B. S. XXX).

الأحوال أن أنتقد الحقيقة الغربية التي تجعل الحيّة تلتفّ حول عنق النسر؛ فهي مجدداً صورة تحذيرية. ولا يجب أن تعجبني، فهي ليست لوحة جمالية ولا تتوافق مع القواعد. لقد نحت الفنان "كلينغر" تمثالاً لنيّشه مستخدماً رمز النسر والحيّة؛ فكانت الزوايا الأربع للتمثال على شكل مغالب نسر، والنسر يحمل حيّة بمخالبه.¹ وهو هنا يصحح رؤيا زارادشت كما يفعل الفنانون؛ فقد أصرّ على أن الحيّة خاضعة لسيطرة النسر لأنهما عدوّان أزليان. وأينما صادفنا اضطراباً في رمزية تقليدية قديمة، علينا العودة إلى الشخص الذي استخدمها، وسوف نكتشف أن شيئاً لا يمكن تجنّبه قد حدث بطريقة ما. لا بدّ لذلك أن يحدث، لكن الطريقة التي حدث بها غير صحيحة.

كان هدف زارادشت علاج مشكلة ذلك الوقت طبعاً؛ لذلك ظهر العجوز. وقد قال نيّشه نفسه إنه استخدم شخصية زارادشت لأن زارادشت الفارسي الأصلي أوجد فكرة الصراع الأخلاقي في العالم؛ وبما أن الصراع الأخلاقي وصل إلى الذروة الآن، فعليه أن يظهر مجدداً ليفعل شيئاً وبالعالم. فلا بد من إعادة دمج المتناقضات التي انفصلت أثناء هذا الصراع الأخلاقي. من هنا ظهرت تلك الصورة التي حاول فيها زارادشت إعادة دمج المتناقضات. "ما وراء الخير والشرّ" يعني ما وراء النسر والحيّة وما خلفهما من معنى أخلاقي؛ هكذا يحاول زارادشت إصلاح مشكلة عصرنا.² من الواضح أن التفكك الأخلاقي القديم فقد أهميته الكونية وظهرت لدينا

¹ ماكس كلينغر (1857 - 1920)، رسام ونحات ألماني.

² لم يكن نيّشه معترضاً أبداً على الأخلاق بشكل عام، بل كان معترضاً على الأخلاق المسيحية والبودية أو أية قوى أخرى تُفكر الحواس. وقد أراد أن يتجاوز موضوع الخير والشرّ ليصل (من وجهة نظره) إلى نقبضين صالحين هما "الجيد والسيئ".

مشكلة جديدة تتلخّص بالتوفيق بين الثنائيات المتضادة. ومع ذلك يتم تمثيل الجسد بحية ترتفع عن الأرض. كيف تفسرون حالة كهذه؟

السيدة كرولي: التضخّم؟

الدكتور يونغ: لا، أنا لن أدعوه التضخّم. فعندما يجب عليك حلّ مشكلة هامة وجديدة فعلاً بالنسبة إلى العصر، ستكونين متأثرة للغاية بالطرق التي تم استخدامها لحلّ هذه المشكلة حتى الآن، هذا هو الأكثر احتمالاً. يستحيل التخلّص من الحلّ المقترح حتى الآن. والحلّ الذي اقترحه زارادشت القديم كان: دع الروح تتغلّب على المادة، واليانغ على الين، فتُحلّ المشكلة إلى الأبد لأن وجود المادة سيزول. تلاحظون أنها فكرة الخلاص التي بدأت فعلاً في بلاد فارس، ومن ثم ظهرت إلى حد ما في مصر ووصلت إلى مملكة يهوذا، ولا سيّما في المسيحية، حيث تندلع نار الجحيم في نهاية أيامنا وتحرق العالم كله، ويختفي كلّ ما له علاقة بالمادة إلى الأبد. كما ظهرت أيضاً في الأديان الغنوصية البدائية حيث يظهر الذنب المرس في نهاية المطاف، وتلتهم النار العالم كله. كان انتصار الروح في النهاية هو الطريقة لحلّ المشكلة، مما يفسّر جميع الاستنتاجات التي خلصت إليها المسيحية من ناحية إهمال الجسد وتدميره. فكل ما يتعلّق بالجسد متدنٍ وأقل قيمة بالنسبة للكهنة والقديسين، وكان هناك محظورات معينة لإثبات دونية الأشياء الجسدية؛ وكل ما يمكن أن يستدعي العقل والروح كان جيداً ورائعاً وسماوياً.

لكننا حققنا على مدى العصور الاكتشاف ذاته الذي تحقق في الصين، حيث بقيت الحروف المطبوعة أو الرمزية مقدّسة - حتى اكتشفوا أن بالإمكان طباعة كل أنواع البذاءة والابتذال. لكن في السابق، كان كل شيء

مطبوع، وكل قصاصة ورق مطبوعة أو مكتوبة، يُحفظ بعناية ويُصان على أنه مقدّس؛ فالورقة التي تحمل أحرفاً لا يمكن أن تطأها قدم. ونحن لدينا الفكرة ذاتها؛ لا يزال هناك من يقتنع بصحة شيء ما لأنه مطبوع. نحن نؤمن بالملكات الإنقاذية للعقل والروح. وإيماننا بالعلم هو الشيء ذاته: هذه هي الحقيقة، والمنطق والحقيقة هما ما ينقذنا في نهاية المطاف، وهما مخلصنا. إنه التعصّب القديم ذاته كما ترون، فنحن لا نعرف ما هي الصراحة ولا كيف تعمل؛ وتعلّمنا أن الكذب أحياناً جيد كالصراحة تماماً. في أمريكا، تم عرض مسرحية عن يوم معين لا يُقال فيه سوى الصراحة على مدى أربع وعشرين ساعة، وهي توضح تماماً ما يمكن للصراحة أن تفعله. لأنك إذا قلت الحقيقة على مدى أربع وعشرين ساعة، تخلق في نهاية المطاف جحيماً من الفوضى التي لا يستطيع أي شخص أن يخرج منها.¹ لقد نشأنا على الشك على ما يبدو؛ لأننا نواجه مشكلة ما إذا كان علينا أن نقول الحقيقة أو نبقى على شيء من الخداع! ونحن نعرف حالات كان فيها الخداع أفضل من الحقيقة بالتأكيد. ولهذا وصلنا إلى كل أنواع الصدمات لأن علينا أن نقول الحقيقة. لكن الكذب أفضل بكثير في بعض الحالات، ثم نصبح مشوشين وتبدأ الكارثة. ربما نكتشف أن ما يسميه الناس خطيئة مناسب للغاية أحياناً، في حين يصبح ما يسميه الآخرون فضيلة أبشع الرزايل، يصبح سيئاً وشديد القسوة فعلاً. وهكذا بدأ الشك بهزنا، وبدأنا ننظر إلى الأشياء من وجهة نظر مختلفة.

¹ ظهرت عروض مسرحية لا تُحصى، ولا يقل عن أربعة أفلام عن المسرحية الهزلية التي ألفها "جون جوزيف مونتهومري" بعنوان "لا شيء سوى الصراحة – Nothing but the Truth" التي تعود إلى عام 1920.

ظننا مثلاً أن من المفيد معاقبة المجرم، لكننا نعرف الآن حالات لم يكن العقاب فيها جيداً. أو ربما نعرف المجرم وندرس حالته ونُدرك أننا كنا سنفعل الشيء ذاته لو كنا مكانه. كما يدخل الناس الحذرون جداً في تجنّب ما هو غير صحيح تماماً في حالة فوضى فظيعة، بينما يتعاش غير المتطرّفين بشكل أفضل بكثير، وتكون عدائتهم للمجتمع البشري أقل بكثير من المبالغين باتخاذ الطرق الصحيحة. ومن هنا لا يمكن أن نمنع أنفسنا من الشكّ بصلاحية هاتين الفكرتين. والأهم من ذلك، نعرف أن ما أسميناه مادة أو أداة، أي ما نسخر منه ونحتقره، هو شيء روحاني مثل الروح ذاتها، وربما تكون الروح مادية كالمادة تماماً. وحتى عندنّز، سينتابنا الكثير من الشكّ حيال المبدأ الذي ينبغي علينا أن نعطيه القيمة الأكبر. لذلك يضعنا المجموع العام للشكّ والتأني أمام السؤال الآتي: كيف يمكن حلّ الصراع بين اليانغ والين، أو بين الجيد والسيئ، أو بين الروح والمادة؟ ومن الطبيعي جداً، إذا أجرينا محاولة للحل، أن نتأثر بقيم الماضي بشدة.

فمن المحتمل جداً أن النسر يأخذ الحية برحلة في الهواء؛ وهذا امتياز بالطريقة التي كانت فيها حياة نيتشه بحد ذاتها امتيازاً. لكنّ هناك فرق صغير بين حياة نيتشه وحياة القديس؛ هو أن نيتشه هجر حياته العادية ومضى إلى الغابة التي يمكن أن تُسمّى "رابالو" أو "إنغادين"، أو "نايس"، وما إلى ذلك، لكنه كان وحيداً ناسكاً، حيث عاش بين كتبه بشكل كامل، وكترس نفسه لممارسات روحانية، وخسر التواصل مع عالم الجسد. لقد أصبح بالفعل قديساً معاصراً؛ حيث سيطر عليه الجانب الروحي أكثر مما كان ينبغي لحل مشكلته الأخلاقية. فإذا أراد المرء أن يحل مشكلة عليه أن يعطي قيمة متساوية. إذ لا يمكن القول إن جانب الروح أفضل بمرتبتين من الجانب الآخر؛ علينا أن نقرّب الأقطاب المتضادة بطريقة مختلفة تماماً يُعترف فيها بحقوق الجسد بقدر ما يُعترف بحقوق الروح.

المحاضرة السادسة

14 كانون الأول - نوفمبر 1934

الدكتور يونغ:

كنا مشغولين في الفترة السابقة برمز النسر والحية، وقلنا إنه ليس طبيعياً ولا عادياً أن تلتف الحية حول عنق النسر. فهما متعارضتان عادة، والنسر يمسك الحية بمخالبه، وهذه هي الفكرة العامة عن الصراع ما بين اليانغ والين، أو بين الروح والمادة. وكقاعدة عامة، ومنذ عصر صيد السمك وربما قبل ذلك، وصولاً إلى عام 2000 قبل الميلاد، كانت نتيجة المعركة أن يتغلب النسر على الحية: تفوز الروح على المادة. لكن يتعلم المرء من الفلسفة الصينية أن الوضع ليس كذلك دوماً لأن العكس قد يحدث. ونحن نميل إلى تصديق أن الروح أفضل بكثير من الجسد، وأن الجسد أو المادة تستحق أن تلتهمها الروح؛ لكن يصادف المرء حالات ينتابه الشك فيها حول ما إذا كان ذلك يستحق الثناء. حتى إن المرء يستنتج من تجارب معينة أنها ليست مرغوبة حقاً.

لديّ هنا حالتان مثيرتان للاهتمام تظهر فيهما هذه الرمزية المكونة من نسر يحمل الحية حول عنقه وقد اكتشفها أشخاص آخرون إلى جانب نيتشه. المساهمة الأولى ندين بها للسيد باومان الذي تكرّم علينا بإظهار

صوره التي اتضح فيها مصير الأفعى، أو إنجاز النسر. إنها قصة العلاقة بين المبدأ المادي والروحاني كجزء من التطور الداخلي. كما يمكن للمرء أن يصفها بعملية "طقوس البدء". أو يمكن التعبير عنها بطريقة معكوسة حيث إن عمليات "طقوس البدء" جميعها التي عرفناها في التاريخ أو من خلال التجربة هي عبارة عن تظاهرات خارجية لعملية داخلية طبيعية تحدث دوماً في الذهن. وأحلامنا أشبه بنوافذ تسمح لنا بالنظر من خلالها، أو تسمح لنا بالإتصاف بالعملية السيكلوجية التي تحدث باستمرار في لاوعينا. فهي عملية تحوّل للوعي لا تنتهي أبداً إذا لم ن تدخل. وهي تحتاج إلى تدخل وعينا للوصول إلى هدف، لأنه من خلال تدخلنا نصنع الهدف. وإلا فستكون أشبه بالتغير الأبدي للفصول في الطبيعة، وعملية البناء والهدم، والدمج والانفصال. لا يوجد في الطبيعة محاصيل تأتي إلى البيت؛ لأن وعي الإنسان وحده يعرف ما هي المحاصيل. إنه يجمع التفاح عن الأشجار لأنه يفسد إذا بقي عليها. وهذا ينطبق على عملياتنا العقلية اللاوعية التي تدور في حلقة ضمن نفسها. فهي تبني وتهدم؛ وتدمج وتفصل، ثم تعيد عملية الدمج. وذلك أشبه بتتابع الفصول، أو شروق الشمس وغروبها الدائم الذي لا يأتي منها أي شيء ما لم يتدخل الوعي الإنساني ويدرك النتيجة. ربما نرى شيئاً معيناً فجأة ونقول: "هذه وردة!" لقد وصلنا الآن إلى شيء ما. لكن لا شيء يحدث أبداً إذا تركنا العملية لنفسها. يمكنك أن ترى ذلك في حالات الفُصام. فإذا تابعت أحلام الشخص الفُصامي ترى الكثر ينمو صاعداً إلى السطح، وتدرك أنه إذا استطاع هذا الشخص في هذه اللحظة أن يلتقطه، أو يشير إليه فقط، فسيملكه ويفقدو كل شيء بخير. لكنه في اللحظة التالية يغوص مجدداً مدة تسع سنين، وتسعة أشهر، وتسعة أسابيع وتسعة أيام، ثم ينتهي، فلا أحد يستطيع الوصول إليه. كما يحدث الأمر نفسه لدى الشخص الطبيعي؛ فهناك الوعي نفسه دون أية مشكلة إذا لم

يتدخل الوعي ويلتقط الكثر ويرفعه على موجة اللاوعي. (يتم عرض لوحات داخل القاعة أثناء السيمنار).

نظر السيد باومان عبر النافذة ورسم صوراً من اللاوعي. لدينا هنا نسر وحية، وشخصية صبي يحوم حول البحيرة بحثاً عن قلب في البحيرة. إنها حالة خاصة طبعاً لأن اكتشاف الشعور في الإنسان مشكلة خاصة. لا يمكن العثور على القلب في الماء طالما أن الحية في الماء أيضاً. فلكي تجعل الصبي يعثر على القلب، ينبغي عليك أن تجعل الحية تصعد إلى السماء أو تحلق في الهواء. وإذا بقيا معاً فهذا يعني أن القلب قلب حية، والشعور في حالة تمام مع الحية. لذلك يجب إخراج الين من عنصره، أي من برودة اللاوعي الذي يشبه الماء. يأتي بعد ذلك الصراع بين النسر والحية لأن علاقة أحدهما مع الآخر غير جيدة.

ثمة رمز مطابق تقريباً موجود في الميثولوجيا الهندية. فمن لطف السيدة زينو أنها لفتت انتباهي إلى أسطورة "غارودا وناغا"، ولدي هنا لوحة لفيشنو المتوج على "غارودا"، الطائر قاتل الحية. غارودا هو طائر العقل، هو نسر شيطاني يتمثل عادة برش وأجنحة. وربما لا تكون "ناغا" حية شيطانية وحسب بل تمثل أيضاً من يجلبون الحية من الطبقات الدنيا، أي من "الدارفديان"، وهم السكان الأصليون الذين اقتلعهم الغزاة الآريون من جذورهم أو قتلوهم.¹ فالآريون هم النسور، هم شعب السماء الذين هبطوا على السكان الأصليين البدائيين داكني البشرة، "الدارفديان". ولدى بعض القبائل الأصلية أيضاً عبادة ترتبط بالعالم الآخر ذاته: نذكر على سبيل المثال هنود "الهوبي" الأمريكيين الذين لم يكونوا من البدو بل بُناة

¹ غالباً ما نتحدث الأساطير الهندوسية عن "غارودا" باعتبارها الاسم الشائع للأفعى "جيني - geni"، لمعلومات عن كريشنا وغارودا والأفعى الملك انظر أساطير زيمر، وخاصة صفحة 856، والصور.

مدن، وهنود "البوبيلو"، الأجداد الحقيقيين لشعب الأزتكت. إن كلمة "بوبيلو" – *pueblo* الإسبانية الأصل تعني المدينة؛ وتعود بمصدرها إلى الكلمة اللاتينية "*populus*" التي تعني "الناس"، لكن تغير المعنى ليصبح الموقع الذي يقيم فيه البشر. حيث كانت تلك القبائل تُدعى هنود البوبيلو لأنهم بنوا القرى وعاشوا فيها. ولدى هنود "الهوبي بوبيلو" عقيدة عبادة الحيّة المرتبطة بالعالم الآخر. ويؤدون عادة رقصة الحيّة الخاصة بهم في الكنيسة المسيحية لأنهم أيضاً مسيحيون لديهم أسماء إسبانية مسيحية، وخضعوا لطقوس العمادة الكاثوليكية. لكنهم يحافظون على أسمائهم الهندية لأنها هامة من ناحية معانها الباطنية. لذلك قد يكون هناك شيء مماثل في الهند؛ حيث كان شعب "الناغا" يمجّل الحيّة.

لكن الأسطورة سيكولوجية صرفة طبعاً. إنه الصراع بين المبدأ الهوائي المتمثل بالقوة الموجودة في الهواء والضوء والريح، ومبدأ الين العائد للعالم الآخر، والمتمثل بالحيّة. ويقال إن "غارودا" قضى على كل "الناغا" باستثناء واحد وضعه حول عنقه، أي ارتداه كقلادة عنق. ويتضح هنا، كما ترون، أنه لن يكون عبثاً ولا إشارة على صداقة خاصة. وإنما إشارة إلى نصره على الحيّة. والحقيقة الغربية أن سيدات روما القديمة اعتدن فعلاً في الجو الحار على ارتداء حيّة على قيد الحياة كقلادة عنق، على ألا تكون مؤذية طبعاً. لأن الحيّة تعمل على تبريد العنق، وترغب بالالتفاف حول عنق مالكتها لأنه حار. وهكذا فإن فكرة قلادة العنق كانت زراً، وأستطيع بسهولة أن أتخيل أن روما لم تكن المكان الوحيد الذي تُستخدم فيه الحيّة لهذه الغاية. فالأطفال يرغبون أيضاً بأن يحملوا حيواناتهم الأليفة معهم كزينة أيضاً.

سنتابع في النص الآن. في الجزء الأخير من الفصل العاشر يقول: "وجدت الحياة بين البشر أشدّ خطراً منها بين الحيوانات؛ طرق خطيرة

يسلكها زارادشت، فليقطني حيواني /ذأ! " هذا يبين أنه لن يمضي في مسار الحيوانات التي يعتقد أنها أقل خطورة، بل يعني أن يمضي بين البشر. ومغامرته خطيرة طبعاً، لأنه من خلال تماهي نيتشه مع زارادشت، ارتفع من عالم المادة إلى عالم الروح. فإذا نسينا أننا مكوّنون من أجساد حية، وحاولنا العيش في وسط روحاني تماماً، فسوف يعاني الجسد؛ ويقدر ما يعاني الجسد، سيتأثر الذهن أيضاً بسبب الضغط الكبير الذي يتركه على أذهاننا عندما لا نكون متوافقين مع أجسادنا. فيصبح الذهن حينها منهكاً بسبب الجسد. وهكذا على الرغم من أنه يأمل بأن يقوده حيوانه، سيبقى ما إذا كنا سيفعلان ذلك موضع شك لأننا غالباً ما نعبّر عن رغبات كهذه عندما نكون في حالة الشك الكامل. لكنه سيحتاج الحيوانات في مغامرته بالتأكيد.

بعد أن قال زارادشت كلامه هذا تذكر كلمات الناسك الذي التقاه في الغابة، فتتهد وقال في نفسه: "أريد أن أكون أكثر حكمة! أريد أن أكون حكيماً في أعماقي مثل حيّتي!"

لقد تذكر فجأة عجوز الغابة الذي لا يؤمن كثيراً بالمغامرات الروحانية، وانسحب نحو الغابة، أي انسحب إلى الحيوان ومبدأ "الين". وزارادشت يشك في طريقه هنا، ويشعر بأنه لا يمتلك الحكمة الكافية؛ فهو يحتاج إلى الكثير من الحكمة ليكون طريقه آمناً. سيحتاج إلى حكمة الحيّة، حكمة العالم السفلي، حكمة الأرض التي لا يمكنه الوصول إليها إذا كان خارج الجسد؛ لأنه عندما يكون مع الطائر "غارودا" يكون معادياً للحيّة بالضرورة. ومن المنطقي جداً بعد أن رأينا لوحات السيد باومان، حيث يحمل الطير الحيّة بذلك الشكل اللطيف أن يندلع الصراع بينهما لأنهما أشبه بكلب وقطة. ويوجد طبعاً أمثلة معيّنة أصبح فيها الكلب صديقاً للقطعة، لكن ذلك المشهد نابع من معجزات التدجين المنزلي؛ لكن من غير

الممكن تدجين طائر كالنسر أو حيوان كالحيّة، ولا يمكن لمعجزة كهذه أن تحدث. إنهما من كوكبين مختلفين تماماً، وأحدهما يعادي الآخر دوماً. ومع هذه الأمنية الكريمة ينتهي الفصل التمهيدي ونصل إلى نصّ زارادشت الحقيقي.

السيدة بايتز: هل لي أن أسأل لماذا قارب نيتشه بين الغرور والنسر؟

الدكتور يونغ: لطالما كان النسر رمزاً للغرور، لكنه يظهر هنا كنوع من التفسير. كان قلقاً من رمز النسر والحيّة. لقد عبّر عن أشياء أصلية فيه مثلما اختار السيد باومان رمز النسر والحيّة للتعبير عن تجربته الداخلية، وهو ما يرغب المرء به ويفعله دوماً، ومن هناك كان تطابق الرموز. فعندما يواجه نيتشه مشكلة كهذه سوف يختار هذه الرمزية طبعاً. فالحيّة تزحف على معدتها فوق التربة بينما يخلق النسر في الأعالي. إنه مشهد رائع جداً وعظيم كالنسر البروسي مثلاً؛ ولذلك هو رمز للغرور. لكن ذلك غير مناسب أبداً من الناحية السيكلوجية. ولو مضى أكثر من ذلك لتزوّط بمشكلة العلاقة بين الروح والمادة، ولاتخذ هذا الزارادشت منعطفاً مختلفاً تماماً. وكان سيمنح زارادشت جسداً. لكن ذلك هو موقفه الغريب الذي لا يسمح له بالتعامل مع تجربة النسر والحيّة بجديّة.

أنت لا تبدأ بالتفكير بطريقة مناسبة برمزية كهذه حتى تسأل نفسك عن السبب خلف وجود الحيّة والنسر؟ لماذا لم يكونا أي شيء آخر؟ لكنه كان قد وصل في خضوعه لدرجة لا تمكنه حتى من التساؤل عن ذلك. لكننا نتصرّف بالطريقة ذاتها. في عيد الميلاد مثلاً في الخامس والعشرين من شهر كانون الأول - ديسمبر من كل عام، يضع الجميع أشجار عيد الميلاد في منازلهم، ونفعل ذلك لمنح السعادة للأطفال. فأنت ببساطة تعوم على مزاج عيد الميلاد. وترتدي قناع عيد الميلاد وتضع الشجرة لأن أحدهم لديه تلك الشجرة: وأنت تتوافق مع ذلك المزاج. لكن لو سألت نفسك فعلاً: لماذا

شجرة الميلاد تحديداً؟ فسوف تكتشف أن لا علاقة لذلك بميلاد المسيح. إذ لم يكن يوجد أشجار صنوبر في فلسطين، ولا يوجد أي شيء في الشجرة له علاقة بالمسيحية. ومع ذلك نعتقد أنه الرمز المسيحي الأعظم. إلى هذا الحد لا يفكر الناس، ولا يسألون أنفسهم مثلاً لماذا يفعلون شيئاً كهذا، لماذا كل هذا الهرأ، وأزنب الفصح والبيض الملون وما إلى ذلك. فعندما يزرن أحدهم شجرة الميلاد، لا يكون الشخص واحداً بل كثرة لأن الأم التي ترتب الشجرة هي أم أبدية كانت تفعل ذلك على مدى القرون. وأفترض طبعاً أنها كانت تفعل شيئاً آخر فيما مضى لكن الشعور بالأبدية كان حاضراً دوماً. وهي لحظة رائعة لأنها كانت على الدوام لحظة رائعة؛ وأنت تعيد الأيام الخوالي مجدداً. إن الإغراء الأعظم للحالة النموذجية البدئية هو أنك أنت نفسك لا تعود أنت. تتوقف عن التفكير وتتصرف كما لو أنك طافٍ على نهر كبير لا نهاية له. تصبح خالداً فجأة، وتتحرر من الجلوس والانتباه والشك والتركيز على الأشياء. وعندما يمسك النموذج البدئي مرة أخرى، لا ترغب بإزعاجه بأسئلة غبية، إنه جميل للغاية. إننا نشبه في تلك اللحظة "بارسيفال" عندما رأى "الكأس المقدسة". هو أمر رائع ومميز جداً فلماذا يُفسد اللحظة بطرح أسئلة؟ لا بأس بمعاونة العجوز، هكذا ينبغي بالحال أن تكون. ومن الجيد أن تكون في قلب عجوز؛ فلا تفسد ذلك. هكذا تتماهى معه بشكل طبيعي، وتلك هي الطريقة التي تماهى بها نيتشه؛ إن مقابلة العجوز أو أن تصبح العجوز الحكيم هو اكتشاف عظيم ورائع لدرجة جعلته لا يطرح أية أسئلة. بل انزلق فيه وحسب، ثم مضى دون أن يلاحظ ذلك.

عندما يظهر النموذج البدئي ويلاصك، فستختفي بطريقة عين. تصبح فعلاً بشكل أبدي. تستطيع أن تعمل وتتصرف وهو يستمر من تلقاء نفسه. لظالما اقتبست حكاية الملك "ألبريخت" الذي قُتل قرب زبورخ عند

معبر النهر حيث يصبّ نهر "ريوس" في "آري"، حيث تأمر ابن أخيه وحاشيته وبعض الفرسان على قتله. كانوا يمتطون الأحصنة خلفه، ويتداولون الحديث حول ما إذا كانوا سيفعلون ذلك أم لا، ولم يستطيعوا اتخاذ قرار، لأنها كانت جريمة قتل أقارب من الدرجة الأولى. لكن في اللحظة التي دخل فيها الملك معبر النهر، وهي الموقع النموذجي البدني للخطر، استل ابن أخيه سيفه وقال: "لماذا ندع الجيفة تعبر قبلنا؟" ثم انقضّ عليه وقتله.¹ كان وضعاً نموذجياً بدنياً لم يظهر فيه أي تردد. عندئذٍ تستطيع أن تتصرف دون وجود أي شك. تصبح عندها التنين، والجريمة يجب أن تقع هناك؛ حيث تتم الإشارة إلى عملية القتل، فإما أن تكون القاتل أو الضحية.

عندما لامس العجوز الحكيم نيتشه، لم يعد يزج نفسه بظهور الحيوانات. إذ يأتي طائر "الهامسا" بأجنحة ناعمة ويرفع الشخص ويحلّق به دون أن ينتبه لأي شيء. لكن عندما تكون الحيوانات هناك بشكل طبيعي؛ يُصبح المرء واعياً لحضور الغرائز التي تُبلغه أن "الهامسا" طائر وليس إنساناً، كما ترتفع الحيّة وتصرخ: "إنه عدوّي". وهذا قد يكون مفيداً لأن من الممكن لنيتشه أن يفقد تماهيه مع العجوز الحكيم إذا استمع لصوت النسر. كانت تلك صرخة تحذير. لكن بما أنه العجوز الحكيم، فهو يعرف كل شيء عنه طبعاً، فيفسّر وجود النسر على أنه فخره وغروره، والحيّة باعتبارها حكمتها، وهذا يشبه شجرة عيد الميلاد. وهكذا لم يعد النسر والحية صالحين بسبب تفسيرهما وفقاً لما قاله العجوز الحكيم. فمن خلال التماهي مع النموذج البدني، يزفّ المرء النموذج البدني فلا يعود موثقاً. إذ لا يكون النموذج البدني موثقاً إلا عندما يفصل المرء نفسه عنه، أو

¹ الملك البريخت من هلمسبرغ تم قتله عام 1308 بعد فترة حكم دامت ست سنوات. انظر كتاب "كلر غوستاف يونغ يتحدث - C. G. Jung Speaking" تحرير ماغوير و آر. إف. مي هل (برينكتون، B. S. XCVII, 1977)، صفحة 293-294.

عندما يقاوم إغواءه إلى أقصى حد ممكن. وهذا ما يعنيه صراع يعقوب مع ملاك الله عند معبر النهر. لقد صارع الله كي لا يتماهى معه لأنه لا يستطيع إظهار المعنى الحقيقي للحالة كلها إلا بهذه الطريقة. ففي ظل ظروف معينة لا يمكنك أن تتجنب التماهى مع النموذج البدني؛ وحالة نيتشه لم يكن بالإمكان تجنبها ~~لأنه~~ ^{لأنه} يمكن يعرف؛ وكان ذلك مصيره. فمع قراءة نيتشه، على المرء أن يتذكر دوماً أنه كان ضحية، وبقدر ما كان ضحية، قام بتزييف الوظيفة الصحيحة للنموذج البدني؛ لأن العجوز الحكيم ما كان ليتكلم بهذه الطريقة أبداً لو لم يكن نيتشه مندمجاً به. ولدى نيتشه الكثير من النشاط الجنسي غير المدرك. فقد كان منفصلاً عن جسده، ولم يعيش حياة طبيعية مناسبة.

السيدة باومان: في السطر الأخير، أليست كلمة "جنوني" هي إحدى المواقع المتشابكة المترددة التي يمكن أن يلحظ فيها ومضة عن حالته؟

الدكتور يونغ: نعم، لأنه فهم حقاً أن مشروعه عبارة عن جنون، هكذا هو العجوز الحكيم. لكن نيتشه نفسه لم يهدأ وقال: "لماذا قلت "جنون"؟ هل أقولها لأنني ذاهب في مهمة حمقاء مجنونة مع هذا الكتاب؟" إنه يلعب بتلك الكلمة؛ إنها شجرة عيد الميلاد. لو كتبت هذه الفقرة كنت سأسأل نفسي: "والآن، ما هذا الجنون؟ ما الذي يعنيه ذلك؟ هل أنا في طريقي لارتكاب حماقة؟ سأفسد متعة ذلك الطريق كله بالتأكيد. لكنني طبيب وهذا يشكل فرقاً. أنا لست شاعراً.

السيدة سيغ: أعتقد أن وراء صورة النسر والحية صورة أخرى فعلاً لها علاقة قريبة جداً معها، صورة "منشار الجنون" الذي أشرت إليه في كتابك، أي قرص الشمس وأنابيب معلقة به. إنه رمز خطير جداً، ويبدو لي أن له علاقة بذلك لأن نيتشه قال إن الحية كانت معلقة على النسر، ونيتشه كان متماهياً مع الشمس في بداية كتاب *هكذا تكلم زرادشت*.

الدكتور يونغ: لا، أنا لم أشبه بهذه الطريقة. إن صورة الجنون شيء مختلف بالمطلق، ولا علاقة له بذلك إلا من جهة بعيدة جداً. لكن له علاقة بالمعنى التوليدي للشمس. فالشمس تخلق الكلمة في الإنسان، وولادة الروح من الشمس؛ إنها فعلاً صورة قديمة مماثلة لما هو موجود في أوراق البردي السحرية العظيمة، أو ما يُسمى الطقوس الميثرائية، التي اتضح أن أصولها قديمة جداً. فهي محاولة لإضفاء طابع ملموس على بدايات إنجيل القديس يوحنا، حيث قيل إن الكلمة هي الضوء الذي ينير الظلمة، هي اللوغوس.¹ لكننا نضيع تماماً إذا أخذنا هذا التوازي بعين الاعتبار. تلك كانت حالة "جنون مبكر" حيث لا يستطيع المرء أن يتوقع رمزية معاصرة؛ عادة ما يبدأ هؤلاء الأشخاص، ولا سيما غير المتعلمين منهم، من مستوى الوعي المسيحي القروسطي، ثم يسقطون ببساطة في اللاوعي الجمعي ذي الطابع التاريخي أساساً، كما تكون حالة لاوعينا عندما نتواصل معه للمرة الأولى. إذ ينتج اللاوعي بداية جوانب الرمزية التاريخية التي تصبح حديثة أو متقدمة، أو تتوقع مستقبلاً من خلال تدخّل مستوى وعي محدد.

السيدة دورلر: أودّ أن أسأل عن كلمة سابقة جداً. لماذا لم يقل الصعود للأعلى بدلاً من الهبوط أو النزول؟ هل كان ذلك تحذيراً استباقياً؟

الدكتور يونغ: ربما يتضمّن تحذيراً بطريقة ما لكنه وصف حركته خلال الفصول الاستهلاكية كلها على أنها "هبوط" أو "غروب" أو "Untergang"، وهي الكلمات التي يلفظها النموذج البدني طبعاً لأن طائر "الهامسا" هو طائر الارتفاعات العظيمة. وعندما تأتي الروح إلى العالم، تكون في حالة

¹ أعاد يونغ عدة مرات في محاضراته المنشورة مسألة لقلقه المبكر مع مريض قصاصي في "برغولنزلي"، والذي قال له إن الشمس لها قضيب منتصب يتحرّك لإنتاج الرياح. كان يونغ مهتماً بشكل خاص في التشابه القريب لهذه الرؤية مع توصيفات الشمس في النصوص الإغريقية القديمة التي لا يمكن لهذا المريض أن يكون قد اطلع عليها. انظر الأعمال الكاملة، المجلد التاسع، الصفحة 105، والمجلد الخامس، صالحة، 220-221.

هبوط أو نزول. يهبط "اللوغس" من السماء إلى الأرض، وينزل الله إلى الأرض كي يولد. واليانغ هو الشمس أو الضوء الموجود في الأعلى دوماً؛ وإذا ما تم التوافق، ينزل مبدأ اليانغ إلى المادة لأن المادة لا يمكن أن تصعد، ثم يرفعها إلى الأعلى. كما يصبح ذلك تجلي المسيح في الرمزية المسيحية. لقد كان في حالة تحليل، وهذا يبين كيف تتغلب الروح على المادة. وكما تعلمون، بدأ ذهننا بالعمل بعد انتهاء العصور القديمة، حيث كان في البداية ذهنًا تأملياً لاهوتياً، وفلسفة كهنوتية. كنا جميعاً مزعزعين، وفكرنا فعلاً بأكثر الأشياء غموضاً وسخفاً، فلم نكن مهتمين إلا بالقضايا غير التجريبية. ثم بدأنا باكتشاف الطبيعة تدريجياً. حيث قام "ألبرتوس ماغنوس"، مع أنه كهنوتي، بمراقبة الطبيعة في مطلع القرن الثالث عشر؛ وكان مهتماً بعلم النبات.¹ وظهرت الاهتمامات الكيميائية من خلال الخيمياء. ومع القرن السادس عشر، تطورت هذه الاهتمامات بسرعة كبيرة، وتطور النمط القوطي في الوقت نفسه حيث كان كل شيء يسير بشكل عمودي، وبدأ الانتشار، فظهر نوع من الارتداد إلى العصور القديمة لأنها كانت طبيعية. ثم بدأت الحركة الأفقية وتم اكتشاف الطريق حول العالم، تم اكتشاف الهند وأمريكا. واستمر الأمر على هذا النحو حتى القرن التاسع عشر حيث أصبحت وجهات نظرنا كلها واقعية. وهذا يعني أن الضوء الذي كان في السماء، وكان إلهاً على الأرض قد هبط إلى الأرض، إلى المادة. ويمكن القول إن المسيح حينها دُفِنَ في الأرض. لقد اختتمنا أذهاننا وتطورنا العقلي كله بالمادية الكاملة. فاخفى العالم السماوي تماماً ولم يبق سوى بعض المثاليين الذين يصرخون طلباً للمساعدة، ولدعم مثالياتهم المهترئة؛ ومع الحرب، تهاوى كل

¹ ألبرتوس ماغنوس (1206-1280)، معلم توما الأكويني. في كتابه بعنوان "الخضراوات - De Vegetabilis"، كما في عمله على علم الحيوان والطبوم الفيزيائية، اعتمد أساساً على مراقبته الخاصة المباشرة ومراقبة الآخرين، كان ذلك نادراً في زمنه.

شيء إلى الأبد إلا أننا حققنا اكتشافات خارقة. لكن ما الذي فعله العقل بالأرض؟

السيدة بايتز: الفيزياء الحديثة حولت الأرض إلى روح.

الدكتور يونغ: نعم، مارست الفيزياء الحديثة خدعة، وفجّرت المادة كلها، كما تم توثيق أحدث التطورات في مقالة وضعها فيزيائي حديث جداً أظهر فيها كيف أصبحت الفيزياء الحديثة سيكولوجيا؛ تسَلّقت قاعدة اللاوعي الجمعي.¹

السيدة بايتز: كيف دخلت إلى اللاوعي الجمعي؟

الدكتور يونغ: عندما تراقبين ظاهرة الذرة من الداخل، تجددين أن المراقبة تعيق ما تراقبينه؛ وإذا تابعت عملية المراقبة، تراقبين الشيء الذي سبّب الإعاقه، أي تكتشفين النفس.² إنهم يبحثون الآن ظاهرة التخاطر، بمعنى أنهم يبحثون حقيقة أن اللاوعي الجمعي، أو ما أسميته أنا اللاوعي الجمعي، هو عامل غير صحيح في الفضاء والزمن. وخلال فترة قصيرة ستقرأ تلك المقالة عن هذه الأسئلة في محاضرة علمية للغاية. وهكذا فإن الروح التي هبطت إلى الأرض قد فجّرت المادة، وصعدت مجدداً على شكل سيكولوجيا. وهذا ما فعله "غارودا". كما حدث الشيء ذاته الذي تنبأت به الفلسفة الصينية: يتزايد الين حتى يتغلّب على اليانغ، فيختفي اليانغ في

¹ لمعلومات عن الفيزياء الحديثة، اعتمد يونغ بشكل كبير على كلرل ألرد ماير الذي نشر عمله بعنوان "فيزياء حديثة - سيكولوجيا حديثة" في "فيمستشريفت" في عيد ميلاد يونغ الستين: "Die Kulturelle bedeutung der komplexen Psychologie" (برلين، 1935). لاحقاً انضم يونغ إلى والمفاتيح بولوي، السويسري الحائز على شهادة نوبل في الفيزياء لنشره كتاب "تفسير الطبيعة والنفس - The Interpretation of Nature and the Psyche" (نيويورك، 1955).

² فيرنر هيسنبرغ (1901 - 1973)، مكتشف ميكانيك الكم، وحائز على جائزة نوبل عام 1932، يُظهر في المبدأ الخاص به "مبدأ عدم اليقين" وجود قيود أساسية داخل الذرة ذاتها: بمعنى أن إدخال الضوء يحد ذاته يعيق العناصر التي يتم فحصها.

ظلام دامس، ويتلاشى بشكل كامل. وعندئذٍ يسعى اليانغ إلى قلب الظلام ويتغلب عليه من داخله، ثم يظهر فجأة من خلال قوة الين. وهذا الانتقال موجود في حسابات الزمن الصينية. ففي الوقت الذي يكون كل شيء مكتوناً من سطور كاملة أو سطور اليانغ، وعند نهاية تلك الفترة يظهر صورة جديدة. نجد هنا ضوءاً كاملاً، إذ يكون كل شيء عبارة عن يانغ. ثم يظهر السطر الأول المتقطع الذي يشير إلى الظلمة أو الين في الشكل الثاني، وتستمر خطوط الين حتى يسود الظلام الدامس. وبعد ذلك يبدأ ظهور اليانغ مجدداً: ترون الآن أننا وصلنا إلى مرحلة أصبح كل شيء فيها مستمداً من المادة، أي حالة الين. لكن الفيزياء الآن تمارس خدعة معينة. إذ تفجرت حالة الين وظهر سطر اليانغ الأول. ولا عودة إلى الحالة المادية الآن، إذ لا يوجد فرصة لذلك، لقد انتهت تماماً؛ لأن آخر شيء يمكن مراقبته فعلاً هو العقل. أنت تعيق كل ما هو موجود بواسطة عقلك، وما يمكن أن تعيقه، تستطيع مراقبته: يمكنك أن تتصور إعاقتك. وعندما تنظر في ثقب أسود حيث لا ترى أي شيء، بعد فترة ترى نفسك.¹ ذلك هو المبدأ المعرفي لليوغا: أنت تخلق الفراغ، ومن خلال الفراغ تأتي بداية المعرفة كلها، والفهم الحقيقي كله.



¹ بالتأكيد، هو لا يتحدث هنا عن الثقب الأسود أو انهيار الجاذبية لنجم، تلك الذي أصبح معروفاً لاحقاً. إنه يصف هنا العملية التي تتحول فيها سداسية اليانغ إلى عكسها في كتاب "I Ching".

المحاضرة السابعة

21 تشرين الثاني - نوفمبر 1934

الدكتور يونغ:

لا يزال لدي ما أضيفه عن رمزية النسر والحية، وهذه الإضافة من ملحمة جلجامش. ومع أنها رمزية مختلفة تماماً إلا أن المعنى واضح جداً. ربما تتذكر الشخصيتين الرئيسيتين في ملحمة جلجامش. فهناك البطل جلجامش الذي كان ثلثاه من طبيعة إلهية وثلث من طبيعة بشرية. وهو شخصية خارقة بروح هائلة القوة. وأثناء بنائه لمدينته التي تُسمى أوروك، أجبر الجميع على الانضمام لأعمال السخرة، فاشتكت النساء للآلهة التي قررت اتخاذ إجراءات مناسبة ضده. فخلقت نداءً له فكان رجالاً يوازيه قوة وحجماً، ويمتلك قوة هائلة اسمه "أنكيكو". (هذه الأسماء ليست دقيقة تماماً لأن من الصعب فك رموزها المسمارية بسبب عدم وجود مواد مقارنة تجعلنا نصوغها بطريقة أخرى. وسابقاً، كان لفظ جلجامش مثل لفظ /زوبار، ولفظ /أنكيكو مثل /بياني. كان يتم تفسيرها دوماً بنوع من التقديم التقليدي؛ لم يعرفوا تماماً كيف يقرؤونها ولذلك أسموها بطريقة اعتباطية ليكون لهذه الشخصيات أسماء وحسب). وكان المخلوق الجديد الذي خلقته الآلهة نصف حيوان، له شعر طويل؛ كان قد عاش وتغذى مع

الحيوانات وشرب الماء من الآبار ذاتها التي شربت منها الطيلاء. تم القبض عليه بمساعدة "هيرودول - هاريمتو" عاهرة المعبد. كان رجلاً دونياً، أشبه بالظالّ لكنه قوي جداً. فهو يجسّد النفس الدونية للإنسان. ويمكن القول إنه بقدر ما كان جليجامش تمثيلاً للإرادة والوعي والموقف الروحاني، كان أنكيكو تمثيلاً لأجزاء النفس الدونية كما يتم التعبير عنها في الجهاز العصبي الودي، أي بالمراكز الدنيا من الدماغ والجبل الشوكي. إنها السمات المحركة للعقل، والجانب الجسدي المادي للنفس. وبالتناقض مع جليجامش، ثمة ميزات جسمية للغاية لدى أنكيكو. هو عاطفي جداً ويخضع بشكل هائل للمزاج والحدس. ويعاني من حالات مختلفة، وتراوده أحلام سيئة أو أحلام حدسية بدهية. وهناك فقرة يحرّض فيها جليجامش أنكيكو على النوم عمداً ويطلب من الآلهة أن تجعله يحلم بنصيحة لهما تساعدتهما في مأثرهما البطولية، أي تساعدتهما على قتل الوحش المرعب خمبابا، الذي يراقب جبل الآلهة. ثم راود جليجامش نفسه حلم تحذيري يره أنه سينتصر في النهاية على العدو، ذلك الأخ المعادي، الذي خلقته الآلهة انتقاماً بهدف التغلب عليه.¹

يعني تفوق جليجامش على أنكيكو تفوق الوعي والإرادة على العقل الأدنى أو النفس، وبالتالي فالملحمة تمثّل لمشكلة كانت على قدر كبير من الأهمية بالنسبة إلى الإنسان في تلك الحقبة طبعاً. فالأسطورة بحد ذاتها من حقبة بعيدة جداً، والشكل الذي وصلتنا به ملحمة جليجامش يعود إلى القرن السابع قبل الميلاد، حيث تم اكتشافها من الحفريات الأثرية التي تمت في مكتبة آشور بني بعل، الملك في تلك الفترة. لكن هناك دليل وافر على أنها تعود إلى تاريخ أقدم بكثير، ربما تعود إلى القرن الخامس والعشرين أو

¹ لمعلومات عن أحلام أنكيكو وجليجامش، انظر ترجمة "ريجنالد كامبل ثومبسون" المشار إليها أعلاه في محاضرة 17 تشرين الأول - أكتوبر 1934.

الثلاثين قبل الميلاد. وهذا التاريخ يسبق حمورابي، صاحب أول شريعة أو قانون في بابل، الذي عاش حوالي القرن العشرين قبل الميلاد. كان ذلك في الشهر الثاني من السنة الأفلاطونية العظيمة، شهر "Aries"، شهر الحمل، الكبش، وكان فجر الوعي قد ظهر في بداية الشهر السابق، شهر "Taurus"، شهر الثور. إن الثور علامة من علامات الربيع، وهو أيضاً فصل ربيع الوعي، لأننا نؤرخ الوعي منذ زمن الوثائق المدونة.

ليس هناك وعي من دون استمرارية، فإذا فقدنا الاستمرارية أصبح الوعي بلا قيمة عملياً؛ إنه مجرد تمثيل للحظة. ومن دون استمرارية الذاكرة، لن تكون هناك إمكانية للمقارنة ولا وسيلة للحكم. ربما نلاحظ ذلك لدى الناس الذين يعانون من فقدان ذاكرة تدريجي، إذ تفرغ ذاكرتهم لدرجة لا يبقى فيها أكثر من أشياء حدثت قبل بضعة أيام. وأيضاً لدى الذين يعانون من ضمور الدماغ بسبب الشيخوخة، أو من الشلل العام الناتج عن الجنون، حيث تفشل الذاكرة تدريجياً، ويصبح الحكم الناتج عن الوعي مستحيلًا تماماً بسبب فقدان مادة للمقارنة. لا يمكن للمرء أن يحاكم إلا من خلال المقارنة. فإذا لم يكن بالإمكان تذكر الأحكام السابقة، أي إذا لم يبق في الوعي سوى القليل من ذكريات الظروف الحالية، فلن تعود هناك إمكانية لإصدار أي حكم، ويشعر المرء أن الناس في هذه الحالة غير واعين عملياً. وهنا أتذكر مثلاً حالة امرأة عجوز بلغت الثمانين من عمرها تقريباً. ناديتها باسمها، فأجابت بطريقة من تلقى إهانة: "لكن هذا ليس اسمي؛ أنا الأنسة سميت!". كانت جدة لعدة أحفاد في الواقع، ولذلك افترضت أن الاسم الذي ذكرته كان اسمها قبل زواجها، لكنها أصبرت على أنها لم تتزوج. "لكن لديك أحفاد". "أنت مخطئ تماماً. أنا الأنسة سميت". ثم سألتها ما إذا كانت تعرف السيد فلان، وهو اسم زوجها، فاحمرت خجلاً وأجابت بأنها لا تعرفه. "لكنه زوجك". "يا إلهي! ما

الذي تقوله؟" - وبدأت تتصرّف بنوع من الغنج والدلال. "ألا تعرفينه؟ ألم تسمعي به؟" سألتها. "نعم، رأيته منذ يومين". فقلت لها: "لكن كيف حدث ذلك؟ اعتقدت أنه توفي". "لا، لا، لم يمّت، وأنا مغرمة به". "هكذا إذاً، هل ستقيمان حفل خطوبة؟" فأجابت: "نعم". اكتشفت أن خطوبتها عليه تمت قبل أن تبلغ العشرين من عمرها، مما يعني أن ذاكرتها قد فرغت حتى الفترة التي كان عمرها فيها تسعة عشر عاماً - لقد عادت إلى تلك الفترة من الوعي - وكانت ذاكرتها مستمرة منذ تلك اللحظة وما سبقها إلا أنه لم يبقَ أي شيء مما بعد ذلك: لم تستطع أن تتذكر أي شيء. كانت غير واعية طبعاً؛ أن يكون لامرأة في الثمانين من عمرها وعي فتاة في التاسعة عشرة يعني أنها غير واعية لحالتها.

وهكذا ففي تلك الأيام المبكرة من التاريخ، كان من المهم جداً ترسيخ الاستمرارية، وأن يكون لدى الناس ذاكرة واعية. كان عليهم أن يعرفوا ما بلغوه من العمر مثلاً، لكن كان من الصعب على البدائيين تحديد أعمارهم. سألت فتاة في أفريقيا كم تبلغ من العمر، وكانت تبدو وكأنها بلغت السابعة عشرة تقريباً، فشعرت بالحرج الشديد وقالت إنها في الرابعة. وكنت أنا بالنسبة لهم قد بلغت مئة عام لأن شعري أبيض. لم يستطع أي شخص أن يخبرني كم بلغ من العمر لأنهم لا يستطيعون إحصاء السنوات، وهو ما يضعهم في حالة من اللاوعي طبعاً، بمعنى فقدان التوجّه بما يخص أنفسهم. لكن عندما أصبح البشر قادرين على إحصاء سنوات عمرهم، وأن يكونوا واعين لمسألة الاستمرارية، بدؤوا يدركون أن من المفترض بهم أن يكون لديهم ذاكرة مستمرة، أي إن عليهم توثيق كل شيء بسجلات مكتوبة. وهكذا تم اختراع الكتابة قرابة عام 4200 قبل الميلاد، وكان ذلك في بداية الشهر الأول للوعي، شهر الثور؛ لأن أقدم أثر مكتوب لدينا يعود إلى تلك الفترة. ويعود أصل ملحمة جلجامش إلى ما بعد فترة وجيزة، أي قرابة القرن

الرابع أو الثالث قبل الميلاد¹. ففي تلك الفترة كان العقل السماوي هو العقل الذي لديه الإرادة والنية والقوة، ويستطيع التخلص من اليبسود الخاص به والتركيز على العمل، ولديه القدرة على حمل شيء ولو بطريقة متهورة. لكن ذلك كان إهانة للآلهة التي انتقمت منه بمحاولتها تحطيم تلك العطرسة "اللوسيفرية" أو "البروميثية". ومن هنا خلقت شخصية أنكيديو الذي يشير إلى صراع يتجسد في جلجامش الإنسان، أي صراع بين عقله المخلق في الأعالي، والإنسان الدوني القابع في ذاته، أنكيديو.

قام هذان البطلان بالعمل معاً، ونقذا سلسلة من الإنجازات البطولية الفذة لفترة معينة، لكن أحلاماً غريبة راودت أنكيديو مع مرور الوقت، وعانى من حالته المتحضرة، أي من خضوعه للإرادة الخارقة. وفي النهاية، أي بعد انتصارهما العظيم مباشرة، راوده ذاك الحلم المنقوش على اللوح السابع. (القصّة مدونة بالرموز المسمارية على ألواح غضارية محفوظة في المتحف البريطاني). يقول النص الألماني إن أنكيديو استلقى وارتاح بعد إنجاز العمل فراوده ذاك الحلم. ونهض بعد ذلك وروى رؤيته لجلجامش على الشكل الآتي:

"أي صديقي لماذا جلس الآلهة الكبار يتشاورون؟ لماذا يخططون لي طريقي؟ أي صديقي، كان حلماً غريباً رأيته، ونهايته تنقّباً بالسوء. أمسك بي نسر بمخالبه الحديدية، وطار بي مدة أربع ساعات، ثم قال لي: "انظر إلى الأرض، ما الذي تراه؟ انظر إلى البحر، كيف يبدو لك؟" وكانت الأرض أشبه بجبل والبحر مثل كتلة صغيرة من الماء. ثم حلق بي إلى الأعلى مرة أخرى مدة أربع ساعات وقال لي: "انظر إلى الأرض كيف تبدو؟ انظر إلى البحر، كيف يبدو لك؟" كانت الأرض مثل حديقة والبحر مثل قناة سقاية فيها. ثم

¹ اعتقد أنه يقصد الألف الثالث أو الرابع قبل الميلاد، وليس القرن الثالث أو الرابع. المترجم.

أربع ساعات أخرى من التحليق على ارتفاع أعلى ثم قال "انظر إلى الأرض، انظر إلى البحر، كيف يبدو لك؟" كانت الأرض كعجينة مصنوعة من الطحين، والبحر مثل حوض مليء بالماء. ثم خلق للأعلى مدة ساعتين والقائي فهويت وهويت حتى استلقيت في النهاية على الأرض محطماً. هكذا كان حلمي، واستيقظت محموماً ومرتباً. وعندما سمع جلجامش كلمات أنكيدو بدت نظراته سوداوية وقال له: "ستأخذك روح الشر بمخالبها، حلت المحنة عليك، الآلهة العظيمة قررت ذلك لسوء الحظ. استلقي الآن لأنك محموم". فاستلقى أنكيدو على السرير وانحنى شيطان فوقه، أطبقت روح الحى الشريرة على رأسه وصار يهذي، وفي اليوم الثاني عشر قال لصديقه: "أوتنابشتيم، سيد المياه قد لعني، أي صديقي، مثل شخص في وسط المعركة يلعن عدوه. أي صديقي، من يُدبح في المعركة يكون ميتاً. وأنا ذبحت في المعركة".

تظهر تلك الرمزية هنا كما ترون. فقد أطبقت مغالب الوعي الحديدية الشبيهة بالروح على الإنسان الدوني الذي انفصل عن الكائن البشري المتجسد العادي، فتم حمله إلى الأعلى ومن ثم ألقت في النهاية وقتلته. وهذا ما كان عليه مصير زارادشت، أو نيتشه؛ إنه راقص الجبل الذي تصرّف كما لو أنه لا يمكن أن يسقط، كما لو أنه طائر فوق الجبل، أو لديه أجنحة، لكن الروح الشريرة دفعته فهوى على الأرض محطماً. ومع أن أنكيدو كان شخصية من البشر إلا أن بالإمكان تمثيله بالحية، لأن الحية عبارة عن إضفاء طابع ملموس على النفس الدونية. وبما أنها لا تستطيع الوصول إلا إلى العقدة السفلية للدماغ، فهي تعتبر شكلاً من أشكال العقل الفقاري أو النفس الفقارية. وأنتم تعلمون أن الدماغ مفهوم نسبي؛ ففي فترات سابقة من الزمن، كان هناك حيوان "المياغالوسوربانس" مثلاً، وكان حجم الانتفاخ القطني للمادة العصبية أكبر من الدماغ. حيث كان قطر الدماغ يقارب

ثلاثة إنشآت بينما كانت المنطقة القطنية من الحبل الشوكي تفوق ذلك الحجم أربع مرات أو خمس، مما يعني أن الدماغ، إذا اعتبرنا أن هناك دماغاً لدى تلك الحيوانات، كان في المنطقة القطنية وليس في الجمجمة. وكانت الحياة النفسية إلى حدّ كبير ناتجة عن تراكم ردود الأفعال الحركية. لكن بما أنه لا يزال لدينا حبل شوكي، فلدينا نفس لها استقلال معين يتخذ طابعاً ملموساً عادة على شكل حيّة. أما النسر في تحليله فيشبه الدماغ الذي يندمج في المركز في "المنطقة المفصلية" الشهيرة المكوّنة من ألياف تمتد على نصفي كرة الدماغ.

العديد من هذه الرموز ناتج عن عملية الاستيطان التي يسر فيها المرء أغوار عقله وعملياته النفسية، وقد يتسع ذلك لدى الأشخاص ذوي الحساسية العالية ليصل إلى قدرتهم على تصوّر الصبغ التشريحية الداخلية وتفصيلها. نذكر مثلاً أن "بصيرة بريفورست" التي وصفها "كيرنر" تم تصوّرها بتخيّل نقطة مرور العصب البصري، "التصالبية البصرية" التي تقع في قاع الدماغ أسفل المهاد.¹ وغالباً ما تكون الرموز من هذا النوع معيّنة للغاية. وهكذا فإن أكثر ما يعبر عن الحيّة هو شكلها الممدود المشابه للحبل الشوكي. أما مركز الوعي المتطابق عملياً مع قشرة نصفي الدماغ الشبيه بطائر، وهو رمز مناسب جداً ولا سيما "المنطقة المفصلية" التي توحد نصفي الدماغ وظيفياً. وبالتالي هو يمثل جسد الطائر لأن الإنسان لا يشعر بنصفي الدماغ بل يشعر بالوعي وحسب. فمن خصائص الوعي أنه متحد؛ إذ لديك "أنا" واحدة فقط، وأنت لا تفكر أبداً بأن يكون لديك وعي مزدوج.

¹ جوستن كيرنر (1786 – 1862)، طبيب ألماني وشاعر ومتخصص بالظواهر العقلية المتطرّفة لتسميها. كتابه بعنوان "The Seeress of Prevorst" (1929) كان له عنوان فرعي "الوحي المتطّليّ ينتشر وخلق علم الأرواح في العالم الذي نعيش فيه – Revelation concerning the iter-diffusion of a world of spirits in the one we inhabit". انظر الأعمال الكاملة، المجلد الأول، الصفحة 102، والصفحة 181.

ويمكنك التأكد من ذلك تجريبياً، فهي حقيقة ترتبط "بعلم الأمراض"، لكنك ستتفاجأ حينها وتحدث عن الشخص ذي الوعي المزدوج باعتباره شيئاً لافتاً؛ فهذه ازدواجية في الوعي. إن الحقيقة الطبيعية هي وحدة الوعي، ويمثل هذه الوحدة جسد الطائر، أو "المنطقة الفاصلة". إن للوعي فعلاً مركزه في "المنطقة الفاصلة"، أي ذلك الجسر الذي يربط بين نصفي الدماغ، كما لو أن العقل البشري الساذج لديه حدس بالوحدة داخل نصفي الدماغ. لكن أنتم لا تشعرون كثيراً بالتفاصيل التشريحية الواقعية كما نراها نحن من الخارج من خلال الأجنحة المفتوحة أو من خلال نصفي الدماغ. فمن خلال "الاستبطان"، تدخل إلى الجسد بطريقة مختلفة، أي تدخل إلى الكتلة الوظيفية الحية التي لا تتكوّن من تفاصيل تشريحية بل من وظيفة الدماغ؛ وهكذا تحظى بصورة مختلفة ليس للدماغ فقط بل لآلية عمل الدماغ. إلى حقيقة أن النصفين يعملان معاً بطريقة لا تتخيّل فيها أن دماغك مكون من نصفين. فأنت لا تعي مثلاً أن نصف دماغك الأيسر هو الذي يتحكم بكلامك؛ وتعتقد بأنك تتكلم من الدماغ ككل، هذا إذا كنت تتكلم من الدماغ أساساً. (وهي أيضاً مسألة تعرفونها؛ فبعض الناس لا يتحدثون من دماغهم: بعض الكلام يخرج من القلب، وبعضه يخرج من المعدة). ومن هنا نرى أن أنكيدو كان متطوراً أكثر من الحية، ومن المثير للاهتمام أنه عندما رأت الآلهة أن أنكيدو فشل في مهمته، خلقت حيواناً هائلاً، ثوراً مربعاً وأرسلته ضدّ جلجامش، وهذا يعني خطوة أدنى. لكن المثير للاهتمام أن الحية لم تظهر في ملحمة جلجامش إلا في النهاية عندما هزمت البطل. هل تذكرون ما الذي حدث هناك؟

الآنسة وولف: حاول جلجامش أن يعثر على نبتة الحياة الأبدية، ووجدها أخيراً لكن الحية خطفتها منه.

الدكتور يونغ: نعم، ظهرت الحية في النهاية. فبعد موت أنكيدو، أحسنّ جلجامش بخسارته الفادحة؛ أي كان حينها في موقع الإنسان المكوّن من

الوعي فقط. وهو أمر نشعر به في حضارتنا، إذ نعاني كثيراً من أننا مكوّنون من العقل فقط بينما فقدنا الجسد. لكن عندما رحل أنكيدو وتركه وحيداً أدرك جلعامش مشاعر الخوف من الموت فقال: "والآن، أنا أيضاً ساموت مثل أنكيدو؛ يهش الألم أعماقي، وأغدو خائفاً من الموت، لذلك أسرع في البراري. (ركب حصانه ومضى في البراري). أشقّ طريقي الآن إلى أوتنابشتيم القوي، ذلك الذي وجد الحياة الأبدية، أسرع لأصل إليه. عندما رأيت الأسود في البراري في الليل، أصبحت خائفاً؛ فرفعت رأسي وصليت للإله "سن"، القمر، نينورم، وصعدت صلواتي نحو نور الآلهة. ألا فلتحفظني أيها الإله "سن". لقد شعر فوراً بفقدان الحياة وبدا خائفاً من الموت. وهذه أيضاً سمة مميزة لحضارتنا. ستجد أثناء دراسة سيكولوجيا حضارات أخرى أن خوف أولئك الناس من الموت أقل بكثير من خوفنا. وهم يتعاملون مع الحالة بطريقة مختلفة؛ فلا يقومون بتخزين الأشياء كما نفعل نحن لأن الحياة والموت بالنسبة إليهم قضية متوقعة وطبيعية؛ أما بالنسبة إلينا، فمن المرعب جداً وجود حالة الموت. يخاف الرجل الأبيض الأوروبي من الموت لأنه فقط الجسد - لقد فقد صديقه أنكيدو.

عندما يفشل كل شيء، يبتكر الدماغ طريقة جديدة. جلعامش يعرف عن أوتنابشتيم، وهو الشخصية البابلية المقابلة لنوح. (تلك أسطورة مفرقة في القدم، تعود بتاريخها إلى أكثر من ألف سنة قبل الإنجيل). كان أوتنابشتيم شخصاً دنيوياً اجتاز مياه الموت وحطّ في الأرض السعيدة الغربية حيث عاش حياة الخلود الإلهي. ونجح جلعامش فعلاً في الوصول إلى تلك الأرض الغربية حيث وجد أوتنابشتيم، وحصل على نبتة الحياة الأبدية، "ترباق الخلود"؛ فعاد مقتنعاً بأنه حصل على وسيلة تجعله خالداً، وهكذا تحرر من خوفه من الموت. (ترباق الخلود يعني في هذه الحالة ما يعنيه خبز القربان المقدس في الكنيسة المسيحية). لكن الحيّة أنت وسرقت

العشبة منه بينما كان نائماً، وهكذا أصبح الموت حتمياً. ومن جديد يثار الإنسان الدوني لنفسه؛ لا بدّ في النهاية أن يأتي إليه. لذلك يقيم الآن في الجحيم، في أحشاء الأرض.

تتطابق تلك الحكاية مع هكذا تكلم زارادشت، ويمكنك هنا أن ترى المشكلة الهائلة التي تعامل معها نيتشه. إنها المشكلة التي امتدّت على مدى آلاف السنوات، مشكلة أصل الوعي ومصيره، والمرادفة تماماً لمفهوم الحضارة، أو النفس، أو وجود الإنسان بشكل عام. لأن الحضارة ليست سوى اتساع الوعي أو تكثيفه، ومصير زيادة الوعي أن يهدد الجميع. لقد لفت السيد أليمان انتباهي إلى حقيقة أن هيئة الطائر التي ترمز إلى تفوّق الوعي ظاهرة في رموز أخرى لها الأهمية ذاتها؛ كالرمز المصري الشهير المكوّن من قرص الشمس المجنّح الذي أعلنه أمنحوتب الرابع الرمز الأعلى للالهة.¹ ورمز مشابه آخر هو "شاكر العين الثالثة"، مركز الوعي الأعلى في نظام الشاكراس التان تري. لكن التقسيم هناك ليس تقسيماً تشريحياً على أية حال؛ فالجناحان هما بتلات زهرة اللوتس، لكن القيمة الأسامية تبقى في المركز. إن "العين الثالثة - Ajna" هي مرادف "مولادارا - muladhara" حيث يكون الله في حالة سبات عميق؛ ويكون متوارباً بـ "المايا" مادة بناء العالم، بينما يكون في "العين الثالثة" أبيض مشعاً، مما يعني أنه مرئي باعتباره وعياً سماوياً أعلى، وعياً منفصلاً لا يعتمد على الوهم.

أظن أن بإمكاننا الآن أن نتابع في النص. فقد كان في القسم التمهيدي من المقدمة الكثير من الأداء العملي الذي يُظهر كيف حرر زارادشت نفسه بداية من البشرية، ثم من عزلته الخاصة. لكنه يعود مجدداً إلى البشرية

¹ أمنحوتب الرابع (من السلالة الحاكمة في القرن الرابع عشر والثالث عشر قبل الميلاد) أو أخناتون - الفرعون الذي استشهد به فرويد بأنه أصل الدين التوحيدي الذي أتى به موسى، وهو بذاته مصري، إلى اليهود. (عن شاكر العين الثالثة - On Ajna chakra) انظر لاحقاً محاضرة 2 تشرين الثاني - نوفمبر عام 1938.

ثم إلى مهمته الفعلية. وذلك طبعاً لأن سؤالاً خطر بذهنه عندئذٍ: ما الذي أريد أن أقوله؟ كما تعلمون، لقد تحدث إلى الناس من قبل كما لو أن بإمكانه ببساطة أن يفهمهم، واكتشف أنه من غير الممكن تعليم الناس. وبشكل طبيعي يقول الجميع إنهم يرغبون بالمعرفة، لكن إذا حاولت تعريفهم، تكتشف أنك مخطئ. تماماً ولا تجد من يصغي، لذلك عليك إيجاد طرق أخرى. ويبدو عندئذٍ وكأنه اكتشف أن المسيح أيضاً لم يستطع تعليم الناس؛ إذ لم تستطع سوى الأسماك التي خلقها بمعجزة أن تصل إلى بطون أولئك الناس، أما كلماته فلم تصل، لذلك كان عليه أن يتواصل مع تلاميذه الاثني عشر. كان عليه العثور على أصدقاء ومساعدين يفهمون معانيه. وهذا بالتأكيد ما حدث من عدد الأذان بشكل كبير، والأهم من ذلك أنه أدى إلى ضرورة غريبة، وهي حتمية أيضاً. فعندما يكون الشخص في أفضل حالاته خطأً، ويكون قادراً على قول شيء سيكون مقبولاً للجميع، وعندما يستطيع قول شيء إلى حشد كبير ويقبلونه بلهفة، يتحرر من مهمة شديدة الصعوبة كانت ستصله لو أنه لم يحظَ إلا بعدد قليل من المستمعين. فما هي تلك المهمة؟

الآنسة حنة: أن عليه أن يفهم ويتصرف وفقاً لما تمليه عليه ذاته.

الدكتور يونغ: لقد وصلت المشكلة إليه لأنهم سوف يفتح صونه. فعندما يظهر أمام حشد مكون من ألفي شخص، مرتدياً معطفاً طويلاً، ويبدو وسيماً وهو يقف على منبر الوعظ بغض النظر عما يقوله، عندئذٍ يستطيع أن يقول ما يشاء. هو ليس بحاجة إلا لأن يتكلم، والناس سيقبلونه بلهفة ويظنون بأنه شخص رائع؛ ولن يقوم أي شخص بتقييمه لأن المسافة بعيدة جداً. لكن إذا تحدث إلى مجموعة صغيرة من الناس، إذا لم يكونوا أغبياء تماماً ومنوَّمين، فربما سوف يقيمونه، وعندئذٍ لا يكون عليه أن يقول ما في ذهنه فقط بل عليه أن يتوافق مع ما يقوله، وهذا صعب جداً. إن الوعظ

أسهل بكثير. والناس تسلك طريق الوعظ بهدف الهروب. وهذا ما يجعلنا جميعاً راغبين بأن نكون مبشرين. فعندما يذهب مبشر إلى أفريقيا يصبح، كما نقول عادة، شخصية بارزة. لديه ملابس رجل أبيض وصناديق تخزين ولديه ساعة، وبالتالي هو رجل عظيم وجيد ورائع جداً؛ ولا يحتاج إلى فعل أي شيء؛ هو عظيم من بداياته. فعندما تذهب إلى أفريقيا ستشعر بأنك ملك. سينظر إليك أولئك الأطفال السود بعيون مفتوحة ملؤها الدهشة. وإذا سحبت ساعتك من جيبك، يحدّقون بك كما لو أنك ساحر؛ وإذا أعطيتهم حبة دواء، يعتقدون أنك طبيب. لكن ذلك لا يحدث هنا. إنها أرخص طريقة موجودة لمعالجة شعورك بالدونية: فعندما تعيش بين حشد دوني، تستطيع أن تكون عظيماً وتبدأ بشكل طبيعي بالوعظ. وإذا كانت لديك فكرة جيدة، سترغب بأن تعظ بها. لكنك تكتشف أن ما من أذان صاغية، ولأن الأمر يبدو كما لو أن أحدهم يجب أن يفهمها، تشعر أنك لا بد أن تكون الشخص المناسب، وتطبق المبدأ ذاته على نفسك: تبدأ بوعظ نفسك. وهو أمر مفيد جداً أنصح كل واعظ بفعله. اذهب وعظ نفسك بالمسيح: هذا ما عليك أن تبدأ به. لأن من يرغب بالوعظ هو من يريد أن يهرب من مشكلته الخاصة عبر إقناع الآخرين. ربما تعرف تلك القصة عن الزنجي الذي قال إن حلماً رائعاً راوده، وفي حلمه ثلاثة أحرف، "g, p. c" واعتقد أن المعنى "اذهب وعظ بالمسيح – Go preach Christ". أراد أن يكون مبشراً بمعطف طويل وربطة عنق بيضاء. لكن الزنجي الآخر قال له إن معنى الأحرف "اذهب لقطاف القطن – Go pic cotton".

وهكذا فمن الواضح أن زارادشت واجه الآن تلك المشكلة: فإذا أراد العثور على أصدقاء، عليه أن يكون متوافقاً إلى حد كبير مع ما يعظ به. عليه أن يكون حقيقياً، لأن مجرد الكلام لن يفيد. وهذا يفرض عليه فكرة

التحول، لذلك فإن الجزء الثاني مكرس لهذه الفكرة. الفصل الأول بعنوان "عن التحولات الثلاثة" وفيه يقول:

"سأشرح لكم ثلاثة تحولات للعقل: كيف يتحول العقل إلى جمل، والجمل إلى أسد، والأسد إلى طفل بالنهاية.

ثمة أعباء ثقيلة للعقل القوي المجهد الممتلئ احتراماً؛ ترنو قوته إلى الثقيل والأثقل.

ما هو الثقيل؟ هكذا يسأل العقل المجهد؛ ثم يجثو كالجمل ويطلب حملاً جيداً.

ما هو الأكثر ثقلًا أيها الأبطال كي أحمله وأبتهج بقوتي؟ يسأل العقل المجهد.

ألا يعني هذا أن ينال الإنسان نفسه كي يكسر غروره؟ أن يعرض حمقه كي يسخر من حكمته؟"

عليك أن تتذكر أثناء قراءة هذا النص أنه كان يتحدث إلى نفسه؛ إذ كان نوعاً من التحذير. فهو يستعرض فكرة مهمته أمام نفسه كما لو أنك تقول لنفسك في ظروف مختلفة أشياء مختلفة بطريقة لا واعية: "حسناً، عليك أن تدرك أن تقوية الروح ستضع على عاتقك أعباءً ثقيلة". أو يرجّح أن تتحدث بهذه الطريقة إلى صديق لديه مشكلة: "عليك التفكير جيداً بعلاج هذه الحالة الصعبة لأنها مهمة بالغة الصعوبة. ستجدها مملّة للغاية". ولو أصغيت إلى محادثاتك إلى نفسك، ستسمع أشياء من هذا النوع. لقد سلّط نيتشه الضوء على هذه المسألة هنا لأنها الطريقة التي يتعامل بها المرء مع رغباته الشخصية، أو مع حكمته الواعية. كما ترون، تضم كل عبارة من تلك العبارات جانباً هاماً من مهمته الخاصة. ويوجد على سبيل المثال فكرة تعتبر أن المهمة تعني إهانة المرء لنفسه والخطّ من قيمتها وكسراً لغرورها. إذ يعتقد نيتشه أن ما يوشك أن يقوله فيه شيء من الحق، وربما يكون جيداً أن يسخر من حكمته:

"أو أن نتخلى عن قضيتنا لحظة احتفالنا بانتصارها؟ أن نتسلق الجبال الشاهقة للمجرب المجرب؟
أو أن نتفقد من عروق المعرفة وأعضائها، ونجعل الروح تجوع سعياً للحقيقة؟"

تلك هي نتيجة الشعور بالفراغ في الحالة الجديدة؛ عندما تصل إلى وجهة نظر جديدة، فقد وصلت إلى بلد جديد ليس لديك فيه أية وسائل ولا دعم.
"أو أن تكون مريضاً ترفض المواسمين، وتضادق الصم الذين لن يسمعوا ما تريد؟"

هذا شك بالأصدقاء.

"أو أن تلج المياه الموحلة إذا كانت مياه الحقيقة، ولا يبعد عنه الضفادع الباردة والعلاجيم السامة؟"

هنا تأتي طريقة التفكير الغربية التي عانى منها نيتشه؛ كانت تستحوذ عليه دوماً فكرة أنه سيبتلع علجوماً. وتذكرون أنه أخبر إحدى السيدات إلى طاولة العشاء عن حلمه بأن يده كانت شفافة تظهر منها الأوتار والأعصاب والعضلات، وفجأة وقف علجوم على يده اضطر إلى ابتلاعه. لطالما روادت هذه الفكرة ذهنه: إنها تعبير عن الاشمئزاز من الحياة، أو تعبير عن الشعور بالدونية. فالضفادع والعلاجيم هي أولى محاولات الطبيعة نحو تشكيل شيء يشبه الإنسان، وهي محاولة سخيطة وساذجة طبعاً، ولذلك تعتبر رمزاً لتحول الإنسان. إذ هناك تحول من حالة الشرغوف إلى حيوان مبتور الذيل له يدان وساقان، وهذا بالطبع، يترك الكثير من الأثر على العقل الساذج. تعرفون أن الأم عادة ما تصف طفلها وهو في حوض الاستحمام بالضفدع الصغير. ومعنى الضفدع بالنسبة إلى نيتشه كان طبعاً شيئاً دونياً يعيش في بركة أو مستنقع. ومن الواضح تماماً أنه شعر بارتباط مع ذلك الإنسان البدائي هنا، لأنه في طريقه مجدداً إلى صراع مع الإنسان الدوني؛ إنها المشكلة ذاتها مع راقص الحبل.

"أو أن نحب من يحتقروننا، ونمدّ يداً إلى الشبح الذي يرعبنا؟

يأخذ العقل المكابد هذه الأثقال كلها على عاتقه؛ ويسعى في صحرائه كما يسعى الجمل في الصحراء محملاً بأثقاله".

يتضح من هذه الفقرة أن الجمل يعني موقفاً معيناً عليه أن يتبناه بغية قبول المهمة الثقيلة. وسوف يقوده إلى الصحراء لأن روحه، على الرغم من قبوله، متصبغ كالجمل الذي يسافر في الصحراء. فهو حيوان مقتصد للغاية، ولديه تلك المعدة المزدوجة التي يخزن فيها الماء، وبذلك يستطيع تحمل السير دون ماء إلى مسافة كبيرة؛ ثمة حاجة كبيرة إليه من أجل التنقل. فالصحراء مقفرة ولا شيء ينمو فيها، والناس فيها مهردون بالجوع والعطش. وترجمة هذه الحالة إلى لغة سيكولوجية نرى أنها تعني بعنة خطيرة تتطلب قوة وطاقة على الاحتمال في مكان يكون فيه الإنسان وحيداً منعزلاً. هكذا كانت الحالة في الواقع. عندما نشر نيتشه كتاب *هكذا تكلم زرادشت*، بدأ الناس فوراً يراوغونه ويتعدون عنه؛ بعض المهوسين فقط أعدوا أذانهم. فقد ظهر الكتاب عندما كان نيتشه في علاقة وثيقة ببازل، مما جعل الجميع يتحدثون عنه، وأنا أعرف تماماً كيف كانت ردود الفعل عليه حينها.

لكن التحول الثاني يحدث في تلك الصحراء القاحلة: يتحول العقل إلى أسد؛ يريد أن يغدو حراً، ويريد أن يكون سيداً في صحرائه الخاصة. يبحث عن آخر أسياده: يريد أن يصبح عدواً لآخر أسياده وآخر آلهته؛ يريد منازلة التنين العظيم بهدف تحقيق النصر.

ما هو هذا التنين العظيم الذي لم يعد العقل راغباً فيه سيداً وإلهاً؟ "ينبغي عليك" يُدعى التنين العظيم. لكن عقل الأسد يقول: "أريد".

ثمة فكرة رئيسة في هذه الفقرة تشير إلى الجمل الذي بقي كما هو على كامل الفقرة. فما هي تلك الفكرة المميزة، وما الرابط بين هذه العبارات كلها؟

السيدة كرولي: المتناقضات؟

الدكتور يونغ: مسألة قبول المتناقضات موجودة دوماً. علينا أن نحب أولئك الذي يحتقروننا مثلاً، أو نصافح الأشباح التي تجعلنا نشعر بالخوف، وهذا يعني الأشياء التي نهرب منها بشكل طبيعي. لكن خلال الفقرة كلها هناك فكرة الانتصار على المقاومة وقبول ما هو كرهه وصعب ومرعب. لكن ما الذي يعنيه ذلك إذا قمنا بترجمته إلى لغة السيكلوجيا، أو إذا أخرجناها من الإطار الأخلاقي؟

السيد أليمان: قبول الإنسان لظله.

الدكتور يونغ: طبعاً. إنها الفكرة الشهيرة المرتبطة بالظلّ السليبي، النقيض، الجانب الآخر للقصة. إذ يكون الوعي دوماً في الجانب الأعلى للعمود؛ الجانب العلوي "للعين الثالثة - *ajna*" والجانب الدوني هو "المولادارا - الثبات العميق"، وهي داكنة ومناقضة بكافة الطرق لوضوح العقل المنفصل تماماً وإشعاعه. وقد أدرك هنا أن عليه أن يثقل جملة بعبء يصعب قبوله. إذ على المرء أن يقبل ما ينكره، أي الجانب الذي يقف ضده. لكن كيف توصل إلى هذه النتيجة؟ تذكرون في نهاية فصل المقدمة إدراكه لمسألة أن الذهاب في طريق خطرة يحتاج إلى مرشد، وخطر بذهنه عجوز الغاية الذي انسحب من الحياة. لكن زارادشت أراد أن يمضي إلى الأمام، ولذلك قام على الفور بمواجهة مهمة تلك الفترة. ماهي تلك المهمة؟ هل يمكن تلخيصها بأن الوعي يجب أن يستمر ليتفوق أكثر على الظل أو على الإنسان الأدنى؟

الآنسة حنة: لا، بل هي مشكلة قبول الحيوان، قبول الإنسان الأدنى.

الدكتور يونغ: نعم، ذلك الشيء الوحيد الممكن. لقد وصلنا إلى النهاية من جهة الوعي وقوة الإرادة والتركيز والنية وما إلى ذلك؛ ولم يعد بإمكاننا المضي قدماً في المسار ذاته بل علينا إيجاد شيء آخر. ولا يمكننا أن نجد إلا

ما يتجاوز ميزات الحالة المسابقة، وبشكل طبيعي ما يتجاوز الحالة الراهنة هو الظل؛ وهذا لا يمكن تجنبه إطلاقاً إذا قفزت إلى ما وراء عالمنا الواقعي بأية طريقة. افترض مثلاً أنك عالم تتابع العمل على أبحاث متقدمة؛ عندئذٍ عليك أن تخرج مما هو معلوم إلى ما هو مجهول، أي من الضوء إلى الظل. فإذا كنت متديناً أو فلسفياً ولم يعد بإمكانك أن تؤمن بالقيم الصالحة لحياتك الآن، فسوف تتخلّى عن الحقيقة المعترف بها سعيّاً وراء المجهول. سيكون من السهل الخروج من الحقيقة المعروفة إذا كانت الحقيقة الأخرى معروفة سلفاً، لكنها مجهولة تماماً، ولا وجود لشيء سوى الفضاء الفارغ والظلمة والبرد. لا تلمس أي شيء، ولا ترى أي شيء ولا تصادف أي شيء؛ إذ يبدو الأمر كما لو أنك كنت مهاجراً من بلدك إلى أرض مجهولة غير مكتشفة. هذا ما يصفه هنا. لقد أثقل كاهل جَمَلِه بمهمة قبول شيء يخافه المرء فعلاً، لأننا نخاف بشكل طبيعي من الأشياء التي لا نريد أن نقبل بها. لكن إذا كنت مع ما تؤمن به، وأصبحت حياتك عقيمة، ولم يعد بإمكان مثالياتك أن تغذيك، فعليك أن تستبدلها بشيء آخر، وهذا الآخر هو ما تخشاه؛ وتقفز مباشرة فيما تخشاه. يكون لديك في الكنيسة الكاثوليكية الضوء والرمز لأن كل شيء مُقدّم لك، لكن إذا لم تعد تلك الأشياء مشبعة لك، وتجاوزت ذلك، فإلى أين تمضي؟ يمكنك طبعاً أن تمضي إلى البروتستانتية، لكن إذا كنت مولوداً على المذهب البروتستانتي، فماذا يمكنك أن تفعل؟ حسناً، يمكنك المضي إلى البوذية أو الثيوصوفية أو أي شيء من هذا القبيل؛ وإذا بقيت بعد ذلك غير مشبع، فما الذي يبقى؟ لا شيء سوى ظلك والأشياء التي لا تحبها. ولأنه لم يعد هناك شيء آخر، يكون الشيء الوحيد الذي تستطيع رؤيته هو الظلمة الموجودة في داخلك وتحيط بك. فالظلمة منتشرة في كل مكان.

هنا أشار نيتشه إلى أشياء ربما تعني الغذاء الدائم الاعتيادي للعلم مثلاً، أي الحقيقة الدائمة الاعتيادية، والجوع الكامن خلفها. ربما تبدو أشياء مقبولة إلى حد كبير؛ لكن إذا أردت أن تتجاوز ذلك، فستصل إلى أشياء لا يمكن قبولها حتماً: ستصل إلى ما يشبه "الانتقال إلى الجهة المعاكسة". لذلك عليك أن تكون حذراً جداً في الإعلان عن قبولك للظروف الحالية لأنك إن لم تفعل، تُثقل الجَمَل بعبء مهمة حملك عبر الصحراء. وإذا لم تكن راضياً بالحساء الذي تتناوله في البيت، ينبغي عليك تناول الرمل في الصحراء. وإذا اتخذت القرار بذلك، تقترب من سمات البطل. وازدادت أصبح بطلاً. لقد قرر الذهاب إلى مناطق مجهولة يشعر فيها بالحرية، لكنه سيكون وحده تماماً. نعم ليس هناك حدود: يمكنك أن تفعل ما يحلو لك في الصحراء، ووحده تماماً، لكن ما من شيء يتمتع فعلاً، ولا حتى نفسك. فعندما قبل بدور الجمل، أصبح بإمكانه السفر في الصحراء. وهناك تحرر من كل القيود؛ حيث أدرك أنه أصبح حيواناً مفترساً، أصبح أسداً. فعندما تتجاوز النظام المحدد لشيء ما، تصبح بشكل طبيعي في حالة من الحرية القصوى، لكنك تصبح معزولاً؛ يمكن أن تقول إنك إله في صحرائك، أو إنك ضحية. فإذا كنت شجاعاً تقول إنك ربّ صحرائك الخاصة. لقد قال نيتشه إنه يسعى إلى آخر ربّ هناك؛ فهو لم يعد يريد أن يكون تابعاً، ولا يريد أي شيء يتجاوز ذاته أو يعلوها. يريد فعلاً أن يتغلب على كل شيء بنفسه، حتى الله. لذلك سيقا تل الإله الأخير، التنين الهائل. سيكون الله عدوّ الأخير، فهو آخر شيء يعلو ذاته؛ والله هو التنين الهائل.

ثم يسأل: "ما هو التّين الأكبر الذي لم يعد يرغب فيه العقل سيّداً وإلهاً؟" ويفسر ذلك بأن هذا التّين هو "ينبغي عليك". هذا يعطينا مفتاحاً أساسياً لكن من الصعب فهم الرمزية هنا. وهذه أيضاً فقرة يمكن قراءتها بيسر دون إدراك ما تعنيه. وقد تتعامل معها وكأنها استعارة كلامية ظهرت

للتو، ولا تعرف حينها لماذا اضطرب جهازك الهضمي. لا تعرف ما الذي ابتلعتته. لقد قرأت هكذا/ تكلم زارادشت للمرة الأولى بطريقة واعية في السنة الأولى من الحرب، في شهر تشرين الثاني - نوفمبر عام 1914، منذ عشرين سنة؛ فسيطرت عليّ الروح فجأة وحملتني إلى صحراء بعيدة قرأت فيها هكذا/ تكلم زارادشت. لم أفهم فعلاً، لكنني وضعت إشارات بقلم الرصاص في كل موقع تعثرت فيه بعض الشيء، وشعرت بالضيق قليلاً عندما مررت بالتنين. ثمة شيء لا يسير بطريقة سلسة في هذا الموقع لكنني لم أعرف ما هو. ولا تزال تلك الإشارات في نسختي الألمانية، لكنني اكتشفت أن هذه المواقع هي أشياء عظيمة لا تهبط فعلاً. فما الذي تعرفونه عن ذلك؟

الآنسة حنة: أليست الحاجة إلى الإله المُسقط وإمكانية طاعته؟

الدكتور يونغ: نعم بالتأكيد. لكن هل لك أن تفسري ذلك؟ الحدس جميل لكن ذهن الإنسان لا يعيش على الحدس وحده. يحتاج المرء أحياناً إلى غذاء حقيقي.

السيدة بايز: ألا يمكن القول إن بالإمكان تلخيص الدين المسيحي بعبارة "ينبغي عليك" بالطريقة التي تبلور فيها في الكنيسة، وأنها عبارة سوف تستهلكك إذا أوليتها الاهتمام؟

الدكتور يونغ: يمكن القول بطريقة مجازية إن مبدأ "ينبغي عليك" يميز موقفاً عقلياً معيناً يمكنه أن يتحوّل إلى تنين يفترسك. لكن يمكن القول أيضاً إن الانهيار أو الفيضان سيغمرك في نهاية المطاف، أو إن ثقلاً جائراً سيدمرّك لا محالة، أو أسداً سيلتهمك أو طاغية. يمكنك استخدام أية رمزية تتفوّق عليك بعبارة "ينبغي عليك". لذلك علينا أن نتعمّق أكثر؛ علينا أن نتذكر أن التنين رمز خاص، وأن نيتشه لم يبتكر هذا المجاز فقط للتعبير عن فكرة الخضوع. فاختيار هذه الكلمة تحديداً لم يكن عن نيّة

واعية لنيتشه نفسه: إنها خيار لاواعٍ كما كان في الأحلام. ولا يمكن الافتراض
أبدأ أن الحلم يقول شيئاً بمصادفة بحتة ولا يمكن تفسيره؛ فهذا يوضح أن
الشخص لا يفسّر نفسه إلا بشكل سطحي. على المرء فعلاً أن يفهم لماذا
هذه الرمزية وليست رمزية أخرى، لماذا يكون الرمز الذي اختاره اللاوعي هو
الكلمة التي يجب أن تُلفظ في ذلك الموقع تحديداً. لذلك علينا أن نطرح
السؤال الآتي: لماذا قال كلمة تنين؟ - لماذا لم يذكر شيئاً آخر مطابقاً له؟
تلك الغلبة لـ "ينبغي عليك" يمكن تفسيرها بطرق مختلفة جداً؛ لكن رمز
التنين يعطي بعض السمات التي لا ينبغي التغاضي عنها.

السيدة باومان: أليس هناك حالتان من "ينبغي عليك"، وأعني عقيدة
الكنيسة والقانون الداخلي للذات؟ سيظهر التنين لأن نيتشه لم يرَ أن
للتنين أهمية أخرى في ذلك القانون الشخصي الفردي "ينبغي عليك".

الدكتور يونغ: لا يمكننا الافتراض هنا بأن لدينا حالتين من "ينبغي
عليك"؛ فالحقيقة السيكلوجية قول إن أي شيء يمكن أن يقول "ينبغي
عليك"، ونحن نتحدث أساساً عن "ينبغي عليك" تقليدية و"ينبغي عليك"
"فردية". لكن نيتشه لم يفرّق بينهما هنا. ولدينا مطابقة مع تنين له قوة
أخرى لا يمكن للمرء أن يربطها مع "ينبغي عليك" الخاصة بالكنيسة
المسيحية.

السيد باومان: أظن أن التنين يُشير إلى الماضي كله، لأنه خليط من
حيوان وسمكة وبرماني، فهو يمثل جميع الكائنات.
الدكتور يونغ: نعم، التنين مسخ مثيولوجي.

السيد باومان: لقد ظهرت العبارة من الماضي، ولا يهمننا الآن سواء أكانت
من الكنيسة أم من معتقد آخر، لكنها ظهرت من الماضي وتولّت القيادة،
وهو يعارض ذلك. تقول روح الأسد: "أنا أريد، ولا يهمني ما يقوله التنين؛
فليس هذا ما يجب أن أفعله بل ما أريد أن أفعله".

الدكتور يونغ: نعم. أظن أن الوضع على الشكل الآتي: حاول بوضوح أن يرسخ حالة يمكنه أن يقول فيها بحرية مطلقة: "أنا أريد" بدلاً من عبارة "ينبغي عليك". وعبارة "ينبغي عليك" مكافئة للثنين، والثنين مكافئ للإله؛ وبشكل طبيعي هو يقصد إله الكنيسة المسيحية. فعندما يقول الكاهن "ينبغي عليك"، فهذا يعني أنه يتحدث بصوت الله، وإلا من أين ستأتيه الكفاءة ليقول ذلك؟ لا يمكن إلا لقانون الله أن يقول: "ينبغي عليك"؛ فهذا أمر فائق، ولا بد أن يأتي من مصدر سلطة. كما أن سلطة الكنيسة وسلطة الكتب المقدسة هي كلمة الله، ومن هنا قارن كلمة السلطة هذه مع الاثنين.

السيدة زينو: أليس هي قوة النموذج البدني؟

الدكتور يونغ: إنه عنصر نموذجي بدني، ومسوخ بالتأكيد، لكن لماذا تم التعبير عنه بذلك النموذج البدني.

السيدة بايز: ألا يمكننا الافتراض بأنه يحاول مرة أخرى بأداء إحدى تلك الحلقات التي يرغب بأدائها؟ يوجد في التقاليد المسيحية مثلاً أن القديس جورج قتل الاثنين الذي يمثل الشيطان في ذلك الوقت. وهو يقول الآن إن الله أصبح الشيطان.

الدكتور يونغ: تماماً. إنها حلقة "الانتقال إلى الجهة المعاكسة". فما كان جيداً أصبح سيئاً، وما كان حقيقياً أصبح زائفاً. لكن عندما يطرح حالات التكافؤ هذه: الله "مكافئ" للثنين، والثنين "مكافئ" لعبارة "ينبغي عليك"، يؤكد أن وجهة النظر التي كانت تأخذ بعين الاعتبار المبدأ الأخلاقي الفائق والتكافؤ مع الله قد أصبحت الآن إبليس بحد ذاته. فالثنين هو سفينة في البحر أو الشيطان في الجحيم وفقاً لسفر أيوب. وإبليس هو تنين عجوز وقوة تدميرية. أي إن مبدأ الكنيسة السلطوي، أو أية أخلاقيات أو قناعات تقليدية قد أصبحت كالشيطان بالنسبة إلينا. وهكذا فقد تحول هذا الإله إلى تنين عجوز. فالثنين رمزية خاصة ليس لها مكافئ؛ وهو بالنسبة لنا رمز شرير بالتأكيد. لكنه ليس كذلك في الصين طبعاً؛ فهو هناك رمز للفردوس.

السيد باومان: لا أفهم لماذا تقيّد هذا التنين بالمسيحية. إذ يمكنه أن يمثل أية قوة تقليدية أخرى.

الدكتور يونغ: نعم، لكن يجب تأخذ نيتشه بعين الاعتبار. بالنسبة إلى نيتشه فكرة الإله فكرة مسيحية أساساً. فهو ابن رجل دين، وأينما وجدت فكرة تشير إلى الله أو إلى أي شيء روحاني، فهي ترتبط دوماً بالمسيحية البروتستانتية؛ وهذا واضح جداً. وأنتم تعلمون أن كل شخص يفهم الله بطريقة صوفية لن يقول أبداً عبارة "ينبغي عليك" لأنها عبارة لا علاقة لها بحياة الروح. لذلك تكون المفاهيم عن الله مختلفة تماماً عند الصوفيين.

سأروي لكم حكاية مضحكة عن قريب لي انتابته فجأة حالة تأنيب ضمير حيال حياته فذهب ليستشير ابن القس العجوز بلومهاردت. تعرفون أن بلومهاردت كان شخصاً مشهوراً في أيامه. وقد عالج في إحدى المرات حالة شخص استحوذت عليه الروح، وكانت حالة مثيرة للاهتمام. وتابع الابن طرق والده وكان أشبه بطبيب روحاني لجميع اللاهوتيين في أيامي. كان قريب يعماني من تأنيب ضمير شديد، فاعترف أمام الكاهن، وأخير بلومهاردت عن كل خطاياهم. وعندئذٍ نظر إليه بترقب، وظن النور سبهبط عليه الآن، لأن الرجل العظيم سيقول شيئاً ما. فقال الرجل العظيم: "هل تظن فعلاً أن الله يهتم بأفعالك القذرة؟" هذا كل ما قاله له. لقد كان لديه مفهوم مختلف جداً عن الله؛ إذ لم يكن الله بالنسبة إليه ضمن عبارة "ينبغي عليك" بل كان شيئاً مختلفاً للغاية.¹ فعبارة "ينبغي عليك" هذه تكون دوماً كلمة سماوية مشفرة. فهي الأخلاقيات التقليدية المستمدة من الشيطان.

¹ الكاهن بلومهاردت الأكبر - ابنه كان كاهناً أيضاً - أصبح مشهوراً بطرد الأرواح الشريرة التي سيطرت على أختين. وهذا موثق في كتاب آلان زوتنديل بعنوان "Pfarrer J. C. Blumhardt: Ein Lebensbild" (تيدوخ وهيلبيرغ، 1880).

عالجت مرة قبل الحرب قمناً لوثرياً، وكان تحليلاً صعباً للغاية. كان لاهوتياً نموذجياً، ولم أعرف ما الذي سيحدث مع هذا الرفيق. ثم اندلعت الحرب ولم أره. وبعد الحرب، التقيت به مجدداً وسألته كيف كانت تسير أموره مع الكنيسة فأجاب: "الكنيسة طبعاً من عمل الشيطان، لكن إذا أردت أن تعيش، عليك الاستفادة من الشيطان". كان ذلك قمناً! كان إيمانه قوياً بالإله الحقيقي الذي لا يمثل عبارة "ينبغي عليك" بذلك المعنى: فهو لم يكن شخصاً مبرمجاً. لكن أي شخص يتبنى وجهة نظر منظومة أخلاقية مصطنعة، ويعتقد أن الناس لا يعيشون إلا ضمن إطار "ينبغي عليك"، سوف يدمج مبدأ "ينبغي عليك" مع الله. فאלله ليس إلا مرشداً أو قائداً يساعد المرء على اتخاذ مسارات مستقيمة، وعلى الأمور الصعبة القاسية غير الطبيعية، لكن لا شيء حي. ففي حالة هذا القس اللوثري، كان السبب الرئيس لعصابه هو تمرّد داخلي كبير ضد مبدأ المسار المستقيم، فانخرط الشيطان فيه وجعل روحه تضطرب. لقد حاربني وكأنه الشيطان ذاته لكنه تعاقى في النهاية. ورحل قبل أن يخبرني بما حدث فعلاً، ولم يكن ذلك واضحاً بالنسبة إليه أيضاً. احتاج الأمر منه مدة عام لهضم كل شيء سمعه في التحليل، ومن ثم تجاوز العائق المرعب تدريجياً ووصل إلى نتيجة أنه لا الوصايا العشر ولا أية شريعة أخلاقية أخرى يمكن أن تتخذ مكان الله. ويعرف معظم اللاهوتيين تماماً ما الذي يدور حوله ذلك كله. لكنهم يخبرونك أن الله لا يمكن أن يكون إلا خيراً وما تبقى كله هراء. إنهم ينكرون قوته.

يقول نيتشه: "ينبغي عليك" هي اسم التنين الهائل، وحاول فوق ذلك كله أن يكتسب سمات الأسد، ذلك الحيوان الملكي الذي قال: "أنا أريد". لقد ابتكر وجهة نظر أخلاقية جديدة؛ وبالتناقض مع السجن التقليدي الذي لا يخلق إلا مخلوقات مقيدة لا أخلاقية، ابتكر أخلاقية مسؤولة، أخلاقية

"الأنا" التي تقول: "أنا أريد"، وتكون مسؤولة. وهو لا يعني طبعاً نوعاً من الأمنيات أو الرغبات الاعتبارية الفارغة بل يعني إرادة أو قراراً يتضمن مسؤولية. ولم يكن يقصد العقل أو الغباء المطلق. كان رجلاً موهوباً للغاية، حيث يتضح في كل صفحة من صفحات *هكذا تكلم زرادشت* أن أخلاقياته أكثر حدة بألف مرة من الأخلاقية التقليدية لمنبر الوعظ. فاللصّ القابع في السجن لن يصبح أقل لصوبية لأنه لا يستطيع أن يسرق؛ دعه يكون محاسباً في بنك كبير وراقب ما يحدث. إذا لم يسرق، ربما تستطيع أن تقول إنه ليس لصاً. وهكذا تكون عبارة "ينبغي عليك" أشبه بسجن يقبع فيه الناس وفقاً لقواعد معينة، لكنهم يفكرون دوماً: "لو تخلصت من هذه القاعدة لن يعرف الله ما يمكن أن أفعله! فهم لا يعرفون ما الذي سيفعلونه لو كانوا أحراراً. ليس هناك أخلاق، ولا قرار أخلاقي، من دون حرية. تكمن الحرية فقط عندما تستطيع أن تختار، ولن تستطيع الاختيار إذا كنت مجبراً.

المحاضرة الثامنة

28 تشرين الثاني - أكتوبر 1934

الدكتور يونغ:

أحضرت لكم اليوم صورة من كتاب بعنوان "أساطير من كافة الأعراق - *Mythology of All Races*" حيث يظهر "غارودا" بجسد بشري ورأس طائر وجناحين.¹ وأحضرت أيضاً تصميماً مأخوذاً من "درسدن مايان كوديكس"، حيث يظهر "غارودا" والحية؛ وهو رمز للوقت أيضاً. كما تحدثنا في المحاضرة السابقة عن التنين، وسنكمل الآن:

تقف "ينبغي عليك" عثرة في طريقه، متألقة ببريق الذهب؛ وحش بحراشف تلمع فوق كل حرشفة منها عبارة "ينبغي عليك!" ببريق ذهبي. تومض قيم آلاف السنين فوق تلك الحراشف، وهكذا تقول التنانين الأشد قوة: قيم الأشياء كلها تلمع فوق جسدي".
كل القيم قد تمّ خلقها، - وكلّ القيم التي تمّ خلقها أنا أمثلها. حقاً، لم يعد هناك أي أثر لـ "أنا أريد". هكذا يتكلم التنين.

¹ عمل من ثلاثة عشر مجلداً، تحرير "جي. أي. ماكولوش" و"إل. آتش. غراي"، وأعيدت طباعتها في نيويورك عام 1964. (نشرت المجلدات الأصلية بين عامي 1916 - 1932).

رأينا سابقاً أن التنين رمز الألوهة، وشكل من أشكال الله، وهنا نرى أنه عندما أصبح الله، أو الروح الحقيقية، مجرد عبارة "ينبغي عليك"، يبدو نظام القيم كله وكأنه تنين. وهذه الحالة لن يكون مشابهاً طبعاً للطريقة التي يرى فيها الصينيون التنين؛ فهو بالنسبة إلينا شيء سلبي لأنه شكل من أشكال الحية، وحيوان غير مرغوب إجمالاً. فهو ليس طائراً محلقاً يفرد جناحيه، ولا يشبه نصفي كرة الدماغ، بل يمثل الأجزاء الدنيا من الجهاز العصبي. فحالما يصبح الإله نظام قيم، يصبح إلهاً شرانعياً أو مؤسسة أو مبنى كنيسة أو كتاباً مطبوعاً أو سلسلة فرائض. وهكذا فقدت الألوهية كل نبض حي، وانحشرت ضمن صور وشعائر وقيم وقوانين. وبشكل طبيعي، كلما ازداد انتشار المؤسسة، قلت الحياة؛ وكلما ازدادت قوة "ينبغي عليك"، قلت الحرية. ومن دون حرية لا يكون هناك أخلاقيات حقيقية بل يسود الالتزام بالقانون والخضوع الكامل لكل ما هو قائم على قاعدة "ينبغي عليك". وهذا ليس أخلاقياً إطلاقاً؛ فهو يُسَيِّ أخلاقاً لكنه يفتقد المسؤولية الحقيقية بالتأكيد.

تتجه أفكار نيتشه الثورية ضد هذا التنين الذي التهم ببطء كل قرار جديد وكل مسؤولية جديدة لكي يصبح تنيناً خارق القوة. لذلك يمثل التنين في الميثولوجيا الشيء الذي يجب الانتصار عليه أو قتله بهدف تحرير شيء آخر؛ فهو دائماً حارس الكنز المسروق الذي يجب إعادته للإنسان فعلاً. وعلى البطل أن يهزم التنين بغية تحرير الكنز. وهناك أسطورة مكررة للغاية تقوم على التضحية بالعدراء للتنين، أو العذراء التي يحرسها التنين ويقوم البطل بإنقاذها كما في قصة "بيرسيوس وأندوميديا".¹ فالكنز كالعدراء تماماً رمزٌ للقيمة والحياة. كما أن العذراء رمز "للأنثى - القرينة"، مما يعني أن

¹ مع تقييد والدها لها بصخرة كتضحية لوحش البحر الأثني، ثم إنقاذ أندوميديا من تلك الارتطاعات على يد بيرثيوس، الذي قطع رأس الوحش وتزوج الفتاة.

الأنيما قد وقعت تحت سيطرة منظومة التقاليد التي يمثلها التنين، وهكذا فقدت حريتها. أو أن التنين يحرس الجوهرة المفقودة، والجوهرة رمزٌ للقيمة الأعمق في الإنسان، رمز للفردانية بحد ذاتها. ويمكننا العثور على أسطورة كهذه في كل مكان في العالم تقريباً. كما أن جوهرة "الماني - mani" العظيمة في التقاليد البوذية هي من أصل "براهمي"؛ إذ كان في الأصل الجوهرة السحرية المخبأة في البحر، ثم قامت الآلهة بإخراجها إلى السطح. وكان بوذا نفسه هو من أطلق عليها اسم "ماني" في العبارة الشهيرة: "Om Mai Padme Hum".¹ فصوت /المهممة/ هذا بدائي للغاية وغالباً ما تتأثر به لكننا لا نفهم ما الذي يعنيه الهندوس به. ومؤخراً، خطر بذهني صوت غريب جداً يُصدره البدائيون تعبيراً عن الموافقة أو الإعجاب. فإذا قلْتُ لزنخي: "كيف حالك؟" أو "انظر إلى هذا الطفل الجميل"، فهو يجيب بتلك "المهممة". وتستطيع أن تستمع إلى ذلك الصوت أيضاً عندما تقف إلى النافذة وترى فتاة جميلة تمرّ أمامك. أو عندما تتناول شيئاً جيداً للغاية – وبالتالي تقول دوماً للأطفال: "أممم، أليس لذيذاً؟" فهذا الصوت البدائي للغاية، الصوت الذي ربما أصدره البشر دوماً في ظروف بدائية للتعبير عن الإعجاب، هو بالتأكيد هذا الصوت الغامض: "أممم، يا لها من جوهرة! أليست جميلة؟" وبالتالي فإن "أمم - Om" هي إحدى ألقاب بوذا، الجوهرة الموجودة في زهرة اللوتس التي تمثل الذات، مثلما كان المسيح تمثيلاً للذات، أي تمثيلاً للقيمة العظمى.

¹ أحياناً، تكون ترجمة "Aum" أو "Om" الكلمة الأكثر قسمة وفاعلية، وتستحق تلاماً كثيفاً وتعتبر مكافئة للذات. روى يونغ في مكان آخر قصة يشرح فيها كيف نمت أزهار اللوتس بكثافة عند قدمي البوديستلا. إنه يتلخص العالم من خلال خطواته فوق اللوتس. لذلك كانت صلوات التيبتيين: "رائب الجوهرة في اللوتس - Behold the jewel in the lotus" (الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 298).

إن هذه القيمة مخبأة في التنين بقدر ما تم استبدالها بمبدأ "ينبغي عليك". وعندما يتولّى القانون الخارجي السلطة العليا تتحوّل الذات في الإنسان إلى كثر خفي، وتتم التضحية "بالأنيميا" للتنين، وينتظر العالم حضور بطل يصارع التنين ويجبره على إطلاق سراح الكثر الذي التهمه. من الواضح هنا أن شعور نيتشه كان مشابهاً لشعور بولس الرسول عندما تحدث عن الحرية من قانون "أبناء الله". يقول بولس إننا تغلبنا على القانون، ونحن لسنا أبناء خادم، بل أطفال الإنسان الحر؛ فنحن الآن كما لو أننا تحررنا من العبودية. لقد تغلبنا على القانون لأن الحب أعلى من القانون. ثمة فقرات رائعة في رسائل بولس الرسول يمجّد فيها الحالة الجديدة التي تلت الانتصار على تنين القانون. وعباراته المرتبطة بالحب مثلاً تبدو وكأنها إعلان الانتصار؛ ويتم التعبير عن ذلك أيضاً في المقطع الشهير الذي تغلب فيه على الجحيم والموت. هذا هو الصراع ضدّ التنين، ومشاعر التحرر اللاحقة إضافة إلى المشاعر المرتبطة باستعادة الحالة الأصلية التي يكون المرء فيها هو طفل الله الذي تم تخليصه، ويستمتع بحرية الألوهة الأبدية. لكن ذلك كان بالنسبة لبولس الرسول تحرراً من القانون والمؤسسة باعتبار أن الفهم الذي كان سائداً عن المسيح أنه تطبيق القانون. لكنه تغلب على القانون عبر تحقيقه وتجاوزه إلى حالة الحرية.¹

هذا بالطبع نوع من "محبة الإنسان لقدره - *amor fati*": ما يفهمه المرء على أنه يجب أن يكون، سيفعله لأنه يريد ذلك. يقول المرء "أنا أريد"

¹ "إذا لا شئ من الوثنية الآن على الذين هم في المسيح يسوع، الملاكين ليس خستب الجسد بل خستب الروح. لأن نفوسهم روح الحياة في المسيح يسوع قد اغتفبي من نفوس الخطية والوثنية" (رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية 8: 1-2). "وزايت ملاكاً نزلنا من السمّاء معه بفتاح الهاوية، وسلمة عظيمة على يده. فلفظنا على البتّين، الحية القبيحة، الذي هو إبليس والشيطان، وقبّدة ألف متنة" (سفر الرؤيا 20: 1-2). "انشودة المحبة" رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس 13، أشار إليها يونغ بشكل مؤثر في ختام كتاب "تكريت وأحلام وأفكار".

بحرية، وليس مجبراً بـ "ينبغي عليك" التي هي مجرد سلطة ربما تكون بلا معنى إطلاقاً. لأنه ما من أحد يمكن أن يتكرر قانوناً أو نظاماً سلطوياً يمكن تطبيقه في ظل الظروف كافة. قد يكون لديك قوانين رائعة لكنها تبقى قوانين لا أخلاقية. فلا يوجد أي قانون عقوبات أسفر عن وجود أشخاص أخلاقيين: "ينبغي عليك" هي مجرد سكة تساعدك على السير باستقامة عندما تكون حركتك متعثرة. لكنك لا تتعلم السير باستقامة إلا عندما تسير من دون سكة: عندها فقط تكون قد تعلمت الطاعة والمسؤولية. طالما أنك تسير بين جدارين عاليين حيث لا يمكنك أن تنحرف، لن تكون هناك حرية ولا مسؤولية ولا أي قيمة خاصة أخرى؛ إذ يمكن أن تكون مخموراً تماماً ويبقى بإمكانك السير باستقامة. أنت لا تستطيع ببساطة أن تسير بخط متعرج عندما تكون محصوراً بين جدارين. لكن الشرط المكوّن من طريق وجدران آمنة قد يسود مئات السنوات في حضارة راسخة، لكن سيأتي يوم تنهار فيه هذه الجدران، وسنحتاج فجأة للاعتماد على أنفسنا. عندئذٍ يصبح كل شيء موضع شك، ونصبح بحاجة إلى مرشد داخلي لأن القيم الخارجية لن تهبه لنا. وسيعتمد ثبات العالم حينها على ثقتنا الخاصة وعلى الأمان الموجود بداخلنا.

السيد باومان: أشار كانط بوضوح إلى ضرورة وجود حرية في القرار الفلسفي.¹

¹ وفقاً لكانط، على الإنسان أن ينسب لنفسه حرية الإرادة أو استقلاليته من أجل اختيار ما هو مطلوب بموجب القانون الأخلاقي. انظر كتاب كانط بعنوان "أسس ميتافيزيقيا للأخلاق - Foundations of the Metaphysics of Morals" المجلد الرابع، صفحة 446. ينقش بونغ هذه النقطة في محاضرة لاحقة بتاريخ 23 تشرين الأول - أكتوبر عام 1935. يقول نيتشه: "إنّ لأكثر عدد! بينما نحن نريد أن نصير أولئك الذين نحن هم - الجند، الكاذب، الذين لا مثيل لهم، أولئك الذين هم مشرعو أنفسهم، أولئك الذين هم خالقو أنفسهم!" (كتاب العلم المرح - Gay Sieck، صفحة 196).

الدكتور يونغ: طبعاً. لا يمكننا أن نتخيل أخلاقيات دون حرية اتخاذ قرار. وكما قلنا الأسبوع الماضي، محاسب البنك اللص السجين لا يسرق الآن بسبب وجوده في زنزانه، وهو ليس أخلاقياً حتى الآن. دعه يحصل على حريته، ودع الملايين بين يديه يوماً لتعرف الحقيقة، فإذا لم يسرق تحت هذه الظروف يمكننا أن نثق بأنه لم يعد لصاً. تلك هي الأفكار التي تعامل معها نيتشه بلفته الشعرية والرمزية. وبطبيعة الحال، عندما يكون لدينا كتلة قوانين من هذا النوع، تتشكل نزعة للمزيد من التطور، وزيادة وزنها وحجمها حتى لا يبقى من يستطيع القول: "أنا أريد". لأن الجميع حينها يصبحون مثقلين بالواجب، مثقلين بعبارة "ينبغي عليك". ويمكن لوضع كهذا أن يستمر فترة طويلة إذا سار كل شيء بسلاسة، لكن زلزلاً سهراً البناء كله، ولن يكون هناك شخص لديه توجه من الداخل، ولن يكون هناك شخص لديه الثقة التي تأتي من حرية الاختيار عادة. لنكمل النص الآن:

"لكن ما ضرورة الأسد بالنسبة للعقل يا إخوتي؟ ألا يكفيكم الحيوان القوي الجليل الممنع بامتناعه؟

خلق قيم جديدة - ذلك ما لا يقدر عليه حتى الأسد بعد: أما خلق الحرية من أجل إبداع جديد، فهو ما تقدر عليه قوة الأسد.

خلق الحرية، وإعلان الـ "لا" المقدسة حتى تجاه الواجب: هذا ما يحتاج إليه الأسد يا أخوتي."

ذلك يعني أن الإنسان بحاجة إلى قوة الأسد الملكية ليكون قادراً على قول كلمة "لا"، أي لرفض عبارة "ينبغي عليك". ويبدو أن عدم إطاعة القوانين السائدة هو نوع من تدنيس المقدسات، وفعل أي شيء وفقاً لفطنتك الخاصة وعلى مسؤوليتك، وأن تضع قانونك الخاص فوق القانون السائد. لكن أي مبدع يكون مجبراً على فعل ذلك؛ يُعتبر غير أخلاقي لأنه

يتجاوز العرف السائد، ويبدو كأنه سلوك إجرامي. عندما أناقش هذه القضايا مع لاهوتيين أقول لهم (.....) لو كان في أيامنا هذه، لن يكون اعتداء إذا كسرنا معظورات يوم السبت، لكن في تلك الأيام قال التنين: "عليك أن تنتبه ليوم السبت، وإذا لم تفعل فأنت ملعون". لقد كسر المسيح عدة قوانين وتم صلبه. فقد كان ينتهي إلى الدرجة الدنيا من الناس. العاهرات في أيام المسيح لم يكن مثيولوجيات إطلاقاً؛ لم يكن أفضل من عاهراتنا. لو كان لك أن تصادف المسيح في أي مكان في زيورخ، لكان ذلك في "نيدردورف - *Niederdorf*" في صالون. فعندما تحدث عن المرأة الزانية، كان يعني المرأة الزانية فعلاً. نحن ننسى دوماً (.....) لكننا لوّنا كل شيء بالألوان الذهبية. هذه هي المؤسسة، وتلك هي موازين التنين المتألفة. لقد كان شيئاً تعيساً للغاية في الواقع، ولا مجال لأن يكون محترماً. وكل ما فعلناه حيال ذلك هو موازين التنين الذهبية؛ وكان نيتشه على حق في ذلك.

السيد باومان: وكانت الناصرة مكاناً لكل سمعة سيئة.

الدكتور يونغ: نعم. "أَمِنَ النَّاصِرَةُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟"¹ نستطيع القول إن رجلاً كهذا لا يمكن أن يكون جيداً من ناحية الظروف المرعبة التي عاش فيها. لكن ذلك كان أصل المسيح، وهو لم يُعرف بأنه غير تقليدي فقط بل كان يوصف بأنه كاسر القوانين. ومن هنا يمكننا أن نفهم أن نيتشه احتاج كلمات تأكيد كهذه فأعلن كلمة "لا" مقدسة ضدّ الواجب أيضاً لكي يخلق الحرية لنفسه. "فهذا ما يحتاج إليه الأسد يا أخوتي"، يحتاج الأمر إلى شجاعة ملكية وإلى شخصية الأسد الملكية على ما يبدو ليغدو قادراً على قول "لا" للواجب المفروض عليه، لأن ذلك يعني أن يمتلك الشجاعة الكافية ليفعل شيئاً ضد النظام والقانون. وسنصل لاحقاً إلى

¹ لفلان لُة نثانييل: «أَمِنَ النَّاصِرَةُ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ صَالِحٌ؟» فُلان لُة فِيلِبُّس: "ثَقُلْ وَانْظُرْ" (انجيل يوحنا 1:46).

فصل يتضمن السيكلوجيا الخاصة بوجهة النظر القائمة على *التناقض*. ونلاحظ الآن دخول شيء من الغنوصية؛ لأن نيتشه لم يكن متأثراً بالغنوصية بطريقة واعية، لكنه كان شديد التأثير بها في اللاوعي. فالمؤمنون بمبدأ *"التناقض"* هم طائفة خاصة من الأخلاقيين الغنوصيين المقتنعين بأن الخلاص لا يمكن أن يأتيهم إلا إذا ارتكبوا الآثام. إذا لم ترتكب أية خطيئة، فلن تنال الخلاص بشكل طبيعي لأنك لم تفعل ما يتطلب تخليصك؛ ولكي تنال الخلاص عليك أن ترتكب الآثام.¹ كما أن على الكاثوليكي أن يرتكب الآثام ليكون لديه ما يعترف به. فالكاهن الذي يتلقى اعترافك مسيحتك على الاعتراف بشيء ما؛ فلا بد أنك ارتكبت خطيئة صغيرة في مكان ما. ومن هنا فإن أصحاب الضمير الحي غالباً ما يسجلون على ورقة صغيرة كل ما قالوه من كلمات غير لائقة هنا أو هناك مثلاً، أو يختلقون خيالات زائفة عن شيء من هذا القبيل. ولن يفكروا طبعاً بخباياهم الحقيقية التي لا تراودهم أية مشاعر خاصة نحوها لأنهم يعيشون فيها أساساً. فالإنسان الذي يعيش في الخطيئة لا تراوده أية مشاعر خاصة نحوها، وكأنه لا علاقة له بها.

هو لا يعرف سوى الإساءات التي تخالف القوانين، وهي إساءات لا تُعتبر خطايا إطلاقاً بالنسبة لأشخاص آخرين. فالإنسان من دون حرية ومسؤولية يفقد حتى شعوره بالخطيئة، ولا يعرف إلا عندما يرتكب إساءة ضد القانون السائد. وكلما ازداد انتشار المؤسسة، عاد الإنسان أكثر إلى سلوك قدماء المصريين الذين يقولون في اعترافاتهم: "أنا لم أسرق حاجات

¹ وفقاً للمؤمنين بالتناقض "Antinomians" ليس هناك ما هو ضروري للخلاص سوى الإيمان والحب. وببساطة يُعتبر الملوك الجيد والخالق مسألة رأي. أما الإنكراتيون "Enkratites"، على النقيض من ذلك، ففكروا الزاهدين الصارمين الذين طلبوا من أتباعهم التفسير الحرفي لتعاليم المسيح وأمثلة حياته.

الأيام، وأنا لم أغتصب أرملة، ولم أخدع جابي ضرائب فرعون". لكنهم لا يذكرون أي شيء مما فعلوه حقيقة؛ فالأمر ليس بتلك الأهمية بالنسبة لهم. وبشكل طبيعي، لو أن بإمكان الإنسان أن يبقى متزناً ولا يتعرض للإساءة والإزعاج، لانتهى الأمر بقناعته بأنه يستطيع فعل أي شيء طالما بقي الفعل مستوراً.

هكذا يفكر الناس فعلاً لكن من الصعب جداً عليهم قول ذلك؛ فالناس رقيقو الثقافة لا يعترفون بذلك. إذ تنبثق وجهات نظرهم فقط من حقيقة سيرهم بين الجدران؛ كما أن هناك أنظمة شرطة لا يُفترض بأي شخص أن يسيء إليها، لذلك تسير على خير ما يرام. يخطر بذهني الآن موقف حدث معي عندما كنت مسافراً إلى أمريكا في إحدى المرات؛ كنت أجلس إلى طاولة بعض رجال الأعمال النيويوركيين الذين لم يكونوا رأوا كتاباً واحداً خلال حياتهم كلها، ناهيك عن مسألة قراءته - أشخاص أميون رائعون جداً. وكان أحدهم منشداً إليّ فقال لي مرة بعد العشاء: "أراك شاباً حكيماً جداً. وأريد أن أطرح عليك سؤالاً. أعرف صديقاً متزوجاً منذ اثنتين وعشرين سنة تقريباً، ولديه ستة أطفال، لكنه وقع في غرام فتاة أخرى منذ أيام. فهل يجب على صديقي أن يطلق زوجته أم لا؟" "هل تتحدث عن نفسك؟" "كيف عرفت ذلك؟" أجبت: "إذا كنت ستزوج الفتاة، فماذا ستفعل بزوجتك؟" "الأمر بسيط. لقد تزوجت بالقانون، وأستطيع أن أحصل على الطلاق بالقانون. لا بأس بذلك، ثم أستطيع أن أتزوج الفتاة". فقلت له: "صحيح تماماً، لكن إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هذه المرأة كانت فعلاً زوجتك لمدة اثنتين وعشرين سنة، ولديك أطفال منها. فأنت بحكم القانون تهرب منها. هل ترى ذلك التصرف إنسانياً؟ أليس لديك أية علاقة مع زوجتك بعيداً عن علاقتك القانونية؟" قال إنه لم يفكر بذلك، وفي اليوم التالي لم يكن واثقاً ما إذا كان سيطلقها. وهكذا كان كل شيء يسير بالطرق

النظامية، والقانون ليس ضده، وسيخرج من المشكلة نقياً تماماً لأنه لا وجود لأية اعتبارات إنسانية من أي نوع كانت. وهذا ليس أخلاقياً بالمطلق طبعاً بل هو مجرد "ينبغي عليك"، وعندما يذهب إلى الجنة يقول: "لم يكن يُفترض بي"، وعندها سترى ما إذا كان بطرس سيفتح الباب أم لا. ربما يفعل! فهذا ما يجعل الجنة مملّة للغاية.

"اكتساب حق إبداع قيم جديدة - إنه الكسب الأكثر فظاعة بالنسبة لعقل مُجهّد محمّل بالأعباء. حقاً، إنه مجرد صيد وعمل حيوان مفترس." لقد صاغها بقوة هائلة؛ صيد حيوان مفترس. في مجتمعنا يُعتبر اختراق القانون والإساءة إليه جريمة، ولا يمكن للمرء ابتكار قوانين جديدة دون إساءة، هذا واضح جداً.

كان العقل فيما مضى يحبّ "ينبغي عليك" ويقدّسها: وهو الآن مجبر على العثور على الوهم والاستبداد حتى في أكبر المقدّسات، وربما يميل إلى انتزاع حريته من حبّه هذا: إنه بحاجة إلى الأسد لانتزاعها.

لكن قولوا لي يا إخوتي، ما الذي يستطيع الطفل فعله ولا يستطيع حتى الأسد أن يفعله؟ لماذا ينبغي على الأسد المفترس أن يتحوّل أيضاً إلى طفل؟ الطفل هو براءة ونسيان، بداية جديدة، لعبة، عجلة تدور من تلقاء نفسها، حركة أولى، و"نعم" مقدّسة.

أجل، إنّ لعبة الإبداع يا إخوتي تتطلّب "نعم" مقدّسة في الحياة: يريد العقل إرادته الخاصة الآن؛ ومن فقد العالم يريد الآن أن يكسب عالمه الخاص.

بات من الواضح الآن، كما أعتقد، لماذا احتاج نيتشه الأسد لترميز موقف كسر القوانين. إنه الإرادة الذاتية الملكية، إنه التناقض. السيدة بايتز: لم تنته من توصيف كيفية تأثر نيتشه بالغنوصية.

الدكتور يونغ: من خلال "مبدأ التناقض" القائم على وجوب كسر القانون وارتكاب الآثام، وإلا لن ينال الخلاص. أما أتباع مبدأ "إنكراتيتس - *Enkratites*" فكانوا على العكس تماماً. يصبر المؤمنون بمبدأ التناقض على كسر القوانين، أما "الإنكراتيتس" فهم الزاهدون بكل شيء، لذلك لا يحدث معهم أي شيء. هم يبقون على كل شيء بالحال التي هو عليها فلا يفعلون أي شيء ولا يرتكبون أية خطيئة. كما يُطلق عليهم اسم "كونتيننتس - *continents*".¹ إذ يقومون بتخزين الأشياء والحفاظ على الحياة ذاتها بحيث لا يمكن أن يحدث لهم أي شيء. يضعون سدّاً أمام نهر الحياة فلا تتدفّق المياه فيه. فلا أحد يمكنه القول إن شيئاً شريعياً يحدث، لأنه ما من شيء يحدث أساساً.

نصل الآن إلى تلك النقلة من الأسد إلى الطفل. لماذا تحوّل الأسد إلى طفل؟ وما الذي يكسبه نيتشه إذا أصبح موقفه شبيهاً بموقف طفل بدلاً من أسد كاسر؟

الآنسة إي. تايلور: لن يفكر كثيراً بعبارة "يجب عليك"، وينفتح على ما هو آت وجديد. فالأسد لا يجدّ إلى القديم.

الدكتور يونغ: لكن يمكن للأسد أن يقول "أريد"؛ فهو حيوان ملكي. الآنسة إي. تايلور: نعم، لكن لا يمكن للأسد أن يختار ما هو جديد. والجديد سيأتي لا محالة، وعليه أن يحظى بموقف طفولي ليراه.

الدكتور يونغ: تقصدين أن الطفل شيء إبداعي بالمطلق. نعم، تخبرنا الفقرة الآتية مباشرة أنه حتى الأسد غير قادر على خلق قيم جديدة. هو قادر فقط على خلق الحرية لنفسه من أجل خلق جديد؛ فقوته فعالة لهذا الهدف. وباعتباره مفترس الطرائد، يستطيع الأسد أن يمزّق ويدمر، ويحطّم الحدود ويكسر الأطواق ويقتحم قطع الماشية ويخلق الفوضى. يمكنه أن

¹ ناقش يونغ موضوع هذه الطائفة القنوصية في الأعمال الكاملة، المجلد السادس، صفحة 25.

يكون مزعجاً للغاية لكنه لا يستطيع أن يخلق أي شيء جديد. ويدرك نيتشه هنا أنه يحتاج إلى ما هو أكثر من التدمير لخلق قيم جديدة ومواقف جديدة ضرورية. وهنا يلجأ إلى ترميز الجديد بالطفل البريء الغافل عما يدور حوله، فهو البداية الجديدة والمرح والتسلية.

ثم استخدم رمزاً غريباً جداً هنا، "دولاب يدور ذاتياً"؛ وهي ترجمة حرفية من الألمانية إلى الإنكليزية، لكنها أفضل بكثير بالألمانية: "das aus sich rollende Rad" إذ تعني "العجلة التي تدفع نفسها بنفسها". حيث إن مركز دفع العجلة يعمل من تلقاء نفسه، إنه إبداع ذاتي. ويقصد نيتشه هنا أن سلوك الطفل عبارة عن إبداع ذاتي. فالطفل حالة تطوّر لأنه لا يزال ينمو، وهو قادر على تغذية نفسه، ومساعدة نفسه على النمو.

السيد باومان: لا أرى في رمز الطفل إبداعاً بقدر ما هو سلوك نقي غير متحاز تجاه ما هو آت.

الدكتور يونغ: نعم، شريطة أن يكون الشيء الذي ينتظره المرء، تحت تلك الظروف، قادماً فعلاً من الخارج. لكن الخارج هو التنين. مجرد موقف طفولي ينتظر شيئاً متوقعاً يستدعي التنانين. وهكذا، يجب أن يكون الطفل إبداعاً ذاتياً يهدف وضع شيء ما مكان التنين الذي تحقق الانتصار عليه؛ إذ لا بدّ من خلق قيمة ذاتية، قيمة فردانية. لذلك يجب أن يكون الطفل مرحاً لعباً. يجب أن يكون كخالق العالم الذي لعب بأخيوالات العالم حتى أصبح على هذا الشكل. يُبدع الطفل دوماً عالماً خاصاً به؛ ويخلق قيمة جديدة من خلال لعبه وتسليته. العوالم الجديدة لا تأتي من الخارج لأنه ليس هناك من عوالم في الخارج؛ ليس هناك سوى تنين عجوز.

البروفيسور فيرز: أليس ما كان يقصده السيد باومان مقولة المسيح بأن علينا أن نصبح كالأطفال الصغار من أجل أن ندخل ملكوت السماء؟

الدكتور يونغ: لكن ليس هذا ما كان يقصده نيتشه تماماً. لأن طبيعة الطفل البريئة تسبب نقصاً كبيراً في الانحياز مما يُسفر عن عدم وجود تجربة جديدة. وهو أمر لا غنى عنه طبعاً بالنسبة للإبداع، لكن من المفترض عندئذٍ إنتاج شيء ما من الداخل بهدف القيام بتجربة جديدة. فالجديد لا يمكن إيجاده في الخارج، لأن الخارج هو العالم الذي نعيش فيه، وإذا كان لأي جديد أن يأتي إلى هذا العالم فلا بد أن يأتي من الداخل. ولكي نكون قادرين على الإبداع طبعاً علينا ألا نعيق التجارب الجديدة: يجب أن نكون منفتحين عليها. فهذا ما كان يعنيه بالعجلة التي تدفع نفسها بنفسها، وتتحرك بنفسها وليس بتأثير ظروف خارجية. وحالما تكون حركة العجلة بتأثير ظروف خارجية تكون عبارة عن "ينبغي عليك!؛ حيث يأتي أحدهم ليركل العجلة ويجعلها تدور. لكن فكرة نيتشه هي أن طفلاً يمكن أن يتحرك من تلقاء نفسه. وهذا سيكون إبداعاً لأن حالة الطفل، حتى الحالة الجسدية، عبارة عن إبداع.

تشير رمزية العجلة طبعاً إلى الماندلا. فمن الواضح أن هذا النقاش الذي يتضمن الجمل والأسد والطفل هو تعبير عن عملية التفرد التي قُتِلَ من أجلها التنين الكوني. ثم يتم إلغاء القوانين العامة جميعها، ويكون عليك أن تمتلك قيماً جديدة خاصة تعمل على توجيهك. يجب أن يكون لديك توجه من الداخل، لذلك أنت بحاجة إلى موقف الطفل لتكون متوازناً مطيعاً لا تتكبر ولا تمتلك أفكاراً أفضل، فيصبح بإمكانك طاعة النبض الآتي من الداخل. عندئذٍ تصبح مثل العجلة التي تدفع نفسها بنفسها. فالعجلة رمز الشمس، هي مندلا. والعجلة لم تكن رمزاً قديماً للشمس وحسب، بل كانت الشمس بعد ذاتها رمزاً – تلك العجلة التي تندفع في السماء دون وجود من يدفعها، تلك العجلة المندفعة ذاتياً. وهكذا كانت الشمس أبداً رمز

الفردانية، رمز الإنسان الذي يستطيع الوقوف من تلقاء نفسه، ويتحرك من تلقاء نفسه دون أن يدفعه أحد.

من النادر جداً أن تجد روح المبادرة لدى الشعوب البدائية. وعادة ما يكون الزعيم أو الطبيب المعالج هو من لديه روح المبادرة، ويُنظر إليه باعتباره أحد المخترعين أو المطوّرين في القبيلة. يكون الشخص العادي كسولاً وخاملاً ومحافظةً للغاية، ويفعل الأشياء مثلما فعلها والده وجده فقط؛ وهو لن يبادر ما لم يُدفع باتجاه الحركة، وقد يحتاج الأمر قدراً كبيراً من قوة الدفع لتجعل البدائي نشيطاً. وأظن أنني أخبرتكم قصة ما يجب على المرء فعله كي يرسل حامل رسائل. وقصة طقوس رجال الأدغال الأستراليين لإثارة غضب الرجال، لدفعهم للعمل.¹ لم يكن قتل أي إنسان يثير الحماس لديهم، لذلك وضعوا طقوساً خاصة تجعل الغضب يتسلّل إليهم، مما يجعلهم يتخذون قراراً بخصوص جريمة القتل. ثم يحملون أسلحتهم ويجتمعون، لكن إذا لم يجدوا العدو بمحض مصادفة في ذلك اليوم، يعودون إلى بيوتهم وتنتهي الحرب. ولإثارتهم مجدداً، ينبغي تطبيق الطقوس مرة أخرى لإثارة غضبهم. لكن هذا نادراً ما يحدث؛ إذا لم يجدوا العدو يذهبون إلى بيوتهم، ولا يفعلون أي شيء. والآن سنصل إلى نهاية خطبة "عن التحولات الثلاثة":

"ثلاثة تحولات للعقل شرحت لكم: كيف يتحوّل العقل إلى جمل، والجمل إلى أسد، والأسد إلى طفل بالنهاية.

¹ قال المحلل السيكولوجي السويسري تشارلز يون (1893 - 1963) في مجلته إنه سمع يونغ يصف شاباً من أفريقيا الوسطى لم يلامسه الحماس أبداً أثناء عرض مكافأة لإرسال رسالة معينة حتى أظهرت الشعائر المرتبطة بالتعويذة وجهته بوضوح، وعندئذ انطلق "كأسهم من القوس". "كتاب: كارل غوستاف يونغ يتحدث - C. G. Jung Speaking"، تحرير "William McGuire and R.F.C. Hull (Princeton, B. S. XCVII, 1977), PP. 79-80

هذا تكلم زارادشت. وكان آنذاك مقيماً في المدينة التي تُدعى: البقرة المرقطة¹.

توجد هذه الإشارة الوحيدة لمدينة تُسمى "البقرة المرقطة".¹ هل لديكم فكرة عنها؟

السيدة كرولي: هل تتخذ البقرة هنا المعنى المقابل للجمل؟ فهي أيضاً حيوان متين صبور، لكن بدلاً من أن تحمل الناس إلى الصحراء، تشكّل الجانب الجسدي الذي يهب الغذاء، ذلك الغذاء الذي يبقهم في الجسد إن جاز التعبير.

الدكتور يونغ: هذا ممكن جداً، لكن علينا أن نحاول معرفة المعنى الذي استخدم فيه نيتشه هذه الكلمة في الفصل التالي بعنوان "عن منابر الفضيلة"، يقول النص: "بل إنني أفكر بما فعلت طوال نهاري وبما أفكر فيه. مجتراً بصبر مثل بقرة أسأل نفسي: ما هي التجاوزات العشرة ليومك؟" غالباً عندما تصادف كلمة تلفت النظر، تجدها مجدداً في ارتباطات مختلفة؛ حيث تبدو كلمة بقرة كما لو أنها سقطت من اللاوعي، وحامت تحت عتبة الوعي، ثم ظهرت مجدداً بعد فترة في ارتباط جديد. هذا يساعدنا أحياناً على توضيح معنى الكلمة. لذا أعتقد أن علينا التشديد هنا على الاجترار. البقرة بالنسبة إليه بشكل أساسي حيوان صبور ومجتز. وهذا يشير إلى الموضوع العام للفصل التالي، موضوع النوم. إن المدينة تدعى "البقرة المرقطة"، وهي تمثل النوم الجيد النابع من الضمير الجيد، فإلى أي مدينة يشير هنا؟

السيدة فيرز: إلى بازل!

¹ مدينة زرائشت المفضلة، "البقرة المتعددة الألوان – The Motely Cow"، هي ترجمة حرفية لاسم مدينة "كلماسادالمباد"، التي زارها بوذا أثناء تجواله. من المعروف أن نيتشه قرأ الكتاب المقدس البوذي بعنوان "سوتتا نيباتا – Sutta Nipata"، وأعجب به. انظر كتاب فريش موسري بعنوان "نيتشه والبولونية – Nietzsche ad Buddhism" (نيويورك، 1981).

البروفسور ريكستين: تلعب البقرة دوراً كبيراً في الديانة الفارسية حيث توجد أسطورة عن البقرة الأولى كما توجد أسطورة عن الإنسان الأول.

الدكتور يونغ: هذا صحيح، لكنني أظن أن لدينا هنا إشارة محلية جداً تفسر هذا الارتباط مع البقرة المجترّة. إن منابر الفضيلة موجودة في بازل، وليس لهذا الفصل علاقة ببلاد فارس. والمدنية ليست بعيدة إلى هذه الدرجة.

الآنسة حتّة: كتب هذا الفصل في منطقة "ميلز ماريا"، وهي مدينة تشتهر بكثرة الأبقار.

الدكتور يونغ: ذهب كثير من الناس من بازل إلى سلز ماريا، وهو كذلك صعد إلى هناك من بازل! وأظن أننا إذا افترضنا أن هذه المدينة هي بازل، فلن نكون بعيدين عن الحقيقة، لأنه يقول في هذا الفصل شيئاً يصبّ مباشرة في عين تلك المدينة القديمة الخيرة. إذ يؤمنون للغاية هناك بالأخلاق التقليدية، ويوجد على هذا الأساس القليل من الأخلاق الحقيقية. فهناك حواجز، وهي ليست سوى حواجز أخرى لا يبقى منها أي شيء في فترة الكرنفال. وهذا أشبه بالزواج ثم الطلاق وفقاً للقواعد. إذ تُقفل زريبة الخنازير جيداً خلال السنة كلها، وتُفتح في فترة الكرنفال، ولا أحد يقول أي شيء حيال ذلك لأنه مطابق للقواعد. ففي تلك الفترة من بدايات ثمانينات القرن الثامن عشر كان هناك اجترار لقيم الماضي فعلاً. ومنذ فترة قصيرة ظهر مقال في الصحيفة هنا عن جيبون، ذهب من سويسرا إلى بازل وتأثر كثيراً بحقيقة أن الناس كانوا لا يزالون يعيشون وكأنهم في عصر "أراموس". كان ذلك في عام 1755 تقريباً، لكن الأمر ذاته ينطبق على عام 1870، أو عام 1780، أو 1790.

البروفسور فيرز: لدينا دليل على ذلك. حيث كان يعقوب بوركهارت في لحظات إبداعه يعزف أغنية شوبارت ذاتها، وكان يبكي دائماً في المقطع ذاته.

الدكتور يونغ: إنها مجموعة القيم المحافظة والمتشددة للغاية. فإذا لم ترتكب أية إساءة، تكون مقبولاً؛ لا تكون على حق إلا إذا لم ترتكب أية إساءة. فهذا أفضل ما يمكن فعله. وإذا فعلت الأفضل، يكون ذلك أسوأ ما يمكن لأنه لا يُفترض بك أن تفعل الأفضل. وقد عاش نيتشه في تلك الأجواء وتحدث بمثل ذلك مباشرة أمام الكلية والقسم الذي يعمل به في الجامعة، وأمام يعقوب بوكهارت مثلاً، ومجموعة من أصحاب المراكز في الجامعة. وقد استنزف ذلك الأمر الجزء الأكبر من شجاعته المتأخرة. فلا عجب إذاً بعد هذه الهرطقة المباشرة أن نصل إلى فصل يعالج فيه "منابر الفضيلة" المرتبطة بالناس الذين تحدث عنهم في الجامعة؛ حيث نجد في هذا الفصل اعتذاراً لقوى المعارضة.

الأنسة إي. تايلور: أظن أن الأبقار حيوانات فضولية جداً وتهتم بأفكار المرء.

الدكتور يونغ: وأحياناً تأكل القِيعات!

الأنسة إي. تايلور: وأظن أنها تشير إلى الفصل الذي كان يجترّ فيه - من خلال ذلك الاجترار وصل إلى كل تلك الأفكار عن الجمل.

الدكتور يونغ: إذاً أنت تظنين أنه كان بقرة مرقطة تستلقي في المرج وتجترّ أفكاره عن الجمل. لكن لا بدّ لذلك أن يكون نوماً قلقاً للغاية؛ وإلا لما استخدم تلك الكلمات التوكيدية. لكن عندما ترغبين باختراق قرون طويلة من الاحترام، لا يمكنك مقارنة نفسك بالتاكيد ببقرة مرقطة تجترّ في مرج. فهو يجب أن يكون شخصاً مجنوناً مندفعاً يخترق كل الأنظمة. لكن عليك أن تضعي نفسك في موقع بروفيسور مسكين في جامعة بازل، ووجِبَ عليه أن يقول مثل تلك الأشياء الفظيعة. فقد نعتوه بالمجنون بعد أن صدر كتابه. وارتعش يعقوب بوكهارت عندما لمسه؛ وتشتجّ وابتعد عن هذا الشيء الفظيع. هم لم يستطيعوا أن يعرفوا متى سيصبح مجنوناً تماماً، ولا يعني

ذلك أنهم كانوا قادرين على تشخيص جنونه من ذلك الكتاب - ولا حتى أطباء الأمراض العقلية في تلك الأيام كانوا قادرين على ذلك - لكن الأفكار التي أوردتها في الكتاب أصابهم بحتى باردة لأنها لامست لاوعيمهم، وجعلتهم يشعرون بالحكة الملتفة في بطونهم. كان الكتاب يعطهم شعوراً بأن شيئاً ما يتمسك عمودهم الفقري، شعوراً يكونه الديني باردة¹، وهذا طبيعي جداً لأن عالم قيمهم بات مهدداً. وبناءً عليه، مرت عقود طويلة كلما ارتكب أحدهم جريمة يقولون: "أوه، لقد قرأ نيتشه. تلك هي أفكار نيتشه. بالطبع، عندما يقرأ إنسان كتباً كهذه، لا بد أن يذهب العالم إلى الجحيم". وكنا نسمع عبارات كهذه في الحرب أيضاً؛ إذ كان هو من يفسر السيكولوجيا الألمانية كلها. وكأن نيتشه هو من كان يضع السياسات الألمانية! مع أن أحداً منهم لم يقرأ كتبه لكن سمعته كانت سيئة للغاية ليس بسبب أقواله الماثورة - لا أحد من الفضائيين كان لديه أي شيء يقوله ضدها - بل لأن لديه الكثير ليقوله عن كتاب *هكذا تكلم زرادشت*. فقد كان الكتاب محتشماً للغاية، بينما كانت الأقوال الماثورة فضائحية في جزء منها وحاكمة في جزء آخر؛ والجميع يقتبسون أقوالاً معينة مرفقة بضحكة مكتومة تدل على "دقته في الملاحظة" مثل "الصيني العظيم من كونسبيرغ"، هي إشارة إلى "كانط". وهذه أشياء يمكن احتمالها لأنها لا تُعيق نومك بل تساعدك على الهضم.

لكن قراءة *هكذا تكلم زرادشت* مزعجة لأنك لا تفهمه. تقرأ فصوله بسلاسة وتقبل نكهته بسهولة كمجاز شعري دون أن تعرف ما الذي تتذوقه. وتبدو كمن يبتلع حبات السكر المغلفة بكل ما تحويه من السموم. فمعظم من قرأ الكتاب لم يزعجوا أنفسهم في الدخول في التفاصيل ليفهموا ما قاله، وهكذا حدث شيء ثوري في لاوعيمهم دون أن يدركوا ذلك.

¹ في بوغا الكونداليني، قيل إن الحكة تهجع في قاعدة العمود الفقري؛ ولدى استيقظها ترحف إلى الأعلى.

وهو ما حدث معي أحياناً: أتذكر أن زارادشت نيتشه قال شيئاً - ما الذي قاله؟ ثم اكتشف أنني اقتبسته بشكل خاطئ. لقد ارتبط بلاوعي لأنه جاء من منطقة مظلمة.

أظن أننا نستطيع أن ننهي فصل "عن التحولات الثلاثة" ونتابع النص الذي يليه بما يتضمنه من حركة جديدة. فالكتاب بشكل عام فيه نوع من التنقل بين "طرفي نقيص"، فهو نهر من اللاوعي تشبه فصوله صوراً عن أمواج تيار باطني تحت أرضي. وأنا أفترض أن نيتشه كان يجلس كل يوم ويكتب من النهر الذي تدفق في وعيه، ويستحضر هذه الطريقة ما كان يجري في اللاوعي. وبطريقة معينة، تمت كتابة هكذا تكلم زارادشت مثلما كتب جويس رواية *عوليس*، لكن جويس كتبها من مادة الوعي، أما نيتشه فألف كتابه من مادة اللاوعي.

أخبر الناس زارادشت عن حكيم زعموا أنه خبير بقضايا النوم والفضيلة: كان يحظى بالكثير من التقدير، وتقدم له الهبات، ويصغي الكثير من الشباب لما يقول. ذهب زارادشت إليه وجلس بين الشباب مصغياً إليه. وهكذا تكلم الحكيم:

الاحترام والتواضع في حضرة النوم! إنها أولى الأمور! ثم الابتعاد عن الذين لا ينامون جيداً ويسهرون الليل!

بتواضع يتصرف اللص أيضاً أمام النوم: يدخل خلسة في جنح الظلام. لكن محب السهر مغرور؛ ويرفع قرنه بكبرياء.

ليس النوم بالعمل السهل: ينبغي على المرء أن يستعد له بالبقاء صاعياً طوال النهار.

عشر مرات في اليوم عليك أن تتغلب على نفسك: فذلك يسبب الكثير من التعب، وهو المخدر للروح.

عشر مرّات عليك أن تتصالح مع نفسك؛ ففي المغالبة مرارة، ومن لا يتصالح مع نفسه ينام نوماً قلقاً.

عشر حقائق عليك أن تجدها في نهارك؛ وإلا فستبحث عن الحقيقة في الليل، وستبقى روحك جائعة.

عشر مرّات عليك أن تضحك في نهارك، وتكون سعيداً؛ وإلا فستزعج معدتك ليلاً وهي بيت الداء.

١٠ قلة من الناس تعرف ذلك: لكن على المرء أن يتحلّى بالفضائل كلها كي يستطيع النوم جيداً. هل أشهد زوراً وبهتاناً؟ هل أزيى؟ هم الذين يعرفون هذا: لكن على المرء أن يكون حاملاً لكل الفضائل كي يستطيع أن ينام نوماً جيداً. لن يحظى بنوم جيد من يشهد شهادة زور، أو يزني، أو يراود خادمة جاره على نفسها.

حتى ولو حاز المرء على الفضائل كلها، يبقى عليه أن يكون على دراية بأمر آخر: أن يرسل الفضائل ذاتها إلى النوم في الوقت المناسب.

كي لا تتصارع فيما بينها تلك الإناث الجميلات وتحرمك، أنت المسكين، لذة النوم.

يريد النوم الجيد سلاماً مع الله والجار. سلام حتى مع الجار الشيطان! وإلا فسيقض مضجعك طوال الليل.

يتطلّب النوم الجيد احترام السلطة وطاعتها، حتى ولو كانت سلطة عرجاء! كيف لي أن أقدم لها أي شيء إذا كانت هي ذاتها تريد السير بساق عرجاء؟

الراعي الجيد في نظري هو الذي يقود خرافه إلى المراعي الأكثر خضرة: هكذا يمكن التلاؤم مع نوم جيد.

لا أريد تشرiffs كثيرة، ولا كنوزاً كبيرة: ذلك يلهب المرارة والطحال. لكن سينام المرء نوماً قلقاً إذا لم يحظَ بسمعة الجيدة والقليل من الغنى.

ما رأيكم بما قيل؟ هل يمكن الموافقة عليه؟ أم لديكم موقف معارض؟
هل يعاني أحدكم من النوم السيئ؟

الدكتور شليغل: أشك بأنه كان يعني ذلك صراحة.

الدكتور يونغ: لا، أبداً. لا مجال للشك هنا. من الواضح أنه يسخر من معلّي حكمة كهذه. ومن الواضح أن زارادشت كان يقف إلى جانب هذه التعاليم، لذلك يبدو أن لخطابه قاعدتين. وإذا دققتم بهذه الأفكار بشكل جيد، فهل تستطيعون انتقادها؟ ألا تعتقدون أنها منطقية جداً؟ على سبيل المثال: "سمعة جيدة وكثير متواضع". أليس هذا شيئاً مرغوباً للجميع؟ أو: "النوم ليس عملاً سهلاً". إذا كنت تعاني من النوم السيئ، فستدرك أن النوم الجيد شيء رائع؛ وستدفع أي شيء مقابل أن تحظى بليلة نوم مريح. وبالنسبة إلى عبارة: "عشر مرّات عليك أن تضحك في يومك وأن تكون فرحاً؛ وإلا أزعجتك معدتك ليلاً؛ بيت الداء وأمّ الأحزان". هذا صحيح تماماً لأن الضحك الجيد الذي يحرك الحجاب الحاجز مفيد جداً للمعدة وجيد للهضم. ثم، "عشر مرّات في اليوم عليك أن تتجاوز نفسك؛ فذلك يمنح تعباً جيداً، وهو زهرة الخشخاش المهدّنة للروح". أو، "عشر مرّات عليك أن تتصالح مع نفسك؛ ذلك أنّ المغالبة مرارة، والذي لم يتصالح مع نفسه نوماً قلقاً ينام". ما هو الأفضل من ذلك للتصالح مع الذات؟ ستكون عندئذٍ متحداً مع ذاتك وتنام بشكل جيد. وكذلك "غزو الذات". علينا بالتأكيد أن نغزو ذاتنا مرات عديدة يومياً، ولا يمكن لأي شخص أن يعيش كما ينبغي من دون ذلك. سيكون تعيساً ويعاني من سوء النوم، ويكون عليه أن يتغلّب على ذاته، ومن الأفضل له أن يفعل ذلك نهائياً. ذلك الذي يأتي بالتعب الشديد ويشبه المخدر للروح. وهذا صحيح تماماً. ألا تبدو هذه التعاليم منطقية للغاية؟

السيدة كرولي: هي ليست من سمات الأسود تماماً.

الدكتور يونغ: لكنها حكيمة جداً.

الأنسة حنة: إنها تصف تماماً ما قاله عن الإنسان الأخير. هو يعترض مرة أخرى على الإنسان العادي في نفسه.

الدكتور يونغ: هذا صحيح، هو تقريباً الصوت ذاته الذي يقول الحقائق ذاتها. وقد صادفنا ذلك الصوت في موقع آخر، ليس صوت زارادشت أو نيتشه، بل صوت حكيم عجوز معين، بروفيسور النوم الجيد. الأنسة وولف: العجوز الحكيم.

الدكتور يونغ: نعم. يقول مثلاً، لا تهتم بشأن البشر؛ من الأفضل للمرء أن يعود للغابة ويسبح ربه بتقليد أصوات الهائم. فهذه التعاليم أيضاً تقول أشياء بالغة الحكمة. لا بد أنكم تتذكرون أن نيتشه عانى كثيراً من الأرق، وكان يتناول الكثير من الأدوية المنومة، وتفهمون العاطفة السرية التي تتكشف في هذا الفصل. لقد اتجه إلى محاضرات البروفيسور الشهير المختص بالنوم الجيد لأنه هو ذاته يحتاج إليه بشدة. ومن ثم هناك تفسير سيكولوجي محتمل للأرق الذي عانى منه نيتشه. ما هو ذلك التفسير؟

الأنسة حنة: كان يتماها مع الروح التي لا تحتاج إلى النوم.

الدكتور يونغ: ما تقولينه هو النتيجة، وليست سبباً سيكولوجياً. مع أن الإنسان قد يتماها مع الروح التي لا تحتاج إلى النوم، وهذا سيؤدي إلى أن الشخص نفسه لا يعود بحاجة إلى النوم. ويوجد من هذا النوع أغبياء يظنون أن الناس سيصلون في المستقبل، من خلال التدريب والغذاء المنظم، إلى حالة يستطيعون البقاء فيها دون نوم. ويعتقدون أنها إشارة على تقدّم الإنسان. حيث يدربون أنفسهم على النوم مدة ساعتين أو ثلاث، ويفضّل ساعة واحدة، لكنهم يصلون إلى حالة عدم النوم إطلاقاً ثم يموتون. هذا هو التماهي مع الروح. لكن ما هو السبب الحقيقي لعدم النوم؟

السيدة ستوتس: تحدث بسبب اللاوعي.

الدكتور يونغ: طبعاً. أحد الأسباب الأكثر اعتيادية لعدم النوم هو هيجان اللاوعي الذي يبدو أشبه بعاصفة بحرية.

السيد باومان: لم يكن مدركاً لما يكتبه، وبالتالي بالغ اللاوعي كثيراً.

الدكتور يونغ: ذلك هو السبب الرئيس: عندما يتحرك اللاوعي بالطريقة التي كان فيها عندما كتب هكذا تكلم زارادشت، سيكون لاوعيه مجرد هيجان. والأهم من ذلك أنه لو أصغى إلى لاوعيه، ولو تم إجباره أكثر على الانتباه إلى الأشياء التي تزداد وتتضخم، كان سيربط نفسه باللاوعي أكثر. وعندها سيكون الخطر قائماً دوماً لأن الجدار الفاصل بين الوعي واللاوعي يصبح أقل سماكة، ومثقوباً هنا وهناك، ولن يكون هناك دفاع حقيقي ضد تلك الحركة. وربما يخترق اللاوعي تلك الثقوب مؤدياً إلى حالات وعي غريبة. فالأشخاص الذين يصطدمون مع اللاوعي الجمعي دون أن يدركوا ذلك، نجد لديهم في أغلب الحالات ثقوباً في الحاجز الفاصل بين الوعي واللاوعي، ونجد أن اللاوعي استطاع اختراقها وكأنه أمواج بحرية تندفع وتراجع. بينما هم بطبيعة الحال لا يعرفون ما الذي يحدث. وهذا ما حدث مع نيتشه لأنه لم يكن يعرف ما يحدث؛ فقد حاول الإمساك بالأمر لكنه سيطر عليه، والدليل هو تماهيه مع زارادشت.

السيد باومان: هل يحدث هذا مع مرضى التحليل النفسي؟

الدكتور يونغ: نعم، وهذا يشكّل خطراً لا ينبغي التقليل من قيمته على التحليل. فإذا لامس المرء لاوعياً مليئاً ومستعداً للانفجار، فربما يسبب انفجاره المرعب حالة من الجنون الحقيقي. ومتى صادف الشخص آثار اللاوعي في حالة معينة، عليه أن يعالج الحالة بعناية فائقة لأنها بالغة الخطورة.

السيد باومان: أتذكر أن البروفسور "هيار" أظهر لنا صورة انفجار من هذا النوع.

الدكتور يونغ: نعم، تلك الثيران الهائجة التي تخترق الحواجز. لقد وصل الخوف به درجة تجاهل فيها وجود علامات إيجابية توضح أن من الممكن إعادة البناء. فلو عرف الإنسان مستوى الخطر لفقد أعصابه تماماً لأنها تجربة مدمرة. وأنا لم أعالج حالة من هذا النوع أبداً لحسن الحظ (هنا ينقر يونغ على الخشب). حيث ينفجر اللاوعي ولا يمكن إيقافه، ويكون مرعباً لدرجة أنه لا يمكنك سوى الهرب وحسب. وقد تعاملت مع حالة مشابهة كان يعالجها محلل عادي غير متمرس؛ وصادفت شيئاً يشبه "ورماً قيحياً"؛ لكن الرجل انتحر في نهاية المطاف ولم أستطع إيقافه. وفي حالة أخرى أتت إليّ طبيبة شابة أصابها الإحباط من حالة لديها وطلبت مني أن أعالج مريضاً كما لو أنني أقوم بتحليل الحالة، بحيث تحرّر نفسها من المسؤولية ويظن الناس أنه فقد عقله على يدي. وبعد أن قمت بتقييم الحالة قررت أن ظهري قوي بما يكفي ليحتمل ذلك العبء. وهكذا تم نقل المريض إلى مصحة عقلية، وحافظت على سمعة تلك الطبيبة. كانت للتو قد بدأت عملها كطبيبة، ومن الممكن أن تحدث فضيحة كبيرة. وقد أخطأت كثيراً لأنها بدأت بتحليل حالة من هذا النوع من البداية، لأن حالة كهذه تستدعي الكثير من الخبرة والمعرفة لتبدأ بها. وكما ترون، يستطيع المحلل أن يتحمل مسؤولية من هذا النوع؛ ويستطيع القول إن الشخص كان فاقداً للعقل تماماً عندما وصل إليّ لكنني لم أكن أعرف ذلك. لكن هناك حالة من التعصب العام التي تقول إن التحليل النفسي هو الذي يُصيب الناس بالجنون. فإذا أرسلت مريضاً إلى "مستشفى برغولزي"، سيعتبر الشخص العادي أن الأطباء هناك أفقدوه عقله، أو سيقول إنه تم إرساله إلى هناك لكي يفقد عقله.

إذا للأرق سببه في اللاوعي المهتاج للغاية بسبب أفكار جديدة. وهذا لن يحدث لشخص يتصف بالبلادة نحو التجارب في زمنه. لأن وعي الشخص العادي يصيبه الحماس بشكل وسطي فقط، ثم يبدأ مع بعض كؤوس النبيذ أو أي هراء آخر. لكن نيتشه كان حساساً جداً نحو روح الزمن؛ وكان من الواضح تماماً له أننا نعيش في زمن لا بدّ أن تُكتشف فيه قيم جديدة بعد أن اضمحلت القيم القديمة. فسرعان ما سيتلاشى الرمز بعد أن يصبح الشك واضحاً. لكن إذا تجرّأ شخص واحد على مواجهة الكنيسة ومناقشة سلطتها، فسيُتورط بذلك الشخص الحساس لأنه لا يستطيع تنفيذ حجّته. وأدرك نيتشه أن النظام كله قد انتهى لأن هناك ثقب صغير في جدار سلطته. وإذا لم يعد يعمل، فلن يعود الله مُحصناً، وتتسرّب الحياة منه. وبشكل طبيعي، عندما شعر نيتشه بذلك، بدأت في أعماقه جميع العمليات الرمزية التي بلغت نهايتها في الخارج. ثم أصابته حالة توتر بالغ، حالة لاوعي مهدد، وبدأ بإنهاك الجدار الفاصل الضعيف ليخرقه هنا وهناك. وهذا ما أقلق نومه طبعاً. ثم وبشكل طبيعي، بدأ ينظر إلى الخلف بتراجع معيّن في الزمن إلى الفترة التي كان فيها قادراً على النوم، ولم يكن هناك ما يزعجه.

ناقشت في إحدى المرات مشاكل سيكولوجية معينة مع بروفيسور كاثوليكي ملتزم فقال: "أنا لا أفهم لماذا تزعج نفسك بأشياء كهذه. إذا كان هناك ما أشكّ فيه أو يسبب لي إشكالاً معيناً، أذهب مباشرة وأسأل الأسقف، فيخبرني كل شيء عن ذلك، وإذا صادف أنه لم يعرف ما العمل، يرأسل روما فيخبرونه كيف يفكر بالأمر. لديهم سلطة هناك؛ على مدى ألفي سنة، أكثر العقول ذكاء في العالم درست هذه الإشكالات. لماذا ينبغي أن أتخيّل أنني أستطيع معالجتها؟ أنا لست مختصاً". وأنا واثق تماماً من أنه يحظى بنوم جيد وهضم جيد، ولا يقلق أبداً؛ لأنه ليس هناك وجود لأدنى ثقب في السلطة. لكن الحال لم يكن كذلك مع نيتشه المسكين.

المحاضرة التاسعة

5 كانون الأول - ديسمبر 1934

الدكتور يونغ:

بدأنا المرة الماضية بخطبة بعنوان: "عن منابع الفضيلة". كما ناقشنا حكمتها ووصلنا إلى نتيجة أن بروفيسور الفضيلة لم يكن غيباً مطلقاً، وأن الخطبة تضمنت حقيقة جديرة بالثناء. والآن سنتابع:

"أفضل الرفقة البسيطة المحدودة على رفقة السوء؛ شريطة أن تأتي وتمضي في الوقت المناسب. هذا ما يتلاءم مع النوم الجيد. يعجبي كثيراً المساكين بالزواج أيضاً؛ إنهم يستهلون النوم. فهم يبقون سعداء هائنين وخاصة إذا وافقتهم في كل أمر.

هكذا يقضي الفاضل يومه، لكنني عندما يأتي الليل، أحترس جيداً من عدم استدعاء النوم؛ فهو، سيد الفضائل كلها، لا يحبذ الاستدعاء؛ أفكر بما فعلت طوال النهار، وبما فُكرت فيه. وأسأل نفسي بصبر بكرة: ما هي التجاوزات العشرة ليومك هذا؟ وما هي المصالحات العشر والحقائق العشر والضحكات العشر التي أدخلت السرور على قلبك؟

فيستولي النعاس عليّ فجأة بينما أنا مُستغرق تهنئتي الأربعون خاطرة؛ هكذا يداهمني سيد الفضائل كلها دفعة واحدة دون أن أدعوه. يدغدغ النوم عيني فتثقل. ويلامس فعي فيبقى مفتوحاً.

حقاً، هو أحبّ اللصوص إلى قلبي إذ يأتياني على نعال خفيفة، ويسليني
خواطري وأفكاري: أقف متبلّداً في مكاني مثل هذا الكرسي!
لكن لن يطول وقوفي حينها لأنني سرعان ما أستلقي."
ما الانطباع الأساسي السائد في هذا الجزء؟
البروفسور فيرز: إنه تهكّي.

الدكتور يونغ: نعم، يراودك شعور بأنه يسخر بطريقة لاذعة. لكن
بغض النظر عما يقوله زارادشت، ما هو رأيكم بالأفكار ذاتها؟ على سبيل
المثال: "يعجبني كثيراً المساكين بالروح أيضاً؛ إنهم يستهلون النوم." أو
"أفضل الرفقة البسيطة المحدودة على رفقة السوء؛ شريطة أن تأتي
وتمضي في الوقت المناسب."
الدكتور أليمان: إنها الفطرة السليمة.

الدكتور يونغ: نعم، ليس غباءً بالمطلق، ولا سيما عندما نعرف كم عانى
نيتشه من الأرق؛ كان أرقه نوعاً من التحذير بطريقة ما. ولو طلب نيتشه
استشارتي، لنصحته بالشيء ذاته، وظن أنني معلّم فضائل النوم. لا يمكنني
أن أمنع نفسي عن التفكير بتعاطف نيتشه مع المعلّم؛ وإلا لما كان قادراً على
تقديم خطبته بهذا الشكل الجيد. لذلك فإن الميل العام واضح جداً هنا،
فهو يشير إلى الموقف الذي يرمخ حالة صحّة وطبيعية. سنرى الآن ما
الذي فعله زارادشت حيال ذلك:

"ولما سمع زارادشت ذلك الحكيم يتحدّث، ضحك في قلبه لأن وضوحاً
جديداً تبسّى في ذهنه أثناء إصغائه. وهكذا قال في نفسه:
أحمق في نظري هذا الحكيم بخواطره الأربعين؛ لكنني أظنّه على دراية
جيدة بأمر النوم.
سعيدٌ من يجاور هذا الحكيم لأن مثل هذا النوم ينتقل بالعدوى، وهو
قادر على التسرّب حتى عبر الجدران.

يفوح شيء من السحر من داخل كرميته وهو على المنبر. ولا عجب أن يجتمع هذا العدد من الشباب حول خطيب فضيلة مثله. حكمته تعني أن تظلّ صاحياً كي تنام جيداً. وحقاً، لو كانت هذه الحياة بلا معنى، وكان عليّ أن أختار مخافة ما، لكانت هذه المخافة بالنسبة إليّ الأكثر جدارة بالاختيار.

الآن أصبحت أفهم بوضوح ما الذي كان يبحث عنه الناس أكثر من أي شيء في ما مضى عندما كانوا يبحثون عن معلمي فضائل. كانوا يسعون إلى نوم جيد وفضائل بخصائص زهرة الخشخاش.

وما الحكمة بالنسبة لحكماء المنابر المُشاد بهم دوماً سوى نوم لا تقلقه أحلام؛ فهم لم يكتشفوا معنى أفضل من هذا المعنى للحياة.

وكم في أيامنا هذه من أناس يشبهون داعية الفضيلة هذا دون أن يكونوا مثله في الصديق دوماً؛ لكن زمنهم قد ولى ومضى، ولن يتسنى لهم الوقوف طويلاً بعد الآن: وما هم الآن يضطجعون.

طوبى لمن دبّ النعاس إلى عيونهم! إنهم عمّا قريب سيفقدون
هكذا تكلم زرادشت."

قلنا سابقاً إن هذا العجوز الحكيم عبارة عن ظهور آخر للعجوز الذي التقيناه في الغابة وتركه زرادشت خلفه: كان يمثل حينها الروح التي كانت. لكن لماذا ارتبطت هذه الروح كثيراً بالنوم السليم الصحي؟

السيدة كرولي: إذا قارنا هذا الفصل الذي يتحدث عن الفضيلة مع الفصل الذي يليه، يبدو لي كما لو أن زرادشت رأى هذا العجوز في الغابة بطريقة كاريكاتورية. أعني أنه رآه معاكساً لوجهة نظره لكنه متأثر به دوماً بطريقة متطرفة. وعبر التواصل معه غالباً ما يفهم شيئاً يؤثر بشكل سريع على موقفه، مع أنه غير واعٍ لكيفية حدوث ذلك. ألم تقل إنه يمثل جانب اللاوعي أو جانب الظلّ من زرادشت بالمعنى السيكلوجي والمعنى الرمزي

أيضاً، أي عناصر الطبيعة وقواها الحاضرة أبداً، وتبقى مستمرة بعملها حتى لو لم تكن مدركة؟ وبناءً عليه، يوحى عجوز الغابة بأن تلك القدرة على التلقّي والقبول مشابهة للطبيعة في تلقّيها؛ وهذا يخلق صراعاً في نفس زارادشت. فلا يمكن للروح أو الموقف الواعي وحده أن يحثّ على إيجاد قيمة جديدة؛ فالقيمة الجديدة تنبثق من الدور المزدوج. وما أراه هنا هو أن رسالة عجوز الغابة قد أعادت تحوّل زارادشت، وأنه في كل مرة يصادف فيها العجوز تحدث محاولة جديدة للتوفيق مهما كانت غير واعية، ويبدو الأمر كما لو أن تركيزاً جديداً أو منظوراً جديداً يترسّخ لديه.

الدكتور يونغ: ذلك صحيح للغاية. يقف زارادشت في موقع مناقض للعجوز الحكيم كما تكون أية حقيقة جديدة مناقضة للقديمة. فمن المستحيل أن تخلق شيئاً دون أن تعارض ما كان سائداً؛ فروح الزمن الماضي تتناقض تماماً مع الروح الآتية، كما أن الروح السائدة الآن تتناقض مع روح الماضي. وبالتالي يمكننا القول إن روح الماضي تشكّل ظلّ الروح الموجودة أو الروح التي ستأتي. وكما سادت فترة كانت فيها روح الماضي هي الأسى، وكانت لا تزال الصورة الحاكمة، فإن روح المستقبل كانت ظلّها لأنها لم تكن قد رأت النور. وطالما أن زارادشت لا يزال موجوداً فهو يمثل النور ولحظة الكثافة العظيمة، بينما يمثل عجوز الغابة الظلّ. لكن وفقاً لما نستطيع رؤيته هنا فإن حكمة العجوز صالحة بطريقة ما، فهي تقوم على أن نبقي صاحين لكي نحظى بنوم جيد بعد ذلك. فلا يمكن القول إن النوم عديم الأهمية، أو إنه ليس هدفاً بحد ذاته. وذكرت سابقاً أن هناك أغبياء يتخيلون أن بإمكانهم العيش من دون نوم، لكن أي شيء موجود هو شيء منطقي، ولا بدّ من الرغبة به والسعي إليه؛ وبما أن المرء أن ينام، يمكن أن يكون النوم هدفاً ولا سيما للشخص الذي لا ينام.

يمكننا الآن تفسير حقيقة عدم نوم نيتشه من تلك الكثافة والفائض في الضوء، وذلك التماهي مع زارادشت الذي لا ينام طبعاً. فزارادشت هو عنصر اللاوعي الذي لا يعيش في الليل فقط بل يعيش في النهار أيضاً لأن أي عنصر نموذج بدني يكون في حالة سرمدية، أو يكون عموماً في حالة لا يمكن مقارنتها مع ما نسميه "زمناً أو وقتاً". لذلك تتمتع النماذج البدنية كلها بصفة السرمدية التي تُعتبر توصيفاً لسمة "اللازمن - timelessness"؛ أو ربما تكون سمة زمنية مختلفة خاصة بالنماذج البدنية. وبناءً عليه قال أفلاطون إن الصور والنماذج البدنية، أو "the eidola"، يتم حفظها في أماكن سماوية لأنها تمتلك صفة الأبدية؛ فهي تبقى هنا للأبد ولا تتغير.¹ وهكذا فعندما تتماهى مع نموذج بدني في حالة تضخم، غالباً ما يصبح نومك قلقاً. وهو ما نراه في حالات الاضطراب العقلي، ولا سيما الفصام، إذ يتماهى الشخص مع اللاوعي ويجاقبه النوم تماماً. وقد يبقى بلا نوم لأسابيع طويلة لا نستطيع تقديرها تحديداً إذا لم يتناول الدواء الموصوف له. وحتى عندما نقوم بتخدير أشخاص من هذا النوع، يرهقون أنفسهم بتلك الكثافة الداخلية التي تلتهم دماغهم، وهم يشاركون فوراً حالة صحوة الوعي الذي يبقى نشطاً دوماً. وهكذا فإن حالة التماهي مع النموذج البدني تجعل وجهة النظر القديمة التي تسمح للمرء بالنوم ثمينة جداً، ومن هنا فإنك بقدر ما تريد أن تتمسك ببصيرتك الجديدة، عليك أن تصارع القديمة مهما كانت صحيحة أو فطرة سليمة. عليك أيضاً أن تصارع التوق المستمر للعودة إلى حالة كنت فيها محمياً من التماهي مع النماذج البدنية.

¹ كان يونغ مشوشاً هنا بشكل واضح، أو اختلط عليه الأمر على الأرجح ما بين "eidolon" و"eidon". الأولى هي صورة منسوخة - وبالتالي ليست أصلية تماماً. أما "eidon" فهي فكرة أو شكل لا زمن له، واقع مطلق - نموذج بدني - مع أن الأفلاطون تحدث أحياناً عن الجمال الرابع للأشكال التي لا تظهر إلا لعين النفس، وليس لديها سمة الحسية.

هذا التماهي شكلٌ من أشكال التعذيب، وكل شيء فيه يؤكّد بطبيعة الحال من أجل التحرر والعودة إلى الخلف إلى حالة الحماية حيث تقع النماذج البدئية في رموز أو عقائد أو أشكال. وهذا ما جعل رجلاً مثل الشاعر والفيلسوف الألماني "أنجيلوس سيلسيوس" يعود إلى الكنيسة الكاثوليكية بعد إدراكه نسبة الله (التي كانت لافتة في زمنه)؛ فهو لم يستطع احتمال تلك الصهوة الاستثنائية للفكرة، وذلك النور المفقوس. أصبح مجبراً على البحث عن ملاذ في الأطر العقائدية الكاثوليكية التي بدت سلاماً بالنسبة إليه. لكنه نسي تماماً أن التراجع بعد ملاسته للحقيقة الجديدة يعني إنكار الضوء السماوي والعودة إلى الظلمة، إلى شيء تغلب عليه. وبالتالي كان يُنكر أفضل ما لديه بالفعل. وهنا يبدو كما لو أن نيتشه أراد أن يقول: "لقد جعلني زارادشت الملعون متحمساً لا أستطيع النوم، ولم يعد بإمكانني تحمّل المزيد من هذا الشيء الجديد"، ثم يتراجع إلى الكنيسة اللوثرية، أو إلى الكاثوليكية. لكن ما الذي سيغدو عليه نيتشه عندئذٍ؟ هو لن يقوم بأية خطوة أخرى؛ سيستقرّ إلى الأبد، وربما يظن أنه قادر على النوم حينها. لكنه سيصبح شديد التوتر، وسيدمر نفسه بالتأكيد مثل "أنجيلوس سيلسيوس" الذي بدأ على المذهب البروتستانتي، ثم تجاوز البروتستانتية في رؤيته، وانكفأ إلى الكنيسة الكاثوليكية عندما لم يعد قادراً على التحمّل، فأصبح عُصابياً جداً وشيطاناً شريراً فعلاً. ثم عاش حتى نهايته في دير كان شغله الشاغل فيه كتابة منشورات نسيء إلى البروتستانتية.

لو أن نيتشه أنكر زارادشت لربما وصل إلى نهايته في وقت أقرب بكثير، ولكان عُصابه مرعباً، ولما تم تأليف *هكذا تكلم زارادشت* أصلاً. لقد قاتل ذلك الخطر على الرغم من توفقه الشديد إليه؛ فمن المستبعد تماماً ألا يتوق شخص يعاني من حالة قلق مرعبة إلى أي دواء يجعله ينام. وهو هنا

يسخر من معلّم النوم مع معرفته الكاملة أنه إذا استطاع تطبيق نصيحته فسيكون قادراً على النوم. فعندما يكون متماهياً مع زارادشت، يعني أنه يرى بوضوح شديد، فلا يستطيع أن يمنع نفسه من رؤية زارادشت، ولا يستطيع منع نفسه من أن يكون زارادشت. وهكذا دخل حالة صراع مرعب ودائم بين تلك الكينونة الجديدة، أي زارادشت، وذلك الشيء القديم الذي يحتاجه لسلامة روحه. وسنرى في الفصل الآتي هذا الصراع مستمراً كمحاولة للتحرر من وجهة نظر الماضي التي توصي بنفسها على مدار الوقت. فهو ينظر إلى الماضي باستمرار على الرغم من أن حياته تتركّز على إبقاء نفسه بعيداً عنه. لكن لدينا الآن موقف مميز من البروتستانتية، والكتاب يضحّمها بطريقة مبالغ فيها، لكنه أمر لا مفرّ منه. أم لديكم طريقة أخرى كان يمكن من خلالها أن يحرر نفسه من الماضي؟

البروفسور فيرز: يمكنه أن يصبح كاثوليكياً.

الدكتور يونغ: نعم، لكن ذلك لن يكون حلاً لأن عليه أن يحفظ أفكار كتابه، وهو من خلال تحوّلَه إلى الكاثوليكية سينكرها كلها، وسيذهب الانفجار الكلي للضوء سُدى. وعليّ أن أقول إنني لا أعرف أية طريقة أخرى؛ فالشيء الوحيد الذي يمكن لنيتشه أن يفعله في ظل تلك الظروف هو المضي قدماً وفقاً لكتابه مع تلك المحاولة للتحرر من الروح البروتستانتية، من خلال تطبيق القوانين والآليات التي كانت البروتستانتية تطبقها دوماً، أي بإبعاد نفسها عن الكاثوليكية. وثمة شيء آخر لا يمكن أن يأتي إلا عندما ينفصل تماماً، أي عندما يتغلّب على الموقف البروتستانتي. لكن عليه أولاً أن ينفصل تماماً عن الفكرة المسيحية بشكل عام لكي يستطيع أن يتبنّى موقفاً آخر. عليه أن يكون بروتستانتيّاً خارقاً. ومن هنا نستطيع أن نطلق على الإنسان الأعلى صفة البروتستانتي الخارق أيضاً.

سنعود الآن إلى النص: عنوان الخطبة الآتية هو: "دعاة الماوراء - *Bckworldsmen*". والكلمة الألمانية كانت في الأصل "*hinterwäldler*"; حيث قام نيتشه هنا بنوع من التورية في استخدام التشابه بين كلمة "*wald*" التي تعني "الغابة" وكلمة "*welt*" التي تعني "العالم". وذلك لأن الناس الذين يعيشون في "مكان معزول في الغابة"، في ركن قصي منسي، يكونون "في الماوراء - *hinterwäldler*"; أما كلمة "ماوراء العالم - *Hinterweltler*" (وهي كلمة غير موجودة أصلاً) فتعني "الناس الذين لم يعيشوا في عالم يومنا الحاضر".¹ يقول نيتشه:

"حدث فيما مضى أن جنح زارادشت بأخيولته فيما وراء الإنسان مثل كل دعاة الماوراء".

هذا يعني أنه أسقط أحلامه فيما وراء الإنسان، فيما وراء المجال البشري، مثل جميع أولئك الناس الذين يؤمنون بعوالم أخرى. وبالطبع، هذه ليست كلمات نيتشه تماماً؛ إن كلمة "*backworldsmen*" يمكن ترجمتها بمعنى "الميتافيزيقيين"، أي الناس الذين لا يعرفون العالم، وغير المتناغمين هذه الأيام.

"بدا لي العالم آنذاك خليفة إله معذب متألم.

بدا لي العالم حليماً وصنعة إله؛ دخاناً ملوناً أمام عيني كائن إلهي قلق.
ترأى لي الخير والشر واللذة والألم، وأنا وأنت كما لو أنه دخان ملون
أمام عيني مبدع. وأراد المبدع أن يحول نظره عن ذاته فخلق العالم.
يجد المتألم غبطة مكبرى عندما يحول نظره عن ألمه ويهرب من نفسه.
ترأى لي العالم يوماً وكأنه غبطة مكبرى وتبديداً للذات.

¹ كوهلمان هو من حول هذه الكلمة إلى "*afterworldly*" وتعني "المرتبط بالعالم الآخر، أو ما بعد العالم الذي نعيش فيه".

تراءى لي هذا العالم ذات مرة عالماً ناقصاً دوماً، وصورة لتناقص أبدي
وصورة ناقصة - غبطة مكسرة لمبدعه المنقوص.

وهكذا جنحت بأخيولتي إذاً في ما وراء الإنسان مثل كل دعاة الماوراء.
أه يا أخوتي، كان ذلك الإله الذي ابتدئته من صنع الإنسان وجنونه،
مثل كل الآلهة.

كان إنساناً، ولا شيء سوى جزء بائس من إنسان ومثي أنا. من جمري
ورمادي بدا لي ذلك الطيف. وحقاً أقول لكم، لم يأتي من الماوراء¹

بدأ زارادشت في هذا الموقع يصارع الفكرة الميتافيزيقية، فكرة حقيقة ما
وراء الذات الذي تجسده آلهة أو شياطين أو ملائكة أو أي شيء يتخيله
الإنسان في الماوراء.¹ وبدأ دون وعي منه بمنح سمات للإله الذي افترض أنه
مات. تلك هي البروتستانتية الفائقة التي بدأت معها فكرة الله بالتبخّر؛ إذ
يلاحظ المرء فعلاً في الكنيسة البروتستانتية ذات السمة التحررية أن الله
يتحوّل تدريجياً إلى فكرة تجريدية. وقد اعتاد أحد أصدقائي أثناء تمييزه بين
اللاهوتيين المتحررين والمتشددين أن يقول إن اللاهوتي المتشدد يظن أن
الله يشبه "جاني التذاكر" في القطار الألماني القديم بلحيته الطويلة؛ بينما
يظن اللاهوتي المتحرر أن الله يبدو "رقيقاً كالغاز" إلى حد ما. يا لها من نكتة
تُحكى: إنها تظهر الفكرة القديمة لعجوز بلحية طويلة يجلس على عرشه، أو
يقضم التذاكر ويتحكّم بالقطار بالنسبة إلى أولئك الذين لم يدفعوا الأجرة.
وهي تبدو نظرة عقلانية لأن هذا العجوز في بحثه عن النظام مشابه للإله
تماماً، فهو إما مطبوع على الخير أو أنه يقصف كالرعد. وعبرة "رقيقاً
كالغاز" تعني مادة خفيفة جداً تُظهر تأثيراً معيناً للعلوم الطبيعية على

¹ نيتشه: "ميتافيزيقيات: العلم..... الذي تعامل مع لخطاء الإنسان الأساسية - وكأنها حقائق
أساسية" (إنساني مُلحوظ في إنسانيته: كتاب للمفكرين الأحرار، ترجمة ماريون فاير وستيفن ليمان
(البنكون، نير، 1984).

العنصر التحرري في اللاهوت؛ يتخّر الله إلى حد معين. هذا تفسير صحيح جداً للصورة الطفولية، وبطبيعة الحال لن تكتشف أي شيء من هذا النوع في كتب اللاهوتيين؛ إنها مجرد صورة ضمنية للاستخدام الشخصي، وتختلف تماماً عن كتبهم. لكن الفرق ليس كبيراً في الواقع إذ إن إلههم يظهر دوماً ككائن لا يستطيع الحركة إلا ضمن الحدود التي يضعونها له. وهم يعرفون بدقة ما الذي يمكن أن يفعله أو لا يفعله؛ أي إنهم يعرفون ما هو عليه، وما يقصده، وإلى ماذا يهدف. وهكذا يظهر أن الله كائن محدود، وهو ينبغي أن يكون كليّ القدرة حتى لو أوضح البروفسور في الصفحة ذاتها أنه لا يمكن أن يكون كليّ القدرة.

لنأخذ مثلاً عن "جوغارتن"، اللاهوتي المعروف في أيامنا هذه، عبارة "لا يمكن لله أن يكون سوى الخير".¹ تشير هذه العبارة إلى أن الله يمكنه أن يقوم بنصف العمل فقط لأن النصف الثاني سيئ بالتأكيد، وهذا تحديد مخيف. فإذا أكلت إليك مهمة أن تكون جيداً فقط ستكتشف أن الأمر مستحيل تقريباً؛ وسوف تعاني إذا حاولت تطبيق ذلك. هذه هي مشكلتنا تحديداً. لقد ابتكروا إلهاً عُصابياً لأنه سيعاني كثيراً إذا لم يستطع فعل الأشياء السيئة في العالم أيضاً؛ هذا انتهاك لفكرة الله الذي يريد أن يتخّر. من هنا يتضح أنهم، حتى بالكلام اللاهوتي، خلقوا بخاراً لا يمكن أن يتضمن إلهاً – خلقوا شيئاً قوياً ديناميكياً لا يمكن أن ينحدر أبداً إلى الحدّ الذي يكون فيه جيداً فقط. الأمر مُستبعد جداً.²

¹ انظر كتاب فريدريك جوغارتن بعنوان "حقيقة الإيمان: مشكلة الذاتية في اللاهوت - The Reality of Faith: The Problem of Subjectivity in Theology" (فولانداليا، 1959). انظر الأعمال الكاملة، المجلد الحادي عشر، صفحة 480.

² كتاب "رّة يونغ على أيوب - Answer to Job" (الأعمال الكاملة، المجلد الحادي عشر) تعرض للتدّ الشديد من اللاهوتيين لأنه عزا إلى الآلهة جُنب القل.

البروفسور فيرز: الشيطان هو الجزء الآخر، وهم لم يروا أنه مطابق تماماً.

الدكتور يونغ: هم لم يقولوا عن الشيطان الشيء الكثير. وهذا غير جيد. لقد تحدثت مع والدي لأوقات طويلة جداً عن الشيطان. لكن الشيطان غير مذكور كثيراً في كتبهم. فهم يريدون أن يُخرسوا حقيقة الظل لأنهم لا يعرفون كيف يتصرفون معه. فإذا تطرقوا إليه كثيراً سيعيق نومهم وهم معلّمون النوم الجيد.

السيد باومان: ثمة أمثلة تقول إنه ليس عليك أن ترسم الشيطان على الحائط كي لا يأتي إليك.

الدكتور إيشر: ألا تُشبه هذه الصورة رؤيا "نيكولاس فون دير فلو"؟

الدكتور يونغ: ذلك لم يكن "جايي تذاكر في قطار" بل كان ظهوراً للشيطان بكل وضوح. لقد حاول نيتشه إزالة ذلك كله بالنسبة إلى زمنه وزمننا أيضاً. فاللاهوتيون قد خلقوا هكذا صورة عن الله بطريقة يمكن إزالتها؛ فهي ليست سوى من صنع إنسان. وحالما يخبرني أحدهم عن إله لا يمكن أن يكون إلا بهذا الشكل أو ذاك، أعرف أن هذا الإله من صنع إنسان؛ ويبدو الأمر بالنسبة إلي كما لو أن قملة تافهة تصرّح أمامي بأن "غوته" أو "موسوليني" لا يمكن أن يكون إلا بهذه الطريقة، أو لا يمكن أن يفعل سوى أشياء معينة. فمن العبث واللامنتطق أن تحاول وضع حدود وتعريف كما يحدث مثلاً عندما تعتبر الكنيسة الكاثوليكية أنك لن تتمكن من غفران خطاياك، أو تحقيق الخلاص إلا من خلال القربان المقدس، أي لا يمكنك الحصول عليه إلا عبر بركة الكنيسة. وهي من صنع الإنسان طبعاً؛ وهذا تحديد لقوى الله. وبما أن الفكرة التي تعتبر أن من غير الممكن لك أن تنجو إلا عبر الإيمان هي أساساً من صنع إنسان، فهذا تحجيم لاحتمال تدخّل الله. والله يستطيع إنقاذ إنسان غير مؤمن إذا أراد. وترون

طبعاً أنني أستطيع القيام بأي شيء ضد ما يبدو أنه مبادئي إذا رغبت بذلك. وإذا قال الناس إنني ملزّم بما يظنون أنها مبادئي، فلن أكون حراً إذا امتثلت. وينبغي عليّ عوضاً عن ذلك أن أفعل كل شيء أستطيع فعله لأثبت لهم أنني لست كما يفترضون؛ وسأفعل العكس تماماً لأنني كائن حر. فكلّما خلقت صوراً وإنشاءات وحدوداً من هذا النوع أسرفت في إبعاد الروح الحية، وعندئذٍ ستظهر هذه الروح الحية في مكان مختلف تماماً.¹

يقوم نيتشه هنا بعمل تدميري ضروري للمفاهيم التي لا تزال تغزو المسيحية، بل ويفعل ما هو أكثر من ذلك. ونحن لا نستطيع القول إن فكرة الإله المتألم المعذب كانت فكرتنا الوحيدة عن الإله. فذلك لا يشير إلا إلى ثلث الألوهة فقط لأنه لا يشير إلا إلى الله بهيئة يسوع، أي الابن؛ هناك ثلث آخر هو الله، هو "الأب" الذي لا يعاني قط، كما لا يمكن تعذيب الروح القدس بأية طريقة كانت؛ فهي ليست البطل المتألم. كما أن تفسير العالم بأنه خيالات الله ليس وجهة نظر مسيحية تماماً إذ تدخل هنا بالتأكيد فكرة شرقية جاء بها شوبنهاور الذي تبوّأ فكرة أن العالم متخيّل، وأنه حلم الإرادة البدائية عندما تسود حالة من نسيان الذات أو عدم الاهتمام بالذات. وطبعاً لا يوجد في عالم شوبنهاور شيء كالذات التي تنسى ذاتها، إذ ليس هناك ذات من الأساس. فذلك حلمٌ حدث وحسب، وحقيقة غير عقلانية أبداً. وقد يحدث مرة عبر الدهور أن تتعثر الإرادة البدائية بحلم العالم؛ حيث كان يمكن أن تتعثر بأي شيء آخر لكن حدث أن تعثرت بهذا العالم، وكانت مصادفة بحتة ليس لها أي معنى. وبناءً عليه يقول إن على

¹ إشارة إلى بطل رواية ديستوفسكي التي تحمل عنوان "منقرات من العالم السفلي"، و مترجمة أيضاً بعنوان الإنسان الصرصر (Notes from Underground). انظر محاضرة 9 أيار - مايو 1934.

الإنسان أن يطبق ذكاهه ليعكس الإرادة البدائية مقدار معاناة وتفاهة هذا العالم الذي خلقته. وهذه بطريقة ما أعلى وجهات النظر تشاؤماً.¹

تدخل هذه الفكرة هنا تحت عنصر الفرح المُسكر؛ وستلعب لاحقاً دوراً أساسياً في فكرة أن خالق العالم كان أشبه "بديونيسوس" الذي استمتع بتخيّل صور عن العالم من خلال مخيِّلة ثملّة وفرح ثمل. لقد وصلتنا هذه الفكرة الديونيسية من الشرق عن طريق آسيا الصغرى أو الهند. وهو في هذه الفكرة مكافئ لشيفا الذي يراقص العالم وأشكال الوجود الكثيرة، ويراقص بهجة العالم ومعاناته، وبناءه وتدميره في حالة من النشوة والثلل. ولهذا يكون دوماً حاضراً كراقص على الجثث وسط أهوال المقبرة ليعبّر عن فكرة أن هذا العالم جثّة تنمو بترف على الجثث؛ لكن سرعان ما تضمحل هذه الفكرة وتصبح جثّة أو كومة روث. لكن شوبنهاور أعاد ذلك كله إلى مخيِّلة الإنسان، وهي متضمّنة فيه بالتأكيد. فهو البروتستانتي الخارق الذي لا يحتجّ فقط على عقيدة ولادة العذراء مثلاً بل يحتجّ أيضاً على البقايا الأخيرة للعقيدة في الكنيسة البروتستانتية، أي الإيمان بالله.

ستجد في تاريخ الكنيسة البروتستانتية أن اللوثريين لا يزالون يحافظون على بعض الأجزاء الأساسية والجوهرية من العقيدة الكاثوليكية، والفكرة من ذلك أنك لا تستطيع تحقيق الخلاص دون نعمة الكنيسة مثلاً، وهو ما يحتاج إلى شفاعة الكنيسة. أو أنك لا تستطيع دخول مملكة السماء دون مشاركة القربان المقدّس، أو مشاركة جسد المسيح بالطريقة التي تمارسها الكنيسة. وهذا ما كان سبباً للصراع الحاد بين الإصلاح السويصري "زوينغلي" و"لوثر". حيث قال زوينغلي إن القربان المقدس مجرد رمز لجسد المسيح وليس جسده الحقيقي. فالقربان المقدّس يشير إلى جسد المسيح،

¹ كتاب آرثر شوبنهاور بعنوان "العالم إرادة وتمثلاً - The World as Will and Representation" كان له تأثير هائل على نيتشه ويونغ: انظر المقدمة أعلاه.

أي إنه شيء مجازي. لكن لوثر كان يختلف معه إذ كتب على الطاولة التي كانا يجلسان إليها للنقاش كلمة "حقيقي- *estin*" الإغريقية الأصل، وذلك لأن النص الإغريقي يقول: "هذا لحبي، وهذا دمي"، وليس "هذا يعني جسدي". لكن زوينغلي كان أكثر تحملاً منه وأصرّ على أنها مجرد وجبة تذكارية لا ينبغي أن نأخذها بالشكل الحرفي، وبذلك انفجرت فكرة وسائل النعمة، والسحر الميتافيزيقي الخاص الذي أراد لوثر الحفاظ عليه من أجل إنقاذ الكنيسة. لأن الكنيسة لا معنى لها أبداً دون القربان المقدس.

إذا لم ترأس الكنيسة الوسائل السحرية التي لا يمكن تحقيقها في أي مكان آخر سوى موقع الخلافة الرسولية، فلن يكون لها وجود قط. لأنها لا تعني أي شيء سوى مكان يلتقي الناس فيه للاستماع إلى كلام أحدهم؛ يتلاشى كل السحر وكل مناشدات اللاوعي. يمكنك أن تتخيل ما الذي يعني أن تكون بمكان يحدث فيه السحر الفعلي الذي لا يحدث في مكان آخر؛ تتم السيطرة على وعيك والإمساك بك. وعلى سبيل المثال، إذا كان عليّ أن أتخيل أنه في كنيسة نوتردام في باريس، أو في كنيسة القديس ستيفن في فيينا، أو في أي كنيسة قديمة جميلة أخرى، يوجد قسّ الخلافة الرسولية الذي يتلقى البركة القادمة بشكل مباشر من البركة الأولى التي منحها المسيح بنفسه للقديس بطرس عبر القرون، ويمكن لكاهن كهذا أن يؤدي شعائر ذات قيمة سحرية لا يمكن تكرارها في أي مكان آخر، ولا يمكن تقليدها ولا شراؤها ولا إنتاجها بأية وسيلة أخرى فساكون سعيداً جداً لأنني كاثوليكي. وأنا لا أستطيع أن أتجنب أنني كاثوليكي. لكن مجرد معرفة ذلك تعني أنني كاثوليكي فعلاً، وأني في الحظيرة. لكن "زوينغلي" المنطقي المتحرر الرصين لا يؤمن بذلك السحر. وقد أرخى الثقل كله على عقل الإنسان، وهذا يُظهر أنه كان بروتستانتيّاً فائقاً لأنه عارض لوثر ومضى في خطوة أبعد مدقراً أسطورة الأداء السحري للقربان المقدس. وكان ذلك يعني تدمير

القربان المقدس، وهكذا تم تدمير تلك الأشكال الرمزية كلها قطعة تلو أخرى.

لا يولي الأساقفة البروتستانتيون في هذه الأيام سوى القليل من الاهتمام بالثالوث المقدس وتكافؤ الأب والابن والروح القدس، أو بولادة العذراء وما إلى ذلك، لكن الكنيسة المسيحية لا تزال تصرّ عليها. وهذا منطقي جداً لأنها رموز لا تعبر عن اللاوعي إلا لكونها غير عقلانية. ومطالب الكنيسة الكاثوليكية بالتضحية بالفكر تتوافق تماماً مع فكرة الكنيسة. لأن مناقشة البروتستانتية لهذه القضايا مع كل وجهات نظرها التحررية جعلها تفقد سحرها وتهت. كما أن العقيدة الأخيرة المرتبطة بحقيقة وجود الله قد تم نقويضها. نحن نتحدث برفق عن *محبة الله* فنقول: "أوه، الرب يعلم!" وأصبح الله *"إشارة تنم على النكاء"* أكثر بكثير من أنه كلمة لها سحرها الخاص. وهكذا فإن كتاب *هكذا تكلم زرادشت* لا يحتاج لأن يفجر تلك الفكرة. وبطبيعة الحال تحول هذا العالم الميتافيزيقي أو الروحاني إلى حياتنا. إذا فأين ولادة العذراء أو الثالوث المقدس أو أي شيء من الميتافيزيقيات المسيحية؟ أصبحت كلها في مخيلتي وتشكلت من أدواتي الخاصة. لقد عادت إلي، وأصبحت أنا المشهد كله. وبعد ذلك أقول في نفسي: "يا لهذه التعاسة! لقد أقدمت على هذه المغامرة الاستثنائية، فماذا كانت النتيجة؟ ثم أوقف الأداء كله ولا أجد سوى الرماذ والبقايا والحطام في ذاتي". أنت تفترض أن هذه الأشياء القديمة قد انهارت وتحولت إلى صور وأوهام، ونسيت تماماً أنها كانت تتمتع بكثافة وحياة استثنائية يوماً. ولا تعرف أنك شققت سرّاً قناة لنهر هائل في لاوعيك. وكنت تظن طوال الوقت أنك جمعت البقايا فقط من مسامير وبراعي وقبضات أبواب وأشياء كثيرة تخصّك. أنت تخزنها في منطقة بعيدة، وإذا لم يحدث ما هو جدير بالاهتمام تنسى تماماً أن مظاهر هائلة للحياة والليبيدو دخلت إلى كل ذلك.

لديك ذلك كله في لاوعيك الآن، وهو ما يسبب الكثير من التوتر. فهذا هو التوتر، وهذه هي القوى الحركية الفاعلة التي تدفع زارادشت إلى السطح، لدرجة أنه حتى عدم القدرة على النوم لا يمكن أن تقنع نيتشه أن عليه أن يصرف النظر عن هذه الشخصية. إن زارادشت قوي جداً مقارنة به.

السيد باومان: لقد حاول بعض اللاهوتيين المعاصرين أن يصبغوا على الله حقيقة أكثر ميتافيزيقية.

الدكتور يونغ: صحيح، وهذا طبيعي جداً، لكنهم أهملوا تماماً أنه عندما يفقد الكيان الميتافيزيقي حقيقته، لا يمكن للإنسان أن يضيف إليه حقيقة زائفة؛ هذا مُستبعد تماماً. وعندما يحاول أولئك اللاهوتيون إظهار أن الله حقيقي جداً ولا يزال يفعل المعجزات، يكون مجرد إله من صنع الإنسان؛ أي إن هذا الشخص صنع صنماً ليعبده. فبعد أن اكتشف أن فكرة الله قد أصبحت مستنفدة، صنع صنماً بدلاً من الإله الحي، أو بدلاً من محاولة اكتشاف أين اختفى الإله الحي. فهو لم يلحق به ولا يسعى إليه في كل مكان بل اكتفى بحقيقة أنه انتهى ولا بدّ من إيجاد بديل، وهكذا استبدله بالصنم المعبود. وكما ترون، ربما يحاول المرء خلق إله في عالم ما وراء ذاتي، لكنه لن يصبح بالتأكيد تلك الحقيقة الماوراء ذاتية بل سيكون حقيقة ذاتية بالمطلق. وعندما قال نيتشه هنا إنه خلق إلهاً، فهذا يعني أنه خلق صنماً معبوداً، وأدرك في هذه العبارة محتوى صورته عن الله. يقول نيتشه: "إنساناً كان، ولا شيء غير جزء بائس من إنسان وميّ أنا". وهذا يعني أن إلهه كان من صنع الإنسان ولا شيء آخر: "من جمري ورمادي طلع لي ذلك اللطيف حقاً! وليس من الماوراء جاءني!" مما يعني إدراكه بأنه اقتنع بصورة الإنسان تلك، ولم يأت أي شيء من الماوراء، وأنه أياً كان ذلك فهو مجال يتجاوز الذاتي. وكما ترون، لم تتم مناقشة وجود المجال ماوراء

الذاتي هنا. فالعبارة مجرد تعبير عن أنه لم يصله أي شيء من طبيعة ماوراء ذاتية، وقد أدرك أنه ما من شيء موضوعي في تجربته السماوية تلك هي الحالة السائدة في عصرنا الحالي إلى حد كبير، الحالة التي ظهرت في القرون الماضية بعد أن بدأت في عصر الإصلاح. فقد شعر كثير من الناس أنه لم يصلهم أي شيء من الماوراء، وبأنهم كانوا معزولين بشكل آمن عن الماوراء، وأن الأشياء المرتبطة بالسماء والآلهة كانت على ذلك الجانب من النهر، أي في الكنيسة مثلاً وفي صور من صنع الإنسان، وفي الأفكار والشعائر وما إلى ذلك. ثم نسوا تماماً موضوع الماوراء والحقيقة الماوراء ذاتية التي لا توجد تجربة دينية من دونها. ومن هنا نستطيع القول إن تجربتهم الدينية كانت لا شيء؛ أي كانت نوعاً من الشعور الجمالي، وتخيل الإنسان بأنه اختبر شيئاً معيناً لكنها لم تكن تجربة حقيقية. فإذا تفحصت سمات تجربة حقيقية من نوع رؤى "نيكولاس فون دير فلو"، ترى أنها من طبيعة صعبة وغريبة جداً. كما أن تجارب "فرنسيس الأسيزي" أو "يعقوب بوهيم" أو "أنجيلوس سيلسيوس"¹ مثلاً، لم تكن ضمن العقيدة، وتطلب الأمر الكثير من العمل الدبلوماسي للضغط عليهم بطريقة ما في مبنى الكنيسة. أنا أدرك تماماً أنه ستم مهاجمة هكذا تصريح في أوساط معينة، لكنني مقتنع تماماً بذلك. وزارادشت هنا يمنح الصوت لهذه القناعة السائدة.

¹ القديس نيكولاس فلو، 1417 - 1487: انظر أعلاه محاضرة 2 تشرين الثاني - نوفمبر 1934. فرنسيس الأسيزي، مؤسس نظام الرهبنة الفرنسيسكانية، عاش بين عامي 1181-1226. يعقوب بوهيم، صوفي ألماني عاش بين عامي 1575 - 1624. ولمعلومات عن سيلسيوس، انظر أعلاه محاضرة 27 تموز - يونيو 1934. كان بوهيم المفضل بشكل غريب بالتمسبة إلى يوتنغ حيث ناقش أفكاره بشكل مكثف في الأعمال الكاملة، المجلد التاسع بقسميه الأول والثاني، وفي الأعمال الكاملة المجلد الحادي عشر والثاني عشر والرابع عشر.

لن يشدد أحد على الإيمان طبعاً إذا كان واثقاً من إيمانه. فالشخص الذي يحظى بتجربة لحظية بالواقع الماوراء ذاتي، لا يتحدث عن الإيمان والمعتقد لأنه يعرف. أنت لن تصرّ على الإيمان بوجود موسوليني لأنك تعرف أنه موجود مثلما تعرف أن أمريكا موجودة. لذلك يعرف أي شخص لديه تجربة حقيقية ما وراء ذاتية بالوعظ والإيمان، وأياً كانت تلك التجربة، أن الوعظ بما تؤمن به عديم الجدوى كالوعظ بوجود لندن أو باريس. فلا داعي لأي وعظ، ولا داعي لأي إيمان، لأنها حقيقة؛ وهذه الحقيقة هي تجربة ساحقة لأي شخص من هذا النوع. إن إصرار البروتستانتية الهائل على الإيمان يُظهر ضعف موقفها، وتبين أن لا أحد كان لديه تجربة واقعية لأن الحقيقة الماوراء ذاتية التي يجب عليك الإيمان بها هي موضع شك كبير. فمن الجميل جداً أن تستطيع ذلك، لكنها فعلاً شيء لا يمكن اختباره، ولا سيما عندما تكرر ما يقوله ذلك اللاهوتي المعاصر "كارل بارث": "إن هناك إلهاً مطلقاً".¹ أنا لا أفهم كيف يمكن لشخص أن يختبر شيئاً مطلقاً حين يكون المعنى الحقيقي للشيء المطلق أنه منفصل تماماً، فإذا كان الشيء منفصلاً عنا بشكل كامل، كيف لنا أن نخبره؟ كيف له أن يلامسنا؟ إن معرفة ما إذا كان كوكب المريخ مأهولاً أم لا هو شيء منفصل تماماً عنا. وما إذا كان هناك وجود للجنس البشري عليه فهو شيء لا نعرفه، فنحن لا نتواصل معهم على أية حال. فهم بالنسبة إلينا شيء مطلق. إذا كان الشيء مرتبطاً بنا، فهو نسبي بالنسبة

¹ كارل بارث، لاهوتي بروتستانت سويسري وأستاذ في جامعة بزل، وتم الترويج لعقيدة أن الله هو "كلية أخرى - Wholly Other" للمرة الأولى في تطبيقه على "رسائل يولس الرسول إلى أهل رومية - Epistle to the Romans" (1918) في كتابه بعنوان "العقائد الكنسية - Church Dogmatics" (شوكاغو، 1932 - 1962). في رده على عاصفة الاعتراضات، قام بتعديل وجهة نظره في عمله اللاحق.

لنا، ونحن نسبيون بالنسبة له. وهكذا فإن تجربة وجود إله مطلق
مستبعدة: إنها مجرد كلمة من صنع إنسان.
(.....)

إن جميع أعراض الإيمان المسيحي المعاصر مثار ريبة هائلة. فإذا أصرَّ
أي شخص على موثوقيته ونزاهته المطلقة عرفت فوراً أنه يكذب؛ لأن
الأمر لو كان كذلك لما أصرَّ عليه. لماذا لا نعتبر نزاهته وموثوقيته من
المسلمات؟ من الواضح أنه ليس على هذا النحو، ولذلك يمارس الوعظ.
عندما كنت صغيراً، كان من الغريب بالنسبة إلي أن أسمع عبارة: "عليك
أن تؤمن". ولطالما قلت: "هل تعرف؟ هل اختبرت أية تجربة؟" فإذا لم يكن
الأمر كذلك، تستطيع أن تقول كل ما تريد لأنه ليس في قولك قناعة من
أي نوع كانت.

ليس التصريح الذي أعلنه نيتشه هنا نزوة ذاتية ولا وجهة نظر
شخصية. فهو يدعم ببساطة الحقيقة العامة التي تقول إن مفهومنا
المعاصر عن الدين يفتقد إلى التجربة الأساسية. لذلك أظن أنه على حق
عندما قال: "لم تأتني من الماوراء". فهذا "القدوم من الماوراء" هو الأكثر إثارة
للإعجاب في اختصاره؛ ربما تقرؤها بسهولة دون أن توليها اهتماماً خاصاً
لكنها في غاية الأهمية. لذلك فإن الإيمان أو الاعتقاد هو من نشاطك
الخاص مثلما يكون اللمس والرؤية والتجربة من صنعك الخاص. فأنت
تعيش بالكامل في عالم أشياء معروفة حتى لو قاربت الله الذي يُعتبر أغرب
ما يمكن أن تتخيله. تكتشف أنك تؤمن بإله، وإذا لم تكن تؤمن، فلن يكون
موجوداً في أي مكان، ولا يمكنه فعل أي شيء. ويكون عليك أن تؤمن به لكي
يبدأ بالعمل. إن إيمانك هو ما يحرض ذلك الوهم؛ إذ يمكنك تضخيم هذا
الوهم حتى يصبح موجوداً، لكنه حينئذٍ يكون من صنعك. وهكذا تكون

مفصولاً عن الماوراء من خلال إيمانك. أقول للناس: "بالله عليكم، لا تؤمنوا؛ فنحن لا نعرف أي شيء، وليس لدينا أية تجربة، فيماذا أؤمن، وماذا؟"¹ وإذا كنت قد خلقت هذا الشيء بنفسه فهو مغلف داخل ذاتي وفي عباءة مخيلتي. وأنا أعصب عيني بحجاب خلقتة بنفسه. فالماوراء شيء "ماوراء ذاتي"، وهذا اختبار لشيء ضمن ما يمكن أن تسميه *النفس* أو *العقل*، الذي هو ليس من صنعك، وهو بوضوح تام تدخل شيء ليس ذاتك وليس جزءاً من عالمنا الخارجي. يجب أن يكون لها تأثير على أعماق ذاتك حيث تكون وحيداً مع ذاتك، وحيث لا يوجد شيء آخر بالتأكيد. فإذا حدث شيء ما هناك، وهو ليس ذاتك بشكل واضح، تعرف أنه من الماوراء. إنه شيء ماوراء ذاتي.

ربما يصلك بطريقة هادئة جداً، وبنسبة بسيطة إلى حد كبير، فإذا لم تكن بالمزاج المناسب لن تراه إطلاقاً؛ ويمكن أن يصلك في حلم أو عن طريق أخيلة. وأظن أنني أخبركم عن تلك المرأة الكاثوليكية التي اكتشفت في أخيلتها، بعد الكثير من المحاولات العقيمة، أن ثمة رطوبة في الهواء، وكانت تلك نقطة تحولها. لقد انتهت إلى حقيقة أنها لم تخلقها بل كانت هناك وحسب. وأنت تظن بطبيعة الحال أن أية أخيلة تراها تكون من صنعك بشكل كامل، وبالتالي إذا اخترقها شيء ما ليس من صنعك، تكون تلك تجربة ماوراء ذاتية. افترض أنك وحدك تماماً في غرفة تحرك فيها فجأة شيء ما لم تستطع تفسير حركته؛ إذ يمكن القول إنه شبح أو إنسان أو حيوان، الله يعلم، لكن ينتابك شعور مباشر بأنك لست وحدك في الغرفة. وبالطريقة

¹ دائماً ما يعتبر يونغ كلمة "أنا أؤمن" بمعنى أن لدي فكرة ما تتناقض مع المعرفة الحقيقية. وهكذا، في مقابلة مع قناة "بي بي سي" عام (1959)، وفي إجابة على سؤال "هل تؤمن الآن بالله؟" أجاب: "الآن؟ (لحظة توقف) الإجابة صعبة. أنا أعرف. لا حاجة لي بالإيمان. فلما أعرف" (الحديث كلر غوستاف يونغ، صفحة 438).

ذاتها يمنحك اختبار تجربة حقيقة ما وراء ذاتية شعوراً بأنك لست وحدك في سيكولوجيتك. بل هناك شيء ما يبدو وكأنه قادم من الخارج، ومع ذلك تعرف بوضوح ليس من أي مكان في الخارج.
تعليق: أليس هو اللاوعي وحسب؟

الدكتور يونغ: يمكنك أن تسميه "اللاوعي". لكننا لا نعرف ما هو اللاوعي. أن تسميه "اللاوعي" هي مجرد طريقة للتعبير. إذ يمكنك أن تدعوه "الضمير القاتم" أو "السماء" أو "الجحيم" أو أي شيء من هذا القبيل: هو ببساطة شيء من المجهول. وعندما تتعرف على المجهول كشيء موجود فعلاً، تصبح لديك تجربة "ما وراء ذاتية". لكن لم يخضع زارادشت ولا نيتشه لتجربة كهذه حتى الآن، لكن يبدو أن هناك فرصة لنيتشه. فما هي هذه الفرصة؟ السيدة برونر: ربما لاحظ أن زارادشت ليس هو ذاته، ربما لاحظ أنه منفصل عن زارادشت.

الدكتور يونغ: نعم، تلك كانت فرصة عظيمة له إذ قال هو نفسه: "ثم أصبح الواحد اثنين، ومرّر زارادشت أمامي"، وهذا يعني أن زارادشت كان حقيقة موضوعية.¹ لكنه لم يدرك ذلك لأنه كان متماهياً به. ولو أنه توقّف عند هذا المقطع وسأل نفسه ما الذي يعنيه تماماً، لكان رأى أن زارادشت عبارة عن أداة حرة وليس هو نفسه تماماً، ولكان ذلك تجربته الما وراء ذاتية الأولى. وإلا فإن شيئاً من هذا النوع سيجعل الشخص متماهياً به، أي يقع في قبضته. لذلك أعتبر أنه من مبادئ التحليل أن نحاول دوماً تفكيك اللاوعي لنستطيع التفريق بين ذواتنا والصوت، أو بين ذواتنا والأثر أو "المانا" أو النموذج البدني، أو الاسم الذي تريده. وتستطيع ترسيخ هذا الفرق من خلال نقد دقيق لأية تجربة تمرّ فيها. لكن إذا سلّمت بشكل عام بأن أفكارك مثلاً هي من إبداعك كلها فسيسود الغموض ولا يعود بإمكانك

¹ انظر أعلام محاضرة 5 كانون الأول - ديسمبر، 1934.

أن تميّز أي شيء. وهنا تستطيع أن تقوم بتجربة بسيطة تنتقد فيها أفكارك. (أنا أتكلّم الآن مع السيدات بشكل أساسي). يكون لديك رأي معين بقضية ما، وعندما أسألك ما إذا كان ذلك ما تفكرين به فعلاً، تقولين: "لا، يجب أن أفكر أولاً ما هو رأيي فعلاً". ثم تصلين إلى نتيجة مفادها أنك تفكرين بشيء مختلف تماماً. لكن كيف توصّلت إلى هذا الرأي الأخير؟ هل فكّرت به؟ "لا، كان هذا رأيي وحسب". فمن الذي كوّن هذا الرأي إذ؟ من كان لديه النية أو الرغبة بخلق رأي كهذا؟ إذا استطعت إدراك ذلك، تكونين قد اختبرت تجربة ماوراء ذاتية. ومن هنا أقول: لا تنتمهي مع "قرينك" لأن القرنين ليس أنت بل هو حقيقة ماوراء ذاتية. وأذكرك أيضاً أن القرنين مرعب كالحقيقة، وكذلك "القرينة".

إذا سلّم الإنسان بأن مزاجه في كل لحظة هو ذاته، فهذا يعني أن لديه قرينة متضخّمة تجعله يبدو غيباً. لكن إذا تمكن من انتقاد مزاجه وسأل نفسه: "هل هذا هو شعوري حقاً؟" ستكون الإجابة: إطلاقاً. لكنه يقمع شعوره الحقيقي أمام هذا الهراء، وهذا شعور قوي جداً بالنسبة له. فإذا استطاع أن يجعل من ذلك تجربة حقيقية، يكون قد اختبر حقيقة ماوراء ذاتية. فتلك هي الطريقة التي وصلتُ فيها إلى مفهوم "الأنيميا". حيث قمت بانتقاد مشاعري ووصلت إلى نتيجة أنها لم تكن هي ذاتي بل كانت ببساطة شديدة مصوغة من أجلي، ولهذا سألت نفسي مجدداً: "أي كائن على وجه الأرض يمكنه أن يولّد أشياء كهذه في داخلي؟" وكنت ميالاً للإيمان بالسحر. كان ذلك بالطبع أصل السحر، وهو السبب في أن الناس لا يزالون يعتبرون أنهم مسحورون لأنهم يشعرون بسداجة أن عواطفهم ليست لهم. حيث يمتلئ الشخص المسحور بمشاعر مكثفة يعتقد أنها أتت من مكان ما، ثم يكتشف الفتاة ذات الشعر الأحمر، ويعتقد أنها المسؤولة، وعندئذٍ يستطيع أن يقتلها بسبب السحر. لكن إذا كان عقله فلسفياً، سيفهم أن هذه كانت

حقيقة ما وراء ذاتية، وليس عليه أن يُسقطها على الفتاة ذات الشعر الأحمر.

البروفسور فيرز: ما قلته الآن يذكرني قليلاً بـ "مارتن بوبر". قال إن النبي الحقيقي لا يعرف حتى ما يقوله عندما يتحدث لأنه يكون عبارة عن وسيط يتحدث بلسانه وليس من رأسه. إنه اللاوعي.¹

الدكتور يونغ: نعم، هذا ما يكون الحال عليه.

السيد باومان: لو تحدث أي شخص عن تجربة ما وراء ذاتية كهذه منذ عشر سنوات أو عشرين، لكان سيُعتبر فُصامياً.

الدكتور يونغ: بالتأكيد. يعتمد الأمر على كيفية قول ذلك. ربما تحرض أكثر الأخطاء رعباً في عقل ساذج. وأذكر مثلاً أن فتاة في عامها السادس والعشرين تقريباً جاءت إلي وقالت: "لديّ أفعى سوداء في جوفي، وهي نائمة". نظرت إليها وقلت في نفسي: "الآن، الآن!" ثم قالت: "أرى أنك تظنني مجنونة لكنني لست كذلك؛ فما أقوله لك شيء رمزي. أنا لا أظن أن هناك أفعى سوداء فعلاً في جوفي". والآن، إذا كانت قد أهملت أو نسيت أن تخبرني أنها استخدمت هذا التصريح كمجاز، لتوَلَّد لدي انطباع بإصابتها بالجنون لأنها كانت ستصرِّح بشيء غير مقبول أبداً. لا أحد لديه أفعى سوداء في جوفه ما لم يكن مجنوناً. وبما أنها عرفت أن هذا يبدو جنوناً، أدركت أنها ليست كذلك. لقد نقلت تلك الفكرة إلي، وأصبح بإمكانها الاستمرار بالكلام عنها، فمن المفهوم أنها ظاهرة سيكولوجية ذاتية. وهكذا فإن المجنون يتكلم عن تلك الأفعى كما لو أنها حقيقة متجاهلاً الذي قد يتركه على المستمع، بينما

¹ لا يبدو أن مارتن بوبر قال هكذا تماماً. إن فكرته الرئيسة عن الأنبياء هي أنه بينما في اليونان تُثرثر الآلهة ويترجم الأنبياء كلماتها إلى "لوغوس"، كان النبي العبري أشبه بالناطق باسم الإله، أو لم الإله، في كينونته كلها. "الرمزية والوجود المقتس في اليهودية" "حكايات الصيديم - Tales of the Hasidim"، ترجمة ماوريك فريدمان (توبوروك، 1948).

حاولت هذه الفتاة التأكيد على الفهم، أو ترميخ شعور بوجود علاقة وثيقة معي حول هذا الموضوع. لذلك أقول دائماً للناس الذين يشعرون بأنهم على حافة الجنون: "طالما تستطيعون تفسير أنفسكم، وتشعرون بالحاجة إلى تفسير أنفسكم لإنسان، وتنجحون إلى حد ما، فأنتم لستم مجانين". لكن ما يميز الأشخاص المجانين أنهم يستمرّون بالكلام دون أن يهتموا أو يعرفوا ما إذا كانوا مفهومين، متجاهلين العلاقة الوثيقة، ومتجاهلين الانطباع الذي يتركونه. فإذا صرّحت امرأة أمامي بأنها ملكة العالم، يمكن أن يكون ذلك تعبيراً عن ذكاء فائق إذا تم فهمه بأنها تعني عقدة السلطة لديها؛ وإلا فهي قُصامية. لا يدرك المجانين أبداً أن ما يقولونه يمكن أن يكون صادمًا لأحدهم. فالناس الذين يتجاهلون تأثيرهم على الآخرين هم في طريقهم إلى الجنون حتى لو كانوا لا يزالون ضمن الحدود الطبيعية. بمعنى آخر، حالما يُصبحون غير واعين لما يفعلون وما يعنيه ذلك، فهم في طريقهم إلى الجنون لأنهم قطعوا العلاقة الإنسانية، وعندئذٍ ليس هناك ضمانات بأنهم لن يضيعوا.

السيد باومان: لو لم يحاول "نيكولاس فون دير فلو" بناء رؤيته في وعيه بطريقة رمزية، فهل كان سيُصاب بالجنون؟

الدكتور يونغ: نعم، لأن التجربة الماوراء ذاتية تكون من طبيعة تجعل المرء يصل إلى الجنون بسهولة. لكنه أظهر إنسانيته من خلال محاولته ترجمة الأمر كله إلى لغة الكنيسة، إلى مفهوم الثالوث المقدس؛ وبذلك أسس علاقة وثيقة مع الناس. الرؤيا بحد ذاتها لها تأثير منفصل تماماً؛ وقيل إنه ظهر أمام الناس مرعوباً. كان خائفاً تماماً ولاحت في عينيه نظرات دعر تركت أثرها حتى عليهم. لقد أدرك ذلك، وإلا لما كان سيُحمّل متاعب تأسيس علاقة وثيقة مع الناس بشأنها. وإلا فهو مريض قُصامي عادي مستندهور حالته لأنه قطع صلته بالناس. تلك هي الخطيئة الأساسية.

فغالباً ما يجد المرء تجارب ماوراء ذاتية أساسية للغاية في قاع حالات الجنون؛ إذ تكون من طبيعة مثيرة للإعجاب تجعل الناس يُفتنون بها وينسون كل شيء عن الإنسانية، إنهم يقعون ببساطة في تجربة نموذجية بدئية وتخفي. وهكذا فإن أية تجربة نموذجية بدئية ماوراء ذاتية تتضمن سمات خطيرة ترتبط بالانفصال عن الناس وقطع العلاقة معهم والدخول في حالة عزل كامل، ويحدث ذلك كله عندما تكون التجربة من طبيعة غير قابلة للتفسير إلى حد ما. إذ يمكن القول أيضاً إنها كانت تجربة ماوراء ذاتية مميزة كان من الصعب تفسيرها مثلما تكون الأحلام عادة غير قابلة للتفسير ما لم يعرف المرء الكثير عنها.

السيدة برونر: هل تُسمي "القرين" التقليدي أيضاً "ماوراء ذاتي"؟

الدكتور يونغ: ليس في حد ذاته، لأنه لا يكون حقيقة ماوراء ذاتية ما لم يتم اختباره؛ عليك أن تنتقدي التجربة لتعرفي ما كان منها ينتهي إليك. والأهم من ذلك أنه لا ينبغي أن يكون نقداً عقلياً فقط بل نقداً شعورياً أيضاً؛ إذ عليك أخذ التجربة والتفاعل معها كوحدة كاملة لأن العقل سيحاول بطبيعة الحال أن يستوعب التجربة مباشرة ضمن نطاق الإنسان. ولو كان لدى "نيكولاس فون دير فلو" عقل حينها لأخبره العقل إن الرؤية كانت عن الثالوث المقدس مثلاً، ولكن استوعبها على الرغم من سماتها الماوراء ذاتية؛ وعندئذ كانت التجربة ستنتهي وتموت. والأمر نفسه ينطبق على الشعور. فقد ترى نمطاً شعورياً يتناغم مع تجربة ما وراء ذاتية من خلال قوة مشاعره المتميزة، حيث يضعه في إطار جميل مع أشياء غريبة أخرى هي جزء من ذاته، فيتكون "حساء" شعوري يمكن لهذا الشيء أن يسبح فيه مع أجزاء أخرى من الخبز واللحم. كلما كان النمط أحادي الجانب أكثر، أصبح مؤكداً أكثر أن التجربة ستموت، لأن الوظيفة الفائقة حينها تكون قوية جداً لدرجة أنها تستطيع أن تهضم كل شيء؛ ومهما حدث،

سيعلم ذلك الشخص أن ذلك يحدث في عالمه، وإذا كان ذلك الشيء استثنائياً للغاية فسوف يعتبره غير صحيح أبداً. هناك بالتأكيد ما يسمى ظواهر غامضة، وظواهر نفسية غريبة وماوراء ذاتية. لكن ماذا تستطيع أن تفعل بشأنها؟ تقول ببساطة إنها غير صحيحة، وإن الحالة استقرت. وهذا يشبه قصّة الحاخام الشهيرة: عندما كان يسافر دوماً بأربعة أحصنة بيضاء، لأنه كان يبدو كـ "بابا" يهودي. وهناك في البلد نفسه "كونت" قوي جداً يسافر بأربعة أحصنة سوداء، ولديه سائق يدعى جوهان، لأن السائق يُدعى دائماً باسم جوهان. لسوء الحظ وصل كلاهما إلى النهر في اللحظة نفسها من جهتين متعاكستين. وكان هناك جسر ضيق فوق النهر، فقال الحاخام في نفسه: أنا حاخام عظيم، وأنا من يجتاز الجسر أولاً. وقال الكونت: أنا كونت عظيم، وأنا من أجتاز الجسر أولاً. وهكذا سار كلاهما في اللحظة ذاتها فوق الجسر ولم يكن هناك مساحة كافية للمرور، وعندما انطلقت الأحصنة معاً، قفز الكونت وقال: جوهان، أعطني المسدس لأنني ربما أقتل أحصنة ذلك اليهودي الملعون. وعندها نهض الحاخام، ونطق كلمته السحرية. وهكذا الوضع كله لم يعد حقيقياً.

المحاضرة العاشرة

12 كانون الأول - ديسمبر 1934

الدكتور يونغ:

لدينا اليوم التقرير الذي طلبته في بداية السيمينار. وقد أعدّه البروفسور ريكستين مشكوراً.

البروفسور ريكستين:

النموذج البدني للعجوز الحكيم

في معالجة هذا الموضوع، انتقيت أمثلة فردية اعتباطية إلى حد ما، وسأفسرها باختصار قدر الإمكان. فأنا لم أستطع طبعاً وضع ملخص عام بسبب جهلي باللغات القديمة ومعرفتي غير الكافية بتاريخ الأديان.

كما قامت السيدة "فروب كابتيان" مشكورة بإرسال كثير من المواد.¹ وأنا لا أستطيع التحدث إلا عن جزء صغير منها؛ لأنني تعاملت معها كلها كملحق سيبقى في المكتبة كمرجع. أما بالنسبة إلى المواد الأخرى، ولا سيما عن مصر

¹ السيدة أولغا فروب كابتيان، العضو في السيمينار أحياناً، كانت مؤسسة مركز مؤتمر إراتوس على بحيرة ماغور في اسكونا، سويسرا، والذي يقدم فيه يونغ وبعض الأساتذة الآخرين محاضرات تعليمية عن الدين والأسطورة بشكل أساسي في الخريف من كل سنة. لمطومات عن تاريخ هذه المؤسسة، انظر كتاب وإيلام ماكغوير "سلسلة بولينجين: مغامرة لتجميع الماضي - Bollingen: An Adventure in Collecting the Past" (برينغتون: B. S. CI, 1982).

و"هرمس ترسميجسوس"¹، أودَّ أن أشكر السيد "إف. أليمان". كما أودَّ أن أشكر السيد "فيلكس فيرتز" لترجمته بعض النصوص الإغريقية. وكذلك السيدة "بايتز" والأنسة "حنة"، والسيد "باومان" على مساعدتهم في الترجمة إلى اللغة الإنكليزية.

ومن تلك الوفرة بالأمثلة المحتملة، كان عليّ أن أختار الأمثلة المعروفة بالنسبة إلي. لذلك كان الاختيار بالضرورة أحادي الاتجاه. من أجل مناقشة وظيفة رمز العجوز الحكيم، سنأخذ ما يأتي بعين الاعتبار:

(1).. وظيفة العجوز في المجتمع البشري.

(2).. الآلهة أو الكائنات الفائقة التي يتم التعبير عن هذه الوظيفة فيها وفقاً للأسطورة والتقاليد.

1../ العجوز. سأعالج هذه النقطة الأولى باختصار شديد.

أ.. يمكننا في البداية أن نقدّم الجانب المنفتح الذي يركّز على سمات العجوز، هذه السمات التي تنمو بتراكم التجربة عبر الزمن. يلعب الرجال أدواراً خاصة كقضاة ومشرعين ومنظمين عموماً، وأساتذة وحرّاس للتقاليد ومعلمين وكحكام أحياناً. يكون لدى العجوز ثبات معين، وهو أقلّ ميلاً لخسارة نفسه ضمن محيطه. ويرى الإنسان ذلك في الأفراد وكذلك في الأمم كلها. فالبدائي مثلاً يضحك ويتراجع كثيراً في محيط غريب عنه بشكل أسرع بكثير ممن يمثله في حضارة قديمة.

ب.. يمتلك العجوز جانباً انطوائياً أيضاً: هو صاحب المعرفة السريّة. ويعرف الهدف، وبذلك يقف أقرب إلى الموت، وإلى الجانب السري للعالم، إلى الجانب غير المرئي. كما أن العلاقة القريبة بين الروح والموت علاقة

¹ هرمس الهرامسة أو هرمس مثلث العظمة أو مثلث الحكمة لأنه كان يصف الله بثلاث صفات ذاتية هي الوجود والحكمة والحياة. ويسمى باللغة العبرانية "أخنوع". المترجم

بعيدة المدى. لذلك يكون العجوز هو الساحر والمشعوذ والطبيب المعالج والكاهن، والسيد الذي يشرف على طقوس البدء. ويستطيع أيضاً أن يجسد ما هو خارق للطبيعة، أو يكون نائباً لله أو الشيطان.

في تلك المراحل من الحضارة، حيث لم يكن العالم الداخلي قد انفصل عن العالم الخارجي (أو ربما ليس بشكل متميز)، ظهر الجانب الانبساطي والانطوائي للعجوز الحكيم في الشخص ذاته. وهكذا أصبح الكاهن هو القاضي أيضاً، وهو الدور الرئيس الذي تلعبه المحاكمة الإلهية التي قامت على التعذيب بالماء والنار وما إلى ذلك. فانبثق النظام الاجتماعي من التابو والطوطم. إن قوانين التابو تزودنا بالأخلاق، حيث تخبرني مثلاً أية فتاة يجب أن أتزوج، وأي حيوان أمتنع عن تناوله. أما الطوطم فهو كل شيء مشحون "بالمنا". ويستلم الساحر "المنا" الضرورية (كشحنة كهربائية) ضمن تنسيق خاص، وينفصل بالتالي عن الناس العاديين ويتسلّم سلطة بقدر ما تسيطر عليه الروح. ومن خلال التواصل مع الجثث الناتجة عن (الصيد، الحرب، الدفن) مثلاً، يصبح الإنسان "تابو".

الطبيعة المتناقضة للعقل تتضح إلى حد كبير في أشكال التفكير البدائية. ويتم التشديد على هذا التناقض بشكل خاص في التعبير الشائع عن السحر الأسود والأبيض. فمن الصعب العثور على تعريف يحدد فعلاً هذه العلامة. لكن ربما يمكن القول إن أعمال السحر الأبيض تكون في خدمة "الذات" بينما يكون السحر الأسود في خدمة "الأنا". وبغض النظر عن احتمال صحة هذه التعاريف، فهي لا تفسّر الكثير في أية حالة خاصة. إذ لا يستطيع العجوز الحكيم أن يهرب من مصير تلك الآلهة التي لم يُسمح لها بدخول المعبد فتحوّلت إلى شياطين (ربما غاصت في الشكل البدائي). وبالتالي هو يستطيع أن يظهر كساحر خيّر أو شرير، لكن حتى ذلك لا يحسم مسألة إلى أي من الاتجاهين يمتلك الفعالية (النور)، فالأمر يعتمد

على الحالة. يستطيع كل رمز حي أن يصبح تقليداً أو عقيدة أو ما يشبه ذلك، عندما يفقد نوره السماوي ويغرق في الظلمة. ففي هذه الحالة يُمسك الأسود بالنور، ويمكن لهذا أن يكون سبباً لتغيير لونه مجدداً. ويقال عادة إن من الضروري إعادة انتزاع النور من الساحر الأسود مجدداً. (قارن ذلك مثلاً مع حكايات علاء الدين والمصباح السحري الخرافية، في مسلسل *الليالي العربية* المأخوذ عن كتاب ألف ليلة وليلة).

باختصار شديد، أودّ القول إن العجوز هو الشخص الذي يعرف ما يجب فعله (في الحالات الصعبة) وهو من يفهم كيفية أداء الطقوس السحرية. ففي الشكل الأكثر حضارية كما في الشكل البدائي، يظهر الجانبان الخارجي والداخلي للعجوز الحكيم معاً في شخص واحد. وربما يظهر شكله الأكثر تطوراً في المعلم الملهم الذي يُسمى في الشرق "غورو - Guru". (بالنسبة لنا، هذا الدور الاجتماعي ليس له تمثيل معترف به في الوقت الحالي؛ وربما نادراً ما يتم تقييم عبء حمله إلى الطبيب النفسي).

2.. العجوز الحكيم في الدين والأسطورة.

بين البدائيين. من المثير جداً للاهتمام أن تفحص النموذج البدني للعجوز الحكيم عن قرب كما ظهر بين البدائيين. وهنا سيكون لدينا على الأرجح أقرب إمكانية تواصل مع الشكل الأول الناجي للنموذج البدني. ولسوء الحظ، أنا لا أمتلك المعرفة الكافية في هذا المجال. لكن حتى لا نتجاهل المرحلة كلها، سأقدم مخططاً أولياً للتطور المحتمل للآراء الدينية التي سَلَطَت الضوء على هذه المسألة. (حصلت على هذه المادة جزئياً من فصل قصير كتبه "إي. ليمان" بعنوان: "دين البدائيين"، وقد ظهر في كتاب "بي هينبرغ" بعنوان "ثقافة الحاضر". تشير أرقام الصفحات إلى ذلك).¹

¹ لم يتم تضمين الحواشي السفلية التي وضعها البروفيسور ريكستين هنا.

الشكل البدائي للدين هو السحر. وبالنسبة للبدائيين، كانت قوة الحياة الغامضة التي تُسمى "المانا" أهم بكثير من القوة الجسدية الصرفة، حيث إن الهدف الرئيس للممارسات الدينية هو الحفاظ على قوة الحياة وزيادتها. وعلى المستوى الأدنى، يمكن تحقيق هذه الزيادة عن طريق أخذ الطاقة من شخص آخر، كما في أكل لحموم البشر مثلاً. وعلى مستوى أقل وحشية، يتم ذلك عن طريقة التضحية بالحيوانات كما يحدث عند تناول حيوان طوطي مثلاً. فالسحر ليس مرتبطاً بالآلهة أو الأرواح بالضرورة؛ فالطقوس السحرية تكفي، وكل شخص يعرف كيف يمارس السحر يكتسب القوة المرغوبة فوراً؛ إذ يستفيد مباشرة من ينباع القوة السرية في الطبيعة، ولا يحتاج إلى تدخل الكائنات الخارقة. في أستراليا مثلاً، يفهم العجائز جميعهم ممارسة السحر (الصفحة 13).

"المانا" هي الشيء ذو التأثير الفوري المباشر. ويستطيع الشخص الذي يعرف كيف يستخدمها أن يدمر أعداءه ويساعد قبيلته. كما يتم التعبير عن الطبيعة المتناقضة "للمانا" من خلال حقيقة أن كل شيء لديه "مانا"، أو خاضع لسحرها، يصبح أشبه "بالتابو" (الطبيب المعالج، والزعيم وما شابه)، وهذا يعني أنه إما مقدّس أو نجس. فالمهم بالنسبة للبدائي هو أن يعرف كيف يتعامل مع "المانا".

لا تظهر الأرواح بأشكال شخصية بين الشعوب البدائية؛ بل تكون غير متميزة؛ تكون مادية لكنها غير مرئية. فهي القوة التي تجعل الأشياء حية. ويخضع البدائي إلى حد كبير إلى سحر هذه القوة الغامضة. فهو يعيش في خوف دائم منها، ولا يعرف متى يصادف فخاً وضعه عدو غامض، لا ينفع في مواجهته أي سحر مقابل.

ومن هنا يمكن القول إن فن السحر يُظهر بعض التقدم عندما يتم تمييز هذه القوى وإدراكها على أنها أرواح حقيقية. فالإنسان العادي لا

يعرف أسماء هذه الأرواح لكن الكاهن الساحر يعرف، وإذا حدث ما هو سيئ، تقوم مهمته على العثور على الروح التي سببت ذلك (صفحة 15).
وحالما يعرف اسم الروح الشريرة، يصبح من السهل التخلص منها أو التغلب عليها من خلال شيطان أقوى منها. (لذلك تكون المعرفة هي "مانا").

يبدو أن عقيدة الإيمان بالنفس هي امتداد لاحق للإيمان بالأرواح. إذ يتم تبجيل نفوس الموتى باعتبارها أرواحاً. فبعد الموت، تستمر نفس واحدة على الأقل للإنسان الميت بالوجود. وحقيقة أن النفس يمكن أن تخضع لسيطرة تأثير أجنبي لها أهمية كبيرة في السحر، فنفس الأسلاف الموتى هامة للغاية. وبالتالي يجب أن ينتقل أي حدث جديد هام بشكل مباشر. (ربما كانت عبادة النفس هي السبب المباشر خلف طقوس الضحية). ويقول "جونود":
إن آلهة "البارونغا" هي أسلاف موتى في جزء كبير منها (ص 17).

للمقارنة مع الأمثلة اللاحقة، من الضروري جداً الإشارة إلى ما يعتقدُه البدائي عن أصل العالم. إذ إن الصورة التي لدى البدائي عن العالم مأخوذة من خصائص المنطقة التي تعيش بها قبيلة معينة مع جيرانها. فهناك قبة السماء مع الشمس والقمر والنجوم، وهناك أنهار أو جبال ترسم حدود المنطقة. وخلف هذه الحدود تقع الأرض الأسطورية للآلهة أو الموتى.

مصر (تحتوت). علينا هنا أن نترك هوة سحيقة دون جسر يربط بين طرفيها ونتحول إلى مصر من أجل مثالنا التالي عن العجوز الحكيم. لأن أحد أهم الأمثلة على التطور الثقافي الهائل للعجوز الحكيم هو الإله المصري (تحتوت) الذي لعب دور الطبيب بين الآلهة. ففي أسطورة أوزيريس مثلاً، عندما انتقم "حورس" لموت والده (انتصر على أخيه الشرير "ست" في صراع مروع جرح فيه الإلهين كليهما، حيث جرح "حورس" في إحدى عينيه، بينما جرح "ست" في خصيتيه)، وعالج تحتوت الإلهين وشفاهما.

تظهر هنا أيضاً عدالته ومساواته. وبسبب الأهمية البالغة لهذه الحالة، سأقتبس هنا فقرة من كتاب "جورج روبرت مستو ماد" بعنوان "هرمس مثلث العظمة – *Thrice Greatest Hermes*"، المجلد الأول، صفحة 58.¹

تغيّر اسم إله الضياء وإله الظلام، لكن ما لا يتغير هو اسم الحكيم، أو الوسيط، الذي كان من واجبه مراقبة ألا يُدمر إله الآخر، وألا يحقق نصراً حاسماً عليه.

كان تحوت هو من أدّى وظيفة الحفاظ على الأضداد في حالة توازن. كان في الأصل إله القمر الذي يتم تصويره عادة برأس طائر منقاره طويل منحني إلى الأسفل، وفوقه هلال، أو قرد برأس كلب. وغالباً ما تكون الهيتتان جنباً إلى جنب. كما يلعب القرد ذو رأس الكلب دوراً خاصاً في مشهد المحاكمة في "كتاب الموتى". وفيه يجلس فوق دعامة عارضة الميزان الذي يتم فيه وزن قلب المتوفى. إذ يجب عليه مراقبة مؤشر التوازن وإخبار تحوت ذي رأس الطائر أن المؤشر أصبح في المنتصف تماماً.

يمثل هذا القرد هيئة تحوت كإله "للمساواة". ربما كان رمزاً للاعتدال (تساوي الليل والنهار). وربما كان مكافئاً للشخصية التي تُعزى إلى الضفدع، الهيئة الهجينة بين إنسان وحيوان.

يُعتبر تحوت الأكثر حكمة بين الآلهة. وتُعتبر قوته في أماكن عديدة أعظم من قوة أوزيريس، وحتى أعظم من "رع" نفسه. ويُطلق عليه أحياناً اسم "قلب رع" أو لسانه. لأنه كان على مدى فترة طويلة في مصر معلّم الحكمة السرية كلها، ومؤلف الكتابات المقدسة أيضاً.

من السهل أن نفهم كيف لعب هذا الإله لاحقاً دوراً مهماً في الغنوصية، وفي تعاليم سرية مختلفة. ففي العصور التوفيقية التي تمت

¹ جورج روبرت مستو ماد، "هرمس مثلث العظمة – *Thrice Greatest Hermes*" (لندن، الطبعة الثالثة، 1949) المجلد الثاني.

فها محاولة الدمج بين الأديان والثقافات المختلفة، أصبح هذا الإله مطابقاً للإله الإغريقي "هرمس" الذي كان يُدعى "هرمس ميجستوس" أو "ترسميجستوس". كما لعب في الفلسفة الهرمسية دوراً هاماً استمر حتى العصور الوسطى، وعندما بدأ مرحلة التراجع، تغير اسمه إلى "ميجستوفيل" ومن هناك أصبح "ميفستوفيل". لكنه انبثق مجدداً من هذه الأعماق واتخذ موقعه لفترة أخرى في صدارة مرحلة لعب فيها مصير الإنسان نفسه دوراً هاماً (قارن مع مسرحية *فاوست*).

المفاهيم الإيرانية والإله أهورا مازدا (الإنسان الأساسي، أنثروبوس).
من خلال شذرات متنوعة، ولا سيما من الشذرات الآتية من الحقبة السنسكريتية في العصور القديمة، نستطيع إعادة بناء أسطورة فلكلورية إيرانية قديمة، لكن ليس بوضوح كبير بالتأكيد. وهي لا تتبع تقاليد زرادشت المتشددة، بل تعالج مسألة إله يُدعى "أسوناكس"، أي ("العارف"). (أشار "هيرميبوس" إلى هذا الإله باعتباره معلّم زرادشت). فربما نشأت هذه الأسطورة في زمن سبق تطوّر الثنائية المباشرة المميزة لبلاد فارس إلى شكلها النهائي الواضح. خلق "أسوناكس" مبدأ الخير ومبدأ الشرّ، وهو أمر بدا لفترة لاحقة بمثابة تجديف خالص.

إعادة البناء التي أشرنا إليها مستمدة من كتاب "آر. ريتزنستين" بعنوان
"*سرّ الخلاص الإيراني – Das Iranische Erlösungsmysterium*":

ابن أمير الظلام ذو هيئة الأفعى يريد ابنة ملك الضوء، ويحصل عليها في النهاية. (هو يمثل المادة، وهي تمثّل النفس، الروح). وعدها بقصر سحري، وتركها سجيناً هناك. وبعد فترة قصيرة من السعادة، بدأت حياتها التعيسة. وبينما كانت على هذه الحال وصلها رسول إلهي غير مرئي لم تعرف منه سوى صوته. ذكرها بأصلها وبالمثل الذي تركته.

كسرت النفس قوة الشيطان وهربت من سجنها، لكن عندما تُركت وحدها، سيطر عليها الحزن والخوف والحيرة. تجوّلت في عوالم المادة كلها ومنعتها روحاً، لكن لم تستطع إيجاد طريق الخروج منها لأن الحدود توقفتها دوماً. وأخيراً ظهر الإله مرة أخرى وقادها إلى زواج الهي.

هيمنت على الكون الإيراني أخبولات مشابهة يدكرنا بعضها بأسطورة التنين ورحلة البحر الليلية:

الموضوع الذي يتشابك مع الأسطورة عقب ذلك مباشرة متضمن في التعاليم المرتبطة بالإنسان الأول هو الإله "أهورا مزدا" الذي تمت مماهاته مع "النفس" في أجزاء من الحقبة السنسكريتية على الأقل. ووفقاً لـ "زيتزنشتاين"، الكلمة المذكورة هنا على أنها نفس (الروح)، يتم تقديمها في كثير من الحالات على أنها "جوهر" أو "ذات". وبالتالي، ليس من المستغرب أن تتم مماهاتها مع الإله أهورا مزدا، الإنسان الأول الذي يحمل المعنى ذاته من الناحية السيكلوجية. فهو "بوروشا"¹ الشرق.

مارست الأسطورة تأثيراً قوياً على مدى العصور، ويمكن القول إنها أثرت على ثقافتنا نحن أيضاً. حيث يمكن متابعة الأفكار المخبأة فيها بمسار مباشر عبر معظم ما يُسَمَّى العقيدة السرية للعالم الغربي. فلها تأثير لافت على المسيحية، ليس بشكل مباشر فقط بل من خلال اليهودية أيضاً. أما البصمة الأقوى لها فتظهر في التعاليم الغنوصية المختلفة. وأودّ هنا أن أشير إلى المانوية والمندائية.

سيطرت على هذه التعاليم ازدواجية واضحة فصلت عالم النور (الله) عن عالم الظلمة (المادة، هايل – Hyle). فأتخذت نفس الإنسان أصلها في عالم الضوء، وبعد صراع مع قوى الظلام تم إرسالها إلى عالم الظلام حيث تُفتَن وتُخدَّر (تصاب بالصمم وبحالة من الغباء). ووفقاً لعلم نشأة الكون،

¹ "البوروشا – purusha": في الفيد والأينشاد، هو الكيان الكوني أو الذات أو الوعي. المترجم

يتم إرسال النفس إلى عالم الظلام لتقاتل ذلك العالم من الداخل. لكن النفس الغافية في عالم الظلام تكون في حالة سكر أو عى. (يمكن مقارنة هذه الحالة مع "مولادارا" في الفلسفة الهندية).¹

أرسل الإله الأول (أو الإنسان الأول) رسولاً ليوقظ النفس. (الإنسان الأول المقيّد فتح عينيه؛ إنها "الرؤية العظيمة"، أو "megiste dea"). ويظهر الرسول، وهو الإنسان الأول من جانب آخر، بهيئة العجوز الحكيم، أو الزعيم، أو بهيئة عذراء الضوء التي تستطيع بعد ذلك مباشرة أن تتخذ هيئة القائد الحكيم. وقيل إنها "هي أو هو" المكافئ الإلهي أو الصورة الإلهية للنفس المقيدة. ثم يقود النفس بالإضافة إلى عناصرها الخمسة (بعد فترة معينة عادة) إلى عالم النور، ويترك ما تبقى لعالم الظلام.

قد يربكنا في البداية أن نكتشف أن الإله الأول، والإنسان الأول، والرسول الإلهي، جميعهم لديهم الاسم ذاته في فترات معينة، أي "أهورا مزدا". لكن ذلك ليس غريباً لأنه يشير على أن الثلاثة هم *الشئ ذاته* في الواقع؛ أي إنهم مكوّنون من "المادة" ذاتها. وفي كثير من الأحيان يظهر الإنسان الأول باعتباره ابن الإله الأول، وهي طريقة أخرى لقول إن لهما الجوهر ذاته.

أثناء صحوّة أهورا مزدا النائم، يظهر في المشهد غالباً إلهان آخران هما "كروشتاج – Chroshtag" ("النداء"، وفي الألمانية "دير روف – der Ruf") وإله "بادواهاج – Padwahtag" ("الرد على النداء")، وهما مرافقان لقائد الحكمة. يجسد كروشتاج هيئته الأولى في عالم الظواهر. (هو الصوت، اللوغوس، الكلمة). ويبدو أن هذه الرمزية تظهر من تجربة

¹ "مولادارا – Muladara": مشتقة من كلمتين، "مولا" تعني الجنر، و"دارا" تعني الأسس، والكلمة كلها تعني الجنر الأساسي للشكراس السبعة وفقاً للتقرا الهندية، وذلك وفقاً للتقرا الهندية التي يُرمز لها بزهرة لوتس ذات أربع بتلات ولون أحمر.

داخلية يسمع المرء وفقاً لها اتصال العجوز الحكيم أو كلامه قبل أن يراه. القوة الإبداعية للخطبة للنداء واضحة تماماً في ألمانيا – على سبيل المثال، كلمة "hervorrufen" أي "الإنتاج، الإنجاب". شخصية كروشتاج بصفته رسولاً غالباً ما تتمثل أيضاً برسالة أو ما إلى ذلك. كما أن الكتابة من اختراع العجوز الحكيم. تلك اللحظة الهامة التي تمثل بداية التحرر، وتكافئ في اليوغا الهندية لحظة استيقاظ الكونداليني. وهنا يوقظ كروشتاج أهورا مازدا النائم.

ثمة أشكال أخرى للأسطورة يظهر فيها بادواها تاج (الإجابة على النداء، أو ذات الإنسان الأول) الوحيد الذي يرتفع. كما تبقى عناصر الضوء الخمسة (رداء الإنسان الأول الذي يعتبر هيئته الواضحة) في الخلف بداية ولا تتبعه إلا فيما بعد.

الهدف هو عودة الإنسان الأول إلى وطنه (عودة روح الإنسان أو نفسه) إلى عالم الضوء، حيث يبدأ بتلقي عباته المنسوجة من النور.

ويمكن العثور على الطريقة الهامة التي ظهرت فيها الأسطورة في عقيدة "عبادة الأموات". حيث كانت النسخ المختصرة منه تُتلى لمساعدة روح الميت على القيامة. (كما في حالة لدغة الأفعى، تمت قراءة قصّة الإله الذي لدغته أفعى ثم شُفي مجدداً). لقد تم تقديم تجربة الألوهة العظيمة للإنسان ضمن صورة. وبتطبيق هذه التجربة على شخص حي، تُظهر له الأسطورة أن بإمكان روح الإنسان أن تتحد مع أصلها، وتعود إلى الفردوس الذي سقطت منه. حيث يقوم رسول أهورا مازدا، ذلك العجوز الحكيم، بتوضيح الطريق له.

أحد أجمل الشذرات التي بقيت محفوظة، ثم وصلنا إليها، هي "أنشودة الروح"، وهي من "سفر أعمال توما". وقد اخترت كمثال مقطوعة "مانوية"

مناسبة جداً لموضوعنا هنا لأنها ليست طويلة جداً، مع أنها ليست ذات قيمة كبيرة من وجهة نظر أدبية.

قامت الشياطين المدمرة بانتفاضة نيابة عن روحهم. ومن براز الشياطين وفضلات السحرة، تم خلق هذه النجاسة (المادة)، واستقرَّ هو (أمير الظلام) فيها. ثم التقط الروح الجميلة (gyan) من موقعها بين العناصر الخمسة الذين يحرسون الإله أهورا مازدا وقيّدها بنجاسته. ولأنه أصابها بالعمى والصمم لم تكن واعية، وكانت مشوشة لدرجة أنها لم تستطع في البداية أن تُدرك أصلها. لقد خلق لها النجاسة (الجسد) والسجن، وسجن الروح فيه.

الشياطين والسحرة والشور كلها تهددني أنا السجينة. لقد أصبحت شريرة هي نفسها، لكن الإله أهورا مازدا كان شفوفاً. لقد أخاف شيطان الجشع الأعلى وأبعده عنها، وجعلها ترى بعينها، وبيّن لها بوضوح كل ما كان وكل ما سيأتي. وسرعان ما أصبح من الواضح لها أن الإله أهورا مازدا لم يخلق هذه النجاسة (الجسد)، ولم يقيد الروح. فوصلت القيامة إلى روح هذه الشخصية المباركة، وأمنت بحكمة أهورا مازدا. لقد جرّدت نفسها من نجاسة الموت ونالت الخلاص الأبدي، وارتقت إلى الفردوس، إلى تلك العوالم المباركة.

ثم تم الإعلان عن نهاية العالم. وهذا مثالي ومنطقي تماماً بالنسبة إلى وجهة النظر التي تؤمن بأن العالم من صنع الشيطان.

ربما أدخلت المصادر الهندية والصينية مادة أفضل لرمز العجوز الحكيم. حيث يمكننا العثور على أمثلة أوضح، أمثلة تبيّن نسباً أكثر بشرية أيضاً. لكنني تخلّيت عن هذا المجال لأنه غريب جداً بالنسبة إلي. والأهم من ذلك أنني مقتنع تماماً أن لدينا هنا ميزة واحدة على الأقل، وهي ملامسة

منطقتنا، لأن من الواضح لي أن هذه الأفكار قد تجسّدت عميقاً في روح الإنسان الغربي.

ولتقديم مثال مختصر واحد عن كيفية تصوّر مثل هذه الأفكار في الشرق، أقدم لكم من دون تعليق أغنية من كتاب "ميلاربا يوجي التيبتي العظيم – *Tibet's Great Yogi Milarepa*"

ميلاربا: أنا ميلاربا، عظيم الشهرة،
السليل المباشر للذاكرة والحكمة؛
ومع ذلك فالعجوز الذي أنا عليه، مهجور وعاري.
من شفّي تنبثق أغنية صغيرة،
لأن كل الطبيعة التي أنظر إليها، تخدمني من أجل كتاب.
المادة المعدنية التي يحملها رأسي،
ترشدني فوق محيط حياة متغيرة.
أنا معلّم العقل والنور؛
وأقوم بالمآثر والمعجزات،
دون الاعتماد على آلهة أرضية.

(كتاب "ميلاربا يوجي التيبتي العظيم"، تحرير: واتلر إيفان ونتز).
"بويماندريس – *Poimandres*". سأقدم ملخصاً لأهم فصل من هذه المقالة التي يعود تاريخها تقريباً إلى القرن الأول بعد المسيح. تعني كلمة "بويماندريس" "راعي البشر". و"جماعة بويماندرس – *Poimandres* Community" هي طائفة غنوصية كان لتعاليمها تأثير كبير على المسيحية الأولى (مقارنة بجماعة هرمس الرعوية – *Pastoral Hermas*) ولا سيما في الفلسفة الهرمسية (الخيמיائي زوسيموس كان عضواً).

يقدم النص معلومات عن نشأة الكون ويحتوي خليطاً هائلاً من العناصر المختلفة جداً مما يجعل إنشاء ملخص واضح أمراً شديداً

الصعوبة. وقد يبدو غريباً أنني اخترت مجدداً علم نشأة الكون كمثال، لكن دراسات كهذه غالباً ما تتضمن التعاليم بشكل رمزي مكثف، وهي أفضل من الشروحات الطويلة. فهي فكرة قديمة تعتبر أن عملية التحول تقوم على وجوب تكرار عمل خلق العالم. وهكذا، عليه أولاً أن يعرف كيف حدث ذلك، وعندئذٍ يمكن للكون الكبير والصغير أن ينسجم أحدهما مع الآخر مجدداً. فمن المهم جداً أن يتخيل أحدهم ما إذا كان هناك فوضى أو ضوء في البداية، أم أن يهوه هو من خلق العالم بحسب الإيمان اليهودي، أم أن الشيطان خلقه بحسب ما كان سائداً في إيران.

هذا الانسجام هو النقطة الأساسية. وأفضل طريقة للتعبير عنه كانت فيما يُسمّى "اللوغس من إنجيل حواء" في كتاب "جورج روبرت ستو ماد" بعنوان "هرمس مثلث العظمة".

كنت أقف على قمة جبل شاهق، أبصرتُ شخصاً طويلاً القامة، وشخصاً آخر قصير القامة، ثم تناهى إلى سمعي صوت كأنه قصف الرعود، فاقتربت لأسمع؛ فقال لي الأول: أنا أنت وأنت أنا؛ وأينما كنت أكون أنا. أنا الموجود في كل شيء، وأنت على صورتني كيفما شئت، وعلى أي وجه رغبت، أنت شبيهي وأنت توأمي، وفي كونك على صورتني، فأنت أنا وأنا أنت.

يظهر "بويماندريس" للتلميذ أثناء ممارسته للتأمل كعملاق ضخيم جداً ويسأل ما يريد معرفته. (يقول بويماندريس إنه دائماً معه ويعرف ما يرغب به). يريد التلميذ أن يتعلّم جوهر الوجود تحديداً، ويريد أن يعرف الله. يقول "بويماندريس": "تذكّر ذلك وسأعلّمك" هذه الكلمات تتبعها رؤيا (الرؤيا العظيمة تعني هنا مجدداً إيقاظ الجزء الإلهي من الإنسان عبر الإحياء بأن جوهره الأساسي من أصل إلهي). ونستطيع في هذه الرؤيا أن نميّز أشياء مختلفة تتوافق مع فترات عالمية. وقد صَنَفَها على الشكل الآتي

يهدف التوضيح: خلق العالم الأول؛ خلق عالم المادة؛ خلق إنسان كوسيط بينها؛ الفصل بين الذكر والأنثى، وفي النهاية، صعود الإنسان إلى الله.

يوصف خلق العالم الأول على الشكل التالي: كان كل شيء بداية عبارة عن ضوء (الروح، أو الإله الأب). ومنه ظهرت الظلمة ملتقة كأفعى. ومن هذه الظلمة (الأرض) ظهر الماء. من خلال الضوء ظهرت الكلمة المقدسة (اللوعس) التي حثت النار الطاهرة على أن تنبثق من الرطوبة، ثم تبعها الريح الهوجاء. وبقيت الأرض ممتزجة بالماء لأنهما عناصر دنيا، أما النار والهواء فهما أقرب إلى الله. لكن يبدو أن خلق العالم الأول قد انتهى هنا. يقول "بويماندريس": "اللوعس المكون من الضوء هو ابن الله. فلتعلم أن ما تراه وتسمعه فيك هو كلمة الله". ومن خلال ذهن "بويماندريس" يرى التلميذ الضوء ينقسم إلى قوى حيّة لا تُحصى.

بعد ذلك يأتي العالم المادي. "الطبيعة" (إرادة الله، أو عقله أو منطق)، الله الذي أراد نسخ العالم الأول متحداً مع اللوعس، وأنجب منه عناصر الطبيعة كما لو أنها أطفال. الإله البدائي "الذكر - أنثى" خلق "الديميروج"، وخلق الكواكب السبعة، والعالم المرئي والقدر. ومن العناصر الدنيا انبثق اللوعس واتحد مع "الديميروج" أخيه، وبالتالي فقد تجاهل اللوعس العناصر الدنيا فأصبحت مادية بحتة. ومنها أنت الحيوانات الخرساء. (الديميروج، خالق العالم، يُدعى هنا: حامل النار).

خلق الإنسان الأول. أنجب "آب الجميع"، وتعني هنا "الألوهة"، الإنسان الأول على صورته. ورأى الإنسان الأول خلق أخيه (الديميروج)، واخترق أجزاء المجالات الكروية (القدر والعجلة الدائمة الحركة، هي تصوّرات أخرى عن هذه الرمزية) محطماً قوة الشيطان السيئ، وهكذا أظهر الشكل الجميل للإله (أظهر نفسه) أمام الطبيعة الدنيا. (نرى في هذه الفقرة فقط أن من المفترض أن يكون الديميروج شيطان الشر). الطبيعة والإنسان

الأول كانا في حالة توق ومحبة أحدهما للآخر، واتخذ الإنسان الأول مسكنه في هيئة قليلة الذكاء، أي في الجسد.

وهكذا، من بين جميع الأشياء الحية على الأرض، كان للإنسان وحده طبيعة مزدوجة. حيث كان دنيوياً في الجسد، وخالداً في الجوهر. وعلى الرغم من أنه خالد، ولديه قوة تفوق كل شيء، فهو يعاني ككائن دنيوي معرض للقدر. ومع أنه فوق المجالات (القدر) التي يعيش بينها، فقد أصبح عبداً لها. انحدر "الذكر-الأنثى" من الأب "الذكر-الأنثى"، وانحدر القلق من شخص قلق، ومع ذلك غلبه التوق للحب وغلبه النوم.

وفي فترة عالمية جديدة، انفصلت كل الأشياء الأنثوية عن الذكر. وبعلمنا "بويماندريس" أن من يعرف نفسه سينال الخلاص، ويعني هنا "من يُدرِك الإنسان الأول فيه". لكن من يغريه الحب ويبقى محتوى في الجسد، يتوه مرتبكاً في الظلام، ويكون مصيره الموت في العالم الحسي.

ثم يرغب التلميذ أن يعرف كيف يتم الصعود والارتقاء، فيقدم له "بويماندريس" النصيحة الآتية:

تُسَلِّم الجسد للشيطان، والأحاسيس لمصادرها، والعاطفة والرغبة إلى الطبيعة. ثم تتجاوز المجالات السبعة (القمر، عطارد، الزهرة، الشمس، المريخ، المشتري، زحل) معيداً إلى كل منها تأثيرها الخبيث.

يدخل الإنسان المجال الثامن عارياً تماماً، ويستطيع من هناك أن يصعد بشكل مباشر إلى الله ويُصبح كياناً إلهياً.

وهذا يعني أن على كل شيء أن يعود إلى المصدر الذي أتى منه، لكي نصل عندئذٍ إلى حالة مثالية يمكن مقارنتها بطريقة ما مع الحالة الأولى.

الفلسفة الخيمائية للعصور الوسطى

المثال الأول (فرنز كيسير، "الخيميائيون الحديثون الأوائل ومفهوم القبالة"¹، موهلهاوسن، 1606). في مقالة على شكل رؤيا وحوار بين التلميذ والمعلم (هرمس)، قدّم المعلم في البداية تعليمات حول "الأشياء الطبيعية" بصيغة "علم نشأة الكون".

يرى التلميذ القبة الزرقاء وفيها سبعة كواكب، الأرض في الوسط بشكلها الكروي العظيم، وفي مركزها يوجد الماء ككرة بيضاء صغيرة. لكن كل شيء يبدو قاتماً وراكداً. ومع البرق والرعد، تندلع النار الحمراء، ثم يبدأ كل شيء بالحركة بسبب الأشعة الناتجة عن النار. ويصل جزء من الأشعة إلى الكرة المركزية (الماء) ويمنحها القوة لتعطي المادة والنباتات والحيوانات والإنسان. ويشرح هرمس كل ذلك بدقة ويسمي النار الحمراء نجم الحكمة والضوء الأبدي. ويقول: "هذه النار توقظ الطبيعة" (صفحة 106).

ثم ينتقلان إلى "الخوارق". (يسمها مفتاح البصيرة إلى كل شيء). يتأمل التلميذ وتظهر لديه الرؤيا التالية: يكون في وادٍ سحيق ويسمع صوتاً خلفه. ثم ينظر إلى الخلف مذهولاً فيرى عجوزاً هرمّاً بلحية بيضاء طويلة، وعباءة سوداء، وقلادة تحمل رمز "الزاوية القائمة والفرجار"². ثم يقارب العجوز من الكرة ويصبح عملاقاً. وهناك يرسم خطوطاً، ويقول تعويذة رقم سحري بصوت مرعب. وعلى الجزء العلوي من الشكل الرباعي تظهر حمامة. وهو ما يُطلق عليه صفة "روح الاقتران والحيوية". ثم تهبط شعلة نارية من الأعلى، ويرتفع نجم أبيض من الأسفل، وفي موقع اندماجهما يبقى نجم أحمر لامع.

¹ "القبالة أو القبلانية - Cabala": هي معتقدات وشروحات روحانية فلسفية تفسر الحياة والكون، وتعتبر لفلسفة (يهودية) تفسر العلاقة بين الله اللامتناهي الأبدي السرمدي، والكون المتهالك المحدود المتمثل بمخلوقات الله. المترجم.

² هو رمز ماسوني. رمز يمثل أدوات مصاربية تُستخدم في الطقوس الماسونية لتوضيح أشياء رمزية. المترجم.

إنه رمز حجر الفلاسفة الذي ينير كل شيء. فأشعته أقوى من أية أشعة سابقة. يصبح كل شيء أحمر اللون ويشتعل في النهاية حيث لا يبقى هناك لا شمس ولا قمر. لكن ينبثق من النجم عالم جديد بهيئة كاملة. الأرض خضراء كالزمرّد؛ والشمس والقمر والنجوم أشد لمعاً مما كانت عليه من قبل، إلا أنها لا تزال ثابتة في مكانها دون أية حركة. يصرخ العجوز: "اشكر الله على نعمة إخماد الشرّ وكشف الحقيقة. فأنا سعيد لانتهاء الظلمة، ولأن الشمس لن تغرب بعد الآن بل ستسطع إلى الأبد". ثم اختفى بعد ذلك. من خلال سحر العجوز، تستقرّ دورة عجلة العالم، أو يظهر من النجم عالم جديد لا يخضع لدورة العالم الأبدية. (يحدث ذلك في تناغم غريب مع الحالة الأولى التي تمت الإشارة إليها في نشأة الكون، حيث يقف كل شيء بثبات كامل. فقد أصبح كل شيء مغموراً بالضوء الآن، بينما كانت الظلمة سائدة في الحالة السابقة).

المثال الثاني: أشير في هذا المثال إلى كتاب "زواج كرسنتيان روزنكروز الخيميائي عام 1459" (من تأليف جوان فالنتين أندريا حوالي العام 1602، الطبعة الأولى، ستراسبورغ، 1616).¹

المقالة مكتوبة بشكل مجازي، مع قدر كبير من الفكاهة. وهي عصبية للغاية على الفهم في جزء منها لدرجة يمكن لبعض معاصري الكاتب أن يعتبروها مجرد نوع من التهكم. وقد حدث الأداء كله في سبعة أيام تمثل المراحل السبع للتحوّل. وسأعرض عليكم ملخصاً لليوم الأول فقط لافتاً الانتباه إلى أوجه الشبه الكبيرة بين هذه القصة والتقاليد الغنوصية.

¹ The Chymical Marriage of Christian Rosenkreutz in the Year 1459.

في اليوم السابق لعيد الفصح، ظهرت أمام كرستيان روزنكروز عذراء سماوية تحمل له رسالة (إنها رسول سماوي؛ اليقظة). والرسالة عبارة عن دعوة لزواج سماوي لا يحدث إلا ضمن شروط معينة. وحالما قرأ الشروط، تملكه الرعب واجتاحته موجة عرق بارد لأنه لم يقتنع أن بإمكانه تحقيق تلك الشروط.

ثم راوده الحلم التالي أثناء النوم: كان مع أشخاص آخرين في برج مظلم، وكانوا مفلولين بقيود ثقيلة (مقارنة بتقييد أمورا مازدا بالمادة). وبعد فترة طويلة من المعاناة، سمعوا موسيقى؛ وارتفع السقف وأضيء البرج، وصرخ رجل عجوز جداً قائلاً إن والدته (الطبيعة، توافقاً مع والدة الأحياء في التعاليم الغنوصية) قد أمرت بإنزال الحبل سبع مرات. وفي كل مرة سيتم سحب شخص واحد إلى الضوء (التحرر). عندئذٍ اندلع صراع هائل لرغبة الجميع بالنجاة، والنتيجة أن أحدهم كان يسحب الآخر إلى الأسفل مما جعل قلة منهم قادرين على الإمساك بالحبل. بعضهم، الذين كانوا ثقلين جداً ومع ذلك رفضوا غض النظر عن الأمر، جُرِحت أيديهم من ثقل أجسادهم، وهكذا كانت الرغبة بالخروج قوية جداً. وأخيراً، نجح الحالم نفسه، بمحض مصادفة، بالخروج من البرج ثم بدأ المساعدة في عملية السحب الأخيرة كما فعل الآخرون قبله.

تم إغلاق البرج مجدداً. وتحدث العجوز بكلمات مطمئنة لأولئك السجناء الذين بقوا خلفه، لكن ذلك لم يمنعهم من إطلاق صرخات الرثاء المرير. أما الذين نالوا حريتهم، فتخلّصوا من قيودهم. ثم استيقظ الحالم وفهم أن بإمكانه الآن أن يبدأ حفل الزفاف.

كما في هذه القصة، وفي الكتابات الخيمائية بشكل عام، غالباً ما يظهر العجوز في بداية القصة فقط. والسمة البارزة في هذه الفقرة هي عجز السجناء التام - كان ينبغي أن يتم سجنهم من أوزقهم بشكل فعلي.

الدكتور يونغ: شكراً جزيلاً لك. لقد جمعت الكثير من المواد الرائعة. ربما كان من الصعب على بعضكم أن يتابعه لأنه جمع المواد كلها من كتب أدبية ربما لا تعرفونها، ومن مجالات تجارب غريبة بالنسبة لكم، لكنها تعطي انطباعاً معيناً عن عالمية العجوز الحكيم. ولاحظتم طبعاً أن هذا النموذج البدني يظهر في ظروف غريبة، أي عندما يكون الشخص في حفرة مثلاً، أو عندما يكون سجيناً أو بحاجة إلى مساعدة. فإلى أي شيء يشير ذلك؟

السيدة كرولي: إلى أنه المخلص، المنقذ.

الدكتور أليمان: المساعد!

الدكتور يونغ: نعم، المساعد أو الطبيب المعالج الذي يُستدعى في حال حصول خطأ معين. وهكذا فإن العجوز الحكيم والحالة المعقدة أمران مرتبطان؛ إذ يمكن القول إنه عندما يكون الشخص في ظرف صعب، تكون ثمة فرصة لظهور هذا النموذج البدني. فمن الصعب جداً أن يظهر من فراغ، فهو يظهر فقط في اللحظة التي تكون هناك حاجة إليه. ونلاحظ أيضاً أنه في فترات خاصة من التاريخ، أصبح الشخص الذي يجسد هذه الصورة مرثياً. فمتى كان ذلك؟

البروفيسور ريكستين: في أوقات الارتباك أو عدم القدرة على التوجّه، حيث لم يكن هناك رمز حيّ عظيم؛ أي في بدايات عصرنا مثلاً، وفي العصور الوسطى وعصر الإصلاح. وربما أيضاً في زمن تحوت المصري.

الدكتور يونغ: لكننا لا نعرف سوى القليل جداً عن تاريخ العقل المصري لنعرف تحت أية ظروف وصل تحوت إلى المقدمة؛ فقد امتدت هذه

الشخصية على مدى ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف سنة. لكنك أشرت إلى مثال نستطيع من خلاله أن نعرف كيف نشأ الدين: يمكن لدعوة زارادشت واستنارته أن تكون مثلاً على ذلك. ومع أن معرفتنا ضعيفة عن تلك الأيام، نستطيع أن نعرف من هذه التعاليم أنه ظهر عندما تراجع الدين في تلك الفترة إلى مجرد سحر أسود شعبي عادي، كما كان حال التاوية في الصين. لقد أُعيد إحياء التاوية في الصين مؤخراً، بعد أن تراجعت سابقاً إلى مجرد منجمين وعارضي السحر في الشوارع الذين صنعوا الأبراج، كما أن وحي كتاب "I Chig" تم في الشارع أيضاً. وكان الكهنة مجرد مشعوذين، وكانت الفلسفة الكلاسيكية التاوية قد انتهت عملياً. وواجه زارادشت حالة كهذه في بلاد فارس، وكان لتعاليمه هدف رئيس يقوم على قلع تلك الأعشاب الضارة سريعة النمو المتمثلة بالخرافة والسحر الشعبي. وكان للأديان دوماً ميل للانحلال إلى شعائر وتقاليد سحرية متدنية، مثل كاثوليكية القرن الخامس عشر، عندما بدؤوا يجنون المال من خلال بركة السماء. وكانت تلك حقيقة مقلقة للغاية بالنسبة للناس الذين لا يزال لديهم فكرة عن دين لائق ومحترم، وهو أيضاً ما كان السبب المباشر للثورة الألمانية. لقد انفصلوا عن الكنيسة التي رفضت بيع بركة السماء؛ فكان نوعاً من التجدد الناتج عن حالة الانحطاط السابق. وبالتالي يمكننا ملاحظة ذلك النموذج البدئي حتى في زمن زارادشت، في القرن التاسع قبل الميلاد. إذ يبدو وكأن العجوز الحكيم كان له دوره الدائم في التاريخ البشري، وقد أصبح ظاهراً بشكل جماعي عندما تحوّلت الأفكار الفائقة التي تنظّم حياتنا إلى قذارة.

السيد باومان: قد يكون "الديميروج" خالق العالم مثلاً على ذلك.

الدكتور يونغ: هذا صحيح. إن فكرة البدائي عن خلق العالم هي الخلق من خلال العقل. حيث كانت أفكار نشأة الكون القديمة نوعاً من التمثيلات الرمزية لفكر الإنسان؛ فهي تمثل خلقاً عقلياً بمعنى آخر. ويبدو هذا

واضحاً جداً في التراتيل "الفيدية"، وفي كتاب "ريغ فيدا" مثلاً، حيث قيل إن العالم له أصله في صلاة شخص حكيم؛ فقد كانت أشبه بابتكار "فقس" في الرأس. لقد وصلنا هذا الرمز من فكرة أن العالم لم يكن له وجود لو لم يكن هناك من هو واعٍ لوجوده؛ أي ما كان بالإمكان إعلان تصريح عن وجود العالم لو لم يكن هناك وعي قادر على صياغة هكذا تصريح؛ ومن دونه ما كان لهذا العالم أن يكون موجوداً. فالموجود من دون وعي ربما يكون غير موجود أيضاً. وهذه بالطبع هي ميزة العالم كما تُفهم من الفلسفة الهندوسية: هي وجود غير الموجود.

لدي سؤال من السيد ألتمان يقول فيه: "أنا محتار قليلاً من أن النصوص القديمة المرتبطة بالعجوز الحكيم تصرّ من جهة أولى على أن المعلم والتلميذ هما واحد، وأرى من جهة أخرى من أمثلة نيتشه وستينر وعنايات خان والآخرين كم هو خطير أن يتماهى الشخص مع النموذج البدني. فهل يشير ذلك إلى أن التماهي لا يحدث إلا عند الوصول إلى مستوى رفيع، بينما ينبغي تحطيم هذا التماهي بوضوح شديد في الحياة العادية؟

"أمثلة من نصوص تبجيل هرمس' قد تخطر بذهني وتدخل إلى قلبي على مدى حياتي، وتكمل كل ما رغبت به روحي. لأنك أنا، وأنا أنت.

"اللوغوس من إنجيل حواء" كنت أقف على قمة جبل شاهق، أبصرتُ شخصاً طويلاً القامة، وشخصاً آخر قصير القامة، ثم تنأى إلى سمعي صوت كأنه قصف الرعود، فاقتربت لأسمع؛ فقال لي الأول: أنا أنت وأنت أنا؛ وأينما كنت أكون أنا. أنا الموجود في كل شيء، وأنت على صورتني كيفما شئت، وعلى أي وجه رغبت، أنت شبيهي وأنت توأمي، وفي كونك على صورتني، فأنت أنا وأنا أنت". في أسطورة إزرس، "يصبح المريد هيلوس".

وهذا ليس الشيء ذاته طبعاً، لأن هيلينوس إله. والحقيقة المجردة التي تعتبر أن من السهل، ومن الطبيعي تقريباً، أن يحدث التماهي مع النموذج البدني تظهر بوضوح في كتاب *هكذا تكلم زرادشت*. فمن الواضح أن نيتشه يتطابق مع زرادشت لأنه أبدعه من ذهنه كشخصية شعرية؛ وافترض، دون دراية أو معرفة، أنه يخلق نموذجاً بدنياً في حين أن هذا النموذج البدني كان موجوداً في الواقع بشكل تلقائي. شيء غريب أن يراودك شعور بأنك خلقت نموذجاً بدنياً مع أن النموذج البدني موجود أساساً لكنك تقع ضحية وهم أنك خلقتَه بنفسك. فهذا شيء رهيب وخطير يقودنا إلى الضياع. لذلك من الهام جداً من الناحية العملية أن نعرف أن هناك أشياء في عقولنا ليست من صنع أيدينا.

افترض مثلاً أن لديك حدس بحالة حقيقية أو حالة معينة؛ فعندئذٍ سيُراودك شعور بطريقة ما أنك مُبدع هذا الحدس، وهذا مشابه لأن ترى شيئاً وتقول إن بصرك هو من سبب تلك التجربة. لكن عندما ينتابك حدس ما حول أمر معين، ربما لن تتمكن من تطبيقه على أي شيء خارجك فتظن أنه مجرد أخيلة ابتدعها ذهنك لأنها ظهرت بوضوح في نفسك. ويمكن أن ترى ذلك في تجارب التخاطر مثلاً، ولا سيما في الأوساط غير المدربة؛ فالأوساط الخيرة تعرف أن الحدس التخاطري عبارة عن إدراك لكن الشخص الساذج غير المدرب لا يفترض مباشرة أنه يستطيع أن يدرك وجود شيء حقيقي خارج نطاق ذاته. فهو لا يعي إلا الفكرة التي تخطر بذهنه، ويظن أن من المضحك أن ينشغل عقله بفكرة كهذه، ويستغرب كيف دخل الشيطان إليه. هذا ما يقوله على الأقل، لكنه يقصد طوال الوقت أن عقله قد خلق الفكرة، دون أن يدرك أن ذلك إسقاط من شخص ما في الغرفة المجاورة عبر تركيزه على ذلك الموضوع. وهذا يعني أن الشخص الذي يدرك يسأل نفسه لماذا وصلت هذه الفكرة إلى ذهنه كما لو

كانت من صنعه. وكما ترى، عندما يسطع الضوء في غرفة بشكل مفاجئ، لا تستغرب رؤية الضوء ولا تظن أنك خلقتَه. بل تعرف تماماً أن أحدهم أضاء المصباح. لكن إذا شعرت فجأة أن الضوء سطع في داخلك، تتساءل من أين جاءت هذه الفكرة، فلماذا لا تتساءل عما إذا كان أحدهم قد أضاء المصباح في داخلك؟ إن السبب الرئيس لذلك هو أن أحدهم قد أشعل ذلك الضوء؛ أحدهم قام بالتركيز على تلك الفكرة فنقلها إلى ذهنك. لكنك تتعامل مع الفكرة وكأنها من إبداعك الخاص. فهذا ما يحدث غالباً، وأنا أراقبها كثيراً في ذاتي.

أرى إحدى المريضات مثلاً وأقول: "صباح الخير، كيف حالك، اجلسي من فضلك"، وفي تلك اللحظة تخطر بذهني فكرة معينة، صورة حيّة لشيء ما، وعلى الفور تبدأ المريضة بسرد حلم يتضمن تلك الفكرة. لقد حصلت على تلك الفكرة منها ببساطة. وفي ظروف أخرى تكون الحالة على الشكل الآتي: أنهض صباحاً وأقول لنفسني: "سيأتي فلان وفلان. يجب ألا أنسى إخباره أو إخبارها بكذا وكذا". وتكون تلك الأشياء بالنسبة إلي ذات أهمية كبيرة، وهكذا في اللحظة التي تجلس فيها المريضة وأبدأ بالكلام، يحدث أنني أتكلم عن أشياء راودتها في الحلم في الليلة الماضية، أو قبل ليلتين، وهي أشياء كنت أظن أنني اخترعتها. راودني مرةً أحد أكثر الأحلام غرابة في ليلة ما. حلمت أنني في غرفة الاستشارات مع مريضة، وهي شخصية يافعة جداً وغير معروفة، وكانت مرتبكة مما أخبرني به، لكنني اكتشفت أخيراً أنها كانت من أكثر حالات عقد الأب التي راقبتها في حياتي تعقيداً. سألت نفسي: "ما الذي يعنيه ذلك بحق السماء؟ هل لدى "قرنتي - الأنثى" عقدة الأب؟" لم أستطع التفكير بالأمر أو تعقبه. ثم عرفت أن لدي في مفكرتي موعداً لاستشارة في الساعة الخامسة، وكنت قد نسيت تماماً لمن هذه الاستشارة، فهو موعد تم تحديده في الليلة السابقة أو قبلها. ثم دخلت إلى غرفة

الانتظار وكان هناك تلك الشابة اليافعة التي لم أكن قد رأيها من قبل. أخذتها إلى غرفتي وبدأت تتحدث. وفكرت في نفسي: "تباً! ما الذي تحدث عنه؟ لم يكن لدي أية فكرة عما يعنيه ذلك" عندما أدركتُ فجأة أنها تشير إلى الأب، ولا بد أن تكون حالة خاصة. وعندئذٍ قفز الحلم إلى ذاكرتي فوراً، وكانت هي تماماً التي حلمت بها ليلاً. استغربت كثيراً لماذا راودني ذلك الحلم – كما يقول الرجل الفرنسي: "راودني حلم كما لو أنه من اختراعي". لكن في واقع الأمر، كانت الفتاة في الليلة الماضية قد قالت في نفسها طبعاً: "سأذهب غداً إلى عيادة الدكتور يونغ". ثم بُلت تلك المعلومة، وبما أنني مُستقبل شديد الحساسية، تلقيت البث.

السيد باومان: أظن أنني أخبرتكم كيف حافظ مارك تورين على الطابع البريدي: كتب رسالة ووضعها قرب صندوق البريد لكنه لم يضطر إلى إرسالها بالبريد؛ لقد فكر بالأمر وحسب، ثم عاد إلى المنزل فأجابه الشخص الآخر.

الدكتور يونغ: أنا لا أؤكد أن الأمر كان على هذا النحو، لكن أموراً كهذه تحدث فعلاً. والأمر الهام الآن هو أنه عندما يكون لديك حدس ما، تميل دوماً لاعتبار أنك ابتكرته بنفسك. لذلك فإننا غالباً ما نترك الباب مفتوحاً في الأحلام: قد يكون هناك أثر للتخاطر. لقد راقبت في كثير من أحلامي الخاصة حالات غريبة للغاية لم أستطع أن أجد لها أي موقع في حياتي، وكانت تحدث بعد عدة أسابيع. وتعلّمت من ذلك أنه يكون للمرء حدس معين عن أشياء تكون خارجه فعلاً، ويتخيّل ببساطة أنه مسؤول عنها. وهكذا الأمر نفسه مع العجوز الحكيم أو أي نموذج بدني آخر؛ فعندما يظهر لنا، نكون متطابقين معه، ويكون علينا أن نتعلّم كيف نفصل أنفسنا عنه. بناءً عليه، على المرء أن يقول دوماً: "أنا لست أنت".

لكن إذا قال شخص ما: "لأنك أنت أنا، وأنا أنت"، كما ورد في سؤال السيد أليمان، تكون الحالة صعبة للغاية لأنها أشبه بتعويذة سحرية. فهو يصنع تعويذة للوغوس أو للعجوز الحكيم، ويعلن نفسه قريباً أو ابناً للجانب الآخر من نفسه. يشبه الأمر تماماً التأمل في المنذلا الأرثوذكسية الشرقية: تضع نفسك في موقع الإله وتقول: "أنا أنت، وأنت أنا". لكن ذلك لا يمكن أن يكون إلا في حالة طقسية فعلاً. وقد قلت لكم مؤخراً كيف تم ابتكار المنذلات: أراد العجوز الحكيم معرفة كيف كانت الأشياء، فبدأ برسم دوائر، ثم جاء التلاميذ وفكروا بأن الأمر يسير بهذا الاتجاه، فرسموا أيضاً دوائر وظنوا أنهم فهموا الأمر. لكن رسم الدوائر لا يعني أي شيء؛ يجب أن يكون لديك تجربة يمكن أن تعبر عنها في منذلا أو بطريقة أخرى. فمجرد الرسم لا يعني أنك فهمت الأمر. وكما تعرفون، تلك التمثيلات العقائدية والشعائر الدينية في العالم غالباً ما تكون تعبيراً عن تجارب، وقد تم استخدامها لتذكر تلك التجارب واستحضارها في ذهن الإنسان. لكن تلك هي عملية الشعور بما يُسمى "Anemphindung". وهو مصطلح لا يمكن ترجمته؛ لكنه يعني خلق حالة تكون فيها إيمان معين، كما لو أنك أنت نفسك تنتهي إليها. افترض مثلاً أنك بنيت بيتاً على الطراز القديم. عليك طبعاً أن تزوده بالتدفئة المركزية لكنك تخبئها خلف إطار رخامي من نوع ما، وأنت ترتدي سترة عتيقة وتتكئ على الطاولة عندما تتناول الطعام مع أن ما تأكله مُعدّ بأدوات كهربائية حديثة، وتشعر تماماً كما لو أنك أفلاطون أو أي شخص آخر من أولئك الأثمين القدماء. هذا هو معنى "Anemphindung". ثمة كثير من الأمثلة. فإذا كنت تعرف شيئاً عن حياة الشاعر "مايترلنك"، تفهم الأمر وتشعر وكأنك في القرون الوسطى، إذ هناك دير قديم وسيدات وليالي مقمرة.¹ كما يصبح ذلك الأمر حتمياً لا مفرّ منه

¹ مغوريك مايترلنك (1862 – 1949)، كاتب مسرحي بلجيكي (العصفور الأزرق – The Blue

عندما تضع التجربة الأصلية ولا يختبر التلاميذ ما اختبره المعلم، عليهم الوصول إلى المعرفة فعلاً كي يرسموا دوائر. وهكذا فإن "أنت أنا، وأنا أنت" عبارة عن إبهال سحري لإجبار اللوغوس، أو أي اسم آخر للعجوز الحكيم، لكي ينزل ويسمح للشخص الذي يصلي له أن يرتفع إلى مقامه الاجتماعي.

لكن التجربة الأصلية مع إدراك الحضور الموضوعي للنموذج البدني تكون على العكس تماماً. إذ تؤكد قصائد نيتشه أنه اختبر زارادشت في البداية كشخصية مختلفة منفصلة حتى عن ذاته، بحيث لم يقل: "أنت أنا" بل قال: "أنت زارادشت، وأنا البروفسور نيتشه". لكن حينئذ لم يكن هناك سيد زارادشت يعيش في أي مكان قرب "مالوجا" في إنغادين، ولم يكن في جامعة بازل أيضاً. لم يكن نيتشه حقيقياً في تجربته الأصلية؛ إذ لم يكن لديه إخلاص لها، ولا ثقة بها. وقال لنفسه إن من المستحيل أن يكون زارادشت هو الواقع الذي عليه أن يفصل نفسه عنه. فنحن نعرف من الكتاب المقدس أن المرأة خُلِقَتْ من جسد آدم، حيث كانت ضلعاً من أضلاعه. وهذا يُظهر أنها أصبحت حقيقة منفصلة عن آدم مع أنها مخلوقة من لحمه ودمه وعظامه. والأمر نفسه مع تجربة العجوز الحكيم؛ فلو كان نيتشه حقيقياً في تجربته الأصلية، لكان فهم أن زارادشت كان شخصاً آخر منفصلاً عنه وله حياته الخاصة. لأن للنموذج البدني حياته الخاصة؛ إذ توضح الحياة المناسبة والغريبة للنموذج البدني استقلاليتها بكونها تستطيع أن تبذل حياة الإنسان. فهي قوية جداً لدرجة أنها إما أن تبذل الشخص، أو لا تكون نموذجاً بدنياً. كما أن الشخص الذي يتعرض للتجربة لا يعرف ذلك طبعاً، لكن الآخرين يمكن أن يعرفوا.

Bird؛ بيليس وميليسند – Pelleas and Mellisande، وغيرها)، كان مهتماً بظاهرة اللاوعي والأشكال الأخرى للروحانية.

إذا كان هذا التوصيف مقبولاً الآن، فسيحدث تداخل بين الشخص والنموذج البدني المتجسد، ومنه يصبح واضحاً في النهاية أن النموذج البدني هو إنسان بطريقة غريبة، كما يكون الإنسان نموذجاً بدنياً؛ أي يحدث اتساع خارج الوعي عندما يكون النموذج البدني متضمناً. لذلك نقوم بتحليل اللاوعي، ونحاول أن نقرّبه من نطاقنا. نحاول توسيع الوعي حتى فوق مجال اللاوعي، ونرى أخيراً أن التجربة الجنسية تتضمن تلك النماذج البدنية. وعندئذٍ لا أكون أنا العجوز الحكيم، ولا يكون العجوز الحكيم في داخلي، وذلك لأنني لم أعد "أنا نفسي"؛ العجوز الحكيم ليس متضمناً في "أنا نفسي"، لكنه محتوٍ في الذات. وبالتالي يمكنك القول، كما رأينا في حالة نيتشه، إن العجوز الحكيم هو تجسيد للذات. لكن الذات تبقى أقوى بكثير لأنها ليست حصرية بالعجوز الحكيم بل بذلك الغبي اليافع؛ أي الإنسان؛ فالذات تحويهما معاً. وهكذا يشكّل التماهي مع النموذج البدني تجربة لا تحدث إلا بعد تداخل طويل مع النماذج البدنية؛ ولا يصبح تلميذ كهذا معلماً إلا عندما يبقى تلميذاً لوقت طويل كافٍ. ولا يحصل على درجة المعلم إلا في اللحظة التي يفهم فيها التجربة التي مثلها المعلم، وعندما يصبح لديه التجربة ذاتها عملياً.

السيدة بايتز: أودّ أن أدفع الأمر للأمام أكثر وأسأل كيف حدث تماهي العجوز الحكيم مع الإله.

الدكتور يونغ: يكون العجوز الحكيم دائماً تجسيدا للإله. لذلك نقوم باستحضار صورة الإله بلحية بيضاء طويلة جالسا على عرش ذهبي. وقد أحضرت لكم كتاباً يمكنكم أن تروا فيه صورة العجوز الحكيم في هيئته الخيمائية القروسطية؛ إنه كتاب عن الدموع والتوهج والشغف والتوبة. فهنا يظهر العجوز الحكيم بصورة إله: إنه "الكلمة". والإله تحوت مثلاً كان ترَقَّب اللوغوس، وبالتالي فهو ترَقَّب المسيحي بقدر ما هو ترَقَّب اللوغوس.

وما يثير الاستغراب هنا أن معبد تحوت يُدعى "بيت الشبكة - شبكة صيد السمك"، ومردوخ البابلي هو اللوغوس، وسمته هي الشبكة. كما أن "بابا" الكنيسة، بصفته رأس الكنيسة، يُعتبر تمثيلاً حياً للوغوس، والكنيسة هي جسد المسيح. فهو يتخذ موقع القديس بطرس ممثلاً للمسيح، والموهوب بالبركة الرسولية والنعمة أو "المانا" المنبثقة عن الرب نفسه. أما رمز "البابا" فهو عبارة عن أيقونة الصياد المنحوت عليها رسم يوضح معجزة الصيد بالشبكة. فكما ترون، يعمل اللوغوس عمل شبكة تجمع البشر كما لو أنهم سرب أسماك؛ لأن قوة الكلمة، المفهوم، الفكرة، وجهة النظر، أشبه بشبكة صيد. فهي تجمع وتشكل وتوحد. وأنت تتعلم أن الشينين هما الشيء ذاته، وسيفيقان كذلك إلى الأبد. إنها قوة العقل الإبداعية.

وهكذا فإن ميزة اللوغوس الخاصة بالعجوز الحكيم تضعه مباشرة في موقع الله كما كان المسيح وجه الله المرئي؛ فهو يشبه بطريقة ما مفهوم العهد القديم عن الملاك ذي الوجه¹. في التصوف الإسلامي، يحمل الإله الصوفي الفكرة ذاتها؛ فالخضر، الأخضر، هو العنصر المرئي أو الله. وقد شرح لي زعيم قبيلة صومالي أن الخضر هو ملاك الله الأول، وهو الوجه المرئي لله الذي لا شكل له ولا هيئة ولا طبيعة. لكن الخضر مرئي؛ إذ يمكن رؤية ذهنه كما نرى الإنسان أو الضوء أو العشب، فهو ذو هيئة واضحة. وبالتالي يكون العجوز الحكيم أشبه بإله مرئي لأنه كلمة الله - الكلمة التي أصبحت جسداً. ووفقاً لأفكارنا الإنجيلية، يكون الإله جالساً على عرش محاط بالملائكة، وحوله أوركسترا خاصة تعزف على القيثارة والترومبيت وما إلى ذلك، ولديه لحية طويلة تشبه تماماً صورة ذلك العجوز الموجود في هذا الكتاب. والحقيقة المثيرة للدهشة أن العنصر ذاته يظهر في كتاب مختلف تماماً بعنوان "قائمة الابتكارات الفنية - *Les Tableaux des*

¹ انظر أعلاه محاضرة 2 أيار - مايو 1934.

Riches Inventions"¹. تم نشر هذا الكتاب عام 1600 في باريس، وهي إعادة نشر لنسخة أقدم بكثير، وتعود كلمة مقدمته إلى عام 1589. كما يوجد كتاب ألماني مطبوع في بازل يعود إلى عام 1588، وفيه الشخصية ذاتها مع بعض الفروقات طبعاً. وهذا يوضح أنه لا بدّ من وجود تقليد معين، حيث كان هناك رموز نمطية. إذ تجد مثلاً في الكتابين كليهما أسداً مبتور الأطراف. فنحن لا نعرف المنشأ، لكن ثمة أمر واحد مؤكد: من الصعب اقتفاء أثر هذه الرموز قبل القرن الخامس عشر. وكقاعدة عامة، تعود بتاريخها إلى عصر الإصلاح.

من وجهة نظري أنها كانت مظهراً آخر من مظاهر العجوز الحكيم الذي كان أشبه بالرمز، وظهر في فترة كانت هناك حاجة ماسة له. وتعود هذه الحاجة الماسة ببساطة إلى حقيقة أنه، حتى تلك اللحظة، كان لدى كل شخص ميزة عظيمة تتمثل بالاعتراف والغفران؛ ثم أصبح ذلك كله من الماضي فجأة، واكتشف الناس صراعاً أخلاقياً بغيضاً لا خلاص منه ولا غفران. لم يخبرهم أحد أنه تمت تبرئتهم – لم تتم تبرئتهم مطلقاً – وهذا ما خلق توتراً لا يمكن احتماله. ومن هنا أتى العجوز الحكيم وأخبرهم أن عليهم أن يضعوا صوراً بهدف حل مشاكلهم من خلال الكهنوت. فالكنيسة كلها أصبحت انطوائية، ومؤسسة الكنيسة أصبحت انطوائية أيضاً، وهذا أدى إلى سلسلة من الصور. إنها تماماً ما يمكنك ملاحظته في رسومك الخاصة: لدينا سلسلة صور كهذه في زمننا لأننا نواجه أيضاً مشاكل أخلاقية لا يمكن حلها، وهي بغيضة جداً وأسوأ بكثير من التي كانت موجودة عام 1500. لكن بالطبع، كانت مشاكلهم سيئة بالنسبة إليهم كما هو حال مشاكلنا بالنسبة إلينا في هذا الزمن.

¹ كانت ليندا فيروز ديلد من أعضاء الميسنر، وقد نشرت كتاباً بعنوان "حلم بوليفيلو – The Dream of Poliphilo" باللغة الألمانية أولاً عام (1947) ثم قامت ماري هوفتر بترجمته إلى الإنكليزية (برينغتون، 1956). وكتب يونغ مقدمة لهذا الكتاب.

الفهرس

5	مقدمة الترجمة العربية
9	مقدمة
27	شكر وتقدير
29	ملاحظات حول النص
30	الأعضاء المشاركون في السيمينار
33	ربيع 1934 أيار- مايو / حزيران- يونيو
35	المحاضرة الأولى: 2 أيار- مايو 1934
61	المحاضرة الثانية: 9 أيار- مايو 1934
85	المحاضرة الثالثة: 16 أيار- مايو 1934
109	المحاضرة الرابعة: 23 أيار- مايو 1934
133	المحاضرة الخامسة: 6 حزيران- يونيو 1934
161	المحاضرة السادسة: 13 حزيران - يونيو 1934
189	المحاضرة السابعة: 20 حزيران - يونيو 1934
217	المحاضرة الثامنة: 27 حزيران - يونيو 1934
493	

	خريف 1934
243	تشرين الأول - أكتوبر / كانون الأول - ديسمبر
245	المحاضرة الأولى: 10 تشرين الثاني - أكتوبر 1934
269	المحاضرة الثانية: 17 تشرين الثاني - أكتوبر 1934
295	المحاضرة الثالثة: 24 تشرين الأول - أكتوبر 1934
323	المحاضرة الرابعة: 31 تشرين الأول - أكتوبر 1934
347	المحاضرة الخامسة: 7 تشرين الثاني - نوفمبر 1934
373	المحاضرة السادسة: 14 كانون الأول - نوفمبر 1934
387	المحاضرة السابعة: 21 تشرين الثاني - نوفمبر 1934
411	المحاضرة الثامنة: 28 تشرين الثاني - أكتوبر 1934
437	المحاضرة التاسعة: 5 كانون الأول - ديسمبر 1934
463	المحاضرة العاشرة: 12 كانون الأول - ديسمبر 1934



لماذا اختار نيتشه شخصية زارادشت الشرقيّ الفارسي ناطقاً باسمه؟ ولماذا صاغ عباراته بأسلوب يشبه أسلوب تدوين الأنجيل؟ لماذا واجه من النقد ما لم يواجهه في أي عمل آخر؟ هل كان الكتاب سبب إصابته بالجنون كما يزعم البعض؟ لماذا ألحق العنوان مباشرة بعبارته «كتاب للجميع وليس لأحد»؟ أن يجتمع يونغ ونيتشه وزارادشت في هذا الكتاب، فتلك هي المعجزة بحق.

لقد بدا الأمر بالنسبة إليّ وكأن يونغ يشعر بالحزن لأن القدر لم يقف إلى جانبه ويجعله معاصراً لنيتشه، وحرمه من محاولة تحليل شخصية عظيمة يندر وجودها كشخصية نيتشه، ومحاولة علاجها، فأراد أن يتحدى القدر ويقوم بتحليل هذه الشخصية من خلال ما تركته خلفها من مؤلفات.

يرى يونغ أن نيتشه لم يجعل زارادشت ناطقاً باسمه فقط، بل تماهى معه بشكل كامل، فأصبح أشبه بنبيّ جديد يخبر الناس بأن الألوان قد آن لقدوم الإنسان الأعلى، حيث نرى يونغ حيناً يخاطب «روح نيتشه» أو «عقله» كمريض فصامي يظهر مرّة بهذه الصورة ومرّة بتلك، ونراه حيناً آخر يخاطب البشر، أو الحشد كمبشر حكيم مكنته تجاربه الخاصة من بلوغ الحقيقة المطلقة، ونراه حيناً ثالثاً متأرجحاً بين شخصيتين إحداهما دنيوية والأخرى فوقية قلماً نستطيع أن نراها بهذا الوضوح في كتب أخرى. كما نراه في خطب أخرى يخاطب «قرينته»؛ ذلك الجانب الأنثوي من شخصيته.

المترجم

